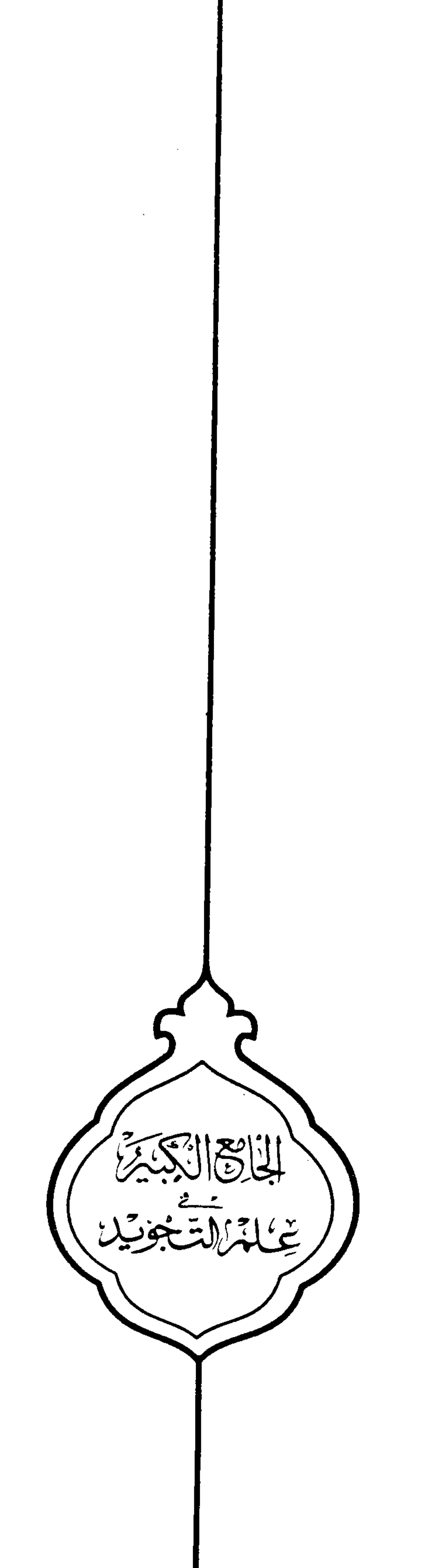

الجامع الكبير
في
علم التجويد



الجامع الكبير في علم التجويد

تأليف

الشيخ / نبيل بن عبد الحميد بن على
عضو بالمقارئ المصرية
وزارة الأوقاف

قرظ له

فضيلة الشيخ / رزق خليل حبة
شيخ عموم المقارئ المصرية / سابقًا
وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فضيلة الشيخ / عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله
الموجه الأول لعلوم القراءات بالأزهر الشريف
وشيخ مقرأة جامع الأزهر الشريف

قدم له وراجعه

أ. د / عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر الشريف

راجع أحاديثه

الشيخ / محمد عمرو

المجلد الأول

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

هاتف : ٢٣٥٦٦٣٥ محمول : ٠١٠/٣٨١٣٠٩٤

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **الجامع الكبير فى علم التجويد**

تأليف : نبيل بن عبد الحميد بن على

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣٤٥١

الترقيم الدولي : 977-310-030-5

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

تحذير هام

أحذر الذين قاموا باقتباس كثير من مادة كتاب الجامع العلمية الذي لم يطبع إلا مرة واحدة، وذلك عام ألفين، ودونوها في كتبهم دون إشارة إلى كتاب الجامع من قريب أو من بعيد، وكأنهم الجامعون لهذه المادة، وهذا لا يجوز شرعًا في أي مادة علمية، فضلًا عن المواد الدينية، والذين قاموا بذلك هم في نظر الناس من أهل الالتزام، والذى يعقد مقارنة بين كتب هؤلاء وكتاب الجامع لا يجد فرقًا بينهما في أصل المادة العلمية، الأمر الذي دعانى إلى تحذير هؤلاء من تكرار ذلك الأمر في هذا الكتاب، كتاب « الجامع الكبير »، مع العلم أن كتب هؤلاء تكررت طبعاتها أكثر من مرة، والناظر لكتاب « الجامع الكبير » في ثوبه الحالي وكتبهم يجد فرقًا شاسعًا، فإذا حدث ووجدنا أي معلومة، أو أي فقرة أضيفت إلى كتب هؤلاء فيما بعد، وهى ضمن المادة العلمية لكتاب « الجامع الكبير » ولم تتضمنها طبعاتهم السابقة، فسوف نحرك الإجراءات القانونية ضدهم، أو من يحذو حذوهم، وهذا تحذير لكل من تسول له نفسه سواء في الداخل أو في الخارج اقتباس أي من هذا الكتاب بأي صورة من الصور دون الإشارة إلى هذا الكتاب - كتاب « الجامع الكبير » -، أو إذن كتابي من مؤلفه.

المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد للَّه رب العالمين حمدًا يليق بكمال ذاته وعظيم صفاته . . .

والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه وخاتم النبيين وأفضل المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين . . . وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين . . . وبعد :

فكان من فضل اللَّه عليَّ وَمَنّه وكرمهِ وبركاته أن حباني هذه المنحة الطيبة المباركة فأطّلع علىٰ هذا الكتاب القيم والسَفرِ النفيس المسمىٰ بـ« الجامع الكبير في علم التجويد » لمؤلفه الكاتب النجيب الشيخ/ **نبيل بن عبد الحميد** ، ولقد قمت بمراجعته مراجعة علمية دقيقة ، محققًا لجميع مسائله وقضاياه فأفدت منه فائدة عظيمة مما يجعلني أسجل بنفس راضية مطمئنة قيمة هذا العمل وهذا الجهد العظيم الذي بذله مؤلفه في جمع مادته العلمية وتنظيمها وترتيبها ، ومناقشة جميع المسائل والقضايا الصوتية والتجويدية وكذلك القراءات القرآنية .

وهذا العمل ينم عن شخصية باحثة مدققة محبة لكتاب اللَّه خاصة وللعلم بصفة عامة حيث إنه تعرض في كتابه الجامع الكبير بالشرح والتحليل والموازنة لكثير من المسائل الدقيقة المتخصصة في علم الأصوات . ذلك العلم الذي يدرس الصوت اللغوي بصفة عامة ، كما يدرس العلاقة بينه وبين علم التجويد الذي يدرس الصوت القرآني بصفة خاصة ، وذلك من الناحية الأدائية .

وهذا العلم من العلوم الدقيقة التي اختلف فيها القدماء والمحدثون في بعض الأصوات من حيث المخارج والصفات. وإن كانت نادرة وقليلة ولذلك نرىٰ الباحث بجهده الموفور خرج بنتائج طيبة في التقريب بين وجهات نظر القدماء والمحدثين من خلال إطلاعه الواسع علىٰ معظم كتب الأصوات قديمها وحديثها. وكذلك كتب أهل الأداء والتجويد. مما يسجل له هذا في ميزان حسناته أولًا - وفي ميزان أهل العلم وكان ذلك في أسلوب يمتاز بالسهولة مع الجزالة في العبارة والقوة في الصياغة وحسن العرض والتقسيم مما جعل الكتاب يجمع بين الدقة العلمية واليسر في عرض المسائل والقضايا الدقيقة وتلك ميزة تبرز أهمية هذا الكتاب الذي يتطابق اسمه مع رسمه. فهو الجامع الكبير بإذن اللَّه... يستفيد منه المتخصص الدقيق كما يستفيد منه المثقف العادي. وتلك ميزة أخرىٰ تضاف إلىٰ مزاياه. فاللَّه العلي القدير أسأل أن يجعل هذا العمل الطيب المبارك في ميزان حسنات مؤلفه، وأن يجعله مقبولًا عنده في الملأ الأعلىٰ. وأن يكون خير ذخيرة وخير عون لمحبي القرآن الكريم. والحافظين لكتابه العزيز إنه وحده نعم المولىٰ ونعم المعين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ. د. عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر الشريف

❊ ❊ ❊

مقدمة الكتاب

إنّ الحمدَ للهِ نحمدهُ، ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَ لهُ، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لهُ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنْ محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد.

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وآل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

إنه من المعلوم لدى القاصي والداني أن القرآن الكريم أشرف الكلام وأحسنه، قال عنه سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

وكان شرفًا عظيمًا لبني الإنسان أن خاطبهم الله عز وجل به، وأمرهم بالعمل بما فيه على لسان نبيه المعصوم ﷺ، لينالوا به الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وأمرهم بتلاوة آياته الكريمة وتدبرها، فقال على لسان نبيه ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢].

ومدحهم على تلاوتهم للقرآن العظيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

ونظرًا لأهمية القرآن في حياة الفرد والجماعة، وأهميته كذلك في صلاح دين المرء ودنياه اعتنى الصحابة الكرام ﷺ بكتاب ربهم، وخالقهم، وأولوه العناية والاهتمام، فأعطوه جل وقتهم، وبذلوا في سبيل نشره وتعليمه كل غالٍ ونفيسٍ، وبرز منهم في إقراء القرآن خلق كثير، وقام من بعدهم من التابعين من سار على دربهم، مقتفيا أثرهم في نشر كتاب ربه.

ثم توالت العصور والأزمان، وتتابعت الكتابات في العلوم الشرعية، وكان للقرآن الكريم وعلومه النصيب الأعظم، والجهد الأوفر منها.

وامتدادا لركب خدمة القرآن الكريم أقدم هذا الكتاب في علم التجويد، وقد سميته «الجامع الكبير في علم التجويد»، وهو امتداد لكتاب مبادئ علم التجويد، الذي صدر عام ١٩٩٥م، وكذا كتاب الجامع الذي صدر عام ٢٠٠٠م واللذان لم يطبعا إلا مرة واحدة؛ نظرًا لاشتمالهما على أخطاء مطبعية

منعتنى من استكمال طباعتهما حتى خرج هذا الكتاب خاليًا من الأخطاء الطباعية السابقة - بإذن الله - مع توسع في دراسة بعض الجوانب الصوتية - حيث جمعت في هذا الكتاب بين القديم والجديد من آراء أهل العلم، سواء القدامى منهم أو المحدثون، وعقدت عدة مقارنات هامة بين هذه النقول، ورجحت ما كان دليله أقوى، وقد رأيت من خلال هذا البحث أن غالب الآراء الصحيحة في هذا الفن من وجهة نظرى مع قدامى أهل العلم وعلماء الأداء، وجمعت في هذا الكتاب مادة علمية عظيمة النفع، لتكون نبراسًا ومرجعًا هامًا لمن أراد دراسة هذا الفن دراسة مستفيضة متخصصة. مع سهولة في الشرح ويسر في العرض والتحليل.

وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى كتابين، الأول: وهو الذي بين يديك تحدثت فيه عن مقدمة لطالب العلم، ودونت بعض المباحث المهمة التي قد يحتاجها القارئ في صلاح دينه ودنياه، وتكلمت فيه أيضا عن الفرع الأول من علم التجويد، الذي يختص الحديث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وقسمته إلى أربعة أبواب، إليك بيانها:

الباب الأول: فضل العلم وأهله، وبعض الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها، وتكلمت عن فضل تلاوة القرآن عن ظهر قلب، وكذا حكم الأجرة على القرآن، وعن القراءات القرآنية، وأصول رواية حفص وشعبة، وفيه عدّة فصول.

الفصل الأول: فضل العلم والعلماء، وبينت فيه فضل أهل العلم، وبينت أنهم هم الملحوظون من الله بالعناية، والرعاية، والحفظ، والمدح في كثير من آي الذكر الحكيم، وكذا الآثار المروية عن النبي ﷺ، وذكرت تقسيمات

العلوم الشرعية، بينت من خلال هذا التقسيم درجة علم التجويد بين العلوم الشرعية، حتى لا ينشغل طالب العلم المبتدئ عن الأصول ويقدم كل عمره في علم هو من متممات العلوم الشرعية.

الفصل الثاني: آداب طالب العلم، وبينت بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم كي ينتفع بعلمه، وليكون علمه سائقًا له إلى رضوان الله وجنَّات النعيم، وكذا ينتفع غيره بهذا العلم، فتعم الفائدة على العالم وطالب العلم.

الفصل الثالث: فضل تلاوة القرآن، وبينت أن التلاوة المقصودة بالمدح هي التلاوة التي عن فهم وتدبر، والتي يعقبها العمل الصالح، ودعمت موضوع فضل التلاوة هذه بالآيات القرآنية الدالة على ذلك، وكذا الأحاديث الصحاح المروية عن النبي ﷺ التي تحث على تلاوة القرآن وتبين فضلها، وكذا أقوال أهل العلم في هذه المسألة وآرائهم.

الفصل الرابع: حكم الأجرة على القرآن، وبينت أن هذه المسألة اختلف فيها الفقهاء، وبينت هذا الاختلاف، وتوصلت إلى أدلة كل فريق، وخرجت من ذلك بنتيجة مؤداها أن الأصل في هذا العمل أن يقوم الإنسان به خالصا لله؛ لأنه خير ما يتقرب به العبد إلى ربه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وأوضحت أن حال أصحاب النبي ﷺ، وكذا الصالحين من هذه الأمة، التورع عن أخذ الأجرة على كتاب الله، وسقت جميع الأدلة أمام القارئ لكل فريق منهم، ليقف على آرائهم، ويتبين له الحق في هذه المسألة، والسبب في إضافتي لمثل هذا

المبحث ما رأيته في هذا الزمان من بعض إخواني وأخواتي قراء القرآن، وبعض من يتصدرون الإقراء، من اشتراط المبالغ الباهظة، بحجة من يرىٰ جواز اشتراط الأجرة على القرآن إلى أن أصبح إقراء القرآن يحدد بالساعة، والساعة بكذا وكذا، ولم يكن هذا قصد من أجاز أخذ الأجرة على القرآن من العلماء، وأوضحت بالدليل أن ما يحدث بهذه الصورة من اشتراط المبالغ الباهظة لم يكن من شأن صالحي هذه الأمة الخاتمة، وهالنى كذلك ما رأيته في عصرنا هذا من منح الإجازات بأثمان مبالغ فيها قد تثقل كاهل محبي القرآن، وتشق عليهم بحجة أن مَنْ يحصل عليها سوف يعمل بها، حتى تَكَوَّنَ في عصرنا هذا فئة يتأكَّلُون بالقرآن، ويتعلمون القرآن من أجل الدراهم الفانية وليس من أجل الآخرة الباقية، وياليتهم أخذوا القليل الذي يكفيهم بل أخذوا الكثير الذي يدخرونه، ولا أدري لمن يدخرون؟! وأزعجنى كذلك ما رأيته في عصرنا من اشتراط بعض القراء على الطلبة بقولهم: إذا لم يحضر الطالب حصة القراءة لأى سبب من الأسباب عليه دفع قيمة هذه الحصة؛ لأن الشيخ انتظره، ولم يأت هو، فعليه دفع قيمة الحصة التي تغيبها، وهل يجوز هذا شرعًا؟

وكان تصديري للكتاب بمثل هذا الباب ليكون بمثابة مقدمة مهمة لطالب هذا العلم، لكي ينتفع به في صلاح دينه وقلبه وجوارحه، والذى ينبنى عليه صلاح دنياه، ولم أكن محدثًا في هذا الأمر، فمؤلفات العلماء من قبلى سبقتنى في ذلك، وقد تضمنت هذه المؤلفات مثل هذا الباب، ثم اختتمت هذا الباب بأسئلة تعين القارئ على فهم مباحثه.

الباب الثانى:

مقدمة لعلم التجويد، تحدثت فيها عن القراءات القرآنية، وأركان قراءة

القرآن، وأصول رواية حفص، وكذا أصول وفرش رواية شعبة، ثم تكلمت عن مبادئ علم التجويد، وكذا مراتب القراءة، وحكم تحسين الصوت في تلاوة القرآن، والبدع التي ابتدعها بعض القراء عند تلاوتهم لآى الذكر الحكيم، ثم تكلمت عن الاستعاذة، والبسملة، وتركت تفصيل هذا الباب لفصوله.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن القراءات القرآنية، وتحدثت عن تاريخها، وقمت بعمل تراجم للقراء العشرة ورواتهم، وتكلمت عن كيفية نشأة القراءات القرآنية، وهى مادة جديدة لم يتطرق إليها أحد من قبل بهذه الصورة التي أوضحت من خلالها أن القارئ الذي نسبت إليه القراءة لم يكن إلا راويًا لها فقط، وهذه القراءة قد وردت عن النبي ﷺ، وأحسب أن هذا الفصل فريد في تأليفه، وكان ضمن مباحث كتاب الجامع، وقد وقفت فيه على مسائل صعبت على كثير من طلبة العلم في زماننا، منها: إذا سألت أي طالب علم أو مثقف عن سبب نسبة القراءات القرآنية للأئمة من التابعين أو من تابعي التابعين؟ لا يدرى، وإذا سألته لماذا لم تنسب إلى الصحابة ونسبت إلى من دونهم؟ لا يدرى، وإذا سألته أيضًا عن سبب اختلاف القراء العشرة؟ لا يدرى، وإذا سألته هل تدخل عاصم أو أيّ من القراء في حرف من اختياره؟ لا يدرى، وإذا سألته هل كل القراءات التي بين أيدينا لم يتوفر فيها حد التواتر؟ لأنها انتهت إلى قارئ واحد أو ماذا؟ لا يدري، أسئلة كثيرة كانت مبهمة على طلاب العلم، وفقني الله سبحانه للوقوف عليها وتوضيحها، والذى سهل لي هذه المهمة دراستي لتراجم القراء، وبيان الشيوخ الذين قرأوا عليهم، وتركت التفصيل لمباحث هذا الفصل.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن أركان قراءة القرآن، وأقسام القراءات لبيان ما يجوز التعبد بتلاوته وما لا يجوز طبقًا لتوفر هذه الأركان في القراءة، وأكدت

خطأ من أجاز القراءة بالشاذ من القراءات في الصلاة، ووضحت لماذا أطلق عليها قراءة شاذة، وبينت كل هذه المسائل بالتفصيل مستشهدًا بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء في هذه المسألة، ليتبين للقارئ الحق في هذه المسألة التي اختلطت على بعض طلبة العلم.

الفصل الثالث: خصصته للحديث عن أصول رواية حفص عن عاصم مجملة ليكون القارئ على دراية تامة بأصول الرواية التي يقرأ بها في أغلب البلاد الإسلامية، ولا يحتاج بعد ذلك إلى مرجع ولا دليل، وليس ذلك فحسب؛ بل بينت القراءات التي اشتهرت في مصر منذ الفتح الإسلامي لها، إلىٰ أن استقرت علىٰ رواية حفص عن عاصم.

الفصل الرابع: قد كنت وعدت القارئ في كتاب الجامع أن أوضح له أصول رواية شعبة، وها أنا أضيفها في هذا الفصل لتتم بذلك أصول قراءة عاصم بن أبي النجود، التي تتضح من الجمع بين الروايتين، وإن قدر الله وكان في العمر بقية فسوف أقوم بمثل هذا العمل مع بقية القراء العشرة، ليسهل على طلبة القراءات معرفة أصول كل قارئ بالتفصيل، بطريقة سهلة عما دُوِنَ من قبل في هذا الفن.

الفصل الخامس: تحدثت فيه عن المبادئ العشرة لفن التجويد، وتكلمت عنها بالتفصيل، وأوضحتها أحسن توضيح، وتكلمت عن كل مسألة من مسائلها مستشهدًا بكتب اللغة، وكذا كتب أصول الفقه، وكتب القراءات إن احتاج الأمر لذلك، وأضفت إليها بعض المباحث الصوتية القيمة، وذكرت في هذا الفصل الأقوال التي ذكرت في أول من ألف في علم التجويد، ووضحت اللحن الذي يقع من البعض عند تلاوتهم للقرآن الكريم، وبينت **أن اللحن**

الخفي قد يغير المعنى، ودونت أمثلة كثيرة لتوضيح ذلك، وفرقت بين الواجب الصناعي والواجب الشرعي، وبينت المقصود بالواجب الصناعي.

الفصل السادس: تحدثت فيه عن مراتب قراءة القرآن الكريم، من **حدر**، وتدوير، وترتيل، وتحقيق، وبينت أي المراتب يفضل بعضها بعضًا، مستشهدًا في ذلك بآراء أهل العلم وأهل الفقه، وخرجت بنتيجة مؤداها أن أفضل المراتب مرتبة الترتيل، ودعمت هذا الرأي بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وآراء أهل العلم في هذه المسألة.

الفصل السابع: تحدثت فيه عن حكم تحسين الصوت في تلاوة القرآن، وبينت الفرق بين تحسين الصوت المأمور به وبين التطريب المنهي عنه، ذاكرًا الأحاديث الدالة على ذلك، منها: حديث أبي موسى الأشعرى، وغيرها من الأحاديث الصحاح، وراعيت في جمعي للأحاديث أن تكون صحيحة، وإذا كان فيها الضعيف بينته، وذكرت سبب ضعفه.

الفصل الثامن: تحدثت فيه عن حكم الاستعاذة مبينا معناها، وأوجهها ومواضعها، وقد جمعت مادة علمية في الاستعاذة بطريقة منسقة، الأمر الذي جعل هذا البحث يحوز القبول من القراء ومن أهل العلم، تحريت فيه الدقة والشمول ويسر العبارة وسهولتها.

الفصل التاسع: وهو الفصل الأخير في هذا الباب تحدثت من خلاله عن البسملة، وبينت فيه اختلاف القراء في الوصل بين السورتين، وأوجه البسملة وكذا أوجهها مع الاستعاذة، ثم بينت حكمها، وذيلت هذا الباب بأسئلة متنوعة كي تساعد القارئ في فهم مباحث هذا الباب.

وبعد أن فرغت من هذه المقدمة في علم التجويد، قمت بشرح مادة هذا

الكتاب من خلال بابين فقط، اشتملا علىٰ تجويد الحرف، بدءًا من الباب الثالث والباب الرابع، وأرجأت بقية الأبواب التي تتحدث عن الإدغام والإظهار والوقف والابتداء... إلخ للكتاب الثاني، نظرا لتضخم صفحات هذا البحث وكبر حجمه، وإليك بيانها:

الباب الثالث:

خصصت هذا الباب للحديث عن مخارج الحروف؛ لأن تجويد الحرف يبحث في معرفة مخرج الحرف وصفاته؛ فقمت بتقسيم هذا الباب إلى فصول، فجاء هذا الباب عظيم الفائدة في مادته العلمية، وأثريته بمباحث فنية دقيقة في هذا الفن، وقمت بتوضيحها أكثر توضيح ليسهل على القارئ فهمها، وجمعت فيه كل ما قيل من آراء، سواء آراء أهل العلم القدامى أو آراء المحدثين من علماء الأصوات فيما اطلعت عليه من مراجع في هذا الفن، وكذا جمعت ما كتبه مشاهير أهل العلم والقراء محققًا للمسائل تحقيقًا علميًا، عاقدًا مقارنات هامة ونافعة بين القدامى من أهل اللغة والقراء من جهة وبين المحدثين من علماء الأصوات من جهة أخرى، ورأيت نفعها العظيم لكل من العالم النحرير المنتهي، والطالب المبتدئ، الأمر الذي جعل هذا الباب يكتسي بثوب قشيب، عظيم الفائدة والنفع للمتخصص والمبتدئ على سواء، وتركت كذلك تفصيل مادته العلمية لفصوله، وقد أضفت مباحث فنية هامة من علم الأصوات، وجدت نفعها العظيم لطالب القرآن.

سبب التوسع في الدراسة الصوتية: كنت قد كتبت مقدمة مطولة في علم الأصوات في كتاب الجامع الذي يعتبر هذا الكتاب الذي بين يديك تفصيلًا وتنقيحًا له، فأثناء إلقائي محاضرات في علم التجويد لبعض طلبة العلم وجدت

بعض الاستفسارت الصوتية الدقيقة في علم التجويد من بعض خريجي كلية دار العلوم «تخصص علم اللغة» في بعض المصطلحات، منها: القول في أن مخرج (الغين)، و (الخاء) من أقصى الحنك، وكذا القول في عدم وصف (الضاد) بالرخاوة، وأن مخرجها طرف اللِّسان وليس حافة اللِّسان، والقول بعدم قلقلة (القاف)؛ لأنها توصف بالهمس، وكذا بعض المصطلحات الفنية التي خالف فيها المحدثون القدامى، مثل تعريفهم للحرف المهموس، وكذا المجهور... إلخ، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء بل وجدت بعض طلبة العلم يقوم بتدريس مادة التجويد والصوتيات ويدخل في تفصيلات تضيع وقت بعض الدارسين المبتدئين، ويشغلهم عما ينفعهم من أمور ديننا الحنيف بتفريعات ليست من العلم في شيء، بل هي في نظري من التقعر غير المفيد، من ذلك علىٰ سبيل المثال: هذا الطالب وجه سؤالًا لطالب مبتدئ، وكان السؤال: أي الحروف أطول زمنًا من الآخر؟ الحرف المتحرك أم الحرف الساكن؟!، فأجاب الطالب بأن الحرف المتحرك أطول زمنًا من الحرف الساكن، فقال له السائل: الإجابة خاطئة، وعندما عرض عليَّ هذا السؤال قلت لهذا السائل من أول وهلة: إن هذا الكلام ليس له سند علمي، وهو كلام مغلوط؛ لأن المقارنة المنعقدة هنا بين الحرف المتحرك والحرف الساكن مقارنة غير منضبطة بل هي مغلوطة؛ لأن الحرف الساكن ما هو إلا صوت واحد فقط، أما الحرف المتحرك فما هو إلا صوتان: صوت الحرف الصحيح أحد حروف الهجاء والذى يطلق عليه المحدثون من علماء الأصوات (الصامت) وصوت الحركة الذي يطلقون عليه: (الصائت).

ومما أدهشني وأذهلني أن بعض من يتصدرون الإقراء يقرأون من كتب الأصوات وينقلون ذلك للطلبة المبتدئين دون مراجعة أهل العلم

المتخصصين، بل الأدهى من ذلك أنهم يأخذون بعض مناقشات طلبة العلم من شبكة المعلومات اللالكترونية «الإنترنت» وينقلونها في كتبهم، وهذه الكتب تلقىٰ رواجًا بين المبتدئين من طلبة العلم لعدم معرفتهم بأصول هذا العلم، وهذه المناقشات بين طلبة العلم التي تثار على «الإنترنت» بلا شك يعتريها كثير من الخطأ، وقد اتضح لى فيما بعد صحة ما ذهبت إليه، الأمر الذي هالنى وجعلنى أجمع على أثره مراجع هامة في علم الأصوات بلغت عددًا لا بأس به من بين كتب صوتية، ومنشورات علمية في هذا الفن، ورسائل جامعية، وكتب ومراجع أجنبية مترجمة لكبار علماء اللغة والأصوات، ولم أكتف بذلك بل أجريت مناقشات علمية هامة مع بعض أعضاء هيئة التدريس في جامعة القاهرة كلية دار العلوم، وبعض الجامعات المصرية الأخرى، توصلت من خلالها لمعلومات قَيِّمة عظيمة الفائدة لم تقتصر على الرد على هؤلاء، بل كونت عندى مادة علمية غزيرة في علم الأصوات أفادتني في الجمع بين القديم والحديث لهذا الفن في ثوب واحد، وجعلتني أعقد مقارنة من خلال هذا الباب بين أراء أهل العلم في عدد المخارج وعدد حروف الهجاء، وكذا في مخرج كل حرف، وقد قمت بتدريس هذه المادة للطلبة منذ عام ٢٠٠١م حتى صدور هذا الكتاب، وكانت هذه المحاضرات بمثابة فاتحة خير، فقد خرجت من ذلك كله بنتيجة مؤداها أن علماءنا القدامى كانوا على دراية واسعة بعلم الأصوات بالرغم من اعتمادهم على الملاحظة الذاتية، وعدم توفر الأجهزة الصوتية الدقيقة في عصرهم، والتى تمتع بها عصرنا الحاضر واستفاد منها علماء عصرنا كثيرا في دراستهم وبحوثهم الصوتية، وبالرغم من ذلك تفوق القدامى فيما ذهبوا إليه من آراء فنية عظيمة ودقيقة؛ وكأن هذه الأجهزة بين أيديهم، وكم استفاد المحدثون من علماء الأصوات من أقوالهم ونتائجهم

الباهرة؟ وكل من يقرأ أبحاثهم العلمية الدقيقة في مخارج الحروف والصفات أو يسمع آراءهم يقرر أنهم كانوا أفذاذًا قد لا يجود الزمان بمثلهم، الأمر الذي يجعل القارئ يقف طويلًا متأملًا في براعتهم وعملهم المنقطع النظير، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه خدمة للقرآن الكريم. وتوصلت كذلك إلى قواعد مهمة في هذا الفن، منها: أن الحروف الصحاح تعتبر أساسًا في بناء الكلمات اللغوية، أما الحركات فهى بمثابة روابط صوتية لربط الصيغة اللغوية، ولا يمكن لصيغة من صيغ اللغة العربية أن تبنى من صوامت فقط، وكذلك لا تبنى من صوائت فقط، بل الصيغة اللغوية خليط من النوعين، وقد رأيت عظمة الخالق في هذه الدراسة، وسعدت بما توصلت إليه من نتائج أيما سعادة، بل كانت سعادتي أكثر عندما وجدت أن بعض العلماء القدامى وبعض أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في علم الأصوات قد سبقونى لهذا الاستنتاج، وتركت تفصيل ذلك لفصول هذا البحث وإليك بيانها:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن مقدمة مهمة في المخارج والصفات، ليستفيد منها المتخصص قبل المبتدئ، وتحدثت عن نشأة علم التجويد، وكذلك علم الأصوات، وبينت فيه أنه لا فرق[1] بين علم التجويد وعلم الأصوات، وأنهما بمثابة علم واحد يخدم القرآن الكريم، وما الحديث عن المخارج والصفات إلا دليل على ذلك.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن المخارج موضحا معنى المخرج، ومعنى الحرف، وجمعت فيه أقوالًا كثيرة في معنى المخرج، وكذلك في معنى

(١) هناك فرق دقيق بين المتخصصين في علم التجويد والمتخصصين في علم الأصوات وهو أن الأخير عام في الصوت اللغوي والتجويد خاص بالقرآن الكريم.

الحرف، ثم بينت المخارج العامة، وكذا الخاصة، وآراء أهل العلم في عددها، وقد أضفت الجديد في هذا الفصل، فجمعت بين آراء أهل العلم سواء المحدثون منهم أو القدامى، وتوصلت إلى أنه من الخطأ أن ننسب مذهب الجمهور في ترتيب المخارج أو عددها للخليل بن أحمد الفراهيدي، الأمر الذي جعلني أفرد له مذهبًا مستقلًا، وقد حققت هذه المسألة تحقيقًا علميًا، وبينت كل الآراء التي تبرهن على صحة ما ذهبت إليه، وقد توصلت إلى أن مذاهب أهل العلم في مخارج الحروف خمسة مذاهب وليست ثلاثة، واستندت في ذلك إلى دليل قوي هو كتاب « العين » نفسه، وصححت نسبته للخليل بن أحمد، متبعا في ذلك كثير من أهل العلم، وتساءلت لماذا لا ينسب للخليل مذهب مستقل وترتيبه للحروف مختلف عن ترتيب كل المذاهب بما فيهم الجمهور؟! ودعمت هذا الموضوع بما ذكره المحدثون من علماء الأصوات في كتبهم، ثم رتبت بعد ذلك رأي كل مذهب في جدول، ثم أنهيت هذا الفصل بجدول عام للمقارنة بين مذاهب أهل العلم مدونًا بعض ملاحظاتي التي تعين على فهم هذه الجداول، ثم أوضحت الفرق بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية، وبينت أن الوحدة الصوتية المقصود بها الحرف الصحيح من حروف الهجاء، والتى يتغير معنى الكلمة بتغييرها، وأن الصورة الصوتية هي صورة من صور نطق الوحدة الصوتية لا تؤدى إلى تغيير المعنى، وبينت كذلك الفرق بين الحروف الفرعية والحروف الأصلية، واختلاف أهل العلم في عدد كل منها، والضابط الصحيح في الحروف الفرعية، وبذلك أهملت حروف ادعى البعض أنها ضمن الحروف الفرعية؛ لأن ضابط الحروف الفرعية لا ينطبق عليها.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن المخارج الخاصة بالتفصيل، وتكلمت عن

مخرج كل حرف وأقوال أهل العلم سواء القدامى أو المحدثون، مرجحا رأى القدامى في غالب المخارج لرجحان رأيهم في هذه المسألة، ولم يكن ترجيحى لرأي على آخر تعصبًا أو اعتباطًا، ولكن تتبعت الدليل العلمى الصحيح والتزمته، واستحدثت الرسومات الطبيعية التي توضح أعضاء النطق بصورة مختلفة عمَّا هو مدون بكتب التجويد، وقد أضفت لبعض الصور الإرشادية معلومات تفيد القارئ في معرفة وظيفة كل عضو من أعضاء النطق، وقد استخدمت بعض الصور الطبية في ذلك، وأدخلت عليها تعديلات بنفسى على برنامج الرسام، إيمانا مني أن المؤلف إذا توفرت لديه كل الأدوات من كتابة ورسم، وكان متقنًا لها كان أقدر على توصيل الفكرة في الرسم من غيره، وقد وضحت بالرسم كذلك الجهاز الصوتي بما فيه من غضاريف، وكذا الثنايا الصوتية، وأوضحت من خلال الرسم الأعضاء والأجهزة التي تتعاون في إنتاج الصوت البشري، وتوصلت إلى نتيجة مؤداها أن الحنجرة وهى صندوق الأصوات سميت بذلك؛ لأن بعض أصوات الحروف لا دخل للحنجرة في إنتاج أصواتها، مثل: صوت « الحاء » على - سبيل المثال -، فإنه ينتج في الحلق باحتكاك الهواء بين جدار اللسان وجدار الحلق الخلفى؛ لذلك أطلق عليه صوتًا احتكاكيًا، ثم بينت بالرسم كذلك وضع الأوتار الصوتية عند خروج الصوت المجهور، وكذا المهموس، وهمزة القطع، ثم وضحت كذلك من خلال الرسم العضلات التي تتحكم في عمل اللسان، وتركت تفصيل ذلك لمباحث هذا الفصل.

الباب الثالث: خصصته للحديث عن صفات الحروف، وتكلمت من خلاله عن معنى الصفة، وفوائد معرفة الصفات، وأقوال أهل العلم في الصفات، ثم قمت بتقسيم الصفات، ووضحت ما يتعلق بها بالتفصيل، موضحًا أقوال أهل

العلم في عدد الصفات، وجمعت فيه بين آراء أهل العلم في صفتى الهمس والجهر، وكذا الشدة والرخاوة، وتكلمت بالتفصيل عن الصفات بطريقة فريدة ومختلفة عما هو مدون بكتب التجويد التي طبعت قديمًا وحديثا بفضل الله عز وجل، وجمعت بين القديم والحديث من الأقوال، وتوصلت إلى أنه لا يوجد أي خلاف أو تعارض بين القدامى والمحدثين في تحديد أي صفة من الصفات وخاصة صفتى الهمس والجهر، وظهر لي من خلال البحث الدقيق أن القدامى قد تناولوها من جهة والمحدثين تناولوها من جهة أخرى، والأمر الذي أسعدني كثيرا أنني توصلت إلى تحقيق علمي يدحض كثيرًا من الآراء التي اصطنعها بعض طلبة العلم في تحديد صفات بعض الحروف ومخارجها، ولاقت رواجًا من بعض المبتدئين، وأظنني قد وفقت في الجمع بين أراء علماء التجويد وعلماء الأصوات في هذه الصفات، وخرجت من ذلك كله بنتيجة مؤداها أن غالب الرأي مع قدامى أهل العلم في الأمور الخلافية، ثم تحدثت بعد ذلك عن الصفات غير الضدية بنفس الأسلوب الذي تحدثت فيه عن الصفات الضدية، ثم بينت الصفات العارضة، وقد ظهر لي أن الصفات العارضة أكثر وأشمل من صفتي التفخيم والترقيق، وبينت كذلك أن الصفات العارضة قد تلازم بعض الأصوات كحروف الاستعلاء، وتفصيل ذلك تركته بين سطور هذا الفصل.

هذا وقد ألحقت بهذا الباب فصلا مستقلًا فريدًا في نوعه عن أخطاء الحروف، تحدثت فيه عن أخطاء الحروف من خلال زوايا ثلاث، الأولى: تحدثت فيها عن الأخطاء الفردية للحروف، والثانية: عن الأخطاء التركيبية، والثالثة: عن الأخطاء النبرية التي لم يتعرض لها أحدٌ من العلماء فيما وقع بين يدي من مراجع بالطريقة التي تحدثت عنها في هذا الكتاب، وجمعت بعض الأخطاء التي ذكرها القدامى من علماء التجويد كالمرعشى، والصفاقسى،

والداني، وابن الجزري، ومكي بن أبي طالب، وأضفت إليها أخطاء أخرى لم يتعرض إليها أحد، فكان هذا الفصل من الجمال بمكان؛ لأنه وضح للقارئ طريقة الوقوع في الأخطاء النبرية، وطريقة تجنب هذه الأخطاء، وقد بينت أن الأخطاء النبرية في الكلام متنوعة، ولم تكن على درب واحد، فمنها ما يؤدى إلى تغيير المعنى، ومنها ما يفسد رونق الأداء وحلية القراءة، وبينت أن الكلمة في اللغة العربية تتكون من حروف، قد تكون كلها من أصول الكلمة، وقد تدخل عليها في بعض الأحيان زوائد صرفية، وهذه الزوائد قد تكون سابقة على بنية الكلمة، أو قد تكون لاحقة عليها، وأن موضع النبر يتغير تغيرًا صحيحا بدخول الزوائد الصرفية اللاحقة، أما الزوائد الصرفية السابقة فالأصل ألّا يتغير معها موضع النبر، وإذا تغير أدى إلى تغيير معنى الكلمة، وهذا يعتبر من الخطأ بمكان، وقد أوضحت للقارئ كيفية تجنب مثل هذا المنزلق الخطير، وكيفية النطق الصحيح للكلمة.

وبينت كذلك أن النبر قد يجعل الكلمة الواحدة كلمتين، وقد يجعل الكلمتين كلمة واحدة، ثم بينت أن النبر يفرق بين الفعل والاسم، ثم أنهيت هذا الباب بِشُبَهٍ قد يثيرها البعض، وبينت أن بعض هذه الشبه إما أن تكون مستندة إلى رأي ضعيف من أقوال أهل العلم، أو قد تكون قد أثيرت من بعض طلبة العلم المبتدئين ودخلت على بعض الناس، وقد أفردت هذا الفصل لبيان بعض المصطلحات التي التبس أمرها على كثير من طلبة العلم، وكثيرًا ما تحدث بين صغار طلبة العلم، وأردت بذلك بيان الحق والتنبيه على الخطأ، ودعوت إخوانى الرجوع عن هذه الشبه؛ لأن الأمة في حاجة ماسّة في هذا الزمان إلى الوحدة ونبذ الفرقة، خاصة إذا علمنا أن أصوات طرف اللسان متعددة ومتداخلة، تكلم أهل العلم فيها كثيرًا، واستأنست في ردودي على هذه الشبه بأقوال أهل العلم القدامى والمحدثين، وقد تركت تفصيل هذا الباب إلى فصوله.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن بقية عناصر دراسة الصوت اللغوي، التي تتعلق بهيئة الحرف عند خروجه من مخرجه، وتحدثت فيه عن معنى الصفة لغة واصطلاحًا، وكذا فوائد معرفة الصفات، ودعمت كل فائدة بالأمثلة التوضيحية التي تسهل على القارئ فهمها، ثم تحدثت عن آراء العلماء في عدد الصفات، وكذا تقسيم الصفات، ووضحت خلال هذا الفصل أن الصفات لها دور رئيسي وأساسي في التفريق بين الأصوات، وبصفة خاصة الأصوات التي تشترك في مخرج واحد، وبينت كذلك أن الصفات لها دور هام في تحسين الحروف المختلفة المخارج.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن تفصيل الصفات، فتحدثت عن كل صفة موضحا ضابطها عند القدامى، وكذا عند علماء الأصوات المحدثين، وبينت الخلاف الدائر بينهم في تحديدهم لضابط بعض الصفات، منها على سبيل المثال اختلافهم في جهرية « القاف، والطاء، والهمزة »، فذهب القدامى إلى أن الأحرف الثلاثة مجهورة، أما المحدثون من علماء الأصوات فمنهم من أيدَّ القدامى في جهرية « القاف »، و « الطاء »، ومنهم من قال باتصافهما بالهمس لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية، أما « الهمزة » فقد اختلف المحدثون فيها أيضًا، فمنهم من وصفها بالهمس، ومنهم من لم يصفها بأى منهما؛ لا بالهمس ولا بالجهر، وقد ناقشت هذه المسألة بالتفصيل، وبينت بالدليل أن الرأى مع القدامى، وبينت كذلك بعض الحروف المختلف فيها، ثم ألحقت جداول للمقارنة بين آراء القدامى والمحدثين، وتحدثت كذلك عن الصفات الضدية بطريقة أشمل مما كانت عليه في كتاب الجامع، ثم أضفت صفتى « الغنة والخفاء » إلى الصفات غير الضدية؛ لأنهما صفتان لهما اعتبار، وتوصف بهما بعض حروف الهجاء، ولكن لم يدرجا ضمن الصفات عند الجمهور.

الفصل الثالث: تحدثت في هذا الفصل عن الصفات العارضة، وبينت أن

الصفات العارضة عند بعض أهل العلم أكثر من صفتى الترقيق والتفخيم، فقد أوصلها إلى ما يقرب من ثلاثين صفة، وقسمت كذلك حروف الهجاء من جهة اتصافها بهذه الصفات، فأوضحت أن من حروف الهجاء ما يوصف بالتفخيم وجهًا واحدًا، ومنها ما يوصف بالترقيق وجهًا واحدًا، ومنها ما يوصف بالتفخيم في بعض الأحيان وبالترقيق في أحيان أخرى، ومنها ما لا يوصف بتفخيم أو ترقيق في حد ذاته بل هو تابع لما قبله، وتركت التفصيل لسطور هذا الفصل.

الفصل الرابع: هذا الفصل استحدثته لأول مرة في هذا الكتاب، وخصصته للحديث عن أخطاء الحروف الهجائية مرتبة ترتيبًا صوتيًا، وقد قسمت أخطاء الحروف إلى ثلاثة أنواع، **الأول** منها أخطاء الحروف مفردة، **والثانى** لأخطاء الحروف حال تركيبها في كلمة مع مجاور، **والثالث** لأخطاء الحروف النبرية، وفى سبيل ذلك قمت بتوضيح بسيط لمخرج الحرف وصفاته، وبينت هل هذا الحرف من حروف القوة أو من حروف الضعف، ثم بينت أخطاءه حال الإفراد، ثم بينت الأخطاء المحتملة الوقوع حال التركيب في كلمة من تأثير مجاور، ووضحت السبب الذي يؤدي إلى الوقوع في مثل هذه الأخطاء، وذكرت لها أمثلة ليستفيد منها القارئ، ثم تكلمت عن الأخطاء النبرية، فقدمت بين يدي هذا الخطأ: الحديث عن المقاطع الصوتية موضحًا معنى المقطع، وفائدة معرفة المقطع الصوتى، وكيفية تكوين المقطع، وأنواع المقاطع الصوتية، ثم تحدثت عن النبر، وبينت تعريفه، وكيفيته، وفائدته، وأقسامه، ثم بينت الأخطاء النبرية، وكيفية الوقوع في مثل هذا الخطأ، وكيفية علاجه، وتجنب الوقوع فيه.

الفصل الخامس: استحدثت هذا الفصل أيضا وتحدثت فيه عن بعض الشبه التي أثيرت بين المسلمين في مخارج بعض الحروف، أو هيئتها النطقية عند

خروجها من مخرجها، سواء أثيرت هذه الفتن في الماضي أو الحاضر، وقد قمت بالرد عليها بأسلوب علمي، ولم أخرج عن أدب الحوار في مناقشاتى العلمية؛ لأن البغية من وراء ذلك بيان الحق في هذه المسألة، ووضحت لإخواني طلبة العلم أن الأصل في العلم المعتبر أن أتعلم من شيخى ركبتى إلى ركبتيه، ولا يصح بأى حال من الأحوال أن يكون شيخي الكتاب أو أن يكون مصدر معلوماتي القنوات الفضائية أو شبكة المعلومات اللالكترونية «الإنترنت» دون الرجوع لأصل تحصيل العلم؛ لأننى وجدت كثيرًا من الشبه المثارة على الساحة هذه الأيام غالبها من «الإنترنت»، أثارها بعض طلبة العلم وتلقفها البعض دون تمحيص أو عرض على العلماء، ودونوها في كتبهم وأخذها تلاميذهم على أنه علم ليس قبله ولا بعده، مع أنها شبه مردود عليها من غالب أهل العلم المعتبرين، وسوف ترى في مناقشاتي خلال فصل الشبه ردودًا علمية للرد على هذه الشبه وتمحيصها، وتركت تفصيل مباحث هذا الفصل بين سطوره، ثم ختمت هذا الباب بأسئلة تعين القارئ على فهم مباحثه.

وأخيرًا أقدم لك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب الذي بين يديك، وقد بذلت فيه قصارى جهدى، ولم أبخل عليه بأى جهد، وأعطيته كل وقتي، وحاولت بشتى الطرق المشروعة أن أجمع لك فيه مادة علمية تخدم القرآن الكريم، وتضيف للمكتبة الإسلامية بحثًا متواضعًا، محاولًا السير في ركب خَدَمَة كتاب الله، مثبتًا مرجع كل معلومة نقلتها من أي مرجع بالهامش، وقد قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة مبينا الصحيح منها والضعيف، وتحريت أن يكون هذا الكتاب سهلًا جامعًا لدقائق فن التجويد والأصوات، وحللت فيه المسائل الطويلة التي قد يصعب على المبتدئ فهمها، وجمعت كذلك للمنتهى ما يغنيه عن التنقيب في المراجع الطوال، وقد قمت من خلال هذا البحث ببيان بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض طلبة العلم، وجانبهم فيها الصواب.

فإن كان من فضل وتوفيق وصواب في تحقيقى للمسائل الفنية لمباحث هذا الكتاب فـ لله الواحد الأحد الفرد الصمد وحده دون غيره، فله الفضل والمنّة على ما منّ به عليَّ وعلى هذا المؤلف من أبواب فضله العظيم، فلا حول لي ولا قوة إلا به سبحانه جل شأنه، فهو الذي يسر لي هذا العمل، وهو الذي وفقني للخير الذي فيه، وإن كنت لم أوفق فيما أردت فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فأقدم الشكر والعرفان لبعض من أعانني على إخراج هذا الوليد إلى النور في ثوبه الجميل، وكذا كل من قاموا بمراجعته سواء المراجعة الفنية، أو المراجعة اللغوية، أو المراجعة اللفظية، فأقدم الشكر لفضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله - شيخى الفاضل الوقور، والموجه الأول لعلوم القرآن والقراءات بالأزهر الشريف، بارك الله لنا في عمره وصحته، ونسأل الله لنا وله حسن الختام - فقد قام بمناقشتي مناقشات علمية عظيمة عند مراجعته لهذا الكتاب أثرته وجعلته قيمة فنية عالية في هذا الفن، فكم له من أيادٍ عظيمة علينا بعد الله عز وجل، كم كان كريمًا، فاضلًا، محبا للقرآن وأهله، فلا يسعني في هذا المقام إلا قولي جزاه اللّٰه عنا وعن والقرآن خيرالجزاء، وكذا أقدم الشكر لأصحاب الفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز عبد الحفيظ، والشيخ عبد الله الجوهرى، والشيخ عبد الحليم بدر، والشيخ عبد الرزاق البكرى رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته على ما قدموه للقرآن العظيم، وأقدم الشكر كذلك لفضيلة الشيخ عرفان محمد إبراهيم، محفظ القرآن الكريم المعروف، نحسبه من الصالحين ومحبى القرآن، ولا نزكى على الله أحدًا.

كما أخص بالذكر فضيلة الشيخ رزق خليل حبة شيخ المقارئ المصرية رحمه الله، فإن تقريظه لكتاب مبادئ علم التجويد كان لنا بمثابة الوسام الذي أفتخر

به ويفتخر به كل المحبين لنا، فكم كانت منّة الله عليّ عظيمة بهذا التقريظ وبهذا الشيخ الفاضل، كم كان هذا التقريظ دافعًا قويًا في إكمال هذا العمل الذي بين يديك، جزى الله عنا الشيخ خير الجزاء، كما أقدم شكري وعرفاني بالجميل لفضيلة الشيخ سليمان الصغير رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحسن مثواه فهو أول من أجازني في إقراء القرآن الكريم حين قراءتي عليه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر عام ١٩٨٠م تقريبا.

وأقدم الشكر للأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو الفتوح على ما قام به من جهد مشكور في مراجته وتقديمه للكتاب.

كما أقدم الشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الوليد إلى الحياة لينتفع به أهل الإيمان، وأخص منهم بالذكر الأخ الفاضل طارق عوض الله- صاحب دار الأثرية للتحقيق والتأليف، والأخ عصام سعد سالم صاحب مطبعة الفاروق الحديثة.

وأقدم كذلك الشكر الخاص جدًا لجميع إخواني وأخواتي، وأخص منهم بالذكر الأخت الفاضلة تلميذتنا النجيبة نادية جلال محمد، بارك الله فيها، وفى زوجها، وأهل بيتها، فكثيرًا ما أعانتنى في مراجعة هذا الكتاب، كما أقدم الشكر للشيخ محمد عمرو وأهل بيته على تحقيقهم للأحاديث النبوية الشريفة في هذا الكتاب، كما أقدم الشكر لمن قاموا بمراجعة الكتاب لغويًا، نسأل الله أن يوفقنا وإياهم جميعا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ وأن ينفع به كل إخواني من طلبة العلم النافع.

كما لا أنسى في هذا المقام والداي سبب وجودي في الحياة، وسبب كل خير أصابني بدعائهما لي، وكذا أشكر روضتي الفيحاء، ورفيقة العمر أم سارة

وسارة قلبي، وهاجر فؤادي، وإبراهام، ومحمد، ومريم، وعبد الرحمن نبيل عبد الحميد، فكم عانوا من كثرة غيابى، وكم كان هذا الكتاب شاغلًا لي عن اهتمامي بأحوالهم إلا قليلا، أسأل الله أن يعوضهم بذلك إيمانًا يسري في عروقهم، وأن يجعلهم قرة عين لي، وأن يجمعني وإياهم في مستقر رحمته، وأن ينفعهم بالإسلام وينفع بهم الإسلام، وأن يحفظهم لي، ولدينهم، ولوطنهم، وأن يجعلهم من الصالحين الخادمين لدينه، الناشرين لكتابه في شتى بقاع الأرض، اللهم استجب هذا الدعاء. . . آمين.

وأخيرا أسأل كل من قرأ هذا الكتاب أو استفاد منه أن يخصنى بالدعاء في سجوده ووقت سحره، أن يحسن الله خاتمتى وخاتمة أولادى وزوجتى وأهل بيتى، وأن يتقبل مني هذا العمل، وأن يرزقني الإخلاص فيه، وأن يتوفني على الحق، وأن يوفقني لخدمة كتابه العزيز.

والحمد لله رب العالمين

فرغت من الكتاب بعد صلاة عصر الإثنين الموافق ٢جماد الآخر ١٤٢٥ من الهجرة النبوية الشريفة الموافق ١٩ يوليو ٢٠٠٤ من الميلاد.

المؤلف

نبيل بن عبد الحميد بن على

خادم القرآن الكريم بالأزهر

وعضو بالمقارئ المصرية التابعة لوزارة الأوقاف

بيان شيوخ المؤلف وتلامذته

بيان بأسماء شيوخ المؤلف وتلاميذه الحاصلين منه على إجازة

أولا: الشيوخ الذين قرأ عليهم المؤلف

١- فضيلة الشيخ سليمان الصغير

٢- فضيلة الشيخ عبد الحليم بدر

٣- فضيلة الشيخ عبد الرزاق البكرى

٤- فضيلة الشيخ عبد الله الجوهرى

٥- فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف بن عبد الله

ثانيا: تلاميذ المؤلف والحاصلين منه على إجازة في إقراء القرآن

الرجال الحاصلون على إجازة في القرآن الكريم

١- « أبو أنس » محمد بن سيد بن حسين بن سالم

٢- (أبو عبد الرحمن) عبد الرءوف بن أمين محمد

٣- (أبو محمد) صلاح الدين بن عوض الله البلتاجى

٤- سالم بن محمد بن إسماعيل حربية

٥- طارق بن عبد الحى محمد

٦- (أبو عبد الرحمن) يوسف بن جوده يس الداوودى

٧- (أبو معاذ) طارق بن عوض الله محمد

٨- حسن عبد العظيم بن علي جلال

٩- جمال بن زكى مصطفى محمد

١٠- محمد بن عطية بن عبد المتعال الحجاجي الشهير بعبد الله

١١- ياسر بن أحمد عبد الرحيم

١٢- هلال بن على محمد الرشيدى

١٣- حسين بن فاروق توفيق بن مرجان

١٤- (أبو عبد الرحمن) مصطفى بن شعبان محمود صيام

النساء الحاصلات على إجازة من المؤلف

١- « أم سارة » سعدية ابنة يوسف بن يوسف قابل

٢- دلال ابنة شفيق بن صبرى

٣- نادية ابنة جلال بن محمد بن زكى

٤- أمانى ابنة حسن بن عبده بنا

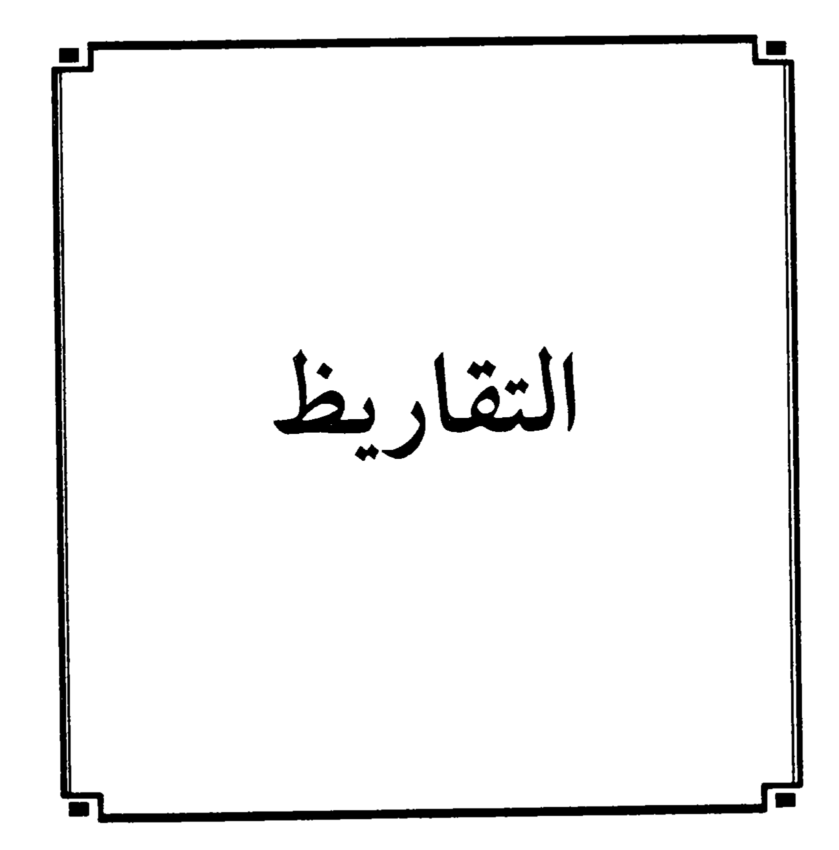
٥- رضا ابنة كامل عبد الجليل

٦- عيشة ابنة رمضان بن متولى

٧- منال ابنة حميد بن يس

٨- كريمة ابنة السيد بن شعبان

٩- فاطمة ابنة إبراهيم بن عفيفى



التقاريظ

تقريظ لفضيلة الشيخ رزق خليل حبة رحمه الله لكتاب مبادئ علم التجويد الذي هو جزء من هذا الكتاب

الحمد لله، يسر لنا حفظ كتابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه، الذين قرءوا القرآن ونقلوه إلينا عذبًا مسلسلًا كما أنزل، فرضى عنهم ربهم وجزاهم بأعظم ثوابه، وبعد

فقد استعرضتُ ما جاء في الجزء الأول من كتاب « مبادئ علم التجويد » الذي قام الأستاذ الفاضل الشيخ « نبيل بن عبد الحميد » بتأليفه وإخراجه، ولا أكون مبالغًا إذا قلت إن هذا الكتاب فريد في نوعه، ويعتبر مرجعًا بالنسبة لنظائره من الكتب التي ألفت حديثًا في هذا العلم؟ فأسلوبه جليل، وخطه جميل، وتنسيق أبوابه هادٍ إلى سواء السبيل، ومن يقرؤه لا يحتاج بعد ذلك إلى مرشد ولا دليل.

ولقد حمدت المولى - جل وعلا - على أن جعل من بين خلقه من يحافظ على كتابه، كما جعل من بيننا أمثال هذا المؤلف المجتهد في الوقت الذي بالنسبة لهذا العلم انقرضت فيه النظائر وضعفت معه البصائر.

ولا يسعنى إلا أن أدعو له بالتوفيق في كل أعماله، وييسر له إتمام الجزء الثاني لهذا الكتاب مصحوبًا بتحقيق آماله، وأن يزيدنى وإياه علمًا وتعليمًا استجابة لقول الله تعالى لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ صدق الله العظيم،

تحريرا فى: ٥ من شوال ١٤١٧هـ رزق خليل حبة

تقريظ فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد،،

فقد أطلعني ولدنا النابه الشيخ: «**نبيل بن عبد الحميد**» على كتابه «**الجامع في علم التجويد**» فألفيته كتابا حافلًا واسع المادة، قد ضم بين دفتيه ما يحتاج إليه طالب القرآن الكريم في علم التجويد الذي هو فرض.

ومما شرح صدري ما تضمنه الكتاب من المباحث الشاملة في علم تجويد القرآن وما يتصل بطرق الأداء بحيث يعطي للطالب طاقة تجويدية واسعة لا توجد في غيره من الكتب المؤلفة حديثًا.

فوصيتي لكل طالب للقرآن وطالبة دراسة هذا الكتاب بتأنٍ والاهتمام به، وإننى أحيي ولدنا المؤلف على ما قام به من شرح وتوضيح لدقائق هذا العلم، وما بذله من جهد يشكر عليه في حسن تنسيقه وتبويبه لمباحث هذا الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن يوفقه لخدمة كتابه الكريم ونفع طلاب القرآن، وأن ينفعني وإياه بالقرآن الكريم.

كما نلح عليه سبحانه ضارعين أن يرزقني وإياه حسن الختام والموت على

الإسلام والإيمان والقرآن، وألا يحرمنا شفاعة نبينا محمد ﷺ...... آمين والحمد لله رب العالمين.

الشيخ/ **عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله الحنبلى**

والموجه الأول لعلوم القرآن والقراءات بالإدارة العامة

لشئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف وشيخ مقرأة الأزهر

ووكيل لجنة تصحيح المصاحف بمجمع البحوث الإسلامي

البَابُ الأوَّلُ



الفَصْلُ الأَوَّلُ

فضل العلم وأهله

أخرج ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١].

ففى هذا الحديث حثٌ من النبي ﷺ لأمته على طلب العلم ولا شك أنَّ المقصود بذلك العلم الذي يأثم تاركه، وهو العلم الشرعي.

والعلوم الشرعية منها ما هو فرض عين على المسلم، لا يسقط عنه بأي حال من الأحوال، ولا يقوم به غيره، ولو قام به لم يسقط الفرض عن الأول؛ ومنها فرض الكفاية الذي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

وقد بين ربنا - سبحانه - فضل العلم والعلماء في أكثر من موضع في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت-٤٣].

فهذا مدح لفئة من الناس؛ وهم أهل العلم خصهم الله عز وجل دون غيرهم بالفضل؛ وفهم ما يعنيه - سبحانه - من الأمثال التي بينها للناس في كتابه؛ ذلك لأنهم حملوا أمانة تعريف الناس وتبليغ مرادات ربهم.

---

(١) حديث حسن لشواهده، رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وجابر...؛ أخرجه الطبراني ١٠/ ٢٤٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣ تحقيق أبي الأشبال الزهيري، وصححه الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب ج١ص١٤٠ .

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت-٤٩]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « هذا مدح من الله عز وجل لأهل العلم، وثناء عليهم، وشرّفهم بأنْ جعل كتابه آيات بينات في صدورهم، وهذه خاصية ومنقبة لهم دون غيرهم ».

ثم بين ربنا سبحانه بعد ذلك فضل أهل العلم على غيرهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر-٩]

أي: هل يستوي العالم والجاهل؟!!؛ هل يستوي من يعلم قدر الله عز وجل والذى لا يعلم؟ هل يستوى من في جوفه شيء من القرآن ومن ليس في جوفه شيء منه؟ لا يستوون!!.

دلنا على ذلك قول النبي ﷺ: **«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»**[1]، وقوله أيضًا: **« فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم »**[2].

---

(١) أخرجه الترمذى- كتاب فضائل القرآن (٥/ ١٦٢) رقم (٢٩١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، في إسناده قابوس بن أبي ظبيان، فيه مقال، وأخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، والدارمى ٢/ ٤٢٩ كتاب فضائل القرآن، ط دار الكتب العلمية، والحاكم (١/ ٥٥٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه*، وتعقبه الذهبي وقال: قابوس لين، وأخرجه البيهقى في الشعب (٢/ ٣٢٨) رقم: (١٩٤٣).

* تنبيه: إذا قال الحاكم لم يخرجاه أو صحيح على شرطهما قصد بذلك البخاري ومسلم.

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه- كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٤٨) رقم (٢٦٨٥) وهو حديث ضعيف.

من أجل هذا الفضل العظيم حثنا ربنا سبحانه وتعالى على طلب العلم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾(١) [المجادلة: ١١].

وقال عز من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الآية [الروم: ٥٦].

ولما كانت حياة الأبدان لا تقوم إلا بحياة القلوب؛ وكان العلم هو السبيل لذلك؛ كان السعي للعلم وهو غذاء الروح أهم عند العاقل من غذاء البدن؛ لذلك كانت حياة الأبدان مرتبطة بحياة القلوب.

ولما كانت حياة القلوب أيضًا مرتبطة بالعلم، طلب الله عز وجل من نبيه ﷺ الزيادة منه فقال عز من قائل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

قال البخاري عند قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ هذه الآية واضحة الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه (٢).

---

(١) قال البخاري في تفسير هذه الآية: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة، وحسن النصيب، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة- فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر العسقلاني- ط دار الريان للتراث.

(٢) فتح الباري - شرح صحيح البخاري ١/ ١٧٠- ١٧١- ط دار الريان للتراث.

فلو كان شيء في الدنيا أهم وأشرف وأفضل من العلم لأمر الله نبيه ﷺ بطلب الزيادة منه؛ ولكن ليس هناك شيء أهم من العلم للبشرية جمعاء؛ لأنه بالعلم يعرف الله عز وجل وبه يطاع ولا يعصى، فالعلم أولًا ثم العمل يتبعه؛ فالعابد لله بغير علم على خطرعظيم.

لذلك قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فالعلم بوحدانية الله معين على العمل الخالص؛ ثم أتبع العلم بالعمل وهو «الاستغفار».

ونجاة العبد من المهالك تكون بالعلم أيضا؛ فقد قص علينا القرآن الكريم قصصًا عظيمة، توضح لنا هذا المعنى، فعلى - سبيل المثال - قصة «قارون»، لمَّا خرج على قومه في زينته قال بعض من يريدون الدنيا ويجهلون حقيقتها ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]

أما الذين أوتوا العلم فقالوا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠].

ولما خسف الله بقارون وبماله الأرض ندم الذين تمنوا مكانه وقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢].

دلنا ذلك على أن العلم كان سببًا لنجاة مَنْ تحلى به وكان جزا من تخلى عنه الندم والحسرة.

وبالعلم أيضا يُرْفَعُ أقوامٌ ويُوضَعُ آخرون، قال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (١/ ٥٥٣) رقم (٨١٧) وابن ماجه رقم (٢١٨) وأحمد (١/ ٣٥) والدارمي (٣٣٦٥).

وقد وضح القرآن الكريم لنا هذا المعنى في أكثر من موضع، ففي قصة سليمان - عليه الصلاة والسلام - عند الحديث عن « عرش بلقيس »: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠]

فالذي عنده العلم كان أقدر على الإتيان بعرش بلقيس في زمن أقل من العفريت الجني؛ أي: فعل ما عجز عنه العفريت الجني حيث جاء بالعرش قبل أن يرتد طرف سيدنا سليمان إليه؛ وهذا دليل أيضًا على شرف العلم ومكانة العلماء.

ولشرف العلم أحل الله أكل ميتة الكلب المُعَلَّم، وحرّم أكل ميتة الكلب غير المُعَلَّم، فقال سبحانه موضحًا ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤].

فأكل ميتة الكلب المُعَلَّم وتحريم أكل ميتة الكلب غير المُعَلَّم دليل على شرف العلم والعلماء.

وَلَمَّا كان هذا شأن العلم، كان الواجب على الإنسان ملازمة أهله؛ ولا بد كذلك من وجود هذه الفئة التي تتفقه في الدين، لكي تعلم الناس ما يقربهم إلى ربهم، فقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقد أَمَرَنَا ربُنا عز وجل أن نسأل أهل العلم إذا غاب عنا فَهْمُ أمر من الأمور فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على شرف العلماء وفضلهم؛ وأنهم هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية، ولو كانوا في نظر بعض الناس أقلهم(١).

ولمّا كان القرآن الكريم أشرف العلوم على الإطلاق روى سيدنا عثمان ﷺ عن النبي ﷺ قوله: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢).

قال ابن القيم في هذا الحديث: وَتَعَلُّمُ القرآن وتعليمه يتناول تَعَلُّمَ حروفه وتعليمها وتَعَلُّمَ معانيه.

ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنَّةِ، فإن كانوا في السنَّةِ سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا، ولا يؤمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**»(٣).

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٩) رقم (٨١٧) قال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثني أبي عن ابن شهاب عن عامر بن واثلة أن نافع بن الحارث الخزاعي، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادى؟ فقال: «ابن أَبزَى»، قال: ومن ابن أبزى قال: مولى من موالينا؛ قال: فاستخلفت عليهم مولى؟!!! قال: «إنه قارئ لكتاب الله، وإنه عالم بالفرائض»، قال عمر: «أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه(٦/ ٧١٨) ط دار الحديث، كما في الفتح (٨/ ٦٩١) رقم (٥٠٢٧)، وفى لفظ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه» أخرجه البخاري نفس المرجع السابق وفي الفتح برقم (٥٠٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (١/ ٤٦٥) رقم (٦٧٣)، وأبو داود في الصلاة (١/ ٣٩٠-٣٩١) والنسائى (٢/ ٧٦) باب من أحق بالإمامة، والترمذى (١/ ٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ٢٣٥) وابن ماجه رقم (٩٨٠) وأحمد (٤/ ١١٨-١٢١) وغيرهم (سلما) أي: إسلامه، وفى رواية: (سنا) بدل (سلما)، =

ومما لا شك فيه أن العلوم الشرعية تنال هذا الشرف لاتصالها بالقرآن؛ لأنها الوسيلة إلى معرفة الله عز وجل، المعرفة التي تجعلهم يعبدونه حق عبادته، كما أمرهم خالقهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات: ٥٦]**.

والعبادة كما عرفها ابن القيم هي: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة».

ولكنه لما اختلط الأمر على بعض المبتدئين في بعض العلوم الشرعية، وبَعُدَ كثيرٌ منهم عن فَهْمِ المقصود من قول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، بينت في هذا الفصل لطالب القرآن الكريم العلوم الشرعية وتقسيماتها، لكي يكون على بينة من العلم الذي يقوم بدراسته ودرجته من حيث الوجوب ووقت وجوبه عليه، خاصة أنه قد ورد الخبر عن المعصوم ﷺ أنه قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»(٢).

= ولا يؤمّنّ الرجل في سلطانه: معناه أن صاحب البيت والمجلس وإمام المجلس أحق من غيره، وإن كان هذا الغير أفقه وأقرأ وأفضل وأورع منه، فصاحب المكان أحق، فإن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده، و(تكرمته) قال العلماء: التكرمة: الفراش ونحوه، مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (١/ ٢٧) وفى الفتح (١/ ١٧٩) رقم (٧١ - ٣١١٦ - ٣٦٤١ - ٧٣١٢ - ٧٤٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة (٢/ ٧١٨) رقم (١٠٣٧) ومعنى (يفقهه): يفهمه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (٨/ ٣٣١) والفتح (١١/ ٢٣٣) رقم (٦٤١٢)، والترمذى كتاب: الزهد، باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس (٤/ ٤٧٧) رقم (٢٣٠٤).

هذا، وقد ذهب أهل العلم في تقسيم العلوم الشرعية إلى أربعة أقسام هي[١]:

١- أصول . ٢- فروع . ٣- مقدمات . ٤- متممات .

وإليك بيانها:

١- الأصول:

كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمّة

٢- الفروع:

ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره، كما فهم من قوله ﷺ: « لا يقضى القاضي بين اثنين وهو غضبان »[٢]؛ ففهم منه أنه لا يقضى جائعًا، وبهذا الاعتبار يعتبر الفقه من الفروع.

٣- المقدمات:

هي: التي تجرى مجرى الآلات: كعلم النحو، واللغة، فإنهما بمثابة آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) هذا القول لابن قدامه رحمه الله.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ٧٧٦) رقم (٢٣٠٦) وهو صحيح، وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٧) كتاب الأقضية، باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان، ولفظ مسلم: لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان، وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٥٢١-٥٢٢)، وكما في الفتح (١٣/ ١٤٦) رقم (٧١٥٨) كتاب الأحكام، باب هل يقضى القاضي أو يفتى وهو غضبان ولفظه: عن أبي بكرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان ».

٤- المتممات:

كعلم القراءات، ومخارج الحروف، والعلم بأسماء الرجال، وعدالتهم، وأحوالهم.

هذه هي تقسيمات العلوم الشرعية، وكلها محمودة، فما هو العلم الذي يجب على المسلم أن يتعلمه من هذه العلوم؟

هذا الأمر جلي واضح لمن يجالس أهل العلم ويتعلم منهم، وهو: «أن الذي يجب على طالب العلم أن يتعلمه أولًا هو كتاب ربه تعالى؛ لأنه ينال به السعادة في الدنيا والآخرة، ثم بعد ذلك يتعلم من العلوم ما ينفعه في دينه ودنياه، ولكى يتضح هذا الأمر جليًا، فلا بد أن نعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى:

١- ما يطلب لذاته.

٢- ما يطلب لغيره.

٣- ما يطلب لذاته ولغيره معًا ولا شك أن ما يطلب لذاته أشرف مما يطلب لغيره.

فأما المطلوب لذاته:

فسعادة الآخرة؛ ولذّة النظر لوجه الله الكريم.

وأما المطلوب لغيره:

فكالدراهم والدنانير وما شابهما: فإنهما حجران لا منفعة لهما في ذاتهما ولولا أنّ الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة.

أما المطلوب لذاته ولغيره:

فكسلامة البدن، مثال ذلك: سلامة القدم - وهى جزء من البدن - مطلوبة لذاتها ولغيرها معًا؛ لذاتها؛ لأن سلامتها سلامة للبدن من الألم، ولغيرها؛ لأنها مطلوبة للمشى بها والتوصل بها إلى قضاء الحاجات.

وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه، فيكون مطلوبًا لذاته؛ مع أنه ليس هناك أعظم عند المؤمن من لذة النظر إلى وجه الله الكريم، وأعظم الأشياء في حق الآدمي هي السعادة الأبدية؛ ولن يتوصل إلى ذلك إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل للعمل إلا بالعلم؛ فالعلم أصل السعادة في الدنيا والآخرة؛ فهو أشرف شيء في الدنيا؛ وكيف لا وقد علمنا أن الشيء يشرف بشرف ثمرته.

وقد علمنا أن ثمرة العلم: هي القرب من الله سبحانه وتعالى، والالتحاق بالأفق الأعلى؛ ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع؛ فإذا كان الأمر كذلك ورأينا أهمية العلم؛ فلا بد من معرفة أن من العلوم الشرعية ما هو فرض عين؛ وما هو فرض كفاية.

وقد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض عين؛ وقالوا الذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض عليه نحو: الشهادة باللسان؛ والإقرار بالقلب أن الله وحده لا شريك له؛ ولا شبه له؛ ولا مثل له؛ ولا ند له؛ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد؛ خالق كل شيء، وإليه مرجع كل شيء؛ حي لا يموت.

والذى عليه أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه؛ ليس لأوليته ابتداء؛ ولا لآخريته انقضاء؛ مستوٍ على عرشه؛ استواءً يليق بجلاله دون تشبيه

ولا تعطيل ولا تمثيل؛ وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله وخاتم أنبيائه حق؛ وأن البعث بعد الموت للمجازاة على الأعمال حق، وأن الخلود في الجنّة لأهل السعادة جزاء الإيمان والطاعة حق، والخلود في النّار لأهل الشقاوة والكفر والجحود جزاء الكفر والعصيان حق؛ وأن القرآن كلام الله؛ والصلوات الخمس فرض، ويلزم من عملها علم ما لا تتم إلّا به من طهارتها وسائر أحكامها، وأن صوم رمضان فرض.

ويلزمه كذلك علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلّا به؛ وأن الحج فرض مرة واحدة في العمر إن استطاع إليه سبيلًا؛ وإن كان ذا مال وحال عليه الحول كان واجبًا عليه أن يعرف ما تجب فيه الزكاة، ومتى تجب، ويلزمه أيضًا أن يعرف أشياء في جملتها ولا يعذر بجهلها، فإنها من المعلوم من الدين بالضرورة نحو: تحريم الزنا، والربا، والخمر، والخنزير، وأكل أموال الناس بالباطل، وتحريم الظلم، وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذكر معهما، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وما كان مثل هذا كله مما نطق به الكتاب، وأجمعت الأمة عليه.

هذا هو المطلوب معرفته من كل أحد على سبيل الإجمال، ولا يطالب بالتفصيل إلا أهل العلم، ليوضحوا للناس ما يقربهم إلى ربهم[١].

وقد اختلف أهل العلم فيما هو فرض عين من العلوم؛ فتفرقوا إلى أكثر من عشرين فرقة، وكل فريق منهم ينزل الوجوب على العلم الذي يحمله، نسوق لك بعض أقوالهم:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

فأهل الفقه قالوا: «إن العلم الواجب هو: علم الفقه، وعللوا ذلك بقولهم: إن علم الفقه تعرف به العبادات، والحلال والحرام، وما يحرم من المعاملات وما يحل».

أما أهل الحديث فقالوا: هو علم الكتاب والسنة، وعللوا قولهم: «بأنه يتوصل بهما إلى العلوم كلها».

قال الإمام أحمد: «إن لم يكن أهل الحديث فلا أدري من هم»، وقد جزم البخاري رحمه الله بأن المراد في حديث النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، أنهم أهل العلم بالآثار.

قال أبو طالب المكي: «هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام، وهو قول الرسول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»(٢)، لأن الواجب هو هذه الخمس، فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب».

قلت: إن أول شيء يجب أن يتعلمه الرجل العاقل أو الصبى عند بلوغه هو كلمتا الشهادة، وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ، وليس من الواجب عليه أن يحصل له كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة؛ لأن الأدلة من اختصاص المتخصص من أهل العلم، بل يكفيه أن يصدق ويقر بذلك دون ريب؛ لأن النبي ﷺ اكتفى من أجلاف العرب بالتصديق من غير تعلم دليل.

والدليل على ذلك أن المرأة التي سألها النبي ﷺ أين الله؟ فأشارت إلى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حديث صحيح اتفق عليه الشيخان.

السماء؛ فلم يطلب منها دليلا على قولها[1]، ثم بعد ذلك يتعلم ما يصلح صلاته ووضوءه، وكذا صيامه وحجه ومعاملاته وعلاقته بربه سبحانه.

وكذا يتعلم من أفعال الترك بحسب ما يتجدد من الحال، ويختلف ذلك بحال الشخص؛ إذ لا يجب على الأبكم ما يحرم من الكلام؛ ولا على من لم يخاطب بالحج تعلم الحج، ولكن يجب عليه إذا توفرت أركانه وأسبابه.

أما الاعتقادات وأعمال القلوب؛ فيجب علمها بحسب ما يخطر له؛ فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة وجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك.

فالعلم الذي هو فرض عين: هو العلم بكيفية العمل الواجب؛ فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين؛ ثم إن سماع العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إيّاه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم هو فرض على الكفاية، يلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ودليله قول المولى عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]

فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل، وهذه الطائفة التي جلست للتفقه في الدين تقوم بتعليم الفرقة التي خرجت منها للنفير.

---

(١) حديث أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» (١/ ٣٨٢) رقم (٥٣٧) ولفظه. . . . . فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا: قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة.

فالجهاد فرض على الكفاية على أصح الأقوال، لقول المولى عز وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ الآية [النساء: ٩٥].

لأن المتخلف لم يذم على تخلفه عن الجهاد؛ ولكن الجهاد قد يصبح فرض عين إذا أظل العدو بلدة؛ فحينذاك يلزم الفرض جميع أهلها، وكل من استطاع نصرتها وعلم ضعفها.

والعلم هو العمل، ولكن هذا الأمر أشكل على كثير من الناس فظن أن العلم يقاس بكثرة الرواية، وكثرة الحديث وحفظه والتقعر فيه دون العلم بما يعمل، أو دون أن يتأدب مع الآخرين خاصة أهل الفضل والعلم منهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

قال: «قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية»[١].

وقال أحمد بن صالح المصري: «عن ابن وهب عن مالك قال: «العلم ليس بكثرة الرواية، وإنّما نور يجعله الله في القلب».

قال ابن رجب رحمه الله: «العلم النافع هو ما باشر القلب فأوجب له السكينة والخشية والإخبات والتواضع والانكسار؛ وإذا لم يباشر القلب ذلك العلم، وكان على اللسان فقط فهو حجة الله على ابن آدم».

---

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ج ٣/ ٥٥٤ ط دار إحياء الكتب العربية.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكنه إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع صاحبه»(١).

فالعلم إمام العمل والعمل تابع له؛ فكل عمل لا يكون خلف العلم؛ ومقتد به فهو غير نافع لصاحبه، بل حسرة على صاحبه.

لذلك قال بعض السلف: مَن عَبَدَ اللَّهَ بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، والأعمال تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم، فالعمل الذي خلفه علم مقبول محمود من صاحبه، والمخالف للعلم مردود مذموم صاحبه، والعياذ بالله، فأي عمل ليس فيه إخلاص لا يقبل عند الله؛ لأن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

وإذا كان العمل خالصًا وغير موافق لهديه ﷺ فهو مردود أيضًا، ولا يمكن للإنسان أن يجمع بين هذين الوصفين إلّا بالعلم.

ثم إن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وتسبيح ودعاء؛ لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس، والنوافل البدنيّة مقصورة على صاحبها؛ ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات، فهي مفتقرة إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها، ولأن العلماء ورثة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وليس ذلك للمتعبدين، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها (باب: ٤٩) ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة (١/ ٥٦٣) رقم (٨٢٢)، ومعنى (لا يجاوز تراقيهم) جمع ترقوه وهى العظم بين ثغرة النحر والعاتق، أي: لا يجاوز القرآن تراقيهم ليصل إلى قلوبهم، فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم.

وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن في بقاء العلم إحياء للشريعة وحفظ معالم الملّة؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

* * *

(١) حديث صحيح - سبق تخريجه

الفَصْلُ الثَّانِي

آداب طالب العلم

أهل العلم الذين يعملون به في الدنيا، الذين عرفوا حقيقة ما هم فيه من العلم، أنه بمحض فضل الله وجوده، هم الملحوظون من الله بالعناية، وأهل المنزلة الرفيعة، هم أهل الخشية من الله عز وجل، يحبهم ويحبونه، وكذلك يحبون أهل طاعته ويبغضون أهل معصيته، وإذا كان ذلك شأن العلم فصاحبه في الدرجات العلا من الجنة؛ ولكى يصل الإنسان إلى هذه الدرجات، وينتفع بعلمه، لا بد أن يتحلى بآداب ليؤتي العلم ثماره وينتفع به صاحبه، وقد يظن بعض قصار النظر أنه إذا حفظ القرآن أو السنة أو القراءات أو غير ذلك من العلوم أصبح علّامة زمانه، مع أنَّ ما حمله من العلم إمَّا أن يكون حجة له أو عليه، مع ملاحظة أن العلم لا يقاس بكثرةِ الروايةِ، فكثير ممن حملوا العلوم وتعلموها لزمهم الذَّمُّ منَ الله عز وجل؛ لعدم تأدبهم وعدم عملهم بما يعلمون؛ قال سبحانه في حق اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]

وقال أيضًا: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥- ١٧٦].

ولا بد له أن يعلم علم اليقين أن العلم الذي تعلمه وبلغ فيه مبلغًا، ويتكبر ويترفع به على خلق الله ليس من كسب يده هو؛ بل حقيقته من عند الله سبحانه، وليس من عند نفسه، دلنا على ذلك قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ الآية [النحل: ٧٨].

ثم إن هذا العلم الذي تعلمه الإنسان حسنة من الله أصابت صاحبها، دلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩].

فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتعالى الإنسان على غيره بفضل مَنَّ الله به عليه سبحانه وتعالى؛ فعلى الإنسان أن يتأدب مع الله، وينسب الفضل له أولا وآخرا؛ لأنه سبحانه وتعالى صاحب الجود والفضل.

وعلى طالب العلم أيضا: التأدب مع الآخرين من أهل الفضل؛ لأن شأن العلماء: التواضع والانكسار بين يدي الله سبحانه، وكذلك شأنهم مع إخوانهم من أهل الإيمان عدم الترفع عليهم، فكلما ازداد العالم أو طالب العلم علما كلما إزداد تواضعًا، فإذا كان هذا شأنه بارك الله في علمه، وفى هذا الفصل أقدم بعض الآداب التي يجب على طالب العلم أن يتحلى بها وهي:

١- إخلاص النية لله تعالى:

خلقنا الله عز وجل من العدم، وعلمنا علومًا كثيرة بعد جهل، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]؛ وفخر للبشرية جمعاء أن يكونوا عبادًا لله وحده، وليس لغيره سبحانه، كما قال سبحانه في حق

عيسى بن مريم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال أيضًا في حق نبينا ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] فجميع أعمالنا لا بد أن تكون خالصة له سبحانه؛ لأن الله عز وجل لا يقبل العمل إذا أُشرك فيه غيره؛ لذلك أمر عباده بإخلاص العبادة والعمل له، فقال عز مِنْ قائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: ٥].

أما مَنْ أراد بعمله غير وجه الله؛ فقد خسر خسرانًا مبينًا؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا؛ لذلك قال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

أما مَنْ عَمِلَ بغير ذلك فقد باء بالإثم العظيم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، و قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلّا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة»**[1].

(١) حديث ضعيف أخرجه أبو داود في العلم، باب: في طلب العلم لغير الله تعالى (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، وابن ماجه: المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم (١/ ٩٢-٩٣) رقم (٢٥٢)، والحاكم (١/ ٨٥)، والصحيح: أنه موقوف على أبي ذر كما في الزهد لابن المبارك ص: ١٥ =

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه ذكر فتنًا تكون في آخر الزمان؛ فقال له عمر: متى ذلك يا عليّ؟ قال: «إذا تُفُقِّهَ لغير الدين، وَتُعُلِّمَ العلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[1].

فالنجاة وقبول الأعمال في إخلاص الأعمال لله وحده دون سواه، ولا بد أن يعلم أنّ للإخلاص علامات يعرف بها المخلص نفسه وهي:

ألّا يغتر بمدح المادحين، ولا يغضب من نقدهم؛ ولابد أن ينسي رؤية أعماله، وإن وجد حسنة في أفعاله فليحمد الله على توفيقه إياه لهذا العمل الصالح، وإنّ أفضل الحسنات وأحسنها إخلاص العمل لله، واتباع هدى نبيه ﷺ.

فعلى أهل العلم أن يخلصوا العمل لله تعالى، ولا يعلّموا العلم إلا لوجه الله تعالى، ولا يمتنعوا عن تعليم أحد طلب هذا العلم منهم إذا كان أهلًا له بحجة فساد نية هذا الطالب.

= رقم (٤٤)، ولفظه: عن محمد بن يحيى بن حيان قال: حدثني رهط من أهل القرآن أنهم مروا على أبي ذر، فسألوه فحدثهم، فقال لهم: «تعلمون أن هذه الأحاديث التي يبتغى بها وجه الله تعالى لن يتعلمها أحد يريد بها العرض من الدنيا، أو قال: لا يريد بها إلا عرض الدنيا فيجد عَرْفَ الجنة أبدًا»؛ وعرف الجنة: ريحها.

(١) الصحيح أنه ليس عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنما هو عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولفظه: قال عبد الله بن مسعود: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير؟ ويربو فيها الصغير؟ ويتخذها الناس سنة؟ فإذا غيرت قالوا غيرت السنة» قالوا: وعند الحاكم في المستدرك (قيل) ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «إذا كثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم- (وعند الحاكم وكثرت أموالكم)- وقلّت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين». أخرجه الدارمي (١/ ٦٤) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٥٤) رقم (١١٣٥) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٤) وسكت عنه، وصححه الذهبي على شرطهما، وهذا أثر صحيح عن ابن مسعود.

أما الطلاب فعليهم أن يفتشوا في أنفسهم، ويبحثوا فيها عن القصد الذي تعلموا من أجله هذا العلم؛ فهل تعلموه لكي يماروا به السفهاء؛ أو يصرفوا به وجوه الناس إليهم؟ فإن وجدوا الأمر كذلك فليسرعوا بإخلاص العمل لله سبحانه، قبل فوات الأوان والندم، فإنَّ الأصل أن يعمل كل من الطالب والعالم عملهما لله عز وجل؛ لأنه وحده المعطى الوهاب وهو المثيب على جميع الأعمال، الذي يجود عليهم من واسع فضله سبحانه فهو الجواد الكريم.

٢- طهارة الباطن والظاهر:

على كل من العالم و طالب العلم أن يطهرا باطنهما من الأخلاق الرذيلة كالغضب، والشهوة، والحقد، والحسد، والعجب، والكبر؛ لأن قلبا مملوءًا بمثل هذه الصفات الذميمة لا يدخله ولا يستقر فيه علم.

فالقلب المظلم المشحون بالذنوب لا يستطيع استقبال تجليات الملائكة، ولا يبقى فيه مكان للعلم الذي هو نور يقذفه الله في قلوب من أراد.

وعليه كذلك أن يطهر قلبه من كل غش، ودنس، وسوء اعتقاد، ليصلح قلبه لقبول هذا العلم، وحفظه، والاطلاع على دقائق معانيه، وحقائق غوامضه، ولا بد أن يطهر ظاهره أيضا بمجانبة البدع، وعليه أن يتحلى بالسنن في أحواله كلها، والمحافظة على الوضوء دائمًا، وكذا المحافظة على نظافة الجسم والمظهر من غير تكلف على قدر المستطاع.

٣- تفريغ القلب وحذف العلائق:

ليس معنى ذلك أن يضيع من يعول، ويترك نفسه لسؤال الناس أعطوه أم منعوه؛ لأن الإمام الشافعي رحمه الله قال: «لا تستفت من ليس في بيته دقيق»،

ولكن لا ينبغي له أن يسأل غير الله عز وجل، فإنه خير من اطلع على حاله، وهو سبحانه خير مأمول وخير مسئول، ولكن عليه السعي في طلب الرزق، ولكن المقصود هنا أن يقطع من العلائق ما هو في غنى عنه، ويقتصد في السعي، ويفرغ قلبه لطلب العلم، فإنَّ العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

٤- أكل القدر اليسير من الطعام والشراب:

على كل من العالم وطالب العلم أن يتحريا الحلال، وأن يأخذا بالورع، وإدامة الذكر، وألا يكثرا من الطعام؛ لأن قلة الطعام والشراب يساعدان العقل على التركيز والانتباه، وكثرته تولد البلادة وقلة الفهم.

وقد ورد عن المعصوم ﷺ أنه قال: «**ما ملأ آدمى وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه** ....» الحديث[١].

وكان حال نبينا ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ قلة الطعام والشراب، ليس ذلك عن قلة أو فقر، ولكن عزوف نفس عن كل فانٍ.

٥- التأدب مع معلمه وشيخه وأقرانه:

ينبغى لطالب العلم أن يلزم الوقار مع شيوخه، والتأدب معهم وتعظيم قدرهم في قلبه؛ فقد قيل بقدر إجلال الطالب للعالم بقدر ما ينتفع الطالب

---

(١) الحديث صحيح أخرجه ابن حبان كما في الإحسان (١٢/ ٤١) رقم (٥٢٣٦) ورقم (٦٧٤)، والبيهقى في الأدب ص: ٣٣٤ رقم (٧٠١)، والترمذي في الزهد، باب (٤٧): ما جاء في كراهة كثرة الأكل (٤/ ٥٠٩) رقم ٢٣٨٠ بلفظ مقارب، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

بعلم معلمه، ولنا في قصة الخضر مع سيدنا موسى عبرة وقدوة حيث بين لنا حرص سيدنا موسى على لقاء «الخِضْر» العبد الصالح، والتعلم منه وقطع المسافات حتى لاقى النصب والتعب من سفره، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه، وليس مسلك الرسول؛ وهذا أدبٌ أراد القرآن الكريم أن يعلمنا إيّاه ليكون نبراسًا يستضئ به كل طالب علم فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، فلم يجئ ممتحنًا، ولا متعنتًا، إنما جاء متعلمًا مستزيدًا علمًا على علمه؛ وكفى هذا شرفًا للعلم؛ فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لاقى النصب من سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم؛ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]

٦- الشفقة والرفق:

ينبغي للإنسان إن كان معلمًا أن يشفق ويرفق على من يقرأ عليه، ويعتنى بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، والصبر على جفاء تلميذه وسوء تصرفه، فإن الإنسان معرّض للنقائص، لا سيما إن كان صغير السن، وكذلك واجب على طالب العلم أن يصبر على شيخه ويترك نفسه إليه، إلا إذا أمره بمعصية، فلا طاعة له؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مهما عظم هذا المخلوق، وعليه أن يحفظ لشيخه جميله، ويحفظ سره، وأن يتأدب

معه أدبًا شديدًا، وإن كان شيخه أصغر منه سنًا أو في سنه، وألّا يتقدم عليه في صعود مرتفع، وعليه أن يسير خلفه تأدبًا إلا إذا أذن له الشيخ(١).

٧- اجتناب كثرة الضحك والمزاح والاستهزاء:

على طالب العلم اجتناب الضحك، وعدم الإكثار من المزاح، لأن كثرة الضحك تميت القلب وتسقط الهيبة وعليه أن يهتم بظاهره فيطهره من الأوساخ والأنجاس، وكذلك باطنه من الصفات الذميمة، فقد تبرأ نبي من الأنبياء وهو سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - من الاستهزاء حين قال له قومه ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧]، فقال لهم: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فعد الاستهزاء بالآخرين جهلًا وتبرأ منه.

---

(١) الشيخ أو المعلم الذي يختاره الطالب ليتتلمذ على يديه لا بد أن يكون له شروط؛ وهذه الشروط أعلاها وأولاها: أن يكون هذا الشيخ عالمًا يبتغي بعلمه وجه الله، طالبا للآخرة، مطلقا للدنيا، تقيا ورعًا ملتزمًا بالسنة، ومتأدبًا بأدب أهل العلم، غير غارق في الذنوب والمعاصي، آخذًا بالعزيمة، بارعًا في تخصصه وعلمه، فهذا الشيخ الذى يؤخذ منه العلم الذي ينتفع به الطالب في دنياه وأخراه، وهذا الذي يسلم الطالب له نفسه؛ لأن من كانت هذه صفته فلن يأمر بمعصية الله.

أما إن كان الشيخ غير ذلك فإن الطالب لن يستفيد منه إلا كل شر، فإذا جالس الطالب عالمًا يحصل على أجر من تلاوة القرآن، ويشترط الآلاف المؤلفة من الدراهم والدنانير، فلن يكون مصير هذا الطالب إلا مصير شيخه في اشتراط الأموال الباهظة إلا إذا سبقته رحمة الله، وقد رأينا كثيرا ممن يحصلون على أجرة من إقراء القرآن، قد قرأوا على من يحصل على المبالغ الباهظة من تعليم القرآن، وعمت البلوى في زماننا، ووجدنا كثيرًا من طلاب العلم لم يتأدبوا مع من علمهم، بل لم يتأدبوا مع من هو أكبر منهم، وظنوا أنفسهم علماء متميزين أو منفردين بحفظهم للقرآن أو علمهم قراءة القرآن بالأوجه، وحفظ المتون مع صغر سنهم، وكذلك نجد كثيرًا من طلبة العلم إذا جفاه شيخه يتعاظم ويترفع عليه، ويقل الأدب معه، ويفشى سره ويعيب عليه، بل نجد أكثر من ذلك من يسوء الأدب مع شيخه ويطيل لسانه، ونسى هذا الطالب غير المهذب وغير المؤدب أنه كان يومًا ما تلميذًا جلس وتعلم من هذا الشيخ.

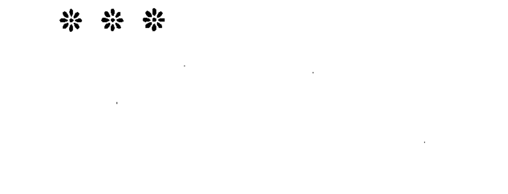
٨- الاعتزاز بما منّ الله عليه من العلم وعدم إذلاله:

يجب عليه ألا يذلّ العلم؛ فقد ورد عن السلف الصالح أنهم كانوا لا يذهبون للأمراء تعظيمًا للعلم؛ بل كان الأمراء والملوك يأتون إليهم، ويتوددون لهم.

٩- اجتناب المعاصي وصغائر الذنوب وكبائرها:

يجب على طالب العلم اجتناب المعاصي والذنوب، وأن يجتنب مواضع الشبهات كذلك، وعليه كذلك ألا يجلس مجلسا يساء فيه إلى الآخرين، وألا يسمح بسب العلماء وذكر نقائصهم في مجلسه، فإنها من أكبر الكبائر، وكذا عليه غض البصر عن محارم الله، وأن يحفظ لسانه عن ذكر نقائص الآخرين، وعليه أن يأخذ بالورع في المأكل والمشرب.

❊ ❊ ❊



الفصل الثالث

فضل قراءة القرآن وحفظه عن ظهر قلب

إن لقارئ القرآن منزلة عظيمة عند ربه عز وجل؛ يكفيه شرفا مدح الله له في كتابه، وعلو ذكره بآيات تتلى على الأسماع إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ الآية [فاطر: ٢٩].

وَأَمر ملائكته تحف التالين لكتابه والدارسين له برحمته وفضله وأعلا ذكرهم في الملأ الأعلا، فقد قال النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وَمَنْ بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(١)] ولم ينته الأمر عند ذلك، بل أعلى له الدرجات العلى في الجنة.

دلنا على ذلك أيضا: ما رواه مسلم في صحيحه قال: «حدثني الحسن بن على الحلواني، حدثنا أبو توبة - وهو: الربيع بن نافع -، حدثنا معاوية يعني:

---

(١) هو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر (٤/ ٢٠٧٤) رقم (٢٦٩٩)، انظر صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ٦- ١٧/ ٢١ ط الريان، ومعنى «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»: من كان عمله ناقصًا لم يُلحق بمرتبة الأعمال فينبغى ألَّا يتكل على شرف النسب، وفضيلة الآباء ويقصر في العمل.

ابن سلام- عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامه الباهلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»(١)، قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة.

وقوله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»(٢).

ولا شك أن تلاوة القرآن مطلوبة من كل مسلم، وعلى أي حال إلا حالًا نهى الشارع عنها، وهى أفضل القربات إلى الله سبحانه.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١/ ٥٥٣) رقم (٨٠٤) وأحمد (٥/ ٢٤٩-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٧) والحاكم (١/ ٥٦٤)، والزهراوين: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما، ومعنى «كأنهما غمامتان أو كأنهماغيابتان»: قال أهل اللغة: «الغمامة والغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه: سحابة أو غيرها، قال العلماء: «المراد ثوابهما يأتي كغمامتين»، ومعنى «من طير صواف»: الصواف جمع صافة؛ وهى من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء، ومعنى «تحاجان عن أصحابهما» أي: تدافعان الجحيم، والزبانية، وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة، «ولا يستطيعها»: أي: لا يقدر على تحصينها.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم بهذا اللفظ في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه . . . . . . (١/ ٥٥٩) رقم (٨١٦)، أما لفظ البخاري: لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، رواه البخاري في العلم (١/ ١٦٥-١٦٦) رقم (٧٣) كما في الفتح (١/ ١٩٩) وأطرافه رقم (١٤٠٩ - ٧١٤١ - ٧٣١٦) والنسائي في الكبرى وابن ماجه رقم (٤٢٠٨) وأحمد (١/ ٣٨٥ -٤٣٢)

قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾.

[آل عمران: ١٩٠-١٩١]

فهذا مدح لهم من الله بذكرهم له سبحانه في جميع أحوالهم، ولا شك أن أفضل الذكر تلاوة القرآن.

هذا؛ وقد وردت أحاديث تَحُثُّ على قراءة القرآن عن ظهر قلب، قال النبي ﷺ: « **يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرأها** »(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** »(٢).

ولفضيلة حفظ القرآن أو حفظ بعضه أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل القرآن، باب (١٨) (٥/ ١٦٣) رقم (٢٩١٤) دون لفظ (يوم القيامة)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان كتاب الرفاق باب: قراءة القرآن (٣/ ٤٣) رقم (٧٦٦) بلفظه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٥٠ رقم ٧٩٨) بهذا اللفظ، قال الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث « والماهر الحاذق الكامل الحفظ؛ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه » وقال القاضي: « يحتمل أن يكون كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله ».

مثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها طيب حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مر»[١].

وروى مسلم أيضًا في صحيحه: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»[٢].

فهذا الحديث واضح الدلالة في فضيلة حفظ آيات معدودة، فما بالك بمن حفظه كله وعمل بما فيه؟!

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله بعد ذكره لحديث المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، ولم يكن له منها حاجة، وزوجها لرجل آخر بما معه من قرآن، فقال: «دَلَّ ذلك على فضل القراءة عن ظهر القلب؛ لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم»[٣].

ولما كان ذلك لحافظ القرآن عن ظهر قلب فينبغي له أن يتعهده بالتلاوة، والمراجعة المستمرة؛ حتى لا يعرض القرآن للنسيان.

روى مسلم: قال حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أَنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**إنما مثل صاحب**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٤٩) رقم (٧٩٧). قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث بيان لفضيلة حافظ القرآن».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف (١/ ٥٥٥) رقم (٨٠٩)

(٣) انظر فتح الباري - شرح صحيح البخاري.

القرآن كمثل الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»[(١)].

فإذا أهمله وعرَّضه للنسيان أَثِمَ بفعله ذلك، دلنا على ذلك: ما رواه مسلم في صحيحه، قال: حدثنا زهير بن حرب، وعثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا جرير، عن منصور عن أبي وائل، عن عبد الله [(٢)]، قال: قال رسول الله ﷺ: « **بئسما لأحدكم يقول نَسِيتُ كيتَ وكيتَ بل هو نُسِّيَ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها** » [(٣)].

وقد اختلف السلف في حكم من نسى القرآن، فمنهم من جعله من كبائر الذنوب، ومنهم من جعله دون ذلك في الإثم.

قال صاحب الفتح: « أخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفا، قال: « ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [(٤)] [الشورى: ٣٠]، ونسيان القرآن

---

(١) أخرجه بلفظه مسلم في صحيحه، كتاب: المسافرين، باب: فضل القرآن (١/ ٥٤٣) رقم (٧٨٩) والبخاري في صحيحه، كما في الفتح (٨/ ٦٩٦) رقم (٥٠٣١) وزاد: « كمثل صاحب الإبل ».

(٢) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن (١/ ٥٤٤) رقم (٧٩٠)، و«أشد تفصيا »: أي: « أشد تفلتا » كما في الرواية الأخرى في مسلم أيضا (١/ ٥٤٥) رقم (٧٩١) ولفظه... « لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها »- انظر صحيح مسلم شرح النووي ٦/ ٧٦-٧٧ .
قال الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث: « في هذا الحديث الحث على تعاهد القرآن وتلاوته والحذر من تعرضه للنسيان » وقال القاضي: « ومعنى صاحب القرآن الذي ألفه، والمصاحبة: المؤلفة ».

(٤) صحيح « موقوف » ولفظه: عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: سمعت الضحاك بن مزاحم =

من أعظم الذنوب؛ ثم قال - يعني صاحب الفتح-: واحتج السلف الصالح بما أخرجه أبو داود من حديث أنس مرفوعًا: «عرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها»(١).

ومن طريق أبي العالية موقوفا: «كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه».

قال الإمام القرطبي: «من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإنّ تَرْكَ معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد».

❊ ❊ ❊

= يقول: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٣٤) رقم (١٩٦٥) موقوفا على الضحاك، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٧٨) رقم (١٠٠٤٥) موقوفا على الضحاك ولفظه: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك....... الآية.

(١) ولفظه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عرضت علىَ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها»**، ضعيف، أخرجه الترمذي في جامعه، في فضائل القرآن (٥/ ١٦٤) رقم (٢٩١٦)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، قال صاحب الفتح: «إسناده جيد» - انظر فتح الباري ج ١٩ .

الفصل الرابع

حكم الأجرة على القرآن

القرآن الكريم: هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد رسول الله ﷺ للإعجاز والبيان، تبيانًا لكل شيء، المنقول مضبوطًا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، قال تعالى عن ذلك على لسان نبيه ﷺ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، وأمره بتبليغه للناس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ وبلغه النبي ﷺ وقام بذلك خير قيام منفذًا أمر ربه عز وجل، لا يبتغى من وراء ذلك إلا رضاه سبحانه، وتنفيذا لأمره لا ينتظر أجرًا من أحد سواه سبحانه.

قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]

ولا شك أن القرآن نزل ليتعبد به، ويتقرب به أهل الإيمان إلى مولاهم سبحانه وتعالى، ويخلصون العمل له؛ لأنه خير ما يتقرب به العبد إلى ربه.

وكان دأب الصحابة الكرام ﷺ أيضا ومن بعدهم من أهل الإيمان حب كلام الله عز وجل، وحب تلاوته، والمبادرة بحفظه ونشره، وتعليمه مقتفيين أثر نبيهم ﷺ، في إخلاص العبودية لله.

ولبعد الزمان عن العصر النبوي الشريف بعد الناس عن هذا القصد النبيل.

فصار الأمر في هذا الزمان أنه لا يتعلم القرآن ولا يهتم به إلا فئة قليلة من الناس، وإذا تعلموه تعلموه بنية العمل، والأكل به إلا من رحم الله عز وجل،

ولا ينبغي للمسلم بأي حال من الأحوال أن يجعل كتاب ربه بهذه المنزلة؛ لأن القرآن من أفضل القربات التي يتقرب بها أهل الإيمان إلى ربهم تلاوة، وعملًا وتعليمًا، وتعلمًا، فلا ينبغي لأحد أن ينزله عن هذه المنزلة العظيمة إلى هذه المنزلة الدنيئة.

قال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[١]

وقد ورد الأثر أن هذا الحديث هو الذي أجلس أبا عبد الرحمن السلمي يقرئ القرآن بمسجد الكوفة أربعين سنة، من خلافة عثمان رضي الله عنه حتى توفي في إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم يأخذ أجرًا على تعليمه لكتاب الله، وورد الأثر: أنه كان يرفض الهدية خوف أن تكون بسبب القرآن.

أما أكثر أهل القرآن في زماننا - إلا من رحم ربى - فقد اتخذوا القرآن عملًا يقتاتون منه، بل اتخذوه وسيلة للتكسب مخالفين بذلك حال العبّاد من صالحي هذه الأمّة، ولم يقتصر الأمر على الرجال، بل زاحمت النساء الرجال في هذا المجال.

قال السبكي رحمه الله: «إني لأعجب من عالم يجعل علمه سبيلًا إلى حطام الدنيا، وهو يرى كثيرًا من الجهال، وصلوا من الدنيا إلى ما لا ينتهى هو إليه، فإذا كانت الدنيا تنال بالجهل فما لنا نشتريها بأنفس الأشياء وهو العلم؛ فينبغى أن يقصد به وجه الله تعالى.

وبحثًا عن الحق في هذه المسألة وجدنا أنَّ أهلَ العلمِ ذهبوا إلى ثلاثةِ آراء في حكم الأجرةِ على القرآنِ؛ وإليك بيانها:

---

(١) سبق تخريجه

الرأي الأول: منع أخذ الأجرة على القرآن مطلقًا.

ذهب إلى ذلك الإمام أبو حنيفة، والزهري، وجماعة، واستدل هذا الفريق بقول النبي ﷺ: « **اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به** »[١]؛ ولأن حصول العلم متوقف على أجر معين يدفعه المتعلم، وقد يشق عليه.

الرأي الثاني: استحسان الإيجار على تعليم القرآن.

ذهب هذا الفريق إلى استحسان الإيجار على تعليم القرآن؛ لأنه قد ظهر التواني في الأمور الدينية، وفى الامتناع عن ذلك تضييع حفظ القرآن، فأجازها هذا الفريق إذا لم يشترط؛ ذهب إلى ذلك الحسن، وابن سيرين، والشعبي.

الرأي الثالث: جواز الأجرة مطلقا على القرآن.

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى جواز الأجرة مطلقًا على تعليم القرآن، وإلى ذلك ذهب الإمام مالك سواء اشترط المعلم قدرًا في كل شهرٍ، أو جمعةٍ، أو يومٍ أو غير ذلك، أو اشترط على كل جزء من القرآن كذا؛ أو لم يشترط شيئا من ذلك؛ واستدل هذا الفريق إلى حديث النبي ﷺ: « **إنَّ خيْرَ ما أخذتم عليه أجرًا كتابُ الله** »[٢].

---

(١) قال في مجمع الزوائد ٧/ ١٦٧ كتاب: التفسير « ب » اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه « قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد، والبزار بنحوه، ورجال أحمد ثقات وقال أيضا: رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والطبرانى في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات، وفى مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٤٤ حديث عبد الرحمن ابن شبل الأنصاري، ولفظه: « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ».

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كما في الفتح (١٠/ ٢٠٩) رقم (٥٧٣٧)، كتاب الطب، باب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب، ولفظه: . . .إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله).

قال الإمام النووي رحمه الله: «ولا يشين المقرئ طمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة، وإن قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه»[١].

والرأى الراجح عندنا من هذه الآراء هو رأي جمهور العلماء؛ وهو منع الأجرة على القرآن الكريم، ونظن أن من أجاز أخذ الأجرة على القرآن لو كان من أهل زماننا، ووجد ما فشى فيه من أخذ الأجور الباهظة على تعليم القرآن، وكذا بيع الإجازات بالأثمان المرتفعة، إلى أن وصل الحال إلى حصول البعض على إجازات في تعليم القرآن مع عدم أهليتهم لذلك.

قلت: لو رأى ذلك من أجاز أخذ الأجرة على القرآن لأفتى بمنع أخذ الأجرة على القرآن، ومن هنا نرى أن الأمر بمنع أخذ الأجرة على القرآن هو الراجح، وإليك الأسباب التي تؤيد صحة ما ذهبنا إليه:

* بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب: إثم من راءى بالقرآن أو تأكَّل به»[٢].

قال ابن حجر في شرحه: أخرج أبو عبيد فى فضائل القرآن عن أبي سعيد، وصحح الحاكم رفعه: «تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله»[٣].

---

(١) شرح طيبة النشر للنويرى المالكي ١/ ٥٩-٦٠ .

(٢) معنى تأكل به: أي طلب الأكل به.

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزى في قيام الليل (ص/ ٧٨) وإسناده ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٧١٨ - ط السلفية)، أخرج أبو عبيد فى (فضائل =

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، من حديث عبد الرحمن بن شبل رفعه: « اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به »[١].

وأخرج كذلك أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود: « سيجيء زمان يسأل فيه بالقرآن فإذا سألوكم فلا تعطوهم ».

٢- إن الحديث الذي استدل به من أجاز أخذ الأجرة على القرآن لم يكن صريحًا في ذلك، بل الشاهد فيه الرقية، وليس تلاوة القرآن؛ فلا يجوز الاستشهاد به على أخذ الأجرة على تعليم القرآن[٢]؛ لأن من أجاز أخذ الأجرة على القرآن مستشهدًا بهذا الحديث له في ذلك حجة صحيحة رواية وليست

= القرآن) من وجه آخر عن أبي سعيد، وصحح الحاكم رفعه (تعلموا القرآن. . . الحديث، ولم أقف عليه في المستدرك، وليس لدى كتاب أبي عبيد حتى انظر في إسناده فالله أعلم، ولكن شهد له حديث أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤) ولفظه: اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا فيه. . . .

(١) قال صاحب الفتح: سنده قوى

(٢) حديث الرقية، في مسند الإمام أحمد: حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري، أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل فيكم دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعًا من شاة، قال: فجعل يقرأ أم القرآن، ويجمع بزاقه، ويتفل فبرأ الرجل، فأتوهم بالشاة، فقالوا لا نأخذها حتى نسأل عنها رسول الله ﷺ، فسألوا النبي ﷺ عن ذلك فضحك، وقال: « ما أدراك أنها رقية خذوها؟ واضربوا لى فيها بسهم. الحديث رقم (١١٤١٩)، قال الشيخ أحمد شاكر: « إسناده صحيح » وقال: أخرجه البخاري في كتاب الإجازة ٢/ ٢٣٦، ومسلم في كتاب السلام (٤/ ١٧٢٧، ١٧٢٨)، والحاكم في كتاب فضائل القرآن (١/ ٥٥٩)، وأبو داود في كتاب البيوع (٢/ ٢٣٧)، والترمذي في كتاب الطب (٤/ ٣٩٨)، وابن ماجه في كتاب التجارات (٢/ ٧٢٩)، والبيهقي في كتاب الإجارة (٦/ ١٢٤).

صحيحة دراية، فأما صحتها رواية فلأنها في صحيح البخارى، وأما عدم صحتها دراية فإنه لا يصح الاستدلال بها مع صحتها؛ لأنها تتناقض مع الأدلة القاطعة العامة والخاصة، أنه لا يجوز أخذ أجر على أي عبادة - ومنها القرآن الكريم -؛ لأن تعليم القرآن من العبادات، والعبادات في شريعتنا لا يجوز أخذ الأجرة عليها؛ لأنها مما يتقرب به الإنسان إلى ربه لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فهذه نصوص عامة تشمل كل عبادة، وأما بخصوص القرآن فقد وردت نصوص خاصة بالإضافة إلى هذه النصوص العامة؛ من أشهرها وأصحها كما قال الشيخ الألبانى: قوله ﷺ: «**تعاهدوا هذا القرآن وتغنوا به قبل أن يأتى أقوام يتعجلونه**[(١)] **ولا يتأجلونه**»[(٢)].

ثم إن هذا الحديث له مناسبة جاءت مقرونة مع الرواية نفسها وهى الرقية، فالجمهور أخذوا الحديث مفسرًا بالسبب، والشافعية أخذوا الحديث دون ربطه بالسبب، وهذا هو سبب الخلاف بين الفريقين، ثم إنه لا بد أن يكون معلومًا لكل طالب علم أنه من الضروري لمن أراد التفقه في السنة، بل في القرآن أيضا أن يعرف أسباب نزول الآيات، وأسباب ورود الحديث، وبالنظر إلى كثير من الأحاديث نجد أنه لا يمكن فهمها إلا مع ربطها بسبب ورودها ومنها هذا الحديث[(٣)].

---

(١) معنى «يتعجلونه»: يطلبون به الأجر العاجل في الدنيا.

(٢) ومعنى: «ولا يتأجلونه» أي: لا يطلبون به أجر الآخرة.

(٣) هذا القول للعلامة الألباني رحمه الله من شريط مسجل لحكم الأجرة على القرآن، مع بعض الإضافات.

٣- إذا نظرنا إلى علّة من أجاز أخذ الأجرة على القرآن وجدناها مرتبطة بالخوف من التقاعس عن تعليم القرآن؛ فإذا لم يوجد هذا التقاعس انتفت العلة، والحمد لله في عصرنا الحالى توجد صحوة عظيمة فقد التفَّ النَّاس حولَ القرآن يتعلمون وينهلون منه.

٤- كان حال السلف الصالح الامتناع عن قبول الهدية، تورعًا وخوفًا من أن تكون الهدية بسبب القراءة.

قال الذهبي: قال عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن السلمي: أنه جاء وفى الدار جلال وجزر؛ فقالوا بعث بها عمرو بن حريث؛ لأنك علّمت ابنه القرآن؛ فقال: «ردّ. إنا لا نأخذ على القرآن أجرًا»،

وعن أحمد بن أبي خيثمة: «حدثنا يحيى بن السري، حدثنا وكيع، عن عطاء بن السائب، قال: «كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن، فأهدى له قوسًا فردّها، وقال: «ألا كان هذا قبل القراءة؟! [(١)] »؛ يعني: قبل أن يقصده للقراءة عليه.

هذا وقد ورد أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كانوا يتركون تسعة وتسعين بابًا من الحلال تورعًا خوف الوقوع في باب واحد من الحرام.

فإذا كان هذا هو حال صالحي هذه الأمّة وعبّادها، فما لنا لا نفعل فعلهم؟! ولا نقتدى بهم لننال ما نالوا من رضى الله عز وجل عنهم؟!.

فعلى طلاب العلم وَقَرَأَةِ القرآن وعبّاد الأمّة الاقتداء بهؤلاء الأوائل، ولا بد أن يكون إقراء القرآن للميعاد الباقي الخالد، وليس للمعاش الفاني، خاصة إذا

---

(١) سير أعلام النبلاء- للذهبي.

كان من يتصدر للإقراء له مصدر رزق يقتات منه ويأكل هو ومن يعول، ويكفيهم شرفًا الاقتداء بخير البرية ﷺ، فإنه كان يعمل ويقتات من عمله، ولم يمنعه ذلك عن دعوة ربه، وكذا الأنبياء من قبله، ومن تبعهم من عباد الأمة وصالحيها، ويكفيك قول السبكى رحمه الله: « فإذا كانت الدنيا تنال بالجهل فما لنا نشتريها بأنفس الأشياء وهو العلم؛ فينبغي أن يقصد به وجه الله تعالى ».

❊ ❊ ❊

أسئلة الباب الأول

س١ : اذكر فضل العلم وأهله.

س٢ : بين بالدليل، لماذا فضل العلماء على من دونهم؟

س٣: ما هي أقسام العلوم الشرعية؟

س٤ : ما الفرق بين العلوم الشرعية، والعلوم الوضعية؟

س٥ : ما الفرق بين فروض الأعيان، وفروض الكفايات؟ مثل لما تقول.

س٦ : ما هو أول شيء يجب على الإنسان تعلمه من العلوم الشرعية؟

س٧ : هل يقاس علم الإنسان بكثرة الرواية؟ أم بماذا؟

س٨ : ما هي آداب طالب العلم؟ وماهى الفائدة منها؟

س٩ : ماذا يجب على طالب العلم تجاه معلمه؟ وكذلك تجاه إخوانه؟

س١٠ : ماذا يجب على معلمي الناس الخير تجاه من يعلمونهم؟

س١١ : بين فضل قراءة القرآن عن ظهر قلب؟

س١٢ : هل من حفظ القرآن ثم نسيه يأثم بذلك؟ أم ماذا؟ دلل على صحة ما ذهبت إليه.

س١٣ : بين حكم الأجرة على القرآن، موضحًا مذاهب الفقهاء في هذه المسئلة، وإلى أيها تميل؟ ولماذا؟

البَابُ الثَّانِي



الفَصْلُ الأَوَّل

القراءات القرآنية المتواترة[١]

نزل القرآن الكريم على نبينا ﷺ رحمة للعالمين، وتبيانًا لكل شئ، لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً تُقَرِّبُ العبادَ إلى بارئهم سبحانه وتعالى إلا بينها أحسن تبيين، وقد أنزل القرآن جملة واحدة، ثم نزل منجمًا على رسولنا ﷺ بما يوافق حاجة الناس، وهذه ميزة للأمة الخاتمة دون غيرها من الأمم، ولم نعلم كتابًا أنزل من السماء جملة واحدة ثم يفصل بعد ذلك حسب الوقائع إلا القرآن الكريم، فقد ابتدأ الله عز وجل إنزاله على رسوله ﷺ في أربع وعشرين من رمضان، في السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة، في غار حراء بمكة، وتابع إنزاله على حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة[٢]، وكان النبي ﷺ يعرض القرآن على جبريل عليه السلام مرة كل عام، وفى العام الذي قبض فيه عرض عليه القرآن مرتين.

---

(١) اهتم العلماء بتدوين علم القراءات والتأليف فيه، والخروج به من حيز التلقى والمشافهة إلى حيز التصنيف، وأول من دَوَّنَ القراءات وألف فيها - كما - ذكر المؤرخون - هو: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤هـ، حيث ألف كتاب «القراءات»، جمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئًا، وذكر بعضهم أنَّ أول من نَظَمَ كتابًا في القراءات السبع هو: الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي الضرير المتوفي سنة ٣٧٨هـ.

قال البنا الدمياطي: «وبعد تتبعي لهذا الموضوع في كتب التاريخ والتراجم، وجدت أن هناك من سبق هؤلاء جميعًا في التأليف في علم القراءات؛ أولهم يحيي بن يعمر توفي سنة ٩٠هـ» - انظر اتحاف فضلاء البشر ص٣٣/ ٣٧ وغاية النهاية ٢/ ٢٤٨ .

(٢) انظر سمير الطالبين في رسم المصحف المبين ص٨ .

روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا يعلى، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعرض الكتاب على جبريل في كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي يعرض فيها ما يعرض، أصبح وهو أجود من الريح المرسلة، لا يسئل عن شيء إلا أعطاه، فلما كان في الشهر الذي قبض بعده عرض عليه عرضتين[(١)].

ورحمة بهذه الأمّة الخاتمة نزل القرآن على سبعة أحرف، ومما ينبغي أن يعلم هنا أنه لم يكن المقصود من ذلك أن كل كلمة في القرآن تقرأ على سبعة أوجه.

قال ابن عبد البر: «وهذا مجمع عليه، بل هو غير ممكن؛ بل لا توجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشيء القليل؛ مثل: «عبد الطاغوت»»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٣١) بلفظه، وهذا الإسناد: فيه محمد بن إسحاق مختلف فيه، وهو مدلس وقد عنعنه، وأصل الحديث في الصحيحين، فقد رواه الإمام البخاري في «صحيحه» في مواضع عِدّة، فرواه في كتاب: «الصوم»، باب: أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان كما في الفتح (٤/ ١٣٩) رقم (١٩٠٢) عن ابن عباس ولفظه: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وأخرجه أيضا في صحيحه في كتاب: (بدء الوحي) كما في الفتح (١/ ٤٠) رقم (٥) بلفظ مقارب للحديث رقم (١٩٠٢)، وأيضًا في «بدء الخلق» كما في الفتح (٦/ ٣٥٢) رقم (٣٢٢٠) وفى «المناقب» كما في الفتح (٦/ ٦٥٣) رقم (٣٥٥٤) كلها بألفاظ مقاربة.
وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ، أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣) رقم (٢٣٠٨) بلفظ مقارب للفظ البخاري، وأخرجه الترمذي من كتاب «الشمائل المحمدية» من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري ص (١٨٩ - ١٩٠) رقم (٣٤٦) ط. مؤسسة الزغبي - سوريا- حمص) بنحو لفظ البخاري.

(٢) يلاحظ أن بعض هذه القراءات شاذة لا يقرأ بها أو أنها أوجه لا علاقة لها بالقراءات أصلًا.

وقيل في نزول القرآن على سبعة أحرف: إنه نزل أولًا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولِمَا كان فيهم من الحَمِيّة، ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى.

وقيل أيضًا: إنه ورد التسهيل بذلك بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام.

قال ابن حجر في الفتح: «فإنه قد ثبت أن ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب: «أن جبريل لقيَ النبي ﷺ وهو عند أضاة بني غِفار، فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل اللّه معافاته ومغفرته، فإن أمتي لا تطيق ذلك»[1].

وقد كثرت أقوال أهل العلم في تفسير الأحرف السبعة[2]، أوصلها الزرقاني في التبيان في علوم القرآن إلى خمسة وثلاثين قولًا.

= الحديث صحيح أخرجه مسلم في «صحيحه» «كتاب صلاة المسافرين وقصرها»، باب: بيان أنَّ القرآن على سبعة أحرف، ولفظه: عن أبي بن كعب، أنَّ النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل اللّه معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن اللّه يأمرك أنْ تقرأ أمتك على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل اللّه معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٢٧ - ١٢٨ من مسند أبي بن كعب) و (أضاة» دون تشديد «الفاء»: موضع بالمدينة، سُمّيَ بذلك لأنهم نزلوا عنده، و «أضاة»: هو مستنقع الماء كالغدير.

(١) نزول القرآن على سبعة أحرف من مباحث علوم القرآن، لذلك لم أضمه ضمن مباحث متن هذا الكتاب وجعلته في هذا الهامش. ونزول القرآن على سبعة أحرف مظهر من مظاهر =

. . . .

= رحمة الله، وتخفيفه على عباده، وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية، بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية، من كل جيل وقبيل، حتى ينطقوا به ليّنة ألسنتهم، سهلة لهجاتهم، برغم ما بينهم من اختلاف اللغات، وتنوع في الخصائص والمميزات، وكان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى حرف، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بمالا يستطاع، فقرأ كل قوم على لغتهم، وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح، وقوم بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم، والحركات واختلافها في لغاتهم، وغير ذلك؛ فتصفح كل قوم، وقرأوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم، وكان ذلك رفق عظيم بهم، وتيسير كثير لهم. وكذلك جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذى انتظم كثيرًا من مختارات ألسنة القبائل العربية، التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة، فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا، ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل حدب وصوب، ثم يصقلونه، ويهذبونه، ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أقوال كثيرة في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف، وأقرب ما قيل في معناها: إنها سبعة أوجه، وليس معنى ذلك أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه؛ لأن كلمة «على» في قوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير، أي: أنزل القرآن موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه، كأنه قال: أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة، ولو كان المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه لقال ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف» بحذف لفظ «على»، بل المراد ماعلمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة، بحيث لا يتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد وهذا التنوع في أداء اللفظ الواحد، ومهما تعددت القراءات وطرقها في الكلمة الواحدة، فكلمة ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة، وكلمة ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة ﴿اف﴾ التي أوصل الرمّاني لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة، كل هذا وما أشبهه، لا يخرج =

. . . .

= التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة، والمذهب المختار هو ما ذهب إليه الإمام الرازي في اللوائح، إذ يقول: «الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف»:-

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، ويمكن التمثيل لهذا الوجه بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ قرئ هكذا: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ جمعًا وقرئ: ﴿**لأمانتهم**﴾ بالإفراد.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، ويمكن التمثيل لهذا الوجه بقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ: هكذا بنصب لفظ ﴿رَبَّنَا﴾ على أنه منادى، وبلفظ ﴿**باعد**﴾ على أنه فعل أمر، وبعبارة أنسب بالمقام قرئ هكذا ﴿رَبُّنَا بَعَّدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ على أنه مبتدأ وبلفظ «بَعَّدَ» فعلًا ماضيًا مضعف «العين» جملته خبر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب، ويمكن التمثيل لهذا الوجه بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرئ بفتح «الراء» وضمها، فالفتح على أن «لا» ناهية؛ فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هى فتحة إدغام المثلين، أما الضم فعلى أن «لا» نافية فالفعل مرفوع بعدها، ومثل هذا المثال قوله سبحانه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾، قرئ برفع لفظ ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾ وجره، فالرفع على أنه نعت لكلمة «ذو» والجر على أنه نعت لكلمة «العرش»، فلا فرق في هذا الوجه بين أن يكون اختلاف وجوه الإعراب في اسم أو فعل كما رأيت.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة، ويمكن التمثيل لهذ الوجه بقوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ و ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير؛ ويمكن التمثيل لهذا الوجه بقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقرئ ﴿**وجاءت سكرة الحق بالموت**﴾

السادس: الاختلاف بالإبدال، ويمكن التمثيل لهذا الوجه- بقوله سبحانه: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بالزاي، وقرئ ﴿**ننشرها**﴾ بالراء، وكذلك قوله سبحانه: ﴿**وطلح ممدود**﴾ بالحاء، وقرئ ﴿**وطلع**﴾ بالعين، فلا فرق في هذا الوجه أيضًا بين الاسم والفعل.

السابع: اختلاف اللغات «اللّهجات» كالفتح، والإمالة، والترقيق، والتفخيم، والإظهار، والإدغام، ونحو ذلك، ويمكن التمثيل لهذا الوجه بقوله سبحانه ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، تقرأ بالفتح والإمالة، لا فرق بين الاسم والفعل والحرف مثلهما، نحو: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ قرئ بالفتح، والإمالة في لفظ ﴿بَلَىٰ﴾، انظر مناهل العرفان ١/ ١٤٥ - ١٥٥ط دار احياء الكتب العربية.

قال مكي: والذى نعتقده في معنى الأحرف السبعة - وهو الصواب إن شاء الله - أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هى لغات متفرقة في القرآن، ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة، مختلفة السمع متفقة في المعنى، ومختلفة في السمع والمعنى؛ نحو: تبديل كلمة في موضع أخر، وصورة الخط متفقة أو مختلفة؛ نحو قوله تعالى: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، ﴿ينشركم﴾، وزيادة كلمة ونقص أخرى، وتغيير حركات في موضع حركات أخر، وإسكان حركات، وتشديد، وتخفيف، وتقديم، وتأخير وشبه ذلك، مما يسمع، ويميز بالسمع، وليس هو مما يحتوي على المعاني المستترة كقول من قال: الأحرف السبعة حلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، وأمر ونهي، وشبه هذا، هذه معان في النفس مستترة، لا تعلم إلا بسؤال من يعتقدها، دليل ذلك: أن عمر إنما سمع هشامًا يقرأ غير قراءاته فأنكر عليه، لم يره يغير حكمًا، ولا يحدث معنى في القرآن، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لما تخاصموا إليه في القراءة، أمرهم بالقراءة فلما سمعهم صَوَّبَ قراءتهم، ولم يسألهم عن معان مستورة في أنفسهم(١).

وتعلم الصحابة القرآن الكريم من نبيهم ﷺ وكان منهم من يقرأ ويكتب، ومنهم من لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان من يعرف القراءة منهم يكتب(٢) ما نزل من القرآن على النبي ﷺ.

---

(١) انظر الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب- تحقيق د. محيي الدين رمضان- الطبعة الأولى - عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- ط دار المأمون للتراث.

(٢) من الصحابة من كتب الآيات، أو السور، أو السورة، ومنهم كتب جميعه وحفظه كله؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وطلحة، وأم سلمة، وهؤلاء من المهاجرين، وكأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن حارثة، وأنس بن مالك، وهؤلاء من الأنصار، وكلهم جمعوا القرآن على عهده ﷺ انظر سمير الطالبين في رسم المصحف المبين ص ٨، ٩.

أخرج الحاكم في «المستدرك» بسند على شرط الشيخين، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»[1]. الحديث.

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ: ابن حبان في صحيحه، كما في «الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (1/ 320) رقم (114)، وقال محقق «الإحسان»: وفيه الدليل الواضح على أن القرآن جمع في عهد الرسول ﷺ »أهـ (الإحسان 1/ 321).
وأخرجه مطولا الترمذي في «جامعه» آخر كتاب المناقب، باب: فضل الشام واليمن. انظر جامع الترمذي (5/ 690) رقم (3954) ولفظه عن زيد بن ثابت «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول الله ﷺ: طوبى للشام فقلنا: لأى ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (12/ 191) رقم (2/ 125) بنحو حديث الترمذي، والحاكم في «المستدرك» (2/ 229) و (2/ 611) والطبراني في الكبير (5/ 158) رقم (4933)، وهذا حديث ضعيف؛ لأنَّ مداره على يحيى بن أيوب الغافقي، ولم يتابع.
وإليك أقوال الأئمة في هذا الراوي، قال ابن حجر: «صدوق ربما أخطأ» - تقريب التهذيب (ص: 1049) الترجمة (7561)، وذكر الذهبي في ميزان الإعتدال أقوال الأئمة فيه (4/ 362)، قال أبو حاتم: «لا يحتج به»، وقال النسائي: «ليس بالقوى»، وقال الدارقطني: «فى بعض حديثه اضطراب»، وقال الإمام أحمد: «سيء الحفظ» ولهذا: فالحديث ضعيف.
قال البيهقي: ومعناه: يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرَّقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة من النبي ﷺ، انظر كتاب القرآن والقراءات للدكتور عبد الغفور محمود طبعة 1996.
قلت: هذا هو الذي تركن إليه النفس وتطمئن، ولا يظن ظان أن تأليف القرآن يعنى إنشاء كلماته من المؤلف، ولكن التأليف المقصود هو: وضع الآيات في مواضعها بأمر النبي ﷺ والتى أمر بها عن طريق الوحي، وكذلك وضع السور، ولم يتدخل النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام في شيء من ذلك، لذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿46﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، ولا بد وأن يكون اعتقاد المسلم أن القرآن الكريم لفظٌ ومعنى من الله عز وجل، ليس لأحد فيه دخل.

وحفاظًا على أن لا يدون الصحابة في صحفهم شيئًا غير القرآن قال لهم النبي ﷺ: « **لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرآن** »[1]، ولم يقتصر الأمر على كتابة القرآن في الصحف، بل كان الصحابة يحفظونه في صدورهم، وكان منهم من يحفظ بعضه، وكان النبي ﷺ يعلمهم وجوه القراءات التي تنزل عليه ﷺ، فمنهم من تعلَّم وجهًا واحدًا من القراءة، ومنهم من تعلم أكثر من وجه.

روى الشيخان في صحيحهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت.. قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ؛ فقلت: إني سمعت هذا

---

(١) مسند الإمام أحمد شرح الشيخ أحمد شاكر مطبعة دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م الحديث رقم (١١١٠١) صححه الشيخ أحمد شاكر، وورد بلفظ آخر برقم (١١٣٦٤) بلفظ: « لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن »، وبلفظ « حدثنا عبد الله، حدثنى أبي، ثنا أبو عبيدة، ثنا همام بن يحيى عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: (لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن فمن كتب عني شيئًا فليمحه)، وقال: (حدثوا عني ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد (٤/ ٢٢٩٨) رقم (٣٠٠٤) ولفظه: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ...... (الحديث، وأحمد (٣/ ٤٦ - ٥٦ - ١٠٦)، وأخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٢/ ٢٥٨)، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم (٥/ ٤٠)، وفى كتاب الفتن (٤/ ٥٢٤)، والحاكم في كتاب العلم (١/ ١٢٧)، وفى كتاب الإيمان (١/ ٧٧)، والدارمي في المقدمة (١/ ١١٩)، وأبو داود في كتاب العلم (٢/ ٢٨٧) وابن ماجه في المقدمة (١/ ١٣٢)، وابن حبان في صحيحه كما في « إحسان بتقريب صحيح ابن حبان » كتاب: العلم (١/ ٢٦٥) رقم (٦٤) والحديث صحيح.

يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها؛ فقال رسول الله ﷺ: أرسله، إقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه »[١].

وروى الإمام أحمد في « مسنده عن عبد الله بن مسعود قال: « أقرأنى رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم - يعنى: الأحقاف -، قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت « الثلاثين »، قال: فرحت إلى المسجد، فإذا رجل يقرؤها على غير ما أقرأنى، فقلت: أى عبد الله: من أقرأك؟ فقال: أى الرجل: رسول الله ﷺ، قال: فقلت لآخر: اقرأها، فقرأها على غير قراءتى وقراءة صاحبى، فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنّ هذين يخالفانى في القراءة! قال: فغضب وتمعر وجهه، وقال: « إنّما أهلك من كان قبلكم الاختلاف »، قال: قال زر: وعنده رجل، قال: فقال الرجل: إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أُقرِئ[٢]، فإنّما أهلك من كان قبلكم الاختلاف، قال: قال عبد الله: فلا أدري أشيئًا أسرّه إليه رسول الله ﷺ؟ أم عَلِمَ ما فى نفس رسول الله ﷺ؟ قال: والرجل هو على بن أبي طالب[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كما في الفتح (٨/ ٦٣٨ - ٦٣٩) رقم (٤٩٩٢) كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم في صحيحه كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/ ٥٦٠) رقم(٨١٨) بلفظ مقارب، ومعنى: « فكدت أساوره » أى: أعاجله وأواثبه، « فلببته بردائه » معناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجررته به، مأخوذ من اللبّة؛ لأنه يقبض عليها.

(٢) هذا دليل على أن الصحابة تعلموا أوجه القراءات من النبي ﷺ وكان كلّ يقرأ بما أقرئ من النبي ﷺ، ويُعلِّمُ غيره ممن أراد أن يقرأ عليه القرآن.

(٣) أخرجه بهذا السياق الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤١٩) والحاكم في المستدرك، كتاب =

هذا وقد روى الطبري في تفسيره، حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن نمير قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، وحدثنا عبد الحميد بن بيان القناد، قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي عن إسماعيل، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن ليلى، عن جده، عن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلى، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعا على رسول الله ﷺ، قال: فقلت: يا رسول الله، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ، فقرآ، فحسّن رسول الله ﷺ شأنهما، فوقع في نفسى من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية! فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشينى ضرب في صدري ففضت عرقًا، كأنما أنظر إلى الله فرقا فقال لى: يا أبي أُرسلَ إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت عليه: أن هون على أمتي، فردّ عليَّ في الثانية أن إقرأ القرآن على حرف، فرددت عليه أن هون على أمتي، فردّ عليَّ في الثالثة، أن إقرإ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللّهم اغفر لأمتي، اللّهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم، إلا أن بيانًا قال في حديثه: فقال

= التفسير (٢/ ٢٢٣- ٢٢٤) بألفاظ مقاربة، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٨٩)، والحديث بهذا السياق ضعيف، ولكن له شواهد صحيحة مختصرة عن هذا السياق، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة..... كما في الفتح (٥/ ٨٥) رقم ٢٤١٠ عن عبد الله بن مسعود ولفظه: سمعت رجلا قرأ آية سمعت من النبيﷺ خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: «كلاكما محسن»، قال شعبة: أظنه قال: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»، وأخرجه أيضا بهذا اللفظ الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٥٦) و (١/ ٤٢١) قال شارح المسند الشيخ أحمد محمد شاكر: «إسناده صحيح».

لهم النبي ﷺ: « قد أصبتم وأحسنتم »، وقال أيضا: أنَّ أبيًا قال: فارفضت عرقًا.

ثم قام الصحابة الكرام بتعليم هذه الأوجه التي تعلموها منه ﷺ للناس، مبلغين عن نبيهم الحروف التي تعلموها دون أى تحريف ولا تبديل(١)، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) كان الصحابة يقرأ كل واحد منهم كما عُلِّمَ، وإن خالف قراءة صاحبه، لقوله ﷺ: « اقرأوا كما علّمتم »، وحديث عمر مع هشام بن حكيم مشهور، فكان الصحابة يقرأون كما تعلموا، ولا ينكر أحد على أحد قراءته، وكان النبي ﷺ قد وجه بعضهم إلى البلدان ليعلموا الناس القرآن والدين، ولما قبض النبي ﷺ خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلموا الناس القرآن والدين، فعلم كل واحد منهم أهل مِصْرِهِ على ما كان يقرأ على عهد النبي ﷺ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم. فلما كتب عثمان المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، قرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرأون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف الذي وجه إليهم، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط. ونقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل إلى هؤلاء السبعة على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف أهل الأمصار، لم يخرج واحد منهم عن خط المصحف فيما نقل، كما لم يخرج واحد من أهل الأمصار عن خط المصحف الذي وجه إليهم. فلهذه العلة اختلفت رواية القراء فيما نقلوا، واختلفت أيضًا قراءة من نقلوا عنه لذلك، واحتاج كل واحد من هؤلاء القراء أن يأخذ مما قرأ ويترك، فقد قال نافع: قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة، وقد قرأ الكسائي على حمزة وعنه أخذ القراءة، وهو يخالفه في نحو ثلاث مائة حرف؛ لأنه قرأ على غيره، فاختار من قراءة حمزة ومن قراءة غيره، وترك منها كثيرًا، وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير، وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف؛ لأنه قرأ على غيره فاختار من قراءته ومن قراءة غيره قراءة. فهذا سبب الاختلاف « انظر الإبانة عن معاني القراءات ».

فاشتهر منهم في إقراء القرآن: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد ابن ثابت، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة[١]، وعمر بن الخطاب، وأبو الدرداء[٢]، . . . .

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، أسلم سنة سبع هو وأمه، وروى ما لا يوصف عن النبي ﷺ وقرأ القرآن على أبي بن كعب، وقرأ عليه غير واحد، وروى عنه نحو من ثمان مائة نفس، وحديثه في مسند بقي بن مخلد أكثر من خمسة آلاف حديثًا، وكان إمامًا، مفتيًا، فقيهًا، صالحًا، حسن الأخلاق، متواضعًا، محببًا إلى الأمة، روى عنه سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله، وأبو صالح السمان، وأبو حازم الأشجعي، وعروة، وابن سيرين، وهمام بن منبه، وسعيد المقبرى، وقد ذاق جوعا وفاقة، ثم استعمله عمر رضي الله عنه فأُثْرِىَ وكثر ماله، وَلِيَ إمارة المدينة زمن معاوية، وكان كثير العبادة، والذكر، وقد مر في ولايته وهو يحمل حزمة حطب، ويقول: أوسع الطريق للأمير، قال الواقدي: توفي سنة تسع وخمسين لعلة الصحيح.

(٢) الإمام القدوة. قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، ويقال عويمر بن عامر، وقيل: ابن ثعلبة بن عبد الله الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق، روى عن النبي ﷺ، عدة أحاديث، وهو معدود فيمن تلا على النبي ﷺ وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، روى عنه: أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وابن عباس، وأبو أمامة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من جُلَّة الصحابة، وجبير بن نفير، وزيد بن وهب، وأبو إدريس الخولاني، وعلقمة بن قيس، وقبيصة بن ذؤيب، وزوجته أم الدرداء العالمة، وابنه بلال بن أبي الدرداء، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، ومعدان بن أبي طلحة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وخالد بن معدان، وعبد الله بن عامر اليحصبي، وقيل: إنه قرأ عليه القرآن ولحقه، قال الذهبي: فإن صح فلعله قرأ عليه بعض القرآن وهو صبي، وقرأ عليه عطية بن قيس، وأم الدرداء. وقال أبو عمرو الداني: عرض عليه القرآن: خليد بن سعد، وراشد ابن سعد، وخالد بن معدان، وابن عامر، كذا قال الداني. ووليّ القضاء بدمشق في دولة عثمان، فهو أول من ذكر لنا قضاتها. روى الأعمش عن خيثمة: قال أبو الدرداء: كنت تاجرًا قبل المبعث، فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة، فلم يجتمعا، فتركت التجارة ولزمت العبادة، وعن أنس: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد =

وأبو موسى الأشعري[١]، وغيرهم كثير.

= وقيل: غيره كثير، فقد حفظ القرآن جميعه الجم الغفير من الصحابة ﷺ سرد منهم الحافظ في الفتح (٩/ ٤٧، ٤٨).
قال أبو الزاهرية: كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلامًا، وكان يعبد صنمًا، فدخل ابن رواحة، ومحمد بن سلمة بيته، فكسرا صنمه، فرجع يجمع الصنم، ويقول: ويحك! هلّا امتنعت، ألا دفعت عن نفسك، فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أو يدفع عن أحد، دفع عن نفسه ونفعها، فقال أبو الدرداء: أعدّى لى ماءً في المغتسل، ولبس حلته، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فنظر إليه ابن رواحة مقبلًا، فقال: يا رسول الله هذا أبو الدرداء، وما أراه إلا جاء في طلبنا، فقال: «إنما جاء لِيُسْلِمَ، إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم».
قال ابن إسحاق: كان الصحابة يقولون: اتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء، روى سعد بن إسحاق عن محمد بن كعب، قال: جمع القرآن خمسة: معاذ، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبي، وأبو أيوب، فلما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا، وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنّى برجال يعلمونهم، فدعا عمر الخمسة، فقال: إن إخوانكم قد استعانونى من يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينونى يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأبي - فخرج معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء.
قال الواقدى، وأبو مسهر، وابن نمير: مات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين، انظر سير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٣٥-٣٥٣.

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري اليماني ﷺ، هاجر إلى النبيﷺ فقدم عليه عند فتح خيبر، وحفظ القرآن والعلم، وبرغم قصر مدة صحبته إلا أنه كان من نجباء الصحابة، وكان من أطيب الناس صوتًا، سمع النبي ﷺ قراءته، فقال: لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود، وقد استعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، ثم ولى إمرة الكوفة والبصرة لعمر ﷺ، وحكّمه عليّ بن أبي طالب ﷺ على نفسه في شأن الخلافة لجلالته، وفضله، فمكر به عمرو وخدعه، قرأ عليه أبو رجاء العطاردي، وحطان الرقاشي، وروى عنه بنوه: أبو بكر، وأبو بردة، وموسى، وإبراهيم، وربعى بن حراش، وزهدم الجرمي، وسعيد بن المسيب، وخلق سواهم، وافتتح أصبهان في زمن عمر، ومحاسنه كثيرة، توفي في ذى الحجة - سنة أربع وأربعين على الصحيح ﷺ انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٠.

ولم يكن القرآن مجموعًا في صحفٍ بين دفتينِ في عهده ﷺ، بل كان مفرقًا في الرقاع وأوراق الشجر والأكتاف.

وبعد أن انتهى العصر النبوي الشريف تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت حرب اليمامة مع أتباع مسيلمة الكذاب، والتى قتل فيها كثير من حفاظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم، الأمر الذي دعا عمر بن الخطاب أن يشيرعلى أبي بكر الصديق بجمع القرآن، خوف ضياعه بموت الحفاظ في المواطن، فقام الصديق بجمع القرآن الكريم في الصحف بين دفتين بعد أن شكل لجنة لهذا الأمر.

روى البخاري في صحيحه(١) عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول اللّه ﷺ؟! قال عمر: هو واللّه خير، فلم يزل يراجعنى حتى شرح اللّه صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فواللّه لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول اللّه ﷺ؟! قال: هو واللّه خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللّه صدري للذى شرح به صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من

---

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن كما في الفتح (٨/ ٦٢٦) رقم (٤٩٨٦) ط - السلفية.

العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكرٍ حتى توفاه اللّه، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

ثم توالت العصور والأزمان وكثرت الفتوحات الإسلامية، وكثر دخول العرب في الإسلام، وتفرق الصحابة في الآفاق، ناشرين كتاب اللّه، مبلغين ما تعلموه من نبيهم ﷺ، فذهب بعضهم إلى الكوفة، وبعضهم إلى مكة، وإلى الشام، وإلى البصرة، وبعضهم بقى بالمدينة.

وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولى عبد اللّه بن مسعود إمارة الكوفة، وتعلم أهل الكوفة منه القرآن رضي الله عنه واشتهر أهل الكوفة بقراءته.

ثم كان عهد عثمان رضي الله عنه ، وحضر حذيفة بن اليمان حرب أرمينية وأذربيجان، وكان في زمن التابعين، فوجد اختلاف أهل الشام وأهل العراق في القرآن[١].

روى البخاري في صحيحه[٢]: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان،

---

(١) قال مكي بعد ذكره بعض القراءات التي تخالف رسم المصحف: «وهذا الاختلاف الذي يخالف خط المصحف وما جاء منه، مما هو زيادة على خط المصحف، أو نقصان من خط المصحف، أو تبديل لخط المصحف، وذلك كثير جدًا، وهو الذي سمعه حذيفة في المغازى، وسمع رد الناس بعضهم على بعض، وتكفير بعضهم لبعض، فحداه ذلك على إعلام أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وهو الذي حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد، ليزول ذلك الاختلاف»- انظر «الإبانة» ص٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن كما في الفتح (٨/ ٦٢٦) رقم (٤٩٨٧).

وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان[١]، فأمر زيد بن ثابت، وعبد اللّه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»، واستحسن الصحابة ﷺ ما فعله عثمان في المصاحف[٢]، ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داوود بسند صحيح، عن سويد بن غفلة، قال: «قال عليّ: لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فو اللّه ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأٍ مِنَّا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى

---

(١) قال مكي: «أن السبب الذي من أجله جمع عثمان القرآن في مصحف أن حذيفة بن اليمان كان قد حضر في زمن عثمان ﷺ في فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في ألفاظ القرآن اختلافًا شديدًا، حتى كاد يُكَفِرُ بعضهم بعضًا، وكان سبب ذلك أن أهل كل مصر قرأوا على ما أقرأهم الصاحب الذي وصل إليهم ليعلمهم القرآن والدين في زمان أبي بكر وعمر، فاختلفوا في قراءاتهم بألفاظ مختلفة في السمع لا في المعنى» - انظر الإبانة.

(٢) انظر صحيح البخاري - ص٥٦ .

أن يجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ[(١)]، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا:

---

(١) اختلف العلماء هل المصحف العثمانى الذي بين أيدينا اليوم مشتمل على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، أم اشتمل على حرف واحد فقط؟
ذهب جماعة من الفقهاء، والقراء، والمتكلمين، منهم: الباقلاني إلى أنَّ جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية، واحتجوا بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها، وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك، وذهب ابن جرير الطبرى وجماعة إلى أنه ليس فيه إلا حرف واحد فقط، وتأثروا في هذا الرأي بمذهبهم في معنى الحروف السبعة، وماالتزموه فيه من أن هذه السبعة كانت في صدر الإسلام، أيام الرسول ﷺ، وخلافة أبي بكر، وعمر، وصدر من خلافة عثمان، ثم رأت الأمة بقيادة عثمان أن تقتصر على حرف واحد من السبعة، جمعًا لكلمة المسلمين فأخذت به وأهملت كل ما عداه من الأحرف الستة.
ولكن جماهير العلماء من السلف والخلف على أنَّ المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، ومتضمنة لما ثبت من القراءات المتواترة في العرضة الأخيرة؛ لأنَّ المصاحف كانت خالية من النُّقط والشكل فكانت محتملة للأحرف السبعة، لا على معنى أن كل مصحف منها مشتمل على جميع الأحرف السبعة، بل على معنى أن كل مصحف منها مشتمل على ما يحتمله رسمه من هذه الأحرف، وأن مجموعها لا يخلو عن الأحرف السبعة - انظر تاريخ رسم المصحف للشيخ القاضي، طبعة الأزهر الشريف.
قال صاحب «فتح الباري»: «والحق أن الذي جُمِعَ في المصحف هو المتفق على إنزاله، المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ، وفيه بعض ما اختلف فيه من الأحرف السبعة لا جميعها، كما وقع في المصحف المكي «تجرى من تحتها الأنهار» في آخر براءة، وفى غيره بحذف «من»، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض، وعدة هاءات، وعدة لامات، ونحو ذلك، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معا، وأمر النبي ﷺ بكتابته لشخصين، أو أعلم بذلك شخصًا واحدًا وأمره بإثباتهما على الوجهين، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلًا، فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان، وكفر بعضهم بعضا، اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون به في كتابته، وتركوا الباقى». =

نِعْمَ ما رأيت »[١].

ومما يدل أيضا على أن الصحابة استحسنوا ما فعل عثمان في المصاحف ما رواه أبو عمرو الداني، قال: حدثنا الخاقاني، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة، قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: لو وُلِّيتُ لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان[٢].

وبعد أن انتهى عثمان من جمع المصاحف[٣]؛ أرسل مصحفًا إلى مكة،

= قال البغوي في « شرح السنَّة: « المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك قطعًا لمادة الخلاف، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوح والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع، فليس لأحد أن يَعْدُو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم ».

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١/ ١٧٠، مكتبة دار التراث ١٩٦٧.

(٢) انظر المقنع في معرفة مرسوم أهل الأمصار - لأبي عمرو الداني - تحقيق محمد أحمد دهمان - دار الفكر المعاصر بيروت ١٤٠٣هـ.

(٣) اختلف جمع أبي بكر عن جمع عثمان للمصحف؛ فأما جمع أبي بكر فكان خوفًا على القرآن من الضياع بموت الحفاظ في المواطن؛ أما جمع عثمان فكان جمعًا للقراءات وسبب ذلك اختلاف الناس فيها، دلنا على ذلك الأحاديث السابقة، وكذا ما رواه أبو عمرو الداني في كتابه « المقنع »؛ حيث قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الفرايضى قراءة عليه قال. حدثنا على بن محمد بن أحمد بن نصير البغدادي، قال: حدثنا أحمد بن الصقر بن ثوبان، قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من بنى تميم، فقال: أحسب أنس بن مالك، قال: اختلف المعلمون في القرآن حتى اقتتلوا، أو كان بينهم قتال، فبلغ ذلك عثمان، فقال: عندى تختلفون، وتكذبون به، وتلحنون فيه يا أصحاب محمد ﷺ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إمامًا يجمعهم، قال: وكانوا في المسجد فكثروا فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون: إنه أقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فلان بن فلان، =

ومصحفًا إلى الكوفة، ومصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى البصرة، ومصحفًا تركه بالمدينة، ثم نسخ لنفسه مصحفًا أطلق عليه المصحف الإمام[١]، ولم يكتفِ بذلك بل أرسل مع كل مصحف قارئًا نابهًا[٢]، يقرئ الناس ويحملون عنه القراءة[٣].

وكان المصحف الذي كتبوه لم يَنْقُطُوْهُ، ولم يضبطوا إعرابه، فتمكن لأهل

= وهو على رأس أميال من المدينة، فيبعث إليه من المدينة فيجئ فيقولون كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبون كما قال- انظر المرجع السابق.

(١) قال أبو عمرو الداني: أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحى بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة احداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة، وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضا: نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة - انظر «المقنع» لأبي عمرو الداني - مرجع سابق ذكره.

(٢) لا بد من العلم من أن القرآن يعتمد على التلقى من أفواه الشيوخ خلفًا عن سلف، وثقة عن ثقة، وإمامًا عن إمام، حتى يصلوا إلى الحضرة النبوية، ولذلك لما أراد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إذاعة المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار، لم يرسلها وحدها لتكون المرجع الوحيد الذي يرجع إليه، بل أرسل مع كل مصحف إمامًا ضابطًا عدلا تكون قراءته موافقة لما في المصحف غالبًا، فأمر زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدنى، وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر ابن عبد القيس مع المصحف البصري، وهذا يجعلنا نرجح أن كل مصحف كان مختلفًا عن الآخر بما يوافق قراءة كل مصر من الأمصار، ولم يكن المصحف المرسل إلى جميع الأمصار واحدًا؛ بدليل اختلاف المصحف المكي عن غيره في اشتماله على كلمة «من» في قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ آخر سورة التوبة، بخلاف المصاحف الأخرى، ووجود بعض الواوات في بعض المصاحف وعدم وجودها في البعض الآخر، وإلا فما معنى إرسال قارئ مع كل مصحف؟ ألم يكونوا يقرأون قبل إرسال المصاحف والقراء إليهم؟ والله أعلى وأعلم، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب الخلاف.

(٣) القراءات السبع لابن مجاهد - تحقيق د. شوقى ضيف.

كل مِصْر أن يقرأوا الخط على قراءتهم التي كانوا عليها، مما لا يخالف صورة الخط[١]، فقرأ قوم: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ بـ « الصاد » على ما كانوا عليه، وقرأ قوم ﴿يقض الحق﴾ بـ « الضاد » على ما كانوا عليه، وكذلك ما أشبه هذا، لم يخرج أحد في قراءته عن صورة خط المصحف [٢].

وكان أول من أقرأ بالكوفة والتزم بمصحف عثمان ﷺ : أبو عبد الرحمن السلمى، وكان الغالب على المتقدمين من أهلها قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ قبل أن يجمع عثمان الأمة على مصحفٍ واحدٍ، فالتزم أبو عبد الرحمن بالأوجه التي تلقاها من صحابة رسول الله ﷺ ولم تخالف رسم المصحف العثمانى، وترك الأوجه التي تخالفه[٣]. .

وكان قد قرأ القرآن على أجلاء الصحابة في إقراء القرآن، ك: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وأبيِّ بن كعب، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة الكرام[٤].

وجلس يقرأ القرآن بمسجد الكوفة في خلافة عثمان، إلى أن توفي في إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي[٥].

---

(١) ذكر القاضى أبو بكر في الانتصار قال: « لم يقصد عثمان قصد أبى بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه، ولا تأخير، ولا تأويل، أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته، كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد « الاتقان في علوم القرآن للسيوطي » المكتبة الثقافية بيروت لبنان عام ١٩٧٣م- ١/ ٦٠ .

(٢) الإبانة في معاني القراءات. (٣) سير أعلام النبلاء - مرجع سابق.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى- القراءات السبعه لابن مجاهد

(٥) المرجع السابق.

واشتهر أيضا من التابعين في إقراء القرآن غير أبي عبد الرحمن السلمي كل من: زر بن حبيش، عرض على عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عامر، وشيبة بن نصاح، وعبد الله بن عياش المكي، ثم المدني قرأ على أبي بن كعب، وعبد الرحمن بن هرمز «الأعرج»، وأبي جعفر المدني «يزيد بن القعقاع»، قرأ على أبي هريرة وابن عباس[(١)]، ومسلم بن جندب، عرض على عبد الله بن عياش، ومحمد بن مسلم «ابن شهاب الزهري»، قرأ على أنس بن مالك، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق بن الأجدع، وأبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة سمع أنس بن مالك، وقرأ على كثيرين من التابعين[(٢)]، وزيد بن أسلم، وابن المسيب، قرأ على ابن عباس وأبي هريرة[(٣)]، وعروة، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن شرحبيل، وسعيد بن جبير، قرأ على ابن عباس، إبراهيم النخعي، قرأ على الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، وعامر بن شراحيل الشعبي، عرض على أبي عبد الرحمن السلمي، وعلقمة بن قيس. وأبي العالية الرياحي[(٤)]، أخذ القراءة عرضًا على أبيّ، وزيد بن ثابت

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/٥٨ .

(٢) غاية النهاية ١/٢٨٩ .

(٣) انظر غاية النهاية ١/٣٠٨ .

(٤) رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبيﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعدة. حفظ القرآن، وقرأه على أبيّ بن كعب، تصدر لإفادة العلم، وبعد صيته، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل، قال الذهبي: «وما ذاك ببعيد فإنه تميمي، وكان معه ببلده، وأدرك من حياة أبي العالية نيفًا وعشرين سنة»، قال أبو عمرو الداني: «أخذ أبو العالية =

وابن عباس. ونصر بن عاصم، قرأ القرآن على أبي الأسود، ويحيى بن يعمر[(١)]، عرض على ابن عمر، وابن عباس، وعلى أبي الأسود الدؤلي.

= القراءة عرضًا عن أبيّ، وزيد، وابن عباس، ويقال: قرأ على عمر، روى عنه القراءة عرضًا شعيب بن الحبحاب، وآخرون».

قال قتادة: قال أبو العالية: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين، وروى معتمر بن سليمان، وغيره، عن هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين، قالت: قال أبي أبو العالية: «قرأت القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرار».

وعن أبي خلدة، عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يرفعني على السرير - «سرير دار الإمرة لما كان ابن عباس متوليها لعلي رضي الله عنهما» -، وقريش أسفل السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك على الأسرّة.

قال أبو بكر بن أبي داود: «وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وقد وثق أبا العالية الحافظان: أبو زرعة، وأبو حاتم».

قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: «كنت أرحل إلى رجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأتفقد صلاته، فإن وجدته يحسنها أقمت عليه، وإن أجده يضيعها رحلت ولم أسمع منه، وقلت: «هو لما سواها أضيع».

قال ابن عيينة: سمعت عاصمًا الأحول، يحدث عن أبي العالية، قال: «تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء، فإنها توقع العداوة والبغضاء بينكم. فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل» يعني عثمان «بخمس عشرة سنة»، قال: فحدثت به الحسن، فقال: «قد نصحك والله وصدقك»، وقال أبو خلدة: سمعت أبا العالية يقول: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإنه أحفظ عليكم، وجبريل كان ينزل به خمس آيات خمس آيات». قال أبو خلدة: «مات أبو العالية في شوال سنة تسعين»، وقال البخاري: «سنة ثلاث وتسعين».

(١) الفقيه العلامة المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو، ويكنى: أبا عديّ حدث عن أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر مرسلًا، وعن عائشة رضي الله عنها، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعدّة، قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي. حدث عنه عبد الله بن بريدة وهو من طبقته، وقتادة، وعطاء الخراساني، وسليمان التيمي، ويحيي بن عقيل، وإسحاق بن سويد، وآخرون، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة. قال أبو داود: «لم يسمع من عائشة». وقيل: «إنه كان أول من نقط المصاحف، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، =

والمغيرة بن شهاب المخزومى[١]، وعطاء بن أبي رباح روى القراءة عن أبي هريرة، ومجاهد، قرأ على عبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب. وعكرمة قرأ على ابن عباس، وابن عمر فيما قطع به الحافظ أبو العلاء، ومنهم عبيد بن عمير، فعنه الرواية في حروف القرآن، ابن أبي مليكة عبد الله بن عبيد الله[٢]، الحسن البصرى أحد القراء الأربعة عشر، قرأ على حطان عن أبي موسى الأشعرى وعلى أبي العالية عن أبي وزيد وعمر[٣]، المغيرة بن أبي شهاب المخزومي قرأ القرآن على عثمان ﷺ، وعبد الله بن عامر اليحصبي قرأ على أبي الدرداء وغيره يحيى بن الحارث الذماري، لقى وائلة بن الأسقع وروى عنه، وقرأ عليه[٤]عطية بن قيس تابعي قارئ دمشق بعد ابن عامر، ثقة وردت عنه الرواية في حروف القرآن، عرض القرآن على أم الدرداء، وغيرهم كثير، فالتزموا جميعًا مصحف عثمان في إقرائهم للقرآن بالوجوه التي تعلموها من الصحابة؛ وتركوا الوجوه التي تخالفه[٥].

= وكان ذا لسان وفصاحة، أخذ ذلك عن أبي الأسود». قال أبو عمرو الداني: «روى القراءة عنه عرضًا عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء»، قال خليفة الخياط في تاريخه: «توفي يحيى بن يعمر قبل التسعين».

(١) هو المغيرة بن أبي شهاب المخزومى، قرأ القرآن على عثمان ﷺ، وعليه قرأ عبد الله بن عامر اليحصبى، وأحسبه كان يقرأ بدمشق في دولة معاوية، ولا يكاد يعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه، مات سنة إحدى وتسعين وله تسعون سنة، واسم أبيه عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم- انظر سير أعلام النبلاء، والإتقان في علوم القرآن.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥١٥، ٤٩٦، ٤٣٠ (٣) غاية النهاية ١/ ٢٩، ٣٥٠

(٤) المرجع السابق ٢/ ٣٦٧ الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٦٣

(٥) قال ابن جرير الطبري في كتابه «القراءات»: «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن، فليس لنا اليوم أن نخطئ من قرأ به إذا كان ذلك موافقًا لخط المصحف، فإن كان مخالفًا لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه»

وتلقى عن هؤلاء القراء قراء أجلاء من تابعى التابعين، الأمر الذي أدى إلى كثرة عدد القراء الذين تصدروا لإقراء القرآن في عصر تابعي التابعين، وكثرت كذلك الروايات عنهم، وتضاعف عدد رواة القرآن إلى أضعاف كثيرة[١]، وكانوا متفاضلين في حمله، وكانت أحوالهم:

١- منهم العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات، ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار.

٢- ومنهم من يعرب ويلحن، ولا علم له بغير ذلك، كالأعرابي الذي يقرأ بلغته، ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه.

٣- ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء كما تعلم، لا يعرف الإعراب لشدة تشابهه، وكثرة فتحه، وضمه، وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم العربية، ولا بصير بالمعاني يرجع إليها، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع، وتشتبه عليه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرئ نفسه.

٤- ومنهم من يعتمد على معرفته بالإعراب، ولغات العرب، ولا علم له بالقراءات، فربما أدّاه بصره باللغة والنحو إلى أن يقرأ بحرف جائز في اللغة

(١) لا يظن ظان أن القراءات الأربعة عشر هى جميع القراءات التي رويت ولا يوجد غيرها من القراءات، فقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين، ممن هو أعلى من هؤلاء قدرًا ورتبة، فقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة، والكسائي، وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلًا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء، وكذلك زاد الطبرى في كتاب «القراءات» له على السبعة نحو خمسة عشر رجلًا، وكذلك فعل أبو عبيد القاسم بن سلّام، وإسماعيل القاضى، وغيرهم كثير ممن ألّفوا في القراءات.

العربية، لم يقرأ به قارئ من السابقين، مع أنَّ القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، ولا يصح لأحد أن يقرأ كلمة ولا آية في القرآن من تلقاء نفسه، بل لا بد أن يتعلمها على الشيوخ الذين اتصلت روايتهم بالرسول ﷺ.

٥- ومنهم من دخل عليه الوهم في الآثار المروية، مما لا يعرفه إلا من له باع في هذا العلم.

٦- إن كثرة الروايات في القراءات في عصر تابعي التابعين أدت إلى ضرب من الاضطراب عند طائفة من القراء غير المتقنين.

٧- أخذ كثيرون يحاولون أن يختاروا من القراءات ما يكونون به لأنفسهم قراءات خاصة، خلافًا لما قرئ به كـ: أبي عبيد القاسم بن سلام (١).

---

(١) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله كان أبوه سلام مملوكًا روميًا لرجل هروى، مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومائة، سمع إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وهشيمًا، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وأبا بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وعبيد الله الأشجعي، وغندرًا، وحفص بن غياث، ووكيعًا، وعبد الله بن إدريس، وعباد بن عباد، ومروان بن معاوية، وعباد بن العوام وخلقًا كثيرًا، وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشجاع بن أبي نصر البلخى، وسمع الحروف من طائفة، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وجماعة.

قال الذهبي: «وصنف التصانيف المونقة التي سارت بها الركبان، وله مصنف في القراءات لم أره، وهو من أئمة الاجتهاد، له كتاب «الأموال» في مجلد كبير سمعناه بالاتصال، وكتاب «الغريب» مروي أيضًا، وكتاب «فضائل القرآن» وقع لنا، وكتاب «الطهور» وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «المواعظ»، وكتاب «الغريب المصنف في علم اللسان» وغير ذلك وله بضعة وعشرون كتابًا، حدث عنه: نصر بن داود، وأبو بكر الصاغاني، وأحمد بن يوسف التغلبي، والحسن بن مكرم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، والحارث بن أبي أسامة، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ومحمد بن يحيى المروزي قال ابن سعد كان =

٨- وكان منهم من تمادى لكي تكون له قراءة ينفرد بها في الرواية بما يخالف مصحف عثمان[(١)] رضي الله عنه ....

= أبو عبيد مؤدبًا صاحب نحو وعربية، وطلب الحديث والفقه، ولي القضاء طرسوس أيام الأمير ثابت بن نصر الخزاعي، ولم يزل معه ومع ولده، وقدم بغداد، ففسر بها غريب الحديث، وصنف كتبًا، وحدث وحج، فتوفي بمكة سنة أربع وعشرين.

قال عبد الله بن جعفر بن دستوريه النحوي: «ومن علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين، ورواة اللغة والغريب عن البصريين، والعلماء بالقراءات ومن جمع صنوفًا من العلم، وصنف الكتب في كل فن أبو عبيد، وكان مؤدبًا لأهل هرثمة - «هرثمة بن أعين الأمير الذي قتله المأمون سنة ٢٠٠هـ»- وصار في ناحية عبد الله بن طاهر، وكان ذا فضل ودين وستر، ومذهب حسن، روى عن أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، واليزيدي، وغيرهم من البصريين، وروى عن ابن الأعرابي، وأبي زياد الكلابي، والأموي، وأبي عمرو الشيباني والأحمر».

نقل الخطيب في تاريخه وغيره: أن طاهر بن الحسين حين سار إلى خراسان نزل بمرو، فطلب رجلًا يحدثه ليلة، فقيل: ما ها هنا إلا رجل مؤدب، فأدخلوا عليه أبا عبيد، فوجده أعلم الناس بأيام الناس، والنحو، واللغة، والفقه، فقال له: من المظالم تَرْكُكَ أنت بهذه البلدة، فأعطاه ألف دينار، وقال له: أنا متوجه إلى حرب، وليس أحب استصحابك شفقًا عليك، فأنفق هذه إلى أن أعود إليك، فألف أبو عبيد «غريب المصنف»، وعاد طاهر بن الحسين من ثغر خراسان، فحمل معه أبا عبيد إلى سُر من رأى، وكان أبو عبيد ثقة دينًا، ورعًا كبير الشأن. قال أبو بكر بن الأنباري: كان أبو عبيد رحمه الله يقسم الليل أثلاثا فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه.

ذكر أبا عبيد أبو عمرو الداني في «طبقات القراء» فقال: «أخذ القراءة عرضًا، وسماعًا عن الكسائي، وعن شجاع، وعن إسماعيل بن جعفر، وعن حجاج بن محمد، وأبي مسهر، إلى أن قال: وهو إمام أهل دهره في جميع العلوم، ثقة، مأمون، صاحب سنة، روى عنه القراءات وراقة أحمد بن إبراهيم، وأحمد بن يوسف، وعلي بن عبد العزيز، ونصر بن داود، وثابت ابن أبي ثابت». قال البخاري: «مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة، انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي ٩/ ٤٩٠.

(١) قال مكي بن أبي طالب: قال أبو محمد: فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به؛ لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد، ولا يقطع على صحة ذلك، ولا على غيبه، وهو مخالف لخط =

« ك: ابن شنبوذ »[١].

= المصحف الذي عليه الإجماع. فخط المصحف أولى؛ لأنه يقين، والخبر غير يقين، فلا يحسن أن ينتقل من اليقين إلى غير اليقين »، انظرالإبانة عن معانى القراءات ص ٩٧

(١) أبو الحسن بن شنبوذ، هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، ومنهم من يقول: ابن الصلت بن أيوب بن شنبوذ البغدادى، شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار منهم قنبل، وإسحاق الخزاعي، والحسن بن العباس، وإدريس بن عبد الكريم، وهارون بن موسى الأخفش، وإسماعيل بن عبد الله المصرى، وبكر بن سهل الدمياطي، وقيل: لم يتل عليه، ومحمد بن شاذان، والقاسم بن أحمد، وأبي حسان العنزي، وأحمد بن نصر بن شاكر صاحب الوليد بن عتبة، وأحمد بن بشار الأنبارى صاحب الدوري، وإبراهيم الحربي، والزبير بن محمد العمري المدني صاحب قالون، ومحمد بن يحيى « الكسائي الصغير »، وموسى بن جمهور، ومحمد بن محمد الرشديني، وتهيأ له من لقاء الكبار ما لم يتهيأ لابن مجاهد، وقرأ بالمشهور، والشاذ، وسمع من إسحاق الدبري صاحب عبد الرزاق، ومن عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي، ومحمد بن الحسين الحنيني وغيرهم.

قرأ عليه خلق كثير منهم: أحمد بن نصر الشذائي، ومحمد بن أحمد الشنبوذي تلميذه، وعلىّ بن محمد بن محسن الغضائري، وأبو الحسين أحمد بن عبد الله، وعبد الله بن أحمد السامري، وغزوان بن القاسم، ومحمد بن صالح، والمعافى بن زكريا الجريري، وأبو العباس المطوعي، وابن فورك القباب، وإدريس بن علي المؤدب.

اعتمد أبو عمرو الداني والكبار على أسانيده في كتبهم، وروى عنه أبو بكر بن شاذان، وعمر بن شاهين، وأحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، وأبو طاهر بن أبي هاشم، وأبو الشيخ ابن حيّان، وكان ابن شنبوذ يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف أبيّ، ومصحف عثمان، وبما صح في الأحاديث، مع أن الاختلاف في جوازه معروف بين العلماء قديمًا وحديثًا ويتعاطى ذلك، وكان ثقة في نفسه صالحًا، دينًا، متبحرًا في هذا الشأن، لكنه كان يحط على ابن مجاهد ويقول: هذا العطشى لم تغبرّ قدماه في طلب العلم، يعنى: أنه لم يرحل من بغداد، وليس الأمر كذلك؛ فقد حج وقرأ على قنبل بمكة.

قال عنه أبو بكر الجلاء المقرئ: « كان ابن شنبوذ رجلًا صالحًا »، وقال أبو عمرو الداني: « سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الفرائضي يقول: استتيب ابن شنبوذ على هذه الآية: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قرأ ﴿فإنك أنت الغفور الرحيم﴾، قال لنا عبد الرحمن: فسمعت أبا بكر الأبهري يقول: « أنا كنت ذلك اليوم الذي نوظر فيه ابن شنبوذ حاضرًا مع جلة الفقهاء وابن مجاهد بالحضرة ».

٩- ومنهم من حاول أن يقرأ حروفًا من القرآن، تخالف إجماع الروايات والقراءات التي وردت، مستخرجًا لها وجوهًا في اللغة «ك: ابن مقسم العطار»[(١)].

= قال الداني: «حدثت عن إسماعيل بن عبد الله الأشعري، حدثنا القاسم بن زنجي الكاتب الأنباري، قال: حضرت مجلس الوزير أبي علي بن مقلة وزير الراضي، وقد أحضر ابن شنبوذ، وجرت معه مناظرة في حروف حكى عنه أنه يقرأ بها، وهي شواذ، فاعترف منها بما عمل به محضر بحضرة أبي علي ابن مقلة، وأبي بكر بن مجاهد، ومحمد بن موسى الهاشمي، وأبي أيوب محمد بن أحمد، وهما يومئذ شاهدان مقبولان. وإليك نسخة المحضر الذي كتب.

«سئل محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ عما حكى عنه أنه يقرؤه، وهو ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ فاعترف به، وعن: ﴿وتجعلون شكركم أنكم تكذبون﴾، وعن ﴿كل سفينة صالحة غصبًا﴾ فاعترف به، وعن: ﴿كالصوف المنفوش﴾ فاعترف به، وعن: ﴿فاليوم ننحيك ببدنك﴾ فاعترف به، وعن: ﴿فلما خر تبينت الأنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين﴾ فاعترف به، وعن: ﴿والذكر والأنثى﴾ فاعترف به، وعن: ﴿فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما﴾، وعن: ﴿وينهون عن المنكر ويستغيثون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون﴾، وعن: ﴿وفساد عريض﴾ فاعترف بذلك، وفيه اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضرتي، وكتب ابن مجاهد بيده يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة.

ونقل ابن الجوزي وغير واحد في حوادث سنة ثلاث هذه أن ابن شنبوذ أُحْضِرَ وأحضر عمر بن محمد بن يوسف القاضي، وابن مجاهد، وجماعة من القراء، ونوظر فأغلظ للوزير في الخطاب، وللقاضي، ولابن مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة، وأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر، فأمر الوزير بضربه سبع درر، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده، ويشتت شمله، ثم أوقف على الحروف التي يقرأ بها، فأهدر منها ما كان شنعًا، وتوبوه عن التلاوة بها غصبًا، وقيل: إنه أخرج من بغداد، فذهب إلى البصرة، توفي ابن شنبوذ في صفر سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، وفيها هلك ابن مقلة - انظر معرفة القراء الكبار ص ٢٧٦ - ٢٧٩.

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب ابن مقسم الإمام أبو بكر البغدادي، المقرئ، النحوي العطار، أخذ القراءة عرضًا عن إدريس الحداد، وداود بن سليمان، وصاحب نصر بن =

. . . .

= يوسف، وأبي قبيصة حاتم بن إسحاق الموصلي، وجماعة، سمع أبا مسلم الكجي، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن يحيى المروزي، وموسى بن إسحاق الأنصاري، وغيرهم، وأكثر من الأدب عن ثعلب وعمَّرَ دهرًا، قرأ عليه إبراهيم بن أحمد الطبري، وأبو الفرج النهراوي، والحسن بن محمد السامري ابن الفحام، والفرج بن محمد القاضي، وعلى بن أحمد الرزاز شيخ عبد السيد بن عتاب، وأبو الحسن ابن الحمامي، وحدث عنه إبراهيم بن جعفر الفارسي، وأبو الحسن بن رزقويه، وأبو على بن شاذان، وآخرون، وكان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين، وأعرفهم بالقراءات، مشهورها، وغريبها، وشاذها، قال أبو عمرو الداني: «هو مشهور بالضبط والإتقان عالم باللغة العربية حافظ للّغة، حسن التصنيف في علوم القرآن، وكان قد سلك مذهب ابن شنبوذ، فحمل عليه الناس لذلك، قال: «وسمعت عبد العزيز بن جعفر يقول: سمعت منه أمالي ثعلب، واختار حروفًا خالف فيها العامة، أي: عامة القراء، فنوظر عليها، فلم يكن عنده حجة فاستتيب، فرجع عن اختياره بعد أن وقف للضرب، وسأل ابن مجاهد أن يدرأ عنه ذلك فدرأ عنه، فكان يقول: ما لأحد عليّ منة كمنة ابن مجاهد، ثم رجع بعد موت ابن مجاهد إلى قوله، فكان يعتبر أن كل قراءة توافق خط المصحف فالقراءة بها جائزة، وإن لم يكن لها مادة.

قال أبو بكر الخطيب: «لابن مقسم كتاب جليل في التفسير ومعاني القرآن، سمّاه كتاب «الأنوار»، وله تصانيف عدّة، ومما طعن عليه أنه عَمَدَ إلى حروف من القرآن، فخالف الإجماع فيها، فقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة العربية، وشاع ذلك عنه فأنكر عليه، فارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره، واستتابه بحضرة الفقهاء والقراء، فأذعن بالتوبة، وكُتِبَ محضر توبته، وقيل: إنه لم ينزع عن تلك الحروف، وكان يقرئ بها إلى آخر وفاته».

قال أبو طاهر بن أبي هاشم في كتاب البيان: «وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا، فزعم أن كل من صح عنده وجه في اللغة العربية لحرف من حروف القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها عن قصد السبيل، وأورط نفسه في منزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسبب رأيه طريقًا إلى مغالطة أهل الحق، بتخيير القراءات من جهة، والبحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر، وكان شيخنا أبو بكر - نضر الله وجهه- سئل عن بدعته المضلة، فاستتابه منها بعد أن سئل البرهان على ما ذهب إليه، فلم يأت بطائل، ولم يكن له حجة، فاستوهب أبو بكر تأديبه =

الأمر الذي دعا علماء الأمة كإسماعيل بن إسحاق، وأبي جعفر الطبري ومن قبلهم: ابن جبير المكي أن يقوموا بتحرير القراءات في عصرهم، حفاظًا على كتاب اللَّه من أن يدخله التحريف بسبب عدم ضبط بعض الرواة للقرآن.

ولمَّا كانت الأمصار التي أرسل إليها عثمان ﵁ المصاحف هي: مكة، والكوفة، والبصرة، والشام، والمدينة؛ كان الأولى أن يتبع الناس قراءتهم، ولا ينحرفوا عنها؛ لأنها هى القراءات التي تلقتها الأئمة عن سابقيهم، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمع الخاصة والعامة من القراء على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه.

فنظر علماء الأمة المحققون إلى من اشتهر من القراء في هذه الأمصار بالثقة، والأمانة، وطول العمر، مع ملازمته للقراءة، والاتفاق على الأخذ منه.

مع ملاحظة: أنه لا بد أن توافق قراءته لخط المصحف الذي أمر به أمير

= من السلطان عند توبته، ثم عاود في وقتنا هذا إلى ما كان ابتدعه، واستغوى من أصاغر الناس من هو في الغفلة والغباوة دونه، إلى أن قال أبو هاشم: «وذلك أنه قال: إنه لمّا كان لخلف بن هشام، وأبي عبيد، وابن سعدان أن يختاروا، وكان ذلك لهم مباحًا غير منكر، كان لمن بعدهم مباحًا؛ فلو كان حذا حذوهم فيما اختاروه، وسلك طريقهم، لكان ذلك سائغًا له ولغيره، وذلك أن خلفا ترك حروفًا من حروف حمزة، اختار أن يقرأها على مذهب نافع، وأما أبو عبيد، وابن سعدان، فلم يتجاوز واحد منهما قراءة أئمة الأمصار، وإنما كان النكير على هذا شذوذه عما عليه الأئمة، الذين هم الحجة فيما جازوا به مجتمعين ومختلفين».
قال الخطيب: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الغزال، سمعت أبا أحمد الفرضي غير مرة يقول: رأيت في المنام كأني أصلي مع الناس، وكان محمد بن مقسم قد ولى ظهره القبلة، وهو يصلي مستدبرها».
ولد ابن مقسم سنة خمس وستين ومئتين، وتوفي في ثامن ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، توفي على ساعات من النهار، ودفن بعد صلاة الظهر من يومه- انظر القراءات السبع لابن مجاهد، ومعرفة القراء الكبار ص٣٠٦-٣٠٨ .

المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وأمر باتباعه، ونبذ ما سواه، وأن تكون هذه القراءة موافقة أيضًا لوجه من أوجه اللغة غير ضعيف[١].

وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة: أبي عمرو، ويعقوب، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وعاصم الجحدري، وفي مكة على قراءة: ابن كثير[٢]، وابن محيصن[٣]، وحميد بن قيس الأعرج[٤]؛

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) سوف تأتي ترجمته في الصفحات التالية، هو، وأبو جعفر المدني، ونافع بن نعيم.

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مولاهم المكي قارئ أهل مكة مع ابن كثير وحميد الأعرج، ومنهم من يسميه: عمر، مِنَ القراء، وَمَنْ سماه: عبد الرحمن بن محمد بن محيصن، حكى هذين القولين ابن مجاهد، وقال مصعب الزبيري: هو عبد الرحمن بن محيصن بن أبي وداعة، ولابن محيصن رواية شاذة في كتاب «المبهج» وغيره، وهو في الحديث ثقة، احتج به مسلم، قرأ القرآن على: سعيد بن جبير، ومجاهد، ودرباس مولى ابن عباس، وحدّث عن أبيه، وصفية بنت شيبة، ومحمد بن قيس بن مخرمة، وعطاء. قرأ عليه شبل بن عباد، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر القارئ، وحدّث عنه ابن جريج، وهشيم وابن عيينة، وعبد الله بن المؤمل المخزومي. قال ابن مجاهد: «وكان ممن تجردوا للقراءة وقام بها في عصر ابن كثير». قال ابن الجزري: «وقراءته في كتاب «المبهج والروضة، وقد قرأت بها القرآن، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة». قال ابن مجاهد: «كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه». قال ابن المديني: «قلت لسفيان: هذا يعنى عمر بن محيصن الذي كان قارئا هاهنا، قال: نعم»، وقال بعضهم: هذا الصواب، فإن محمدا أسن من عمر كذا قال: هذا، وقد سماه محمد بن عبد الرحمن شبل بن عباد، وغير واحد، وسماه: أبو عبد الله الحاكم، وأبو أحمد السامري: عبد الله بن محيصن، وسماه ابن معين، وابن عديّ: عمر، فهذه ستة أقوال في اسمه، والله أعلم. توفي ابن محيصن رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة- انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٩٨، وكذا غاية النهاية لابن الجزري ٢/ ١٦٧.

(٤) أبو صفوان المكي القارئ أخو عمر سندل، قرأ القرآن على مجاهد ثلاث مرات، وروى عن =

وبالمدينة على قراءة: نافع بن أبي نعيم، وأبي جعفر المدني، وشيبة بن نصاح[١]؛ وبالشام على قراءة: ابن عامر، وعطية بن قيس الكلابي،

= مجاهد، وعطاء، والزهري، وغيرهم. قال أبو عمرو الداني: روى عنه القراءة عرضًا أبو عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن يحيى بن أبي حية، وجنيد بن عمرو، وعبد الوارث التنوري، وسمع منه مالك، والثوري، قلت: «وحدث عنه أيضًا: معمر وابن عيينة، وغيرهم، وثقه أبو داود، وهو قليل الحديث»، قال ابن عيينة: حدثنا حميد بن قيس مولى بني فزارة، وقال جنيد بن عمرو: قرأت على حميد بن قيس الأعرج مولى آل الزبير، وقال إسماعيل بن أبي أويس: حدثنا أبي عن حميد بن قيس المكي، مولى بني أسد بن عبد العزى. وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: حميد بن قيس مولى آل الزبير، وكان قارئ أهل مكة، وكان كثير الحديث، فارضًا، حاسبًا، قرأ على مجاهد، وقال البخاري: «قال ابن معين: هو مولى منظور بن سيار الفزاري»، وقال بعضهم: مولاه من قبل الأم، قلت: هذا الجمع بين القولين: إن ولاءه لبني فزارة من قبل الأم، ولبني أسد من قبل الأب. وقال ابن عيينة: قال حميد بن قيس: كل شيء أقرؤه فهو قراءة مجاهد، وقال ابن عيينة أيضًا: كان حميد بن قيس أفرضهم وأحسبهم، وكانوا لا يجتمعون إلا على قراءته، ولم يكن بمكة أحد أقرأ منه، ومن ابن كثير، قال خليفة الخياط: توفي حميد بن قيس في سنة ثلاثين ومائة- أنظر معرفة القراء الكبار ١/ ٩٧.

(١) ابن سرجس يعقوب المدني المقرئ الإمام مولى أم سلمة رضي الله عنها، وأحد شيوخ نافع في القراءة، وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر، أدرك أم المؤمنين عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، ووهم من قال: إنه قرأ على أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهما، فإنه لم يدرك ذلك، وقد حدث القاسم بن محمد، وخالد بن مغيث، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وأبا بكر وأبي وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وغيرهم، وهو قليل الحديث، صدوق، بعيد الصيت في القراءة، قرأ عليه نافع، وإسماعيل بن جعفر، وسليمان بن مسلم بن جماز، وحدث عنه ابن جريج، وابن إسحاق، وأبو زكير يحيى بن محمد بن قيس، وأبو حمزة: أنس بن عياض، وآخرون، وقيل: كنيته أبو ميمونه، قال الدوري: «حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: قرأت على شيبة بن نصاح مولى أم سلمة، فكان إمام أهل المدينة في القراءة»، قال إسماعيل: وأخبرني سليمان بن مسلم أن شيبة أخبره أنه أتي به إلى أم سلمة صغير، فمسحت رأسه وبرّكت عليه، قلت: وكذا غلط من قال: إنّ أبا جعفر، وشيبة كانا يقرأان في مسجد رسول الله ﷺ قبل الحرة، قاله محمد بن سعدان، =

وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري، وشريح ابن يزيد الحضرمي؛ وبالكوفة على قراءة: سليمان الأعمش[1]،

= عن يعقوب بن جعفر ابن أبي كثير، بل قد نقل ذلك عن أبي جعفر وحده، وهو أسن من شيبة بكثير، ووالد زوجة شيبة، قال قالون: «كان نافع أكثر اتباعًا لشيبة منه لأبي جعفر، وقال النسائي وغيره: «شيبة ثقة»، قلت: خرج له النسائي وحده حديثًا واحدًا، وقال قتيبة الأصبهاني: «حدثنا سليمان بن مسلم رجع شيبة إلى قراءة أبي جعفر حين مات أبو جعفر»، وقال خليفة بن خياط» «توفي شيبة سنة ثلاثين ومائة».

(١) الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، أصله من أعمال الري، رأى أنسًا ﷺ يصلي، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي عمرو الشيباني، وخلق، وقرأ القرآن على يحيى بن وثاب، وورد أيضا أنه قرأ على زيد بن وهب، وزر بن حبيش، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي، ومجاهد، وعاصم بن بهدلة، وأبي الحصين، وأقرأ الناس، ونشر العلم دهرًا طويلًا، ويقال ختم عليه القرآن ثلاثة أنفس: قرأ عليه حمزة الزيات وغيره، وروى عنه الحكم بن عتيبة مع تقدمه، وشعبة، والسفيانان، وزائدة، وجرير بن عبد الحميد، وأبو معاوية، ووكيع، وعبيد الله بن موسى، وأبو نعيم، وخلق لا يحصون، وكان مولده سنة إحدى وستين، قال أبو عيينة: «كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض»، قال وكيع: بقى الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى»، وقال الخريبي: «ما خلف الأعمش أعبد منه، وكان صاحب سنة»، قال عيسى بن يونس: «لم نر نحن مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته»، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: «كان الأعمش ثقة، ثبتًا يقال: إنه ظهر له أربع آلاف حديثًا، ولم يكن له كتاب، وكان يقرئ الناس القرآن رأس فيه، وكان فصيحًا، وكان أبوه من سبي الديلم، وكان لا يلحن حرفًا، وكان فيه تشيع يسير، ولم يختم عليه إلا ثلاثة: طلحة بن مصرف، وكان أسن منه، وقد عرض عليه حمزة القرآن، قال أبو نعيم: «سمعت الأعمش يقول: كانوا يقرؤون على يحيى بن وثاب فلما مات أحدقوا بي»، قال أبو بكر بن عياش: «كان الأعمش يعرض القرآن فيمسكون عليه المصاحف فلا يخطئ في حرف، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة- انظر معرفة القراء الكبار، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٢٢٦

وحمزة، ويحيى بن وثاب[١]، وعاصم بن أبي النجود، والكسائي[٢].

وكان هؤلاء القراء قد تلقوا القراءات، والأوجه المقروء بها، واتصلت سندًا بالنبى ﷺ - على شيوخهم، والتزموا فيها مصحف عثمان ﵁، وكانت مما

---

(١) يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارئ العابد، أحد الأعلام مولى بني أسد، روى عن ابن عباس، وابن عمر ﵄، وعن مسروق، وعبيد السلماني، وزر، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، وعلقمة، والأسود، وقرأ على بعضهم.

قال أبو عمرو الداني: «أخذ القراءة عرضًا عن علقمة، والأسود، ومسروق، والشيباني، وأبي عبد الرحمن، قلت: «الثبت أنه قرأ القرآن كله على عبيد بن نضيلة صاحب علقمة كل يوم آية».

قال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال: «تعلم يحيى بن وثاب من عبيد بن نضيلة آية آية، وكان والله قارئًا، قلت: «قرأ عليه الأعمش، وطلحة بن مصرف، وأبو حصين الأسدي، وحمران بن أعين، وحدث عنه عاصم بن أبي النجود، وأبو عميس عتبة المسعودي، وأبو حصين عثمان بن عاصم وآخرون.

قال محمد بن جرير الطبري: «يحيى بن وثاب مولى بني كاهل من بني أسد بني خزيمة، كان مقرئ الكوفة في زمانه»، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: «تابعى، ثقة، مقرئ الكوفة، وكان يؤم قومه فأمر الحجاج ألّا يؤم بالكوفة إلا عربي، فقال ليحيى قومه: اعتزل، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: «يحيى بن وثاب»، قال: ماله؟ قالوا: أمرت أن لا يؤم إلا عربي فنحاه قومه، فقال: ليس عن هذا نهيت، قال: فصلى بهم يومًا، ثم قال: «اطلبوا إمامًا غيرى، إنما أردت أن لا يستذلني، فإذا صار الأمر إليّ فأنا لا أؤمكم» وقال الأعمش: «كان يحيى بن وثاب إذا قضى الصلاة مكث ما شاء الله، تعرف فيه كآبة الصلاة»، وقال عبيد الله بن موسى: «كان الأعمش يقول: يحيى بن وثاب أقرأ من بال على تراب»، وقال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش، قال: «كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة، وربما اشتهيت تقبيل رأسه لحسن قراءته، وكان إذا قرأ لم تحس في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد»، قلت: «كان يحيى بن وثاب ثقة إمامًا كبير القدر، قال الأعمش: «كنت إذا رأيته قلت: «هذا قد وقف للحساب»، قال أبو محمد بن قتيبة: توفي يحيى بن وثاب سنة ثلاث ومائة.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن.

صح ورودها عن النبي ﷺ فتجردوا للقراءة، واشتدت عنايتهم بها، وطلبهم لها، حتى صاروا أئمة يقتدى الناس بهم فيها، واختاروا[١] لأنفسهم أوجهًا مما ورد يقرءون بها، ويقرئون الناس، وكانت مما قرءوه على شيوخهم واتصلت روايتهم لها بالنبى ﷺ، ولما كان بكل مصر من هذه الأمصار قراء كثيرون، ولم يكونوا على درجة واحدة في الإتقان، قام ابن مجاهد[٢] حفاظًا على القرآن

---

(١) قد يشكل هذا الموضوع على البعض لذلك يمكننا أن نوضح هذه المسألة بشاهد من عصرنا هذا، مع ملاحظة أنه لا يجوز فعله في هذا العصر، سواء قراءة أو صلاة، ولكن نستشهد به للتوضيح فقط، وهو أننا نعلم أن جميع القراءات العشرة اتفقت الأمة على أنها قرآن يتعبد به، وأنه نزل على النبي ﷺ، ويكفر من يجحد شيئًا منها كـ: قراءة نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وعاصم الكوفي، وابن عامر الشامي، . . . إلخ، فلو أخذنا مثلا السكت ممن عنده السكت، وأخذنا النقل، والإمالة ممن اشتهرت قراءتهم بها، وأضفناها لقراءة عاصم هل يستطيع أحد أن ينكر أن هذا قرآنا؟ قلت: لا يستطيع أحد أن ينكر ذلك؛ لأن السكت في موضع السكت ورد، وكذا الإمالة في موضع الإمالة وردت أيضا . . . . . إلخ، ولو صلى قارئ بها لم تبطل صلاته، فهذا يشبه ما حدث في عصر نافع، وكذا بقية القراء، وإليك الرجوع إلى هامش ترجمة ابن مقسم العطار لترى قوله الذي يقول فيه: إنه لمّا كان لخلف بن هشام، وأبي عبيد، وابن سعدان أن يختاروا، وكان ذلك لهم مباحًا غير منكر، كان لمن بعدهم مباحًا، وقد رد العلماء على ابن مقسم هذا، فقالوا: «إن خلفا ترك حروفا من حروف حمزة اختار أن يقرأها على مذهب نافع، وأما أبو عبيد وابن سعدان فلم يتجاوز واحد منهما قراءة أئمة الأمصار، وإنما كان النكير على ابن مقسم شذوذه عما عليه الأئمة الذين هم الحجة فيما جازوا به مجتمعين ومختلفين».

قلت: إن ذلك كان مباحًا في عصر التابعين وتابعى التابعين، أما في هذا العصر فغير جائز؛ لأن القرآن قد وصل إلينا رواية كابرًا عن كابر، وليس لنا إلا نقله فقط كما تعلمناه، ولو فعله فاعل أو جمعه قارئ ينكر عليه؛ لأن هذه القراءات مما استقر عليها إجماع الأمة، ولو خالفها أى قارئ في عصرنا هذا لكان فعله منكرًا؛ لأنه خلط في الرواية ودلس على أهل الدراية.

(٢) هو: أحمد بن موسى بن العباس، ابن مجاهد، شيخ العصر- أبو بكر البغدادي العطشى- المقرئ، الأستاذ، مصنف كتاب القراءات السبعة، ولد سنة خمس وأربعين ومئتين بسوق العطش من بغداد، وسمع الحديث من سعدان بن نضر، وأحمد بن منصور الرمادي، =

من أن يحدث فيه ما حدث في عهد عثمان رضي الله عنه ، فأخذ من كل مصر من هذه الأمصار إمامًا أجمع الناس على ملازمة قراءته، فاختار نافعا[1] من مدينة رسول الله ﷺ وترك قراءة أبي جعفر، مقرئ المدينة مع أنه أستاذ نافع ومعلمه،

= ومحمد بن عبد الله المخرمي، وأبي بكر الصغاني، وعباس الدوري، وخلق، وقرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس، وقنبل المكي، وسمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين في صدر كتابه، وتصدر للإقراء، وازدحم عليه أهل الأداء ورحل إليه من الأقطار، وبعد صيته، قرأ عليه أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وصالح بن إدريس، وأبو عيسى بكار بن أحمد، وأبو بكر الشذائي، وأبو الفرج الشنبوذي، وأبو الحسين عبيد الله بن البواب، وعبد الله بن الحسين السامري، وأحمد بن محمد العجلي، وأبو على بن حبش الدينوري، وأبو الفتح بن بدهن، وعلى بن الحسين الغضائري، وطلحة بن محمد بن جعفر، ومنصور بن محمد بن منصور القزاز، وأبو على الحسين بن عثمان المجاهدي، وحدث عنه أبو حفص عمر بن شاهين، وعمر بن إبراهيم الكتاني، وأبو بكر بن شاذان، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وكان ثقة حجة.

قال أبو عمرو الداني: «فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه، تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائي الصغير»، وقال فارس بن أحمد: «انفرد ابن مجاهد عن قنبل بعشر أحرف لم يتابع عليها»، وقال لى ابن عمر المقرئ: «كان ابن مجاهد له حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس».

قال عبد الباقي بن الحسن: «كان في حلقة ابن مجاهد خمسة عشر رجلًا أضراء، يتلقنون لعاصم»، قلت: «آخر من روى السبعة لابن مجاهد: أبو اليمن الكندى، تفرد بعلو رواية الكتاب عن ابن توبة، عن الصريفينى، عن أبي حفص الكتاني عنه، قرأت الكتاب كله على عمر بن عبد المنعم الطائي، عن الكندي إجازة، توفي ابن مجاهد في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مائة.

(١) نسبة القراءة إلى شخص ما ليس معناها أنه لا يعرف غيرها، ولا أنَّ هذه القراءة لم ترو عن غيره، بل المراد من إسناد القراءة إليه أنه كان أضبط الناس لها، وأكثرهم قراءة وإقراء بها، وهذا لا يمنع أنه كان يقرأ ويقرئ بغيرها، والله أعلم.

ولكنه تركه لعدم اشتهار قراءته كاشتهار قراءة تلميذه نافع[١]، فكأنما اكتفى بالتلميذ عن الأستاذ، واكتفى بأبي عمرو ابن العلاء، وترك تلميذه يعقوب الحضرمي لشهرة قراءة أبي عمرو على قراءته، واكتفى بحمزة الزيات وترك شيخه الأعمش، وترك خلف بن هشام أحد القراء العشرة نظرًا؛ لأن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين، وكذلك واختارعاصم بن أبي النجود، والكسائى، ومن الشام اختار قراءة ابن عامر، وترك ما سواه لشهرة قراءته بالشام، ومن مكة اختار قراءة ابن كثير المكي لإجماع أهل مكة على قراءته، وترك قراءة ابن مُحَيْصَن تتمة القراء الأربعة عشر؛ ولأنَّ ابن محيصن كان له اختيار خالف فيه أصحابه ولم يتبعهم فيه[٢]، وهكذا[٣].

---

(١) إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراء ورواتهم إنما تعنى أن هذا القارئ اختار القراءة بهذا الوجه حسبما قرأ به، فآثره على غيره، والتزمه حتى اشتهر وعرف به، وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، انظر كتابين في القراءات العشر للشيخ الضباع- تحقيق إبراهيم عطوه.

(٢) القراءات السبع لابن مجاهد.

(٣) السبب الداعي إلى أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهم، أنه لمَّا كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجهها «عثمان» ﷺ إلى الأمصار: «الشام، والبصرة، والكوفة، ومكة، وحبس بالمدينة واحدًا، وأمسك لنفسه واحدًا، الذي يقال له «الإمام»، فصار أهل البدع والأهواء يقرأون بما لا يحل تلاوته، وفاقا لبدعتهم، أجمع علماء المسلمين على قراءات الأئمة الثقات الذين تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم، أفنوا أعمارهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءاتهم عن خط مصحفهم، ثم إن القراء الموصوفين بما ذكر بعد ذلك تفرقوا في البلاد، وخلفهم أمم بعد أمم، فكثر الاختلاف، وعسر الضبط، فوضع الأئمة لذلك ميزانًا يرجع إليه وهو السند، والرسم، والعربية - انظر اتحاف فضلاء البشر ١/ ٧٠

ولكى يتبين لنا كيف تكونت القراءات التي بين أيدينا الآن، وكيف نسبت هذه القراءات إلى هؤلاء الأئمة الأعلام.

قلت: ورد أنَّ نافعًا قرأ على أكثر من سبعين من التابعين؛ منهم: عبد الرحمن بن هرمز[1]، وشيبة بن نصاح، وأبو جعفر اليزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عياش، ومسلم بن جندب[2]، ....

---

(١) داود المدني مولى محمد بن ربيعة، أخذ القراءة عَرْضًا عن أبي هريرة، وابن عباس ﷺ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأكثر من السنن عن أبي هريرة، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم وغيره، وقال إبراهيم بن سعد: «كان الأعرج يكتب المصاحف»، وقال مصعب الزبيري: «هو مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقال الأصمعي حدثنا، نافع حدثنا الأعرج أنه قرأ: ﴿لتخذت عليه أجرا﴾ الكهف: ٧٧، قال: «لا تأخذها عنه فإنه لم يكن عالمًا بالعربية»، وروى مالك عن داود بن الحصين: أنه سمع عبد الرحمن الأعرج يقول: «ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان، وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات، فإذا قام بهم في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف»، وقد روى الأعرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن بحينه ﷺ، وجماعة، حدث عنه أبو الزناد، وابن شهاب، وصالح بن كيسان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الله بن لهيعة، وطائفة سواهم - وروى ابن لهيعة عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش، قلت: كان الأعرج أحد من برز في القرآن والسنة، وقالوا: هو أول من وضع العربية في المدينة، أخذ عن أبي الأسود، وله خبرة بأنساب قريش، وافر العلم مع الثقة والأمانة، اتفق أنه خرج إلى الإسكندرية، فأدركه أجله بها في سنة سبع عشرة ومئة.

(٢) أبو عبد الله المدني القارئ القاص مولى هذيل، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش المخزومي، مقرئ المدينة، وحدث عن أبي هريرة، وحكيم بن حزام، وابن عمر، وابن الزبير، وأسلم مولى عمر وغيرهم، قرأ عليه نافع الإمام، وتأدب عليه عمر بن عبد العزيز، وحدث عنه ابنه عبد الله بن مسلم، وزيد بن أسلم، ومحمد بن عمرو بن خلحة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن أبي ذئب، وآخرون، وكان من فصحاء أهل زمانه، وكان يقص بالمدينة، وروى معمر عن يحيى بن أبي كثير، عن مسلم بن جندب، عن ابن عمر ﷺ =

ويزيد بن رومان المدني[(١)]، وكانوا قد قرأوا على كل من ابن عباس[(٢)]،

= قال: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهمان»، قال محمد بن الضحاك الحزامي، عن مالك بن أنس، قال: جاء رجل إلى سعيد بن المسيب فقال: يا أبا محمد أي الأيام خير؟ قال: سل عن ذلك القاص مسلم بن جندب، فذهب فسأله فقال: يوم النحر، ثم رجع إلى سعيد فأخبره فقال سعيد: أعرابي يعظم الدماء، أعظم هذه الأيام يوم الجمعة، قال ابن وهب: حدثني نافع قال: سألت مسلم بن جندب عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] قال: إلى غاية، فسألته عن ﴿ردءا يصدقني﴾ [القصص: ٣٤] قال: الردء: الزيادة، وقال الحلواني عن قالون قال: «كان أهل المدينة لا يهمزون حتى همز ابن جندب، فهمزوا: ﴿مستهزئين﴾، و﴿يستهزئ بهم﴾، وقال عباس بن الفضل عن جعفر بن الزبير قال: «كان مسلم بن جندب يقرأ علينا غدوة ثلاثين آية، قلت وما علمت في مسلم جرحة، وقد روى له الترمذي، ومات في خلافة هشام عبد الملك بعد سنة عشر ومئة تقريبا».

(١) أبو روح القارئ مولى آل الزبير بن العوام، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وسمع من عروة بن الزبير، وصالح بن خوات، وقيل أنه روى عن أبي هريرة، وقرأ على ابن عباس، وليس بشيء، وهو ثقة ثبت حديثه في الكتب الستة، وهو أحد شيوخ نافع في القراءة، وَثَّقَهُ ابن معين وغيره، وكان فقيهًا، قارئًا، محدثا، قال ابن سعد: «كان عالمًا، ثقة، كثير الحديث»، قلت: «حدث عنه أبو حازم الأعرج، وعبيد الله بن عمر، ومحمد بن إسحاق، وجرير بن حازم، ومالك بن أنس، وجماعة».

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي قال: رأيت محمد بن سيرين، ويزيد بن رومان يعقدان الآي في الصلاة، وروى مطرف، عن مالك، عن يزيد بن رومان، أنه قال: «كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب ﷺ بثلاث وعشرين ركعة في رمضان، توفي سنة عشرين ومئة، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، ولم يذكر أبو عمرو الداني: إلا هذا القول».

(٢) حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام المفسرين، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير ﷺ مولده بِشِعْبِ بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبيﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق، قرأ عليه مجاهد، =

وأبي هريرة، وزيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب؛ وكثير من الصحابة، ممن اشتهروا بإقراء القرآن، ومن مجموع ما قرأ نافع على شيوخه اختار وجها يقرأ به[١].

قال نافع: «نظرت إلى ما اجتمع فيه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد فتركته حتى ألفت هذه القراءة من هذه الحروف»[٢].

= وسعيد بن جبير وطائفة، وله جماعة أولاد أكبرهم العباس، وبه يكنى، وعلي أبو الخلفاء وهو أصغرهم، وكان وسيمًا جميلًا، مديد القامة، مهيبًا، كامل العقل، ذكي النفس، انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء، عن سعيد بن سالم، حدثنا ابن جريج قال: كنا جلوسًا مع عطاء في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس؛ فقال عطاء: «ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس»، وعن طاووس قال: «ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لحرمات الله من ابن عباس»، وعن جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هلم نسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير فقال: «واعجبًا لك يا ابن عباس: أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من ترى؟!، فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ألا أرسلت إلي فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك. قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع علي الناس، فقال: هذا الفتى أعقل مني»، قال المديني: «توفي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين».

(١) انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي، وقلت: لم يكن المقصود من ذلك أن نافعًا قرأ آية مثلا على قراءة أبي جعفر، وآية أخرى على قراءة شيبة إلخ، ولكن من مجموع ما قرأ نافع اختار قراءة يقرأ بها؛ لأنه من الصعب أن يقرأ تعبدًا بكل ما قرأ في الآية الواحدة مثلًا، ولكنه اختار ما اتفق عليه اثنان من شيوخه، استوثاقًا لقراءته التي اختارها ليقرأ بها.

(٢) يقصد بالحرف: الأوجه في القراءة، ولم يقصد بذلك: الحرف من الأحرف السبعة، وقد وضح ابن جرير الطبري معنى الحرف وأوجهه، فقال: تقول العرب لقراءة رجل: حرف فلان، وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة: حرفا، كما تقول لقصيدة من قصائد =

قال ابن مجاهد: « وكان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله ﷺ نافع قارئ المدينة؛ قال: وكان عالما بوجوه القراءات، متتبعًا لآثار الأئمة الماضين ببلده ».

أما أبو عمرو بن العلاء فقد اشتهرت قراءته بالبصرة، وكان قد قرأ على أهل الحجاز، وغيرهم، واختار كذلك لنفسه وجها من مجموع ما قرأ به على شيوخه المتصل سندهم بالنبي ﷺ فأقرأ به.

قال ابن مجاهد: « وكان مع علمه وفقهه في اللغة العربية متمسكًا بالآثار، لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله »(١).

وكذلك نقول: في قراءة كل من عاصم، وحمزة، وابن عامر، وأبي جعفر المدني، ويعقوب . . . . . . إلخ.

قال مكي: « العلة التي من أجلها كَثُرَ الاختلاف عن أئمة القراءات أن كل واحد منهم قرأ على جماعة بقراءات مختلفة، فنقل ذلك على ما قرأ، فكانوا في برهة من أعمارهم يقرئون الناس بما قرأوا. فمن قرأ عليهم بأي حرفٍ كان، لم يردوه عنه؛ إذا كان ذلك مما قرأوا به على أئمتهم؛ ألا ترى أن نافعًا قال: قرأت على سبعين من التابعين، فما اتفق عليه اثنان أخذته، وما شذ فيه واحد

= الشاعر: كلمة فلان، فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة عنه، ومن قرأ بحرف أبيّ، أو بحرف زيد، أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله ﷺ ببعض الأحرف السبعة - انظر تفسير الطبري ١/ ٤٧، ويلاحظ من قول نافع أنه أخذ القراءة عن سبعين من التابعين كما هو مبين، وتحريرًا منه وضبطًا لأوجه القراءات أخذ على نفسه ألا يروي إلا ما كان متصلًا بالنبى ﷺ، مجمعًا عليه؛ الأمر الذي جعله أن يأخذ ما اتفق عليه اثنان من شيوخه، ويترك ما سواه، والمتروك ليس لضعف فيه، بل روى عن غيره كما في رواية شيخه أبي جعفر، فقد عدها العلماء من القراءات العشر المتواترة، - راجع النشر في القراءات العشر لابن الجزرى.

(١) انظر القراءات السبع لابن مجاهد.

تركته، قال مكي: «يريد - والله أعلم - مما خالف رسم المصحف، فكان من يقرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمته لم ينكر عليه ذلك»[١].

وقد روى عنه أنه كان يُقرِئُ الناس بكل ما قرأ به، حتى يقال له: نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت، وهذا قالون ربيبه وأخص الناس به، وورش أشهر الناس في المتحملين إليه؛ اختلفا في أكثر من ثلاثة آلاف حرف؛ من قطع، وهمز، وتخفيف، وإدغام، وشبهه، ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية ورش عنه، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش، وإنما ذلك لأنَّ ورشًا قرأ عليه بما تعلم في بلده، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمته، فتركه على ذلك، وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره، وكذلك الجواب عن اختلاف الرواة عن جميع القراء، وقد روى عن غير نافع أنه كان لا يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته، فإن قيل له: أقرئنا بما اخترته من روايتك، أقرأ بذلك[٢].

وبعد أن ذكر ابن مجاهد[٣] السبعة قال: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز[٤]، والعراق، والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على

---

(١) انظر الإبانة عن معانى القراءات لمكى بن أبي طالب.

(٢) انظر كتاب الإبانة عن معانى القراءات ص٦١-٦٢ .

(٣) قال الدكتور شوقى ضيف محقق كتاب السبعة لابن مجاهد: «من طريف ما يروى عن ابن مجاهد مسبع السبعة: أن بعض تلامذته ممن بهرتهم سعة روايته للقراءات، وعمله بوجوهها، وضبط حروفها، قال له لِمَ لَمْ تختر لنفسك قراءة تُحمَلُ عنك؟ فقال: «نحن إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا»

(٤) قال الشيخ إبراهيم عطوة رحمه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «إرشاد المريد» بعد أن ذكر ابن مجاهد واقتصاره على الأمصار الخمسة قال: «فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والشام، إذ هذه الأمصار الخمسة التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه، وسائر العلوم الدينية».

قراءتهم العوام[١] من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت، وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفًا شاذًا، فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذى لُبِّ أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزًا في العربية، أو مما قرأ به السلف بوجه يراه جائزًا في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه[٢].

ثم مرت العصور وتتابعت الأزمان، وجاء الشاطبى وألف متنه في القراءات السبع، ثم تبعه كثير من أهل العلم، إلى أن جاء عصر ابن الجزري، الذي تتبع القراءات وَبَيَّنَ الصحيح منها من الشاذ، والمشهور منها من غير المشهور، بعد أن رأى همم الناس قد قصرت، ومعالم هذا العلم الشريف قد اندثرت، وخلت من أئمته الآفاق، أو من موفق يوقف على صحيح الاختلاف والاتفاق، وترك لذلك أكثر القراءات المشهورة، ونسى غالب الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس ألا يثبتوا قرآنًا إلا ما كان في الشاطبية والتيسير، ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النذر اليسير، فعمد رحمه الله إلى إثبات ما وصل إليه من القراءات، ووثق ما صح لديه من رواياتهم، واقتصر عن كل إمام براويين، وعن كل راو بطريقين، وعن كل طريق بطريقين: مغربية، ومشرقية، مصرية، وعراقية، ودوّن ذلك في كتابه النشر في القراءات العشر ثم نظمه في متن سماه «الطيبة في القراءات العشر»، ليسهل حفظه[٣].

---

(١) يقصد بالعوام: عوام القراء في هذا المصر، وليس عوام الناس.

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٨٧.

(٣) النشر في القراءات العشر.

ولا بد من ملاحظة مهمة، وهي: أن القراءات القرآنية كانت كثيرة، أكثر من العشر التي بَيَّنَهَا ابن الجزري، بل أكثر من الأربعة عشر، ولكن الذي وصل إلينا منها هي العشرة الصحيحة، والأربعة الشواذ، بما فيها قراءة ابن محيصن[١].

قال مكي بن أبي طالب[٢]: «هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت رواياتها عن الأئمة، جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، قال: ومن

---

(١) قال ابن الجزري عند ترجمته لابن محيصن: «لولا ما في قراءته من مخالفة المصحف العثماني لألحقته بالقراءات المشهورة»، وبذلك نجد أن كلًا من ابن مجاهد ومن بعده ابن الجزري وضعوا لنا ضوابط لقبول القراءة أو ردِّها وهي: موافقة لخط المصحف، وصحة سندها، وموافقتها لوجه من اللغة العربية غير ضعيف.

(٢) مكي بن أبي طالب، العلامة المقرئ، أبو محمد القيسي المغربي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي، ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة بالقيروان، وحج، وسمع بمكة من أحمد بن فراس، وأبي القاسم عبيد الله السقطي، وبالقيروان من أبي محمد بن أبي زيد، والقابسي، قرأ القراءات على أبي الطيب بن غلبون، وابنه طاهر، وأبي عدي عبد العزيز، وسمع من محمد بن علي الأذفوي.
قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ: «كان رحمه الله من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنًا مجودًا، عالمًا بمعانى القراءات، أخبرنى أنه سافر إلى مصر، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد على المؤدبين بالحساب، وأكمل القرآن، ورجع إلى القيروان، ثم رحل فقرأ القراءات على ابن غلبون سنة ست وسبعين، وقرأ بالقيروان أيضًا بعد ذلك، ثم رحل سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، وحج ثم حج سنة سبع وثمانين، وجاور ثلاثة أعوام، ودخل الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه وجل قدره - توفي في ثانى المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مائة، قرأ عليه جماعة كثيرون وله تآليف مشهورة، وممن قرأ عليه محمد بن أحمد بن مطرف الكناني القرطبي، انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٤٠٤ هـ مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى - تحقيق بشار عواد معروف - شعيب الأرناؤوط - صالح مهدي عباس.

ظن أن قراءة هؤلاء القراء كقراءة: نافع، وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطًا عظيمًا »، ثم قال: « ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف ألا يكون قرآنًا، وهذا غلط عظيم، فإن الأئمة المتقدمين، كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل بن إسحاق، قد ذكروا أضعاف هؤلاء.

ذكر الطبري من هؤلاء القراء اثنين وعشرين رجلًا، ثم إن الرواة عن هؤلاء الأئمة كانوا كثيرين، فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر منهم بالثقة، والأمانة، وطول العمر، مع ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ منه، فأفردوا من كل مصر إمامًا واحدًا.

وقد صنف ابن جبير المكي - وكان قبل ابن مجاهد مسبع السبعة - كتابًا في القراءات، فاقتصر على خمسة نظرًا لعدد المصاحف التي أرسلها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ إلى الأمصار الإسلامية، وكان عددها خمسة.

هذا هو تاريخ القراءات الذي أشكل على كثير من طلبة العلم المبتدئين، وقد تبين لنا مما سبق أن القراء الذين نسبت إليهم هذه القراءات لم يخالفوا من سبقهم من التابعين، أو من الصحابة في روايتهم للقرآن الكريم، بل إن هذه القراءات التي وردت إلينا نجزم أنها كلام اللّه تعالى، ولم تخالف ما كان في عهده ﷺ وهى من العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام .

وإنما نسبت كل قراءة إلى من كان أضبط لحروفها، واشتهر بالإقراء بها، وتلقتها الأمة عنه بالقبول، وكانت متصلة السند بالنبى ﷺ، وإليك بيان القراءات العشر التي وردت إلينا، سواء من الشاطبية، أو من طيبة النشر، مع بيان لتراجم القراء ورواتهم.

قال الشاطبي[(١)]:

(١) القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الإمام أبو محمد وأبو القاسم الرعيني الشاطبي المقرئ الضرير، أحد الأعلام، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة، وقرأ ببلده القراءات، وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص، ثم ارتحل إلى بلنسية، وهى قريبة من شاطبة، فعرض بها القراءات والتيسير من حفظه على أبي الحسن بن هذيل، وسمع الحديث منه، ومن أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد بن عاشر، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم، وعليم بن عبد العزيز، وأبي عبد الله بن حميد، وارتحل ليحج، فسمع من أبي طاهر السلفى وغيره، واستوطن مصر، واشتهر اسمه، وبعد صيته، وقصده الطلبة من النواحي، وكان إمامًا علامة ذكيًا كثير الفنون، منقطع القرين، رأسًا في القراءات حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، واسع العلم، وقد سارت الركبان بقصيدتيه «حرز الأماني»، و «عقيلة أتراب القصائد» اللتين في القراءت والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذاق القراء، فلقد أبدع، وأوجز، وسهل الصعب.
روى عنه أبو الحسن بن خيرة، ووصفه من قوة الحفظ بأمر معجب، وقرأ عليه بالروايات عدد كثير، منهم: أبو موسى عيسى بن يوسف المقدسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعد الشافعي، شيخنا أبو عبد الله الفاسي، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي، والزين أبو عبد الله الكردي، وأبو الحسن على بن محمد السخاوي، والكمال علي بن شجاع الضرير، وغيره، وحدَّث عنه محمد بن يحيى الجنجالي، وبهاء الدين ابن الجميزي، وآخر من روى عنه الشاطبية أبو محمد عبد الله بن عبد الوارث الأنصاري، ويعرف بابن فار اللبن، وهو آخر أصحابه موتًا.
قال أبو عبد الله الأبار في تاريخه: «تصدر للإقراء بمصر، فعظم شأنه، وبعد صيته، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء، ثم قال: وقفت على نسخة من إجازته حدث فيها بالقراءات عن أبي عبد الله بن اللاية، عن أبي عبد الله بن سعيد، ولم يحدث فيها عن ابن هذيل، قال: «وتوفى بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمس مائة».
قلت: وكان موصوفًا أيضا بالزهد، والعبادة، والانقطاع، وقد تصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية، عاش الشاطبى رحمه الله اثنين وخمسين سنة، وخلف أولادًا، منهم: زوجة الكمال الضرير، وأبو عبد الله محمد بن القاسم، انظر معرفة القراء الكبار - الطبقة الرابعة عشر ص٥٣١ .

جزى الله بالخيرات عنا أئمة ... لنا نقلوا القران عذبًا وسلسلا

فمنهم بدور سبعة قد توسطت ... سماء العلي والعدل زهرا وكملا

لها شهب عنها استنارت فنورت ... سواد الدجى حتى تفرق وانجلا

وسوف تراهم واحدا بعد واحد ... مع اثنين من أصحابه متمثلا

تخيرهم نقادهم كل بارع ... وليس على قرآنه متأكلا

فأما الكريم السر في الطيب نافع ... فذاك الذي اختار المدينة منزلا

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم ... بصحبته المجد الرفيع تأصلا

ومكة عبد الله فيها مقامه ... هو ابن كثير كاثر القوم معتلا

روى أحمد البزى له ومحمد ... على سند وهو الملقب قنبلا

وأما الإمام المازنى صريحهم ... أبو عمرو البصرى فوالده العلا

أفاض على يحيى اليزيدى سيبه ... فأصبح بالعذب الفرات معللا

أبو عمر الدوري وصالحهم أبو ... شعيب هو السوسى عنه تقبلا

وأما دمشق الشام دار ابن عامر ... فتلك بعبد الله طابت محللا

هشام وعبد الله وهو انتسابه ... لذكوان بالإسناد عنه تنقلا

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة ... أذاعوا فقد ضاعت شذا وقرنفلا

فأما أبو بكر وعاصم اسمه ... فشعبة راويه المبرز أفضلا

وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا ... وحفص وبالإتقان كان مفضلا

وحمزة ما أزكاه من متورع ... إماما صبورا للقران مرتلا

روى خلف عنه وخلاد الذى ... رواه سليم متقنا ومحصلا

وأما على فالكسائى نعته ... لما كان في الإحرام فيه تسربلا

روى ليثهم عنه أبو حارث الرضا ... وحفص هو الدورى وفى الذكر قد خلا

أبو عمرهم واليحصبى ابن عامر ... صريح وباقيهم أحاط به الولا

لهم طرق يهدى بها كل طارق ... ولا طارق يخشى بها متمحلا

هؤلاء القراء السبعة ورواتهم، كما ورد في متن الشاطبية، وعدد هؤلاء القراء من الشاطبية سبعة، ورواتهم أربعة عشر راويًا.

وقد أتممت العشرة قراء بثلاثة من طيبة النشر لابن الجزري[(١)]، وذكرت

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، يكنى أبو الخير، ولد فيما حققه من لفظ والده في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة احدى وخمسين وسبعمائة، داخل خط القصاعين بين السورين بدمشق، وحفظ القرآن سنة أربع وستين، وصلى به سنة خمس وستين، وأجازه خال جده محمد بن إسماعيل الخباز، وسمع منه فيما أخبره والده، ولم يقف على ذلك، وسمع الحديث من جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري، وغيرهم، وأفرد القراءات على الشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السلار، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن الطحان، والشيخ أحمد بن رجب في سنة ست وسبع وستين، وجمع للسبعة على الشيخ المجود إبراهيم الحموي، ثم جمع القراءات بمضمن كتب على الشيخ أبي المعالي بن اللبان في سنة ثمان وستين، وحج في هذه السنة، فقرأ بمضمن الكافي، والتيسير على الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الخطيب والإمام بالمدينة الشريفة، ثم رحل إلى الديار المصرية في سنة تسع وستين، فجمع القراءات للأثني عشر بمضمن كتب على الشيخ أبي بكر عبد الله بن الجندي، وللسبعة بمضمن «العنوان»، والتيسير والشاطبية على العلامة أبي عبد الله محمد بن الصائغ، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن البغدادي، فتوفى ابن الجندي وهو قد وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] فاستجازه، وأشهد عليه، ثم توفى، فأكمل على الشيخين المذكورين، ثم رجع إلى دمشق، ورحل رحلة ثانية، فجمع ثانيًا على ابن الصائغ للعشرة بمضمن الكتب الثلاثة المذكورة، وبمضمن «المستنير»، و«التذكرة»، و«الإرشادين»، و«التجريد»، وعلى ابن البغدادي للأئمة الثلاثة عشر، وهم العشرة المشهورة وابن محيصن، والأعمش، والحسن البصري بمضمن الكتب الذي تلا بها المذكور على شيخه الصائغ وغيره، وجلس للإقراء تحت النسر من الجامع الأموى سنين، وولى مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم الصالح بعد وفاة أبي محمد عبد الوهاب بن السلار، وقرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، فممن كمل عليه القراءات العشر بالشام ومصر: ابنه أبو بكر أحمد والشيخ محمود بن الحسين بن سليمان الشيرازى، والشيخ =

رواتهم أيضا، فيكون عدد القراء من الطيبة ثلاثة قراء، ورواتهم ستة رواة، أما طرق الشاطبية فتختلف عن طرق طيبة النشر، فمن الشاطبية نجد لكل راو طريقًا واحدًا فقط، أما من طيبة النشر فلكل راو أكثر من طريق، لذلك أطلق على الشاطبية: طريق العامة، فتكون عدد الطرق من الشاطبية أربعة عشر طريقًا لأربعة عشر راويًا.

قال ابن الجزرى:

ثم أبو جعفر الحبر الرضى فعنه عيسى وابن جماز مضى
تاسعهم يعقوب وهو الحضرمى له رويس ثم روح ينتمى
والعشر البزار وهو خلف إسحاق مع إدريس عنه يعرف

هؤلاء أئمة القراء العشرة المذكورين، والتى رويت قراءاتهم، ووصلت إلينا في عصرنا الحالى عن طريق أئمة القراء المتصل سندهم بالنبي ﷺ، وإليك بيان بتراجم القراء، ورواتهم، وطرق كل قارئ منهم، وهم:

= أبو بكر بن مصبح الحموى، والشيخ نجيب الدين عبد الله بن قطب بن الحسن البيهقى، والشيخ أحمد بن محمود بن أحمد الحجازى الضرير، وخلق كثير، وفى إقامته بالمدينة قرأ عليه شيخ الحرم الطواشى، وألف في القراءات كتاب «نشر القراءات العشر» في مجلدين، ومختصره «التقريب»، و«تحبير التيسير» في القراءات العشر، و«تاريخ القراء وطبقاتهم» مختصرًا من أصله، وألف غير ذلك في التفسير، والحديث، والفقه، والعربية، ونظم كثيرًا في العلوم، ونظم غاية المهرة في الزيادة على العشرة، ونظم طيبة النشر، وألف غير ذلك في فنون شتى، وتوفى ضحوة الجمعة لخمس خلون من أول الربيعين سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها، وكانت جنازته مشهورة، تبادر الأشراف، والخواص، والعوام على حملها.

١- الإمام نافع[(١)]:

قارئ المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام وأزكى التحية؛ راوياه: قالون[(٢)]، وورش[(٣)]، فأما الطرق فرواية قالون: من طريقي أبي نشيط، والحلواني؛ وأما رواية ورش: فمن طريقي الأزرق، والأصبهاني.

---

(١) هو: الإمام نافع ابن أبي نعيم، حبر القرآن، أبو رويم، ويقال: أبو نعيم - مولى جعونة بن شعوب الليثي - حليف حمزة عم رسول الله ﷺ، أصله أصبهاني؛ ولد في خلافة عبد الملك بن مروان، سنة بضع وسبعين، وجوّد القرآن على عدّة من التابعين؛ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦: «قد اشتهرت تلاوته على خمسة هم: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج صاحب أبي هريرة، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان وحمل هؤلاء عن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وصح أن الخمسة تلوا على مقرئ المدينة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، صاحب أبيّ». قال الهذلي في «كامله»: كان نافع معمرًا، أخذ القرآن على الناس في سنة خمس وتسعين.

قال مالك رحمه الله: «نافع إمام الناس في القراءة، قال سعيد بن منصور: «سمعت مالكًا يقول: قراءة نافع سنّة، وروى: أن نافعًا كان إذا تكلم توجد من فيه ريح مسك، فسئل عن ذلك قال: رأيت النبي ﷺ في النوم تفل في فيّ»، تلا عليه: إسماعيل بن جعفر، وإسحاق بن محمد المسيبي، وعثمان بن سعيد «ورش»، وعيسى قالون، ومالك الإمام، والليث بن سعد، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، وأشهر الرواة عنه: قالون، وورش، وكان نافع أسود اللون، طيب الخلق، يباسط أصحابه، توفي سنة تسع وستين ومائة، قبل مالك بعشر سنوات.

(٢) هو: الإمام المجوّد النحوي مقرئ المدينة أبو موسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد، مولى بني زريق، يقال: كان ربيب نافع، فلقبه بقالون لجودة قراءته، روى عن شيخه، وعن محمد بن جعفر بن أبي كثير، وابن أبي الزناد، وروى عنه: أبو زرعة، وإسماعيل القاضي، وأحمد بن صالح، وتلا عليه القرآن: ابنه أحمد، والحلواني، وأبو نشيط، وعدّة، ورد أنه كان شديد الصمم، فكان ينظر إلى شفتي القارئ ويرد؛ توفي سنة عشرين ومائتين.

(٣) هو: أبو سعيد، وأبو عمر؛ عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو، وقيل اسم جده عدى بن غزوان القبطي، الأفريقي مولى آل الزبير؛ قيل في مولده ولد سنة عشر ومائة؛ جوّد ختمات =

٢- الإمام ابن كثير[١]:

هو ابن كثير القارئ قارئ مكة المشرفة، وليس المحدث، راوياه البزى[٢]،

= على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، والورش «لبن يصنع» وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خفف، فكان لا يكرهه، ويقول نافع: أستاذى سمّاني به، وكان أشقر أزرق، ربعة سمينًا، قصير الثياب، ماهرًا بالعربية، قرأ على نافع أربع ختمات في شهر واحد، انتهت إليه رئاسة الإقراء؛ قرأ عليه القرآن: أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، ويوسف الأزرق، وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم، ويونس بن عبد الأعلى، وعدد كثير؛ وكان ثقة في الحروف حجة، أما في الحديث فقد قال الذهبي فما رأينا له شيئًا. وكان جيد القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهمز، ويمد، ويشدد، ويبين الإعراب، لا يمله سامعه؛ مات في مصر سنة سبع وتسعين ومائة».

(١) هو: ابن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان، بن هرمز الإمام العلم، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، أبو معبد الكناني الدّاري المكي مولى عمرو بن علقمة الكناني؛ وقيل: يكنى أبو عباد، وقيل أبو بكر، فارسي الأصل، قال الذهبي: «وكان داريًا، وهو العطار»، وقال ابن أبي داود: «هو من قوم تميم الداري، والدار: بطن من لخم، أبوهم الدار ابن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم من أدد بن سبأ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين.
قيل: إنه قرأ القرآن على عبد الله بن السائب المخزومي، قال الذهبي: «وذلك محتمل، والمشهور تلاوته على مجاهد، ودرباس مولى بن عباس»، وقرأ ابن السائب على أبي بن كعب، وعمر بن الخطاب، وقرأ مجاهد على ابن السائب، وعبد الله بن عباس، وقرأ درباس على عبد الله بن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب، وزيد بن ثابت.
قرأ عليه القرآن: أبو عمرو بن العلاء، ومعروف بن مشكان، وإسماعيل بن قسطنطين، وأشهر من روى عنه البزي وقنبل، وقد حدث عن ابن الزبير، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم وهو قليل الحديث؛ وثقه على ابن المديني وغيره، وكان رجلًا مهيبًا طويلًا، أبيض اللحية، جسيمًا أسمر، أشهل العينين، تعلوه سكينة ووقار، وكان فصيحًا، مفوهًا، واعظًا، كبير الشأن؛ قال ابن عيينة: لم يكن بمكة أحد أقرأ من حميد بن قيس، وعبد الله بن كثير؛ توفي سنة عشرين ومائة. راجع سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام للذهبي، والنشر في القراءات العشر، وطبقات القراء.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن المخزومي، =

وقنبل[١]، فأما رواية البزي: فمن طريقي أبي ربيعة، وابن الحباب، ورواية قنبل: من طريقي ابن مجاهد، وابن شنبوذ.

٣- أبو عمرو[٢]:

= المكي، المقرئ، مؤذن المسجد الحرام أربعين سنة، فارسي الأصل من أهل همذان، قال البخاري: اسم أبي بزّة « بشار، مولى عبد الله بن السائب، أسلم على يد السائب بن صيفي »، قال الذهبي: ولد سنة سبعين ومائة، وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير، كان إمامًا في القراءة، محققًا، ضابطًا ».
قرأ على عكرمة بن سليمان مولى بني شيبة، وأبي الإخريط، وعبد الله بن زياد مولى عبيد بن عمير الليثى عن أحدهم، عن إسماعيل القسط، وغيره، عن ابن كثير إمام أهل مكة نفسه، قرأ عليه القرآن بعد أن أتقن القرآن على صاحبيه شبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، قرأ عليه: أبو ربيعة محمد ابن إسحاق الربعي، وإسحاق بن أحمد الخزاعى، وأحمد بن فرج، والحسن بن الحباب، وغيرهم؛ وكان شيخ الحرم وقارئه في زمانه، مع الدين والورع والعبادة، وقد تفرد بحديث مسلسل في التكبير من « والضحى »، رواه عنه الحسن بن مخلد، ومحمد بن يوسف بن موسى، والحسن بن العباس الرازي، قال الذهبي: « وهو حديث منكر، وهو ضعيف الحديث، توفي بمكة سنة خمسين ومائتين ».

(١) هو: أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومي المكي، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، قرأ على أبي الحسن أحمد بن محمد النبال القواس صاحب أبي الإخريط، وخلفه في الإقراء بعد موته، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، قرأ عليه خلق كثير، منهم: أبو بكر بن مجاهد، وأبو ربيعة محمد بن إسحاق، وأبو الحسن بن شنبوذ، وأبو بكر محمد ابن عيسى الجصاص، وأبو بكر بن موسى الهاشمي، وإبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي عرض عليه الحروف؛ له رواية في الحديث عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي برّة أيضًا، لقب بقنبل لانتسابه لقوم يقال لهم القنابلة في مكة؛ وقيل: « إنه سمى بذلك لاستعماله دواء يقال له قنبيل، يسقى للبقر، فلما أكثر من استعماله عرف به؛ ولى الشرطة وإقامة الحدود بمكة توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(٢) هو: ابن عمار، بن العريان التميمي، ثم المازني البصري، شيخ القراء والعربية، وأمه من بني حنيفة، قال الذهبي: « اختلف في اسمه على أقوال أشهرها: زبّان، وقيل: العريان، مولده في نحو سنة سبعين بمكة، ونشأ بالبصرة، قرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، =

من قراء البصرة راوياه: الدوري[١]، ....

= ويحيى بن يعمر، وعكرمة، وابن كثير، وعلى أبي جعفر، وشيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم، وعبد الله ابن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وورد أنه قرأ على أبي العالية الرياحي، وقد كان معه بالبصرة، وتصدر للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم؛ وقرأ عليه خلق كثير، منهم: يحيى اليزيدي، والعباس بن الفضل، وعبد الوارث بن سعيد، وشجاع البلخي، وحسين الجعفي، ومعاذ بن معاذ، وأشهر من روى عنه أبو حفص الدوري، وأبو شعيب السوسي.

حدث باليسير عن أنس بن مالك، ويحيى بن يعمر، ومجاهد، وأبي صالح السمان، وأبي رجاء العطاردي، ونافع الغمري، وعطاء بن أبي رباح، وابن شهاب، وحدث عنه: شعبة وحماد بن زيد، والأصمعي، وشبابة بن سوّار، قال أبو عبيدة: «كان أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب»، قال الأصمعى: «كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننته لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا»، قال اليزيدى: «سمعت أبا عمرو يقول: «سمع سعيد بن جبير قراءتي، فقال: إلزم قراءتك هذه»، قال أبو عمرو الشيباني: ما رأينا مثل أبي عمرو بن العلاء، وروى نصر بن علي عن أبيه عن شعبة قال: «انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختاره، فاكتبه فإنه سيصير للناس إسنادًا، وكانت وفاته في سنة أربع وخمسين ومائة.

(١) هو الإمام الكبير، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان، ويقال صهيب الأزدى، مولاهم الدوري الضرير، نزيل سامرّاء، ولد سنة بضع وخمسين ومائة في دولة المنصور، قرأ على إسماعيل بن جعفر، وسمع منه، وتلا على الكسائي بحرفه، وعلى يحيى اليزيدي بحرف أبي عمرو، وعلى سليم بحرف حمزة، قال: «وأدركت حياة نافع، ولو كان عندى عشرة دراهم لرحلت إليه»، قال أبو على الأهوازي: «رحل أبو عمر الدوري في طلب القراءات، وقرأ سائر حروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك الكثير، وصنف في القراءات، وهو ثقة، وعاش دهرًا، وكان ذا دين، وذهب بصره في آخر عمره، وقرأ عليه القرآن خلق منهم: أبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرح المفسر، وعمر بن محمد الكاغدي، والحسن بن على بن بشار، وحدث عن طائفة منهم سفيان بن عيينة، وأبي معاوية، وإسماعيل بن عياش، وإبراهيم بن أبي يحيى، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وهو من أقرانه، ونصر بن علي الجهضمي، وروى هو عنهما؛ قال سعيد بن عبد الرحيم البغوي: توفي سنة ست وأربعين ومائتين، قال الدارقطني: «ضعيف في ضبط =

والسوسي[(١)]، فرواية الدوري: فمن طريقي أبي الزعراء وابن فرح، ورواية السوسي: فمن طريقي ابن جرير وابن جمهور عنه.

٤- ابن عامر[(٢)]:

= الآثار»، قال الذهبي: «أما في القراءات فثبت إمام، وكذلك جماعة من القراء أثبات في القراءة دون الحديث؛ كنافع، والكسائي، وحفص؛ فإنهم نهضوا بأعباء الحروف وحرروها، ولم يصنعوا ذلك في الحديث؛ كما أن طائفة من الحفاظ أتقنوا الحديث، ولم يحكموا القراءة، وكذا كل من برز في فن، ولم يعتن بما عداه».

(١) هو: صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن الجارود السوسى، كنيته: أبو شعيب، سمى بالسوسي نسبة إلى سوس «مدينة بالأهواز»، كان مقرئًا ضابطًا، محررًا ثقة، شيخ الرقة، وعالمها، ومقرئها، قرأ القرآن على يحيى اليزيدي صاحب أبي عمرو؛ قرأ عليه القرآن جماعة، منهم: أبو عمران موسى بن جرير وهو أتقن أصحابه، وأبو الحسن على بن الحسين، وأبو عثمان النحوي، وأبو الحارث محمد بن أحمد القيون، وحمل عنه الحروف جعفر بن سليمان الخراساني، قال أبو حاتم: صدوق؛ سمع بالكوفة من: عبد الله بن نمير، وأسباط بن محمد، وجماعة؛ وفى مكة من: ابن عيينة، توفي في أول سنة إحدى وستين ومائتين.

(٢) هو: ابن يزيد بن تميم الإمام الكبير مقرئ الشام، وأحد الأعلام أبو عمران اليحصبي الدمشقي، قال الذهبي: «يقال: ولد عام الفتح، وهذا بعيد، والصحيح ما قاله تلميذه يحيى بن الحارث الذماري، إن مولده سنة إحدى وعشرين»، وقال أيضًا: «روينا بإسناد قوي أنه قرأ على أبي الدرداء، والظاهر أنه قرأ عليه من القرآن»، وجاء أيضا أنه قرأ على قاضي دمشق فضالة بن عبيد الصحابي، والمشهور أنه تلا على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وتلا عليه يحيى بن الحارث، وغيره، وأشهر رواته: هشام ابن عمار بن نصير بن ميسرة، وعبد الله بن أحمد بن بشر «ابن ذكوان»، وحدث عن معاوية، والنعمان بن بشير، وفضالة بن عبيد، وعدّة؛ وحدث عنه ربيعة بن يزيد القصير، والزبيدي، ويحيى الذماري، وعبد الله بن العلاء، وجماعة، وثقه النسائي، وغيره، وهو قليل الحديث، قال الهيثم بن عمران: «كان ابن عامر رئيس أهل المسجد زمن الوليد بن عبد الملك، وبعده، قال الذهبي: «إنه عربى، ثابت النسب من حمير، توفي يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة»، انظر: تاريخ الإسلام ٣/ ٣٨٣ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٢٩٢.

من قراء الشام، روى القراءة عنه كل من هشام[١]، وابن ذكوان[٢]، أما رواية هشام: فمن طريقي: الحلواني، والداجوني، وأما رواية ابن ذكوان: فمن طريقي: الأخفش، والصوري.

---

(١) هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، ويقال: « الظفري الدمشقي، خطيب دمشق، ومفتيها، ومقرئها، ومحدثها، وكنيته: أبو الوليد، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، قرأ القرآن على عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، وتصدر للإقراء فعرض عليه: أبو عبيد مع تقدمه، وأحمد بن يزيد الحلواني، وهارون بن موسى الأخفش، وروى عن مالك، وفي ذلك قال محمد بن الفيض: « سمعت هشام بن عمار قال: باع أبي بيتًا بعشرين دينارًا، وجهزني للحج، فلما صرت إلى المدينة أتيت مجلس مالك، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناس يسألونه، وهو يجيبهم فلما انقضى المجلس قلت: « يا أبا عبد الله، ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان يا غلام احمله، فحملنى كما يحمل الصبى، وأنا يومئذ مدرك، فضربنى بدرة مثل درة المعلمين سبعة عشرة درة، فوقفت أبكي، فقال: ما يبكيك؟ أوجعتك هذه؟ قلت إن أبي باع منزله، ووجه بي أتشرف بك بالسماع منك، فضربتني، فقال: أكتب فحدثنى سبعة عشر حديثًا، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني، توفي هشام آخر المحرم سنة خمس وأربعين ومائتين.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن بشير ابن ذكوان بن عمر القرشي الدمشقي، يكنى: أبو عمرو، كان شيخ الإقراء بالشام وإمام الجامع الأموي، انتهت إليه مشيخة الإقراء بعد أيوب بن تميم، قرأ القرآن على أيوب بن تميم المقرئ، عن يحيى الذماري، عن ابن عامر، وتصدر للإقراء والحديث، فقرأ عليه خلق، منهم: أحمد بن يوسف التغلبي، ومحمد بن موسى الصوري، وهارون بن شريك الأخفش، ومحمد بن قاسم الإسكندراني، وحدث عن: بقية، وسويد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، ووكيع، وحدث عنه: ابنه أحمد بن عبد الله، وإسماعيل بن قيراط، ومحمد بن إسحاق. قال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو زرعة الدمشقي: « لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان عبد الله بن ذكوان أقرأ عندى منه »، وقال الوليد بن عتبة: « كان إمام جامع بني أميّة، وكان هشام الخطيب، وهو أسن من ابن ذكوان بعشرين سنة، وعليهما دارت قراءة ابن عامر »، توفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين ».

٥- عاصم بن أبي النجود[(١)]:

من قراء الكوفة، روى القراءة عنه: أبو بكر «شعبة»[(٢)]، وحفص بن

---

(١) هو: عاصم بن أبي النجود بن بهدلة، الإمام الكبير مقرئ العصر، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي، واسم أبيه بهدلة، قال ذلك الذهبي، وكان مولده في إمرة معاوية بن أبي سفيان، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، وحدث عنهما، وعن أبي وائل، ومصعب بن سعد، وطائفة من كبار التابعين، وهو معدود في صغار التابعين، حدث عنه عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمان، وهما من شيوخه وسليمان التيمى، وأبو عمرو بن العلاء، وشعبة، والثوري، وعدد كثير، تصدر للإقراء مدة بالكوفة، فتلا عليه أبو بكر، وحفص بن سليمان - وهما من أشهر رواته -، والمفضل بن محمد الضّبّي، وسليمان الأعمش، وأبو عمرو، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عبد الرحمن السلمي شيخه، قال أبو بكر بن عياش «شعبة»: «لما هلك أبو عبد الرحمن، جلس عاصم يقرئ الناس، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن حتى كأن في حنجرته جلاجل»، قال أبو عبيد: «كان من قراء أهل الكوفة: يحيى بن وثاب، وعاصم ابن أبي النجود، وسليمان الأعمش، وهم من موالي بني أسد»، قال أبو اسحاق: «ما رأيت أقرأ من عاصم»، قال أبو بكر: قال عاصم: من لم يحسن من العربية إلا وجهًا واحدًا لم يحسن شيئًا؛ ثم قال: «ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن»، وكان قد قرأ على عليّ ﷺ، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، فقلت لعاصم: «قد استوثقت»، وروى جماعة عن عمرو بن الصباح، عن حفص الغاضري، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن، عن عليّ بالقراءة، وذكر عاصم أنه لم يخالف أبا عبد الرحمن في شيء من قراءته، وأن أبا عبد الرحمن لم يخالف عليا في شيء من قراءته، وروى عن حفص بن سليمان، قال: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن فهي التي أقرأتك بها، وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش، فهى القراءة التي عرضتها على زر، عن ابن مسعود، قال الذهبي: «كان عاصم ثبتًا في القراءة، صدوقًا في الحديث، وقد وثقه أبو زرعة، توفي في آخر سنة سبع وعشرين ومئة، وقيل في سنة ثمان وعشرين ومائة، انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦.

(٢) هو: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، مولاهم الكوفي، الحناط، المقرئ، الفقيه، المحدث شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب، قال الذهبي: «وفي اسمه =

سليمان[١]، ورواية شعبة: وردت من طريقي يحيى بن آدم، والعليمى، أما رواية حفص: فقد وردت من طريقي: الأخوين عبيد بن الصباح[٢]،

= أقوال: أشهرها شعبة، وقيل: اسمه مطرّف، وقيل: رؤبة، قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: ولدت سنة خمس وتسعين، قرأ القرآن وجوّده ثلاث مرات على عاصم، قال الذهبي: «وعرضه أيضا فيما بلغنا على عطاء بن السائب، وأسلم المنقرى، وحدّث عن عاصم، وأبي إسحاق السبيعى، وعبد الملك بن عمير، وغيرهم، وحدث عنه ابن المبارك، والكسائى، ووكيع، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وقرأ عليه القرآن جماعة منهم: أبو الحسن الكسائي، ويحيى العليمي، وأبو يوسف الأعشي، وعبد الحميد ابن صالح البرجمي، وغيرهم، وأخذ عنه الحروف تحريرًا وإتقانًا: يحيى بن آدم».
ذكره أحمد بن حنبل فقال: «ثقة، ربما غلط - يعنى: في الحديث -، صاحب قرآن وخير، وقال الذهبي: «فأما حاله في القراءة فقيم بحرف عاصم، وقد خالفه حفص في أزيد من خمس مائة حرف، وحفص حجة في القراءة»، وقال يزيد بن هارون: «كان أبو بكر بن عياش خيرًا فاضلًا، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، قال يحيى بن آدم: «قال لى أبو بكر: تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقى مني شدة، فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلمًا، توفي أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة».

(١) هو: حفص بن سليمان الأسدي الغاضري الكوفي، أبو عمر شيخ القراء، ويقال له: حفص بن أبي داود، وكان حجة في القراءة، واهيًا في الحديث، قرأ القرآن على زوج أمه عاصم بن أبي النجود، وقرأ عليه: عمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح، وأبو شعيب القواس، وحمزة بن القاسم، وحسين بن محمد المروزي، وخلف الحداد، وذكر الداني خلقًا كثيرًا، روى عن: علقمة ابن مرثد، وثابت البناني، وابن إسحاق، وغيرهم؛ وحدث عنه: بكر بن بكار، وأدهم بن أبي أيّاس، وهشام بن عمار وغيرهم، قال خلف البزار: مولد حفص سنة سبعين، وقيل: إنه جلس إلى الحسن البصري، وقال صالح جزرة: لا يكتب حديثه، وقرأ القرآن على عاصم مرات، وجوّده، وكان القدماء يعدون حفصًا في الإتقان للحروف فوق بن عياش مات سنة ثلاثين ومائة».

(٢) هو: ابن صبيح أبو محمد الكوفي أبو محمد النهشلي أخو عمرو بن الصباح، مقرئ ضابط، صالح، أخذ القراءة عرضًا عن حفص، وهو من أجل أصحابه، وأضبطهم، روى القراءة عرضًا على أحمد بن سهل الأشناني، وعبد الصمد بن العينوني، والحسن بن المبارك =

وعمرو بن الصباح[١]، ووردت طرق عبيد: من طريقي أبي الحسن الهاشمي، وأبي طاهر عن الأشناني[٢]، وطرق: عمرو بن الصباح من طريقي الفيل[٣]، وزرعان.

= الأنماطي، وغيرهم، قال ابن شنبوذ: «لم يرو عنه غير الأشناني»، وقال علي بن محمد الهاشمي شيخ ابن غلبون: «حدثنا الأشناني قال: قرأت على عبيد، وكان ما علمت من الورعين المتقين، قال ابن الجزري في غاية النهاية: «قال أبو على الأهوازي: وليس عمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح بأخوين»، وأبعد بعضهم وأغرب فقال: «هما واحد»، توفي عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة تسع عشرة ومائتين من الهجرة، انظر معرفة القراء الكبار، وغاية الكبار لابن الجزري.

(١) أبو حفص الكوفي المقرئ الضرير، قرأ على حفص، وكان أحذق من قرأ عليه، وأبصرهم بحرفه، وروى الحروف عن أبي يوسف الأعشي، عن أبي بكر، قرأ عليه على بن سعيد البزار، والحسن بن المبارك، وعلى بن محصن، ومحمد بن عبد الرحمن الخياط، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن حميد الملقب بالفيل، وغيره، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأما محمد عبد الرحمن الخياط فروى عنه ابن شنبوذ، ومحمد بن أبي أمية، وقال: «قال عمرو: قرأت على حفص إلى التوبة، وعرضت عليه باقى الحروف».

(٢) أحمد بن سهل بن الفيرزان الأشناني، الشيخ أبو العباس، المقرئ بقية المسندين في القراءة، قرأ على عبيد بن الصباح صاحب حفص، ثم قرأ بعده على جماعة من أصحاب أخيه عمرو بن الصباح حتى برع في القراءة.
قال ابن غلبون: «حدثنا على بن محمد، حدثنا أحمد بن سهل الأشناني، قال: «قرأت على عبيد بن الصباح، وكان ما علمت من الورعين المتقين»، قال: «قرأت القرآن كله على حفص بن سليمان، ليس بيني وبينه أحد»، قلت: وسمع الأشناني من بشر الوليد الكندي، وعبد الأعلى بن حماد النرسي، وطال عمره وطار ذكره، قرأ عليه أبو طاهر بن أبي هاشم، والحسن بن سعيد المطوعي، وعلى بن محمد بن صالح الهاشمي البصري، وإبراهيم بن أحمد الخرقي، وأبو بكر النقاش، وعلى بن الحسين الغضائري شيخ الأهوازي، وأبو أحمد السامري، وحدث عنه عبد العزيز الخرقي، ومحمد بن على بن سويد المؤدب، وثقه الدارقطني، وتوفى أول سنة سبع وثلاث مائة ببغداد، انظر معرفة القراء الكبار.

(٣) الفيل: هو أحمد بن محمد بن حميد أبو جعفر البغدادي الملقب «بالفيل»، ويعرف بالفامي نسبة إلى قرية «فامية» من عمل دمشق، ولقب بالفيل لعظم خلقه مشهور، حاذق، قرأ على =

٦- حمزة[١]:

من قراء الكوفة، روى القراءة عنه خلف[٢]، . . . .

= يحيى بن هاشم السمان عن حمزة الزيات الإمام، وعلى عمرو بن الصباح سنة ثماني عشرة، وسنة تسعة عشرة، وسنة عشرين ومائتين، واشتهرت رواية حفص عن عاصم عن طريقه، وممن قرأ عليه أحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الولي، وأحمد بن محمد شيخ الرهاوي، وغيرهما، وسمع منه الحروف أبو بكر بن مجاهد، ومحمد بن خلف وكيع.

(١) هو: أبو عمارة، الإمام العلم حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الكوفي الزيات، أحد السبعة، مولى آل عكرمة بن ربعي، كان عديم النظير في وقته علمًا وعملًا، قيِّما بكتاب الله، رأسًا في التورع، وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب إلى الكوفة الجبن والجوز، وأصله من سبي فارس، وقيل: ولاؤه لبني عجل، قرأ القرآن على الأعمش، وعلى حمران بن أعين، وقرأ عليه عدد كثير منهم: سليم بن عيسى الحنفي وهو أنبل أصحابه، وأبو الحسن الكسائي، أحد السبعة، وعائذ بن أبي عائذ، والحسن بن عطية، وشعيب بن حرب، وعبد الله بن صالح العجلي، وأشهر رواته: خلف بن هشام، وخلاد بن خالد الشيباني، وحدث عن الحكم، وطلحة بن مصرف، وعدي بن ثابت، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم، وحدث عنه الثوري، وشريك، وجرير، وأبو الأحوص، وابن فضيل، ويحيى بن آدم، وغيرهم، قال الثوري: «ما قرأ حمزة حرفا إلا بأثر»، قال أسود بن سالم: «سألت الكسائي عن الهمز والإدغام: ألكم فيه إمام؟ قال: نعم، حمزة، كان يهمز، ويكسر، وهو إمام من أئمة المسلمين، وسيد القراء، والزهاد لو رأيته لقرت عينك به من نسكه، وقال حسين الجعفي: «ربما عطش حمزة فلا يستسقى كراهية أن يصادف من قرأ عليه»، وذكر جرير بن عبد الحميد أن حمزة مر به فطلب ماءً قال: «فأتيته فلم يشرب مني لكوني أحضر القراءة عنده»، وقد كره قراءة حمزة، ابن إدريس الأودي، وأحمد بن حنبل، وجماعة، لفرط المد، والإمالة، والسكت على الساكن قبل الهمز، وغير ذلك، حتى إن بعضهم رأى إعادة الصلاة إذا كانت بقراءة حمزة، قال الذهبي: «وهذا غلو؛ والذى استقر عليه الاتفاق، وانعقد الإجماع على ثبوت قراءته، وصحتها، وإن كان غيرها أفصح منها»، توفي سنة ست وخمسين ومائة.

(٢) هو: خلف بن هشام بن تعلب، أبو محمد المقرئ البزار، أحد الأعلام، له قراءة اختارها، وأقرأ بها، وقد قرأ على سليم صاحب حمزة، قال الداني: «إنه قرأ أيضا على أبي يوسف يعقوب الأعشى، وروى الحروف عن إسحاق المسيبي، ويحيى بن آدم؛ وروى القراءة عنه =

وخلاد[١]، فأما رواية خلف: فمن طرق ابن عثمان، وابن صالح، والمطوعي، ورابعتهم عن إدريس، عن خلف وابن مِقْسَم، أما رواية خلاد فمن طرق ابن شاذان، وابن الهيثم، والطلحي عن خلاد.

٧- الكسائى [٢]:

= عرضًا أحمد بن يزيد الحلواني، وإدريس بن عبد الكريم، ومحمد بن الجهم، ومحمد بن يحيى الكسائي، وجماعة لا يحصون عددًا، سمع مالكًا، وأبا عوانه، وأبا شهاب عبد ربه الحنّاط، وحدث عنه: أحمد، وأبو زرعة، وموسى بن هارون، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وعرض عليه القرآن».
له قراءة انفرد بها، وأشهر من روى عنه: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان، وأبو يعقوب الوراق، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، قال حمدان بن هانى المقرئ: «سمعت خلفًا البزار يقول: أشكل علىّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهمًا حتى حذقته»، قال الحسين بن فهيم: «ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأهل الحديث، توفي سنة تسع وعشرين».

(١) هو: خلاد بن خالد الشيبانى الصيرفي الكوفي المقرئ الأحول، صاحب سليم القارئ، أقرأ الناس مدة بحرف حمزة، وكان من أضبط أصحابه، قرأ عليه: أبو بكر محمد بن شاذان الجوهري، وأبو الأحوص محمد بن الهيثم العكبري، ومحمد بن يحيى الخنيسي، وأحمد بن يزيد الحلواني، وإبراهيم بن على القصار، والقاسم بن يزيد الوزان وهو أجل إخوانه، وعليه دارت قراءته، وسمع الحديث من: الحسن بن صالح بن حي، وزهير بن معاوية، وروى عنه: أبو حاتم وأبو زرعة، وغيرهما، قال أبو حاتم: «صدوق»، وقال أبو هشام الرفاعي: «أقرأ من قرأ على حمزة أربعة: إبراهيم الأزرق، وخالد الكحال، وخلاد الأحول، وكان عبد الحمن بن أبي حماد أكبرهم، وأعلمهم بعلل القرآن، توفي خلاد سنة عشرين ومائتين بالكوفة».

(٢) هو: أبو الحسن علىّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، وقيل: كان أيام تلاوته على حمزة يلتف بكساء، فقالوا: «الكسائي»، قرأ القرآن على: ابن أبي ليلى عرضًا، وحمزة، وعيسى بن عمر المقرئ، وعاصم بن أبي النجود، وأبو بكر بن عياش، وإسماعيل بن جعفر عن شيبة بن نصاح شيخ =

من قراء الكوفة، راوياه أبو الحارث[١]، والدوري[٢]؛ أما رواية الحارث فمن طريقي محمد بن يحيى، وسلمة بن عاصم عنه، وأما رواية الدوري من طريقي جعفر النصيبي، وأبي عثمان الضرير.

٨- أبو جعفر[٣]:

= الإمام نافع، واختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السبع، قرأ عليه: أبو عمرو الدوري، وأبو الحارث الليث بن خالد المروزي، وهما أشهر رواته، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأحمد بن أبي سريج، وأحمد بن جبير الأنطاكي، وأبو حمدون الطيب، وحدث عن جعفر الصادق، والأعمش، وسليمان بن أرقم، ونقل عنه: يحيى الفراء، وأبو عبيد، وخلف البزار، جالس في النحو الخليل بن أحمد، قال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي»، قال ابن الأنباري: «اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحدهم في علم القرآن، كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو وهم يضبطون عنه حتى الوقوف»، قال إسحاق بن إبراهيم: «سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين»، قال خلف: «كنت أحضر بين يدى الكسائي وهو يتلو وينقطون على قراءته مصاحفهم، قال الذهبي: «كان الكسائي ذا منزلة رفيعة عند الرشيد، وأدب ولده الأمين، ونال جاهًا وأموالًا».

قال الكسائي: صليت بالرشيد فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي، قلت: «لعلهم يرجعين» فو الله ما اجترأ الرشيد أن يقول: أخطأت، لكن قال: أى لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أما هذا فنعم»، توفي الكسائي سنة تسع وثمانين ومائة».

(١) هو: أبو الحارث البغدادي، وقيل: المروزي، من كبار المقرئين ببغداد، قرأ على: أبي الحسن الكسائي، أخذ الحروف عن: يحيى اليزيدي، وحمزة بن القاسم الأحول، وتصدر للإقراء، وحمل الناس عنه، وكان ثقة، ثبتا، فيما ينقله، روى عنه: سلمة بن عاصم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، ومات سنة أربعين ومائتين.

(٢) سبق بيان ترجمته عند الحديث عن ترجمة رواة أبي عمرو بن العلاء.

(٣) هو: يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المدني، مقرئ المدينة، منهم من يسميه: فيروز، كان عابدًا، صوامًا، قوامًا، مجودا لكتاب الله، وله قراءة محفوظة، أحد القراء العشرة الأعلام، قرأ القرآن على مولاة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعلى أبي هريرة، وابن عباس، وأقرأ =

قارئ من قراء المدينة، روى عنه ابن وردان[١]، وسليمان بن جماز[٢]؛ فأما رواية ابن وردان فمن طريقي الفضل بن شاذان، وهبة اللّه بن جعفر؛ وأما رواية ابن جماز: فمن طريقي أبي أيوب الهاشمي، والدوري.

٩- يعقوب[٣]:

من قراء مكة المكرمة، راويا القراءة عنه كل من رويس[٤] ....

= الناس دهرًا طويلًا، وقرأ عليه القرآن خلق كثير منهم: نافع، وعيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، وهما أشهر رواته، وروى الحديث عن أبي هريرة ﷺ، وعن ابن عباس، وحدث عنه مالك في غير الموطإ، وكان مقدما في زمانه على عبد الرحمن الأعرج، وثقه ابن معين، والنسائي، قيل في وفاته: أنه توفي سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل: غير ذلك.

(١) هو: عيسى بن وردان المدني، وكنيته: أبو الحارث، من قدماء أصحاب نافع، ومن أصحابه في القراءة على أبي جعفر، عرض القرآن على أبي جعفر، وشيبة، ثم على نافع، قال الداني: «هو من جلّة أصحاب نافع وقدمائهم، وقد شاركه في الإسناد، وقرأ عليه القرآن: إسماعيل بن جعفر، وقالون، ومحمد بن عمر، وتوفي بن وردان في حدود الستين ومائة.

(٢) هو: سليمان بن مسلم بن جماز الزهري المدني المقرئ، أخذ القراءة عن أبي جعفر، وشيبة ابن نصاح، وعرض القرآن على نافع بن أبي نعيم، وقرأ عليه القرآن إسماعيل بن جعفر، وقتيبة ابن مهران، وتوفي سنة سبعين ومائة.

(٣) هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، وكنيته أبو محمد، أحد الأئمة العشرة، وكان إمامًا، كبيرًا، ثقة، عالمًا صالحًا، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء، قال أبو حاتم السجستاني: «هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات، وعلله، ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء، أخذ القراءة على أبي المنذر سلام بن سليمان المزني، وشهاب بن مرفضة، وأبي يحيى مهد بن ميمون، وأبي الأشهب جعفر بن حبان العطار، وقراءة هؤلاء يتصل سندها بأبي موسى الأشعري عن رسول اللّه ﷺ، ومن أشهر تلامذته: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري «رويس»، و روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري، توفي يعقوب سنة خمس ومائتين.

(٤) هو: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، وكنيته: أبو عبد اللّه، وهو من أفضل أصحاب يعقوب، مقرئ حاذق، وإمام في القراءة، ماهر مشهور بالضبط والإتقان، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وروح[1] فرواية رويس وردت من طرق النحاس، وأبي الطيب، وابن مقسم، والجوهري، ورواية روح وردت من طريقي ابن وهب، والزبيدي.

١٠- خلف[2]:

قارئ من قراء الكوفة، روى القراءة عنه إسحاق الوراق[3]، وإدريس الحداد[4]؛ أما رواية إسحاق الوراق فمن طريقي السونجردي، وبكر بن شاذان؛ وأما إدريس فمن طرق الشطي، والمطوعي، وابن بويان، والقطيعي.

---

(١) هو: روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري النحوي، وكنيته أبو الحسن، كان من أجل أصحاب يعقوب وأوثقهم؛ قرأ على يعقوب، وجلس للإقراء، فأخذ عنه: أبو بكر محمد بن وهب الثقفي، وأحمد بن يحيى الوكيل، وأحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الطيب بن حمدان، وسمع الحديث من أبي عوانه، وحماد بن زيد، وجعفر الضبعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: «مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين».

(٢) هو: خلف بن هشام البزار البغدادي، روى عن حمزة، واختار لنفسه قراءة اشتهرت باسمه، وسبق ترجمته ضمن رواة حمزة، وأشهر الرواة عنه في اختياره: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي، وإدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزى ثم البغدادي الوراق، وكنيته أبو يعقوب، وهو راوي خلف في اختياره، قرأ على خلف اختياره، وقام به بعده، وقرأ أيضا على الوليد بن مسلم، وكان إسحاق قيما بالقراءة، ثقة فيها، ضابطا لها؛ وإن كان لا يعرف من القراءات إلا اختيار خلف، قرأ على إسحاق ابنه محمد بن إسحاق، ومحمد بن عبد الله بن أبي عمر النقاش، وعلى بن موسى الثقفي، وابن شنبوذ، توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

(٤) هو: إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، وكنيته: أبو الحسن، قرأ على خلف البزار روايته واختياره، وعلى محمد بن حبيب الشموني، وهو إمام متقن ثقة، سئل عنه الدارقطني، فقال: «هو ثقة، وفوق الثقة بدرجة»، روى عنه القراءة: أحمد بن مجاهد، ومحمد بن أحمد بن شنبوذ، وموسى بن عبد الله الخاقاني، وأبو بكر النقاش، والحسن بن سعيد المطوعي، ومحمد ابن عبد الله الرازي، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قلت: هؤلاء القراء العشرة، ورواتهم، والطرق[(١)] التى روت عنهم هذه الروايات، مع ملاحظة أن الدوري ذكر مرتان، مرة راويًا عن أبي عمرو، ومرة أخرى راويًا عن الكسائي، فيطلق عليه عند روايته عن أبي عمرو « دوري أبو عمرو »، وإذا كانت روايته عن الكسائي فيطلق عليه « دوري الكسائي ».

ويلاحظ أيضًا: أن خلفًا روى القراءة عن حمزة، وقد نسبت إليه قراءة اختارها وحقق سندها، واشتهر بالإقراء بها، فيكون راويًا لحمزة، وقارئ رويت عنه قراءة، وله رواة لهذه القراءة.

قال ابن الجزري بعد ذكره هؤلاء القراء، ورواتهم، وطرقهم: « لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفا إلا ذكرته، ولا خُلْفًا إلا أثبته، ولا إشكالا إلا بينته، وأوضحته، ولا بعيدًا إلا قربته، ولا مفرقًا إلا جمعته، ورتبته منها على ما صحَّ عنهم وشذَّ، وما انفرد به منفرد، وفذَّ، ملتزمًا للتحرير، والتصحيح، والتضعيف، والترجيح »[(٢)].

---

(١) قال ابن الجزري: « هذا ما تيسر من أسانيد القراءات العشر، من الطرق المذكورة التي أشرنا إليها، وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق، وهى أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه، لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا، أو عند من تقدمنا من أئمتنا عدالته، وتحقق لقيه لمن أخذ عنه، وصحت معاصرته، وهذا التزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم، ومن نظر في أسانيد كتب القراءات، وأحاط بتراجم الرواة علمًا، عرف قدر ما سبرنا ونقحنا، واعتبرنا وصححنا، وهذا علم أهمل، وباب أغلق، وهو السبب الأعظم في ترك كثير من القراءات، فاستقرت جملة الطرق عن الأئمة العشرة على تسعمائة وثمانين طريقًا، حسبما فصل فيما تقدم عن كل راو راوٍ من رواتهم، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب مع أنّنا لم نعد للشاطبي ﷺ وأمثاله إلى صاحب التيسير وغيره سوى طريق واحدة، وإلا فلو عددنا طرقنا وطرقهم لتجاوزت الألف، وفائدة ما عيّناه وفصّلناه من الطرق، وذكرناه من الكتب هو عدم التركيب، فإنها إذا ميزت وبينت ارتفع ذلك، النشر في القراءات العشر ١/ ١٩٢-١٩٣ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر - لابن الجزرى.

ونظرًا لشهرة قراءة عاصم في أغلب البلاد الإسلامية خاصة مصر، ومكة المكرمة، ومدينة رسول الله ﷺ في عصرنا الحالى سوف يقتصر بحثنا على الحديث عنها؛ لأن مادة هذا الكتاب متخصصة في رواية حفص عن عاصم؛ فنورد لك أصول رواية حفص عن عاصم، التي تم شرحها تفصيلًا في طيات أبواب هذا الكتاب وفصوله.

وقبل الحديث عن أصول هذه الرواية يحسن بنا أن نعرف القارئ الذي نتحدث عن قراءته؛ وكذلك الراوي، فنقول: هو عاصم بن أبي النجود، وكنيته: أبو بكر، وهو أسدي، كوفي، تابعي، جليل، أحد القراء السبعة، بل أحد العشرة، حدث عن أبي رمثة رفاعة التميمي، والحارث بن حسان البكري.

له أحاديث في الصحيح.

قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي[1]؛ وكذا قرأ على أبي مريم زر بن

---

(١) عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير، مقرئ الكوفة، من أولاد الصحابة ولد في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضًا عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد، وأبيّ، وابن مسعود ﷺ، وأخذ القراءة عنه: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثّاب، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن أبي أيوب، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين ﷺ. قال أبو إسحاق: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، وقال سعد بن عبيدة: «أقرأ أبا عبد الرحمن في خلافة عثمان، وإلى أن توفي في زمن الحجاج، وعن حماد بن زيد: عن عطاء بن السائب، أن أبا عبد الرحمن قال: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم»، قال الذهبي: «عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء، عن أبي ه عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه جاء وفى الدار جلال وجزر؛ فقالوا: بعث بها عمرو بن حريث؛ لأنك علّمت ابنه القرآن؛ فقال: ردّ، إنا لا نأخذ على القرآن أجرًا؛ وقال أيضا: عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن عن عثمان بن عفان، أن النبي ﷺ، =

حبيش[١]، وعلى أبي عمرو سعد بن إلياس الشيباني.

وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ﵁، وقرأ زر، والسُّلمي أيضا: على عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وقرأ السُّلمي على أبيّ بن كعب[٢]،

= قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»، قال أبو عبد الرحمن: «فذلك الذي أقعدني هذا المقعد، وعن أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا يحيى بن السري، حدثنا وكيع، عن عطاء بن السائب، قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن، فأهدى له قوسًا فردّها، وقال: ألّا كان هذا قبل القراءة؟!، قال الذهبي: «كان ثبتًا في القراءة وفي الحديث، حديثه مخرج في الكتب الستة، توفي سنة سبع وأربعين، وقيل: مات في أوائل ولاية الحجاج على العراق، انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧.

(١) هو: ابن حباشة بن أوس أبو مريم الأسدي الكوفي، يقال: أبو مريم، وأبو مطرف أدرك الجاهلية، وعمّر دهرًا، حدث عن: عمر، وأبي بن كعب، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، وحذيفة، وصفوان بن عسال، وقرأ القرآن على: على بن أبي طالب، وابن مسعود، وقرأ عليه عاصم، ويحيى بن وثاب، وأبو إسحاق، والأعمش، وحدث عنه عاصم، وعبدة بن أبي لبابة، وعدى بن ثابت، والنهال بن عمرو، وأبو إسحاق الشيبانى، قال عاصم: كان زر من أعرب الناس، كان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، قال شيبان، عن عاصم عن زر قال: خرجت في وفد من أهل الكوفة، وأيّم الله إن حرّضني على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدمت المدينة أتيت أبي بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف، فكانا جليسي وصاحبي، فقال أبى: يا زر ما تريد أن تدع من القرآن آية إلا سألتني عنها، وقال عاصم: ما رأيت أقرأ من زر، قال أبو عبيد: مات زر سنة إحدى وثمانين».

(٢) هو: ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر الأنصاري ﵁ أقرأ الأمة، عرض القرآن على النبي ﷺ، أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وحدث عنه سويد بن غفلة، وعبد الرحمن بن أبزي، وأبو المهلب، وآخرون، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، ومناقبه كثيرة، كان ربعة من الرجال شيخًا أبيض الرأس واللحية، روى سلام عن زيد، قال حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن أبي قلابة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**أقرؤكم أبيّ بن كعب**»، «**مرسل جيد**»، وقال ابن أبي مليكة: «سمعت ابن عباس يقول: قال =

وزيد بن ثابت[١].

= عمر ﷺ: «أقضانا علي، وأقرأنا أبي»، وقال قتادة عن أنس ﷺ: إن النبي ﷺ قال لأبي: إني أمرت أن أقرأ عليك، وفي لفظ أن أقرأ القرآن، قال: ءالله سماني لك؟ قال: نعم، فبكى أبي».
قال أبو وائل، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو ﷺ إن رسول الله ﷺ كان يقول: «استقرؤوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»، ﷺ، وقال أيوب: «سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال: كان أبي يختم القرآن في ثمان «إسناده صحيح»، وقال له النبي ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر»، توفي بالمدينة، قال ابن معين: سنة عشرين أو تسع عشرة، وقال الواقدي: ومحمد بن عبد الله بن نمير، ومحمد بن يحيى الترمذي: سنة اثنين وعشرين، قلت أبي ابن كعب أقرأ من أبي بكر ومن عمر وبعد هذا فما استخلف النبي ﷺ أبيًا، بل استخلف أبا بكر على الصلاة، وقد قال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله . . الحديث، وهذا مشكل، وقال عمر ﷺ يوم موت أبي: اليوم مات سيد المسلمين».

(١) هو: ابن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف ابن غنم بن مالك بن النجار أبو سعيد، وأبو خارجة الأنصاري الخزرجي البخاري المقرئ الفرضي - كاتب النبي ﷺ، وأمينه على الوحي ﷺ، كان أسن من أنس بسنة، وكان شابًا ذكيًا، ثقفًا جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وجمعه في صحف لأبي بكر الصديق ﷺ، ثم تولى كتابة مصحف عثمان ﷺ الذي بعث به عثمان نسخًا إلى الأمصار، قرأ عليه أبو هريرة، وابن عباس في قول، وروى عنه ابن خارجة، وابن عمر، وأنس، وعبيد بن السباق، وعطاء بن يسار، وحجر المدري، وعروة، وطاووس، وآخرون، شهد الخندق، وبيعة الرضوان، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا حج.
قال أنس: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ زيد، وأبيّ، ومعاذ وأبو زيد الأنصاريون، «قال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر، حدثني الضحاك بن عثمان عن الزهري، قال ثعلبة بن أبي مالك: سمعت عثمان يقول: من يعذرني من ابن مسعود، غضب إذ لم أوله نسخ القرآن، فهلا غضب على أبي بكر وعمر وهما عزلاه عن ذلك، ووليا زيدًا فاتبعت أمرهما، وقال وكيع: عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ، قال: أفرض أمتي زيد بن ثابت»، وقال الشعبي: غلب زيد الناس على القرآن والفرائض، وقال حفص عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن، قال: «لم أخالف عليا في شيء =

وقرأ كل من ابن مسعود[١]، وعثمان، وعلي، وأبي بن كعب على رسول الله ﷺ.

ثم انتهت إلى عاصم مشيخة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، ورحل إليه الناس للقراءة من شتى الآفاق.

وقد جمع عاصم بين الفصاحة، والتجويد، والإتقان، والتحرير، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، قرأ عليه خلق كثير، اختار له أهل العلم من بينهم

= من قراءته إلا في التابوت، كان زيد يقرؤها بالهاء وعلى بالتاء، توفي زيد سنة خمس وأربعين على الأصح».

(١) هو: ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار أبو عبد الرحمن الهذلي المكي، حليف بني زهرة ﷺ كان من السابقين الأولين، ومن مهاجرة الحبشة شهد بدرًا، واحتز رأس أبي جهل، فأتى به النبي ﷺ، كان أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وأقرأه، وكان يقول: «حفظت من في رسول الله ﷺ، سبعين سورة، قرأ عليه علقمه، ومسروق، والأسود، وزر بن حبيش، وأبو عبد الرحمن السلمي، وطائفة، وتفقه به خلق كثير، وكانوا لا يفضلون عليه أحدا في العلم، وأمه أم عبد، هذلية أيضا من المهاجرات، وكان ابن أم عبد يخدم النبي ﷺ ويلزمه، ويحمل نعل النبي ﷺ إذا خلعها، وكان أدم خفيف اللحم، لطيف القد، أحمش الساقين، حسن البزة، طيب الرائحة، موصوفًا بالذكاء، والفطنة، قال أبو موسى: «ما كنت أحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت لكثرة دخولهم وخروجهم»، وكان النبي ﷺ يطلع ابن مسعود على أسراره ونجواه، وروى عبيدة السلماني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ بشره بالجنة، وقال ﷺ: من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد»، وقال أبو وائل عن عبد الله قال: «لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أقرؤهم لكتاب الله، وقال أبو مسعود: والله لا أعلم أحدًا تركه رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله تعالى من هذا، وأشار إلى ابن مسعود «رواه مسلم»، قال زيد بن وهب: «جاء ابن مسعود إلى مجلس عمر ﷺ فجعل يكلم عمر ويضاحكه، فكاد الجلوس يوازونه من قصره، فلما ولى قال عمر: كنيف ملئ علمًا»، اتفق أن عبد الله وفد من الكوفة فمات بالمدينة في آخر سنة اثنتين وثلاثين ﷺ، انظر معرفة القراء الكبار.

راويين ممن قرأوا عليه القرآن من غير واسطة، هما شعبة بن عياش الكوفي، وحفص بن سليمان بن المغيرة بن داود الأسدي الكوفي البزار، توفي عاصم رحمه الله آخر سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة.

واشتهرت رواية حفص عن عاصم في أغلب البلدان الإسلامية، كما اشتهرت في مصر خاصة في منتصف القرن الثاني عشر الهجري[1].

* * *

(١) منذ أن دخل الفتح الإسلامي مصر حتى أواخر القرن الخامس الهجري وكانت القراءة المشهورة بين المصريين قراءة أهل المدينة المنورة التي رواها ورش المصري عن نافع، ثم بعد ذلك اشتهرت قراءة أبي عمرو البصري، واستمر العمل بها قراءة وكتابة في المصاحف إلى ما قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

الفَصْلُ الثَّانِي

أركان القراءة

علمنا في الصفحات السابقة أن القرآن الكريم قرئ بأكثر من وجه تخفيفًا على الأمّة الخاتمة، وميزة لها، فوردت قراءات كثيرة، منها ما صح عن النبي ﷺ، ومنها ما شذ؛ وقد قيض اللّه من علماء الأمة من حقّق كل قراءة من هذه القراءات التي يقرأ بها، وكذلك كل رواية من الروايات، حفاظا على كتاب اللّه عز وجل من أن يدخله تحريف، ومصداقا لقوله عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولتحقيق هذا الغرض وضعوا أركانًا لتكون بمثابة ميزان تعرض عليه القراءة فإن وافقت هذه القراءة الأركان، فهى القراءة الصحيحة المعتمدة؛ وإن خالفت شيئًا منها فهى شاذّة، ولذلك أجمعت الأمة على عدم قراءتها في الصلاة، وأفتوا ببطلان صلاة من صلى بها.

ذكر ابن الجزري إمام المحققين رحمه الله هذه الأركان[(١)]، فقال:

---

(١) كنا نظن - فيما سبق - أن أول من وضع أركان القراءة من العلماء هو ابن الجزرى لورود الحديث عنها في متنه «الجزرية»، ولكن لما تتبعنا موضوع القراءات وضح لنا أن ظروف عصر ابن مجاهد جعلته أول من وضع أركان القراءة، لوجود بعض القراء في عصره، أرادوا أن يقرأوا بما يخالف رسم المصحف الذي أمر عثمان رضي الله عنه باتباعه، وكذلك من أراد أن يقرأ بوجهٍ يراه في اللغة العربية، ومن أراد الاستزادة فليراجع الفصل السابق، وهو فصل تاريخ القراءات القرآنية.

فكل ما وافق وجه نحوى وكان للرسم احتمالا يحوى
وصح إسنادًا هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة

معنى الكلام: أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها قراءة ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء أكانت عن القراء السبعة أم عن من هو أكبر منهم.

ومعنى « موافقة العربية ولو بوجه »: يعنى أن ذلك وجه من وجوه النحو، سواء أكان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه، أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع، وذاع، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين من أهل هذا الفن في ركن موافقة العربية، ونقول: معنى أفصح أم فصيحًا: كقراءة عاصم في سورة مريم ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]، برفع الفعل المضارع ﴿فَيَكُونُ﴾ وقراءة ابن عامر بالنصب ﴿فيكونَ﴾ فقد تكون قراءة الرفع أفصح من قراءة النصب إعرابًا أو العكس(١).

قلت: إن القرآن الكريم كله فصيح، ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

نقول إن هذه القراءة أفصح من هذه القراءة؛ إنما يقصد بلفظه « فصاحة » هو كون القراءة أرجح من القراءة الأخرى من جهة الإعراب عند أهل النحو واللغة، وليست المفاضلة بين القراءات بعضها ببعض، فنحن نؤمن وَنُقِرُّ أن القرآن كله فصيح، ولا يوجد أفصح منه على الإطلاق؛ لأنه كلام اللّه الواحد القهار سبحانه وتعالى.

أما معنى: « موافقة أحد المصاحف »: يعنى: ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض، فنحن نعلم أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أرسل مصاحف إلى الأمصار، كل مصحف يوافق قراءة أهل هذا المصر الذي أرسل إليه المصحف والقارئ، فأرسل مصحفًا إلى الشام، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى مكة، وواحدًا إلى المدينة، واحتفظ لنفسه بمصحف أطلق عليه المصحف الإمام[1].

ف: ابن عامر - من قراء الشام - قرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] بغير « واو » في كلمة: « وقالوا »، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، بزيادة الباء في الإسمين، ونحو ذلك ثابت في المصحف الشامى، وكذلك قراءة ابن كثير في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، في الموضع الأخير من سورة « براءة» بزيادة « من »، فإن ذلك ثابت في المصحف المكي دون غيره من المصاحف، إلى غير ذلك من مواضع كثيرة أعرضنا عن ذكرها لعدم الإطالة، يرجع إليها في كتب الخلاف.

---

(١) قيل: إن المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار الإسلامية أكثر من هذا العدد الذي ذكر، ويمكنك الرجوع في ذلك إلى كتب علوم القرآن لزيادة تفصيل.

فهذه القراءة وافقت أحد المصاحف المجمع عليها، فوردت عن أئمة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم، فلو لم يكن ذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة شاذة؛ لمخالفتها الرسم المجمع عليه(١).

ومعنى قوله ولو احتمالًا: يعنى ذلك: ما يوافق الرسم العثماني ولو تقديرًا، إذ إن موافقة الرسم قد تكون تحقيقًا؛ وهى الموافقة الصريحة، نحو قراءة قوله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤]، بدون ألف في قوله: ﴿مَلِكِ﴾، فهى توافق رسم المصحف تحقيقًا لرسمها كذلك، أما من قرأها بألف، نحو: ﴿مَـٰلِكِ﴾(٢) فهي توافق الرسم تقديرًا، أى: احتمالًا بمعنى يحتملها الرسم،

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

(٢) قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائى بـ «ألف»، وروى عن الكسائي أنه خيّر في ذلك، وقرأ الباقون ﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف، قال مكي في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: «وحجة من قرأه بـ «ألف» إجماعهم على قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] ولم يقل: ﴿مَلِكِ﴾، وأيضا فإن «مالكا» معناه المختص بالملك، و «ملكا» معناه: «سيد ورب»، فيقول: «هو ملك الناس»، أى: ربهم وسيدهم، ولا يحسن هذا المعنى في ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، لو قلت: هو سيد يوم الدين، لم يتمكن المعنى، وإذا قلت: هو ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تمكن المعنى؛ لأن معناه: هو المختص بـ ﴿**ملك يوم الدين**﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [**الانفطار**: ١٩]، بكسر «اللام» يدل على «مالك»؛ لأنه لما نفى عنهم الملك الذي هو مصدر المالك وجب أن يكون هو المالك، وحجة من قرأ: «ملك» بغير ألف إجماعهم على ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [**الحشر**: ٢٣]، و﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [ص: ١١٤] و﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [**الناس**: ٢]، وروى عن أبي عمرو أنه قال: ﴿مَلِكِ﴾ يجمع معنى «مالك»، و «مالك» لا يجمع معنى «ملك»؛ لأن «مالك يوم الدين» معناه: «مالك ذلك اليوم بعينه»، و «مالك يوم الدين» معناه: ملك ذلك اليوم بما فيه، فهو أعم».

قال أبو محمد: وقد قرأ «ملك» بغير ألف جماعة من الصحابة، وغيرهم، منهم: أبو الدرداء وابن عباس، وابن عمر، ومروان، ومجاهد، وقد روى أن النبي ﷺ قرأ: ﴿مَلِكِ﴾ بغير الف، وروى عنه أنه قرأ «مالك» بألف أيضا».

قال مكي: «فإن قيل: فما اختيارك في ذلك؟ قلت: فالجواب أن القراءتين صحيحتان =

فعاصم قرأها هو ومن وافقه: ﴿مٰلِكِ﴾ بـ« ألف » قبل اللام، وابن عامر قرأها هو ومن وافقه بدون ألف قبل اللام، نحو: ﴿مَلِكِ﴾، فقراءة عاصم توافق رسم المصحف الذي بين أيدينا تقديرًا أواحتمالًا، أما قراءة ابن عامر فهي توافق هذا المصحف تحقيقا، لعدم وجود « ألف » في الرسم قبل « اللام »، وكذا كلمة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾، بدون « ألف » بعد « الخاء » توافق الرسم تحقيقًا.

أما من قرأها ﴿وما يخٰدعون﴾ فهي توافق الرسم تقديرًا؛ لأنَّ رسمها في المصحف ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [البقرة: ٩]، ولم ترسم ﴿وما يخادعون﴾، وكذلك ﴿ووعدنا﴾، فقرأت ﴿وَوٰعَدْنَا﴾، وكذا ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦] فقُرأَتْ: ﴿فأزالهما﴾، فكل من قراءة ﴿ووعدنا﴾ و﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بدون « ألف » توافق الرسم تحقيقًا، وقراءة ﴿وَوٰعَدْنَا﴾ و ﴿فأزالهما﴾ بـ« ألف » بعد « الواو » في الأولى، وبعد « الزاى » في الثانية، توافق الرسم تقديرًا أو احتمالًا؛ لذلك أشاروا إليها بـ« ألف » صغيرة تسمى « ألف » الإشارة، نحو: ﴿مٰلِكِ﴾، ونحو: ﴿وما يخٰدعون﴾، إشارة إلى القراءة الثانية.

أما معنى قوله صح سندها: تعنى أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي، ولا بد أن تكون هذه القراءة متواترة، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذ بها بعضهم، هذا وقد ذكر البعض أنه لا يشترط التواتر، بل يكفي عنده صحة السند[1].

= حسنتان، غير أن القراءة بغير « ألف » أقوى في نفسي، لما ذكرت من الحجج، ولما فيه من العموم، و « مالك » أيضا حسن قوي في الرواية، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يقرأ ﴿ مالك يوم الدين ﴾ بـ « ألف »، وكذلك روت أم حصين.

(١) يقصد بذلك التواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، جزم بذلك أبو القاسم =

مما سبق يتبين لنا أن ما توافرت فيه هذه الأركان والشروط الثلاثة هو القرآن، لاجتماع الخلال الثلاث السابقة فيه، مع العلم بأن صحة السند تكفي في القراءة لكي نعدها صحيحة، وإذا كانت كذلك فلا بد أن تكون موافقة للرسم، وموافقة لوجه من أوجه النحو، ولكن أقوى الضوابط في هذا هو صحة السند.

وبالنظر إلى القراءات التي وردت إلينا وذكرها المحققون، لا تخرج عن أحد الأقسام التالية، إذا عرضت على أركان القراءة.



= النويري، فقال: عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء، والمحدثين وغيرهم؛ لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة هو: «ما نقل بين دفتي المصحف نقلًا متواترًا»، وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر، كما قال «ابن الحاجب»، وحينئذ فلا بد من التواتر عند الأئمة الأربعة، صرح بذلك جماعات، كابن عبد البر، وابن عطية، والنووي، والزركشي، والسبكي، والإسنوي، والأذرعي، وعلى ذلك أجمع القراء ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي، وتبعه بعضهم، والحاصل أن السبع متواترة اتفاقًا، وكذا الثلاثة: «أبو جعفر»، و«يعقوب»، و«خلف» على الأصح، بل الصحيح المختار، وهو الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا، وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ، وأن الأربعة بعدها «ابن محيصن»، و«اليزيدى»، و«الحسن»، و«الأعمش» شاذة اتفاقا، فإن قيل الأسانيد إلى الأئمة، وأسانيدهم إليه ﷺ، على ما في كتب القراءات آحاد، لا تبلغ حد التواتر، أجاب بقوله: «انحصار الأسانيد المذكورة في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديهم لضبط الحروف، وحفظ شيوخهم فيها، ومع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها حد التواتر، ثم إن التواتر المذكور شامل للأصول والفرش». انظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ١/ ٧١-٧٣

أقسام القراءات

القراءات التي رويت عن الأئمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبقا لأركان القراءة، والسابق شرحها بهذا الفصل، وكل قسم من هذه الأقسام يختلف عن القسم الآخر، ويترتب على هذا الاختلاف معرفة ما يجوز أن يتعبد به وما لا يجوز التعبد به تلاوة، وهى:

القسم الأول:

هو الذي يقرأ به، ويقطع بصحته وصدقه؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف، وهو ما ورد من القراءات التي يقرأ بها حتى يوم الناس هذا؛ لأنها متواترة وتوفرت فيها الشروط الثلاثة السابقة، وحكمها: أنها يقرأ بها تلاوة وصلاة، ويتعبد بها، ويكفر من يجحدها.

القسم الثانى:

وهو ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، نحو قراءة: ﴿والذكر والأنثى﴾، بدلًا من ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وقراءة: ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا﴾ سورة الكهف، بدلًا من قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وكذلك نحو: ﴿وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين﴾، بدلًا من قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]. . . . . إلخ القراءات، فقراءة ﴿والذكر والأنثى﴾ مع صحة نسبتها لابن مسعود ﵁، كما سوف يتبين لنا، إلا أنها تعد قراءة شاذة، لمخالفتها

لرسم المصحف المتفق عليه، وكذلك قراءة ﴿**وكان أمامهم ملك**﴾، وقراءة: ﴿**وأما الغلام فكان كافرا**﴾.

وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا متفقون على عدم جواز القراءة بهذه الأحرف في الصلاة؛ لأنها لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو أنها خالفت الرسم العثماني المجمع عليه من الصحابة، أو أنها لم تنقل إلينا نقلًا يثبت بمثله القرآن إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم التي سوف نناقشها في القسم التالي.

القسم الثالث:

وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف، ولا يقرأ به، وقد قال أهل العلم فيمن يقرأ بمثل هذا: إن صلاته باطلة، ولا تصح الصلاة خلفه إذا قرأ بها.

قلت: إن بعض طلبة العلم يجيز القراءة بالشاذ، كقراءة ابن مسعود، بحجة ورودها في الصحيحين، فلقد ذكر البخاري في «صحيحه»[(١)] في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾، قال: حدثنا عمر، حدثني أبي، حدثنا الأعمش عن إبراهيم، قال: قدم أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال: «أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال كلنا، قال: «فأيكم يحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعْتَهُ يقرأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١]»، قال علقمة ﴿والذكر والأنثى﴾، قال: أشهد إني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، والله لا أتابعهم».

---

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

قال في الفتح: وهذا صريح في أن ابن مسعود كان يقرؤها كذلك؛ وقوله «وهؤلاء» أي: «أهل الشام».

ثم قال «صاحب الفتح»: «وهذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا، ومن عداهم قرءوا ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه»، ثم قال[1]: ولعل هذا مما نسخت تلاوته، ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه.

والعجب - وما زال الكلام لصاحب الفتح - من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة، وعن ابن مسعود، وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة، ثم لم يقرأ بها أحد منهم.

وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء، ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت.

قال مكي: قال إسماعيل: «ما روى من قراءة ابن مسعود وغيره ليس ينبغى لأحد أن يقرأ اليوم به، يعنى: مما يخالف رسم المصحف من ذلك؛ لأن الناس لا يعلمون أنها قراءة عبد الله، وإنما هى شيء يرويه بعض من يحمل الحديث، يعنى أن ما خالف خط المصحف من القراءات فإنما يؤخذ بأخبار الآحاد، وما وافق خط المصحف فهو يقين بالإجماع على المصحف»[2].

قلت: - فهذا الحديث يستشهد به من أجاز القراءة بالشاذ، وقد رأيت قول ابن حجر: «ثم لم يقرأ بها أحد منهم»، وقوله: «مما يقوي أن التلاوة بها

---

(١) انظر كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
(٢) الإبانة عن معاني القراءات - لمكي بن أبي طالب ص ٤٢/ ٤٣

نسخت، وقول مكي بن أبي طالب السابق ذكره، مع ملاحظة: أن القرآن يؤخذ عن أهله المتصل سندهم برسول الله ﷺ، وليس عن أهل الحديث، وبما أن هذه القراءة لم ترد إلينا عن أحد من القراء، ولم يروها أحد منهم في عصرنا أو العصور السابقة ك: عصر ابن مجاهد، فلا يقرأ بها في الصلاة لانقطاع سندها، وعدم وصولها إلينا عن أحد من القراء صيانة لكتاب الله عز وجل عن التبديل، والتحريف، أو أن يدخل فيه شيء ليس من القرآن.

قلت: قد تبين لك أن الفقهاء منعوا القراءة بالقراءات الشاذة؛ ولكنهم أجازوا الاستشهاد بها في الأحكام الفقهية، ولم يجيزوا القراءة بها في الصلاة، أو خارجها على أنها قرآن.

فلو قرأ الرجل في غير الصلاة بالقراءة الشاذة، جاز له ذلك، بشرط ألا يعتقد أنها من القرآن، ولا يوهم أحدا بذلك «لما فيها من الأحكام الشرعية، أو الأدبية، ولا كلام في جواز قراءتها، وعليه يحمل حال كل من قرأ بها من المتقدمين»[١].

قال السبكي في «شرح المنهاج»: «صرح كثير من الفقهاء بأن ما عدا السبعة شاذ، توهمًا منه انحصار المشهور فيها»، قال في الفتح: «والحق أن الخارج عن السبعة على قسمين:

الأول: ما يخالف رسم المصحف فلا شك في أنه ليس بقرآن

الثاني: مالا يخالف رسم المصحف وهو على قسمين:

١- ما ورد من طريق غريبة فهذا ملحق بالأول

---

(١) انظر حكم القراءة بالتغني والتجويد ص٣٣ .

٢- ما اشتهرت به القراءة عند أئمة هذا الشأن، قديمًا وحديثًا، فهذا لا وجه للمنع فيه، كقراءة يعقوب، وأبي جعفر، وغيرهما ».

ثم نقل كلام البغوي في ذلك وقال: « هو أولى من يعتمد عليه في ذلك، فإنه فقيه محدث مقرئ ».

قال أبو شامة في « الوجيز »: « لا يقطع بالقراءة بأنها منزلة من عند اللّه إلّا إذا اتفقت الطرق عن ذلك الإمام الذي قام بإمامة المصر بالقراءة، وأجمع أهل عصره ومن بعدهم على إمامته في ذلك »، ثم قال: أما إذا اختلفت الطرق عنه فلا، فلو اشتملت الآية الواحدة على قراءات مختلفة مع وجود الشرط المذكور جازت القراءة بها، بشرط ألا يختل المعنى ولا يتغير الإعراب ».

قلت: هذا دليل أيضًا على منع القراءة بالشاذ من القراءات التي لم يتوفر فيها الشروط السابقة.

فلا ينبغي لعاقل أن يلتفت إلى قول هؤلاء القلة الذين أجازوا القراءة بالشاذ في الصلاة لخروجهم عن إجماع الأمة.

* * *

الفصل الثالث

أصول رواية حفص عن عاصم

عاصم بن أبي النجود من القراء السبعة وهو من قراء الكوفة وأشهر الرواة عنه راويان هما: حفص بن سليمان، وأبو بكر بن عياش «شعبة»، وورد أن عاصمًا أقرأ حفص بن سليمان من طريق يختلف عن طريق شعبة، فقد ورد أنه أقرأ حفصًا من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، وأقرأ شعبة من طريق زر بن حبيش.

قال الذهبي: «روى عن حفص بن سليمان، قال: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن فهي التي أقرأتك بها، وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش، فهي القراءة التي عرضتها على زرعن ابن مسعود»(١).

لذلك وجدنا أن أصول رواية حفص اختلفت عن أصول رواية شعبة فيما يقرب من خمسمائة حرف، وانحصرت أصول رواية حفص في الآتي:

* أثبت حفص البسملة بين كل سورتين سوى: «الأنفال وبراءة»

* كسر الهاء في كل من: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِلَيْهِمْ﴾، ﴿لَدَيْهِمْ﴾، ﴿فِيهِمْ﴾، ﴿عَلَيْهِمَا﴾، ﴿فِيهِمَآ﴾، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾، ﴿فِيهِنَّ﴾؛ وأثبت ذلك في كل «هاء» ضمير

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي.

لجمع أو تثنية، بشرط أن تكون مسبوقة بـ« ياء » ساكنة، سواء في الوصل أم في الوقف؛ وكذلك في كل ما حذفت ياؤه لعارض جزم أو بناء، نحو: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ﴾، [الأعراف: ١٦٩] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ [الصافات: ١١].

* أظهر كل حرفين متماثلين، أو متقاربين، أو متجانسين، قولاً واحدًا إذا التقيا في الخط، وتحركا[١]، نحو قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، إلا كلمة: ﴿مكنّى﴾، وكذا كلمة: ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] فالأولى بسورة الكهف، رواها بنون واحدة مشددة على الإدغام، والثانية بسورة يوسف، رواها بنون واحدة بالإشمام أو الروم[٢].

* روى « هاء » الضمير المسبوقة بساكن، وبعدها متحرك بالقصر، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [البقرة: ٣] و ﴿عَقَلُوهُ وَهُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]، بترك الصلة إلا ما ورد في قوله تعالى: ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾، فقرأه بالصلة؛ وإذا وقعت « الهاء » بين متحركين فله فيها الصلة كبقية القراء، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، إلا ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: ١١١] في موضعيه، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨]، فرواهما بالإسكان، وروى كذلك قوله تعالى: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢] في سورة النور، وكذا قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] في سورة الزمر بالقصر، أي: بغير مد صلة.

* روى مد المنفصل والمتصل قدر أربع حركات، هذا اختيار الشاطبي،

---

(١) يقصد به الإدغام الكبير لأن حفص من المظهرين لهذا النوع، أما رواية سوسى أبو عمرو فقد اختصت بهذا النوع من الإدغام، يرجع لتفصيل ذلك في كتب الخلاف.

(٢) لا يضبط ذلك إلا بالمشافهة.

وكذا خمس حركات، وهذا ما جاء في « التيسير »، وليس له في « مد البدل » إلا القصر حركتين فقط.

* حقق الهمز المفرد والمزدوج في جميع القرآن، إلا في ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، فإنه رواه بتسهيل « الهمزة » الثانية؛ وكذا قوله تعالى: ﴿ءالذكرين﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿ءالله﴾ [يونس: ٥٨]، ﴿ءالأن﴾ [يونسف: ٩١][1] فإنه رواهم على وجهين، **أحدهما**: بتسهيل الثانية في مواضعها الست، أي: بجعلها بين « الهمزة » و « الألف »، **والثاني**: إبدالها « ألفا » خالصة مع المد ست حركات، استثنى من ذلك إذا كانت « الهمزة » الأولى لغير استفهام، والثانية ساكنة، في نحو قوله تعالى: ﴿ءامن﴾ [البقرة: ١٣]، ﴿ءادم﴾ [البقرة: ٣١]، فإنه يبدلها حرف مد كالباقين، ولم يسهلها أو يمدها[2]؛ ولم يرو عن حفص أنه أدخل « ألفا » بين « الهمزتين » مطلقًا.

* لم ينقل شيئًا[3] مما صح فيه النقل عن غيره من القراء.

* لم يسكت من هذه الطرق على الساكن قبل « الهمز »؛ ولكن جاء عنه السكت

---

(١) هذا من طريق الشاطبية، ولكنه ورد من طيبة النشر طريق القصر: الإبدال وجهًا واحدًا، وهو: المد ست حركات فقط.

(٢) لم يمد البدل عند حفص أكثر من حركتين؛ لأنه جاء بعد حرف المد حرف متحرك، فلم يكن هناك سبب للمد الفرعي « اللازم »، أما في: ﴿ءالذكرين﴾ [الأنعام: ١٤٤]. . الخ فإنه قد جاء بعد حرف المد المبدل عن همزة ساكن وهو اللام، لذلك مدت ﴿ءالذكرين﴾ [الأنعام: ١٤٤] ست حركات في أحد الوجهين، ولم تمد كلمة ﴿ءامن﴾ [البقرة: ١٣] أكثر من حركتين لعدم وجود السبب.

(٣) يقصد من ذلك: نقل حركة « الهمزة » إلى الساكن الذي قبلها كما في رواية ورش في نحو قوله: « الآخرة ».

لغير « الهمز » في أربعة مواضع هي قوله تعالى: ﴿عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]، ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ [يس ٥٢]، ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، ﴿بَلْ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤]، وبابه.

* أظهر كل من:

١- « ذال » إذ[1] عند كل من: « التاء »، « الجيم »، « الدال »، « الزاي »، « السين »، « الصاد »، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ﴿إِذْ جاؤكم﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾، [الحجر: ٥٢] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ [الأحقاف: ٢٩].

٢- « الدال » عند ملاقاتها لكل من: « الجيم »، « الذال »، « الزاي »، « السين »، « الشين »، « الصاد »، « الضاد »، « الظاء »، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ﴾، [مريم: ٢٤] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾، [الأعراف: ١٧٩] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾، [الأعراف: ٥] ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، [المجادلة: ١] ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، [يوسف: ٣٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ﴾، [سبأ: ٢٠] ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾، [البقر: ١٠٨] ﴿فَقَدْ ظَلَمَ﴾.

٣- كل « تاء تأنيث » اتصلت بالفعل عند كل من: « الثاء »، « الجيم »، « الزاي »، « السين »، « الصاد »، « الظاء »، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الشعراء: ١٤١]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، [التوبة: ٨٦] ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١].

---

(١) ورد عن غير حفص إدغام هذا النوع؛ لأنه من قبيل المتقاربين الصغير وقد مر علينا ضمن مباحث هذا الكتاب في « باب المد » أنه من قبيل الإدغام الجائز، وليس معنى ذلك الوجوب الشرعي أو الجائز الشرعي، ولكن لوروده بالإدغام عن البعض ووروده بالإظهار سمي جائزًا.

٤- لام « هل » عند كل من: « التاء »، « الثاء »، « النون »، في نحو قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ [المطففين: ٣٦]، ﴿هَلۡ نَحۡنُ﴾ [الشعراء: ٢٠٤]، وكذا لام « بل » عند كل من: « التاء » « الزاي »، « السين »، « الضاد »، « الطاء »، « الظاء »، « النون »، في نحو قوله تعالى: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾، [البقرة: ٤٠] ﴿بَلۡ زُيِّنَ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿بَلۡ ضَلُّواْ﴾ [الأحقاب: ٢٨]، ﴿بَلۡ طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ﴾ [الفتح: ١٢]، ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ﴾ [البقرة: ١٧٠].

٥- « الباء » المجزومة عند « الفاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ﴾ [النساء: ٧٤]، وكذا « اللام » عند « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١] حيث وقع، وكذا « الفاء » عند « الباء »، في نحو قوله تعالى: ﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [سبإ: ٩]، وكذا « الذال » عند « التاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿عُذۡتُ﴾ [غافر: ٢٧]، ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ [طه: ٩٦]، ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ﴾ [البقرة: ٥١]، ﴿أَخَذۡتُمۡ﴾ [آل عمران: ٨١]، وما تصرف منها، وكذا « الثاء » عند « التاء » في نحو قوله تعالى: ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَلَبِثۡتَ﴾ [الشعراء: ١٨] كيف جاء، و« الدال » عند « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ﴾ [مريم: ١ - ٢]، وكذا عند « الثاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وكذا « الراء » المجزومة عند « اللام »، نحو قوله تعالى: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، النون عند « الواو » من: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾، ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم: ١][1].

---

(١) لاحظ أن هذا من طريق الشاطبية، ولكن ورد له الوجهان من طريق الطيبة؛ فمن طريق الفيل له الإظهار، ومن طريق زرعان له الإدغام.

٦- أظهر كذلك « النون » الساكنة، والتنوين عند أحرف الحلق الستة المجموعة في قول العلامة الجمزورى « همز »، « هاء »، ثم « عين »، « حاء » مهملتان، ثم « غين »، « خاء ».

وأدغمهما بلا غنة في كل من « اللام »، « الراء »[1]، وأدغمهما بغنة في الأحرف الأربعة التي يجمعها قولك « يومن » إلا إذا اجتمعت « النون » مع كل من « الياء »، « الواو » في كلمة واحدة، ك: ﴿دنيا﴾، ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿قنوان﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿بنيان﴾ [الصف: ٤] فإنه يظهرها كباقي القراء، وتسمى إظهار مطلق.

ويقلب كذلك « النون »، « والتنوين » « ميما » بغنة مع الإخفاء عند الباء، في نحو ﴿من بعد﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿عليمٌ بذات الصدور﴾ [آل عمران: ١١٩] ويخفى كذلك « النون »، و « التنوين » مع باقى الحروف الهجائية.

٧- أدغم « الثاء » في « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿يَلْهَثْ ذَّلِكَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وكذا « الباء » في « الميم »، في نحو قوله تعالى: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، وكذا « النون » في « الميم »، في نحو قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء: ١][2].

* لم يرو عنه الإمالة في جميع ما أماله غيره، إلا في قوله تعالى: ﴿مَجْرٖىٰهَا﴾ [هود: ٤١]، فإنه أمالها.

* يفخم « الراء » وصلًا إذا كانت متحركة بالفتح، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أو مضمومة، نحو قوله تعالى: ﴿رُزِقْنَا﴾ [البقرة: ٢٥]، أو كانت

---

(١) ورد من بعض طرق الطيبة إدغامهما بغنة.

(٢) النون المقصودة هنا نون الـ « سين » لأن هجاء طسم « - » طا » و « سين » و « ميم ».

ساكنة بعد فتح، في نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] أو بعد ضم، نحو قوله تعالى: ﴿قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١]، أو بعد كسر أصلي بشرط أن يكون بعدها حرف استعلاء في كلمتها، نحو قوله تعالى: ﴿فِرْقَةٍ﴾ [التوبة: ١٢٢]، واختلف عنه في نحو قوله ﴿فِرْقٍ﴾ [الشعراء: ٢٦] بالشعراء من أجل كسر حرف الاستعلاء «القاف»، وصح عنه الوجهان «التفخيم والترقيق» في كلمة ﴿فِرْقٍ﴾ [الشعراء: ٢٦]، وكذا يفخم «الراء» إذا سكنت بعد كسر عارض سواء أكانت متصلة كانت، نحو قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِيٓ﴾ [الفجر: ٢٨] أم منفصلة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أم لازمة منفصلة، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ﴾ [النور: ٥٥]، ويرقق «الراء» إذا كسرت، نحو قوله تعالى: ﴿رِجَالًا﴾ [النساء: ١]، ﴿رِئَآءَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وكذا إذا سكنت بعد كسرة أصلية متصلة وليس بعدها حرف استعلاء، نحو قوله تعالى: ﴿مِرْيَةٍ﴾ [هود: ١٧]، كل ذلك حال الوصل.

أما حال الوقف فإنها تعتبر من العارض للسكون، فيفخمها إذا وقعت بعد فتح، أو ضم، سواء كانت في الوصل متحركة بالفتح، أم الضم، أم الكسر، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وكذلك يفخمها إذا وقعت بعد ساكن مسبوقة بضم، أو فتح، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]»، ويرققها إذا وقعت بعد ياء ساكنة، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلسَّيْرَ﴾ [سبإ: ١٨]، ﴿يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥]، أو بعد كسرة متصلة، نحو قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٧]، ﴿قَدَرٍ﴾ [طه: ٤٠]، أو منفصلة بساكن، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ [يسٓ: ٦٩]، ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، إلا أن أهل الأداء اختلفوا عنه فيما إذا كان الحاجز بين الكسرة

و « الراء » ساكنا حصينا »، - ويقصد بالحصين - « حرف الاستعلاء »، خاصة: « الصاد أو الطاء »، نحو قوله تعالى: ﴿مِصْرَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبإ: ١٢]، فبعضهم يرققها اطرادًا للقاعدة، وبعضهم يفخمها نظرًا لحرف الاستعلاء، واختيار العلامة المتولى شيخ شيوخنا ﷺ التفخيم في ﴿مِصْرَ﴾ [يوسف: ٢١]، والترقيق في ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبإ: ١٢] نظرًا لحالة الوصل.

* رقق جميع « اللامات » في القرآن الكريم إلا « لام » لفظ الجلالة المعظم، بشرط ضم ما قبلها أو فتحه، نحو قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، للإجماع على تفخيمها حينئذ.

* وقف بـ« التاء » وقفا اختباريًا، اتباعًا لخط المصحف العثماني على « هاء » التأنيث المرسومة بالتاء المجرورة؛ وقد وقعت في ثلاث عشرة كلمة وهى: ﴿رحمت﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿نعمت﴾ [البقرة: ٢١١]، ﴿سنت﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿لَعۡنَتَ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿امرأت﴾ [آل عمران: ٣٥]، ﴿بقيت﴾ [هود: ٨٦]، ﴿قرت﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿فطرت﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿شجرت﴾ [الدخان: ٤٣]، ﴿جنت﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿ابنت﴾ [التحريم: ١٢]، ﴿معصيت﴾ [المجادلة: ٨]، ﴿كلمت﴾ [آل عمران: ٦٤].

وكذلك وقف بـ« التاء » المفتوحة في الكلمات المنتهية بتاء مفتوحة، التي اختلف القراء فيها بين الجمع والإفراد، ووردت في اثني عشر موضعًا، وهى قوله تعالى: ﴿كلمت﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿غيبت﴾ [يوسف: ١٠]، ﴿آيات﴾ [البقرة: ٩٩]، ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ [سبإ: ٣٧]، ﴿بينت﴾ [البقرة: ٢١١]، ﴿ثَمَرَٰتِ﴾ [النحل: ٦٧]، ﴿جمالت﴾ [المرسلات: ٣٣]، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤]،

﴿مَرْضَاتِ﴾ [البقرة : ٢٠٧]، ﴿هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون : ٣٦]، ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ [ص : ٣]، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل : ٦٠]، ﴿اللات﴾ [النساء : ٢٣]»(١)، مع ملاحظة أن بعض القراء العشرة وقف عليها بـ« الهاء ».

* وقف بدون « ياء » على كل من « هاد »، « واق »، « وال »، « باق »، وكذلك وقف على « الهاء » بدون « ألف » بعدها، كرسم المصحف فى، نحو قوله تعالى: ﴿أيه﴾ تبعا للرسم في كل من قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وقوله تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، وإذا وصلها بما بعدها فتح « الهاء » ولم يضف « ألفا ».

* وقف على النون فى: « ويكأن »، وعلى « الهاء » فى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ [القصص : ٨٢]، ووقف على « النون » في ﴿وَكَأَيِّن﴾ [آل عمران : ١٤٦] حيثما وقع، وعلى: ﴿أَيًّا مَّا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقف على ﴿ما﴾ أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ووقف على: ﴿ما﴾ من: ﴿مال هؤلاء﴾ [النساء : ٧٨]، ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ [الكهف : ٤٩]، « فمال الذين »، ووقف عليها أيضًا: ﴿مَالَ﴾ [الكهف : ٣٤]، أى: إنه وقف على « الألف » أو « اللام ».

* أسكن كل « ياء » إضافة وقع بعدها همزة قطع، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ [البقرة : ٣٠]، ﴿ومني إنك﴾ [آل عمران : ٣٥]، و﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [آل عمران : ٣٦]، واستثنى من ذلك بعض الكلمات، ففتحهن، وهن: ﴿يَدِيَ

(١) راجع باب قاعدة الإبدال والوقف على تاء التأنيث من هذا الكتاب.

﴿إِلَيْكَ﴾ [المائدة : ٢٨] من قوله تعالى : ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة : ٢٨]: وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ﴾ [المائدة : ١١٦] من قوله تعالى : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة : ١١٦] في المائدة، ﴿ومعيَ أبدا﴾ [التوبة : ٨٣] من قوله تعالى : ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة : ٨٣]، ﴿ومَعِي أو رحمنا﴾ [الملك : ٢٧]، ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىَّ﴾ [يونس : ٧٢]، في تسعة مواضع : واحد في سورة يونس، وموضعين في سورة هود، وخمسة مواضع في سورة الشعراء»، وموضع في سورة سبأ.

* فتح كل «ياء» وقع بعدها «لام» تعريف، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة : ٢٥٨]، لكنه استثنى من ذلك ﴿عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ في سورة البقرة من قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤][(١)].

* أسكن كل «ياء» وقع بعدها «همزة» وصل، نحو قوله تعالى : ﴿لِنَفْسِى ٱذْهَبْ﴾ من قوله تعالى : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾ [طه : ٤١ - ٤٢]، أما إذا لم يأت بعدها «همز» أو «لام» تعريف ففتح منهن: ﴿وَجْهِىَ﴾ [آل عمران : ٢٠] بكل من آل عمران والأنعام، و﴿بيتي﴾ [البقرة: ١٢٥] بكل من البقرة، والحج، ونوح، «ومحياي» في سورة الأنعام ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ [الأعراف : ١٠٥]، و﴿معي عدوًا﴾ [التوبة : ٢٨٣]، و﴿معي صبرا﴾ [الكهف : ٦٧]، و﴿ذكر من معي﴾ [الأنبياء : ٢٤]، و﴿معي ربي﴾ [الشعراء : ٦٢]، و﴿معي ردءا يصدقني﴾ [القصص : ٣٤]، ﴿وَمَا كَانَ لِىَ﴾ [إبراهيم : ٢٢]، ﴿وَلِىَ فِيهَا﴾ [طه : ١٨]، و﴿مالي لا أرى الهدهد﴾ [النمل : ٢٠]، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس : ٢٢]، ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ﴾ [ص : ٢٣]، ﴿وَلِىَ

---

(١) يلزم من ذلك حذف الياء المدية للتخلص من التقاء الساكنين.

﴿دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] بكل من سور: الأعراف، والتوبة، والكهف، والأنبياء، والشعراء، والقصص، وص، وطه، والنمل، ويس، والكافرون.

أسكن ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ [البقرة: ١٨٦] في سورة البقرة، و ﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، و ﴿ورائي﴾ [مريم: ٥]، و ﴿أرضي واسعة﴾ [العنكبوت: ١٦٢]، ﴿وشركائي قالوا﴾ [فصلت: ٤٧]، ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ [الدخان: ٢١] في سورة الدخان.

* روى ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ﴾ [الزخرف: ٦٨] في سورة الزخرف بحذف «الياء» وصلًا ووقفًا، قولًا واحدًا.

* حذف جميع «ياءات» الزوائد في حالتى الوصل والوقف، إلا في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦] في سورة النمل، فرواه في هذا الموضع بفتح «الياء» وصلًا، وله الوجهين حال الوقف وهما: **الأولى**: حذف «الياء»، **والثانية**: إثباتها ساكنة، بذلك نكون انتهينا من أصول رواية حفص عن عاصم، وإليك أصول وبعض فرش رواية شعبة بن عياش.

* * *

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أصول رواية شعبة بن عياش

شعبة هو الراوي الثاني من رواة عاصم وإليك بيان أصول روايته:

أثبت شعبة البسملة كـ حفص بين كل سورتين، سوى: «الأنفال وبراءة».

* وكسر «الهاء» في كل من: «**عليهم، إليهم، لديهم، فيهم، عليهما، فيهما، عليهن، فيهن**، وأثبت ذلك في كل «هاء» ضمير لجمع أو تثنية، بشرط أن تكون مسبوقة بـ«ياء» ساكنة، سواء في الوصل أم الوقف، وكذلك في كل ما حذفت ياؤه لعارض جزم أو بناء، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ﴾ [المطففين: ١٤] ﴿**فاستفتهم**﴾ [الصافات: ١١].

* أظهر كل حرفين متماثلين، أو متقاربين، أو متجانسين قولًا واحدًا، إذا التقيا في الخط وتحركا، نحو: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ٨١]، ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، باستثناء كلمة: ﴿مَكَّنِّي﴾ [الكهف: ٩٥]، وكذا ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] رواها بنون واحدة مشددة على الإدغام، والثانية رواها بنون واحدة بالإشمام أو الروم.

* روى «هاء» الضمير المسبوقة بساكن، وبعدها متحرك بالقصر، نحو: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [البقرة: ٢]، ﴿عَقَلُوهُ وَهُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، بترك الصلة، وإذا وقعت «الهاء» بين متحركين فله فيها الصلة كبقية القراء، نحو: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، باستثناء «أرجه» في

موضعيه، وكذا: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨]، فقد رواهما بالإسكان، وقرأ: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] بغير صلة، وروىٰ ﴿يتقه﴾ بكسر «القاف» وإسكان «الهاء»، فتكون: ﴿وَيَتَقِهْ﴾ [النور: ٥٢]، وأسكن «الهاء» في ﴿يؤدهْ﴾، وكذا ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، و﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]، و﴿نصله جهنم﴾ [النساء: ١١٥].

* روىٰ مد المنفصل والمتصل قدر أربع حركات كحفص، هذا اختيار الشاطبي، وكذا خمس حركات، وهذا ما جاء في «التيسير»، وليس له في «مد البدل» إلا القصر حركتين فقط، وكذا العوض حال الوقف.

* حقق «الهمز» المفرد والمزدوج في جميع القرآن، باستثناء ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] فقد خالف فيها حفصا فرواها بهمزة مفردة، أما: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿ءَآللَّهُ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ [يونس: ٩١] فإنه رواهن بالإبدال ألفا خالصة مع المد ست حركات، استثنىٰ من ذلك إذا كانت «الهمزة» الأولى لغير استفهام، والثانية ساكنة، في نحو: ﴿ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، ﴿ءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣١]، فإنه يبدلها حرف مد كالباقين، ولم يمدها؛ ولم يرو عنه أنه أدخل «ألفا» بين «الهمزتين» مطلقًا، لم ينقل شيئًا مما صح فيه النقل عن غيره من القراء.

* لم يسكت من هذه الطرق علىٰ الساكن قبل الهمز في جميع القرآن، وكذا في المواضع الأربعة التي سكت فيها حفص، وهي: ﴿عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١]، ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يسٓ: ٥٢]، ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، ﴿بَلْۜ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤]، وأدغم اللام «في الراء» من غير سكت في: ﴿بَلْ رَانَ﴾.

أظهر كل من:

* ذال «إذ» عند كل من «التاء»، و«الجيم»، و«الدال»، و«لزاي»،

و « السين »، و « الصاد »، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ﴿إِذ جاؤكم﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ [الحجر: ٥٢]، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، واستثنى « الذال » عند « التاء » في باب ﴿اتَّخَذْتَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ﴿أَخَذْتُ﴾ [فاطر: ٢٦]، ﴿أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]، ﴿اتَّخَذْتُمُ﴾ [البقرة: ٥١]، وذلك في سورة البقرة ٩٢-٨٠-٥١، وآل عمران ٨١، والأنفال ٦٨ وهود ٩٢، والرعد ١٦،٣٢، والكهف ٧٧، والحج ٤٤، ٤٨، والمؤمنون ١١٠، والفرقان ٢٧، والشعراء ٢٩، والعنكبوت ٢٥، وفاطر ٢٦، وغافر ٥، والجاثية ٣٥ .

* « الدال » عند ملاقاتها لكل من « الجيم »، و « الذال »، و « الزاي »، و « السين »، و « الشين »، و « الصاد »، و « الضاد »، و « الظاء »، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ [الملك: ٥]، ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ﴾ [سبإ: ٢٠]، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ﴾ [البقرة: ٢٣١].

* كل « تاء » تأنيث اتصلت بالفعل عند كل من « الثاء »، و « الجيم »، و « الزاى »، و « السين »، و « الصاد »، و « الظاء »، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الشعراء: ١٤١]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٨٦]، ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١].

* كذلك لام « هل » عند كل من « التاء »، و « الثاء »، و « النون »، في نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ [المطففين: ٣٦]، ﴿هَلْ نَحْنُ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]، وكذا لام ﴿بَل﴾ [البقرة: ٨٨] عند كل من « التاء »،

و « الزاي »، و « السين »، و « الضاد »، و « الطاء »، و « الظاء »، و « النون »، في نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ [الأنبياء: ٤٠]، ﴿بَلْ زُيِّنَ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ [الأحقاف: ٢٨]، ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ [الفتح: ١٢]، ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ [البقرة: ١٧٠].

* « الباء » المجزومة عند « الفاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾ [النساء: ٧٤]، وكذا « اللام » عند « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١]، حيثما وقع، وكذا « الفاء » عند « الباء »، في نحو قوله تعالى: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [سبإ: ٩]، وكذا « الذال » عند « التاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿عُذْتُ﴾ [غافر: ٢٧]، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: ٩٦]، وكذا « الثاء » عند « التاء » في: ﴿أورثتموها﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ولبثت﴾ [البقرة: ٢٥٩] وكيف جاء في أي موضع من القرآن، وكذا « الدال » عند « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ﴾ [مريم: ١ - ٢]، وكذا عند « الثاء »، في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وكذا « الراء » المجزومة عند « اللام »، نحو قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨].

* أدغم « النون » عند « الواو » من نحو قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [يسٓ: ١ - ٢]، ﴿نون والقلم﴾ [القلم: ١]، أدغم « الثاء » في « الذال »، في نحو قوله تعالى: ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وكذا « الباء » في « الميم »، في نحو قوله تعالى: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، وكذا « النون » في « الميم »، في نحو قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء: ١].

* أظهر « النون » الساكنة والتنوين عند أحرف الحلق الستة المجموعة في

قول العلامة الجمزوري « همز »، « هاء »، ثم « عين »، « حاء » مهملتان ثم « غين »، « خاء » وأدغمهما بلا غنة في كل من « اللام، والراء »؛ وأدغمهما بغنة في الأحرف الأربعة التي يجمعها قولك « يومن »، إلا إذا اجتمعت « النون » مع كل من « الياء » و « الواو » في كلمة واحدة، في نحو قوله تعالى ﴿دنيا﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]، فإنه يظهرها كباقي القراء وتسمى إظهار مطلق، ويقلب كذلك « النون » والتنوين ميمًا بغنة مع الإخفاء عند « الباء »، ويخفى كذلك « النون » والتنوين مع باقي الحروف الهجائية.

* أمال « الراء » في قوله تعالى: ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ [الهمزة: ٥]، ﴿أَدْرَىٰكُم﴾ [يونس: ١٦] حيثما وقعت وذلك في سورة يونس ١٦، الحاقة ٣، المدثر ٢٧، المرسلات ١٤، الانفطار١٧ - ١٨، المطففين ٨-١٩، الطارق ٢، البلد ١٢، القدر ٢، القارعة ٣-١٠، الهمزة ٥ .

* أمال « الراء » و « الألف » في « رأى » إذا لم يأت بعدهما ساكن سواء مفصولًا أو موصولًا، نحو قوله تعالى: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦]، ﴿رآك﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿رآه﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿فَرَءَاهُ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿رآها﴾ [النمل: ١٠]، أما إذا وقعت قبل الساكن المفصول فإنه يميل « الراء » فقط، نحو قوله تعالى: ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾ [الأنعام: ٧٧]، ﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾ [الأنعام: ٧٨] وذلك في سور الأنعام ٧٦ - ٧٧-٧٨، هود ٧٠، يوسف ٢٤- ٢٨، النحل ٨٥-٨٦، الكهف ٥٣، طه ١٠، الأنبياء ٣٦، النمل ١٠- ٤٠، القصص ٣١، الأحزاب ٢٢، فاطر ٨، الصافات ٥٥، النجم ١١- ١٣- ١٨، التكوير ٢٣، العلق٧ .

* أمال حروف الهجاء: « حى طهر »، وكذا أمال « ألف » « رمى »، في سورة الأنفال ١٧، في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وصلا

ووقفا، أما «ألف» ﴿أَعْمَىٰ﴾ في سورة الإسراء ٧٢، و«ألف» ﴿نئا﴾ في الإسراء ٨٣، و«ألف» ﴿سوى﴾ في طه ٨٥، و«ألف» ﴿سدى﴾ في القيامة ٣٦، و«ألف» ﴿ران﴾ في المطففين ١٤ فأمالها وقفا.

* لم يمل «الألف» من قوله تعالى ﴿مجراها﴾ هود ٤١، وضم «الميم» وفتح «الراء» فيها فنطقها ﴿مُجرَاها﴾ دون إمالة.

* يفخم «الراء» وصلًا إذا كانت متحركة بالفتح، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أو مضمومة، نحو قوله تعالى: ﴿رُزِقْنَا﴾ [البقرة: ٢٥]، أو كانت ساكنة بعد فتح، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١]، أو بعد ضم، نحو قوله تعالى: ﴿قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١] أو بعد كسر أصلي بشرط أن يكون بعدها حرف استعلاء في كلمتها، نحو قوله تعالى: ﴿فِرْقَةٍ﴾ [التوبة: ١٢٢] واختلف عنه في نحو قوله تعالى: ﴿فِرْقٍ﴾ [الشعراء: ٦٣] بالشعراء من أجل كسر حرف الاستعلاء: «القاف» وصح عنه الوجهان «التفخيم والترقيق» في كلمة ﴿فِرْقٍ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وكذا يفخم «الراء» إذا سكنت بعد كسر عارض متصلة كانت، نحو قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِيٓ﴾ [الفجر: ٢٨] أو منفصلة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، أو لازمة منفصلة، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ﴾ [النور: ٥٥]، ويرقق «الراء» إذا كسرت، نحو قوله تعالى: ﴿رِجَالًا﴾ [النساء: ١]، ﴿رِئَآءَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وكذا إذا سكنت بعد كسرة أصلية، متصلة وليس بعدها حرف استعلاء، نحو قوله تعالى: ﴿مِرْيَةٍ﴾ [هود: ١٧]، كل ذلك حال الوصل، إلا ما أماله ففيه الترقيق.

أما حال الوقف فإنها تعتبر من العارض للسكون، فيفخمها إذا وقعت بعد فتح أو ضم، سواء كانت في الوصل متحركة بالفتح، أو الضم، أو الكسر، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٢١]، وكذلك

يفخمها إذا وقعت بعد ساكن مسبوقة بضم، أو فتح، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]، ويرققها إذا وقعت بعد « ياء » ساكنة، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلسَّيْرَ﴾ [سبإ: ١٨]، ﴿يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، أو بعد كسرة متصلة، نحو قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، ﴿قُدِرَ﴾ [الطلاق: ٧]، أو منفصلة بساكن، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، إلا أن أهل الأداء اختلفوا عنه فيما إذا كان الحاجز بين الكسرة و « الراء » ساكن حصين »، وحرف الاستعلاء، خاصة « الصاد »، أو « الطاء »، نحو قوله تعالى: ﴿مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبإ: ١٢]، فبعضهم يرققها اطرادا للقاعدة، وبعضهم يفخمها نظرًا لحرف الاستعلاء، واختيار العلامة المتولى شيخ شيوخنا رحمه الله التفخيم في ﴿مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، والترقيق في ﴿ٱلْقِطْرِ﴾ [الزخرف: ١٢] نظرًا لحالة الوصل.

* أسكن « الراء » في نحو قوله تعالى: ﴿أَرِنَا﴾ [النساء: ١٥٣] من قوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩]، ورقق جميع اللامات في القرآن الكريم استثنى « لام » لفظ الجلالة المعظم، بشرط ضم ما قبلها أو فتحه، نحو قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، للإجماع على تفخيمها حينئذ، ووقف بـ« التاء » وقفًا اختياريًا اتباعًا لخط المصحف العثماني على « هاء » التأنيث المرسومة بـ« التاء » المجرورة؛ وقد وقعت في ثلاث عشرة كلمة وهي: ﴿رحمت﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿نعمت﴾ [البقرة: ٢١١]، ﴿سنت﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿لعنت﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿امرأت﴾ [آل عمران: ٣٥]، ﴿بقيت﴾ [هود: ٨٦]، ﴿قرت﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿فطرت﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿شجرت﴾ [الدخان: ٤٣]، ﴿جنت﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿ابنت﴾ [التحريم: ١٢]، ﴿معصيت﴾ [المجادلة: ٨]، ﴿كلمت﴾ [آل عمران: ٦٤]، وكذلك وقف

بـ« التاء » المفتوحة في الكلمات المنتهية بـ« التاء » المفتوحة، التي اختلف القراء فيها بين الجمع والإفراد، ووردت في اثنى عشر موضعًا، وهى: ﴿كلمت﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿غيبت﴾ [يوسف: ١٢]، ﴿ءايات﴾ [البقرة: ٩٩]، ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ [سبإ: ٢٢]، ﴿بينت﴾ [البقرة: ٢١١]، ﴿ثَمَرَٰتِ﴾ [النحل: ٦٧]، ﴿جمالت﴾ [المرسلات: ٣٤]، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿مَرْضَاتِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ﴿هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ [ص: ٣]، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ١٣]، ﴿اللات﴾ [النجم: ١٩]، لأن بعض القراء وقف عليها بـ« الهاء » إلا أنه حذف ألف: ﴿ثَمَرَٰتِ﴾ [النحل: ٦٧]، فينطقها: ﴿ثمرت﴾ [النحل: ٦٧]، وكذا زاد « ألفا » في ﴿جمالات﴾ [المؤمنون: ٣٦] فنطقها بالجمع ووقف عليهما بالتاء، لأنه هو وحفص يرويانها بـ« التاء ».

* وقف بدون « ياء » على كل من ﴿هاد﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وآق﴾ [الرعد: ٣٤]، ﴿وَالٍ﴾ [١٣: ١١]، ﴿بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقف على « الهاء » بدون « ألف » بعدها كرسم المصحف، في نحو قوله تعالى: ﴿أيه﴾ [النور: ٣١]، في كل من سورة النور، في نحو قوله تعالى: ﴿أيه المؤمنون﴾، والزخرف، في قوله تعالى: ﴿أيه الساحر﴾، وسورة الرحمن، في قوله تعالى: ﴿أيه الثقلان﴾ تبعًا للرسم، وإذا وصلها بما بعدها فتح « الهاء » ولم يضف ألفًا.

* وقف على « النون » في نحو قوله: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ [القصص: ٨٢]، وعلى « الهاء » فى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ [القصص: ٨٢] ووقف على « النون »، في نحو قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾ [آل عمران: ١٤٦]، حيثما وقع وعلى ﴿أَيًّا مَّا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ووقف على ﴿ما﴾ [المسد: ٢] أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ووقف على: ﴿مَّآ﴾ [الإسراء: ١١٠] من: ﴿مال هؤلاء﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ﴾ [المعارج: ٣٦]، ووقف

عليها أيضًا: ﴿مَالَ﴾ [الإسراء: ٣٤]، أي: إنه وقف على « الألف » أو « اللام ».

* أسكن ياء « معي » سواء وقع بعدها « همزة » قطع أم لا، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، مع ملاحظة أن حفصًا قد فتح ﴿مَعِيَ﴾ [الشعراء: ٦٢] في كل من سورة الأعراف ١٠٥، والتوبة ٨٢، والكهف ٦٧- ٧٢- ٧٥، والأنبياء ٢٤، والشعراء ٦٢- ١١٨، القصص ٣٤، الملك ٢٨، أسكن ياء « أجرىْ إلا » [يونس: ٧٢]، فيكون من قبيل المد المنفصل، وذلك في كل من: سورة يونس ٧٢، هود ٢٩- ٥١، الشعراء ١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠، سبأ ٤٧، وأسكن « الياء » في « بيتي » فى: كل من سورة البقرة ١٢٥، الحج ٢٦، نوح ٢٨، أسكن « الياء » في قوله تعالى: ﴿وَجْهِيَ﴾ في كل من آل عمران ٢٠، الأنعام ٧٩، وكذا أسكن « الياء » في قوله تعالى ﴿يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكذا « الياء » في قوله تعالى: ﴿لِيَ عَلَيْكُم﴾ إبراهيم ٢٢، وكذا « الياء »: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، في سورة ص ٢٢، وكذا « الياء »: ﴿لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ في سورة ص ٦٩، وكذا « الياء » في قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا﴾ سورة طه ١٨، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون.

* فتح « الياء » في « عهدي » من قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وكذا « بعدي »، من قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]

* روى ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ﴾ بالزخرف ٦٨، بإثبات « الياء » مفتوحة وصلًا ساكنة وقفا فتكون ﴿ياعبادي لا خوف عليكم﴾ حال الوصل، ﴿يَا عِبَادِيْ﴾ حال الوقف.

* حذف جميع ياءات الزوائد في حالتى الوصل والوقف، وكذا في قوله تعالى: ﴿فما آتان الله خير مما آتاكم﴾ بسورة النمل ٣٦.

* أثبت « الألف » وصلًا ووقفًا من: ﴿ٱلظُّنُونَاْ﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿الرسولا﴾ [الأحزاب: ٦٦]، ﴿ٱلسَّبِيلَاْ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ونون « ألف » ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ [الإنسان: ٤]، ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ [الإنسان: ١٦]، وعليه؛ فهي ثابتة عند الوقف؛ لأنها من قبيل العوض في هذه الحالة.

* قرأ بـ« الصاد » قولًا واحدًا في كل من قوله تعالى: ﴿يبصط﴾ البقرة، وكذا ﴿بصطة﴾ الأعراف، وكذا ﴿مصيطرون﴾ الطور.

بعض الكلمات خالف شعبة فيها حفصا وهى:

﴿رءوف﴾: حذف « الواو » فيها فتكون: ﴿رءف﴾، وذلك في كل من: البقرة ١٤٣- ٢٠٧، آل عمران ٣٠، التوبة ١١٧- ١٢٨، النحل ٧-٤٧، الحج ٦٥، النور ٢٠، الحديد ٩، الحشر ١٠.* أسكن « الطاء » في ﴿خُطْوٰتِ﴾، في كل من البقرة ١٦٨-٢٠٨، الأنعام ١٤٢، النور ٢١، ضم « الراء » في ﴿رُضوان﴾، وذلك في كل من آل عمر ان ١٥- ١٦٢- ١٧٤، المائدة ٢، التوبة ٢١- ٧٢- ١٠٩، محمد ٢٨، الفتح ٢٩، الحديد ٢٠- ٢٧ الحشر ٨؛ إلا الموضع الثانى من المائدة ١٦ فإنه وافق فيه حفصًا.

* زاد « همزة » منصوبة بعد « الألف » فى: ﴿زكرياءَ﴾، في آل عمران ٣٧، الأولى الأنعام ٨٥، مريم ٢، الأنبياء ٨٩، وهمزة مرفوعة في ﴿زكرياءُ﴾ في آل عمران ٣٧ الثانية، مريم ٧ .

* فتح الجيم و « الراء » وزاد « همزة » مكسورة وحذف الياء في ﴿لجبريل وجبريل﴾ لتكون ﴿لجبرئل﴾، ﴿وجبرئل﴾ البقرة ٩٧-٩٨، وزاد همزة مكسورة و « ياء » بعدها بين « الألف » و « اللام » في ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ لتكون ﴿ميكائيل﴾.

* ضم « الباء » في ﴿بُيُوتَ﴾، سواء كان معرفة، أم نكرة، وذلك في البقرة ١٨٩، آل عمران ٤٩- ١٥٤، النساء ١٥، الأعراف ٧٤، يونس ٨٧، الحجر ٨٢، النحل ٦٨-٨٠، النور ٢٧- ٢٩-٣٦ .

* زاد « ألفا » بعد « النون » على الجمع في ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، ﴿مَكَانَتِهِمْ﴾ [يسٓ: ٦٧]: ليكونا: ﴿مكاناتكم﴾، ﴿مكاناتهم﴾.

* أبدل « الواو » « همزة » في ﴿هُزُوًا﴾ حيثما وقعت فيقرأها ﴿هزءا﴾ في كل من سورة البقرة ٦٧- ٢٣١، المائدة ٥٧-٥٨، الكهف ٥٦- ١٠٦، الأنبياء ٣٦، الفرقان ٤١، لقمان ٦، الجاثية ٩-٣٥، وأبدل « الهمزة » بين اللامين « واوا » في قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ سواء كان معرفة أم نكرة فتكون ﴿اللولؤ﴾، ﴿لولؤا﴾ وذلك في كل من سورة الحج ٢٣، فاطر ٣٣، الطور ٢٤، الرحمن ٢٢، الواقعة ٣٣، الإنسان ١٩.

وكذا أبدل « الهمزة » « واوا » في ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ فتكون ﴿موصدة﴾ في كل من البلد ٢٠ والهمزة ٨.

* زاد « همزة » استفهام في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ في الأعراف ١٢٣ وفى طه ٧١ وفى الشعراء ٤٩، فتكون ﴿ءأمنتم له﴾، وكذا زاد همزة الاستفهام فى: ﴿إِن كَانَ﴾ القلم ١٤، لتكون ﴿أأن كان﴾.

* فتح الياء في ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾، ﴿مُّبَيَّنَـٰتٍ﴾ في كل من سور النساء ١٩، النور ٣٤، ٤٦ الأحزاب ٣٠، الطلاق ١-١١ .

وبذلك نكون قد انتهينا من رواية شعبة عن عاصم وقد انتهينا في الفصل السابق من رواية حفص، ومن مجموع الروايتين تكون قراءة عاصم.

* * *

الفَصْلُ الخَامِسُ

مبادئ علم التجويد

إن أشرف الكلام وأحسنه هو كلام اللّه سبحانه وتعالى، وكل علم يتحدث عن كلام اللّه يأخذ مرتبته في هذا الشرف.

ومن الوضوح بمكان أن الشيء يشرف بما ينسب إليه، وإذا كان علم التجويد علمًا يتحدث عن الآيات القرآنية من حيث تحسين التلفظ بها فهو من أشرف العلوم الشرعية على الإطلاق.

يؤيد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في فضل القرآن؛ قال: « حدثنا عليّ بن عبد اللّه، عن سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن النّبي ﷺ، قال: « **ما أذن اللّه لشئ ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن** »[(١)].

وروى أيضًا في فضل القرآن على سائر الكلام قال: « حدّثنا هدبة بن أبي خالد، حدّثنا همّام، حدّثنا قتادة، حدّثنا أنس بن مالك، عن أبي موسى الأشعريّ عن النبي ﷺ، قال: « **مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة؛ طعمها طيب**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح كما في الفتح (٨/ ٦٨٥) رقم (٥٠٢٤) ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٤٥) رقم (٧٩٢) - ومعنى: « أذن » أي: استمع، وهو إشارة إلى الرضا، و « أذن » في اللغة: الاستماع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق - ٢].

وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل الفاجر[1] الذى لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة؛ طعمها مرّ ولا ريح لها».

ولما كان علم التجويد علمًا يبحث في جودة قراءة القرآن، وتحسين التلفظ به، كان من أشرف العلوم الشرعية.

وهذا العلم شأنه شأن أى علم آخر، له قواعد وأسس، يتعرف على دقائقه من خلالها، يطلق عليها مبادئ هذا العلم.

ومبادئ علم التجويد عشرة مبادئ، زادها بعض أهل العلم إلى أكثر من ذلك، واكتفى بعض أهل العلم ببعضها.

وقد رتب هذه المبادئ بعض العلماء فقال:

إن مبادئ كل فن عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبةُ والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

وترتيبها في النظم كالآتى:

١- الحد ٢- الموضوع ٣- الثمرة ٤- فضله ٥- نسبته

٦- واضعه ٧- اسمه ٨- استمداده ٩- حكمه ١٠- مسائله

وإليك بيان كل واحدة منها بالتفصيل خلال هذا الفصل.

---

(١) رواية أخرى في صحيح مسلم بلفظ «المنافق» (١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه كما في الفتح، ومسلم في الصلاة (١/ ٥٤٩) رقم (٧٩٧) وسبق تخريجه.

١- حده:

ويقصد به: معناه، والحد هو: الفاصل بين هذا العلم وبين غيره من العلوم الأخرى؛ فالتجويد مصدر جود تجويدًا، والاسم منه الجودة.

والتجويد في اللغة:

معناه: التحسين؛ يقال: جوّد الرجل كلامه، أو جوّد عمله إذا أتى به حسنًا، كما يقال لقارئ القرآن المحسن لتلاوته: مجوّدًا «بكسر الواو»، إذا أتى بالقراءة مجوّدة الألفاظ، بريئة من الجور والتحريف حال النطق بها، لقول علي رضي الله عنه حينما سئل عن الترتيل؟ فقال: «تحسين الحروف ومعرفة الوقوف»[1].

وفى الاصطلاح[2]:

هو: إخراج كل حرف من مخرجه، مع إعطائه حقه ومستحقه من الصفات، وحق الحرف: «الصفات اللازمة الثابتة في الحرف، التي لا تنفك عنه بأى

---

(١) بحثت عن هذا الأثر في كتب الحديث وكلفت بعض إخواني للقيام بذلك فأعياني البحث، ولكنني وجدته مدونًا في بعض كتب التجويد والقراءات نحو: كتاب النشر، ونهاية القول المفيد معزوًا إلى على رضي الله عنه.

(٢) قيل: إن أول من قعد قواعد التجويد وجمع فوائده أبو الأسود الدؤلي «ت ٦٩هـ» وقيل: الخليل بن أحمد الفراهيدي «ت ١٧٥ هـ»، وقيل: أبو عبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٧ هـ» وقيل: أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن خاقان ت٣٢٥، وذكر أبو جعفر بن الباذش ت ٥٤٠ هـ: أن قراءة التجويد قسيمة للقراءات الأخرى كالحدر، والتحقيق، قال شيخ الإسلام بن تيمية: «لم يجمع القراءات الصحابة ولا التابعون لأجل الحفظ والدرس، وإنما هو اجتهاد فعله طوائف»، انظر بحث في حكم القراءة بالتغني والتجويد د. سعود بن عبد الله الفنيسان، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة السنة الثانية، العدد السادس ١٤١١ هـ ص٣٢.

حال من الأحوال، كالجهر، والشدة، والاستعلاء، والاستفال، ومستحق الحرف: الصفات العارضة[١]، وهى التي تأتي للحرف أحيانًا وتفارقه أخرى لسبب من الأسباب، كالتفخيم، والترقيق، بالنسبة للراء، وهذه حقيقة علم التجويد[٢]؛ لأن التفخيم نشأ عن صفة أصلية هي الاستعلاء، والترقيق نشأ عن صفة أصلية هي: الاستفال.

فالتجويد هو: إعطاء الحروف بعد إحسان مخارجها وتمكينها في محايزها حقها من كل صفة من صفاتها المتقدمة، وإعطائها مستحقها من تفخيم، وترقيق، وسائر أوصافها، والفرق بين حق الحروف ومستحقها أن حق: الحرف صفته اللازمة له من همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، وغير ذلك من الصفات، ومستحقها: ما ينشأ عن هذه الصفات كـ: ترقيق المستفل، وتفخيم المستعلى، ونحو ذلك من ترقيق الراءات، وتفخيم بعضها، وكذا حكم اللامات، ويدخل في الثاني ما ينشأ من اجتماع بعض الحروف إلى بعض، مما حكموا عليه بالإظهار، والإدغام، والإخفاء، والقلب، والغنة، والمد، والقصر، . . إلخ، فالحق صفة اللزوم، والمستحق صفة العروض[٣].

---

(١) قد يظن البعض أن الصفات العارضة هي التفخيم والترقيق فقط، وهذا ليس بصحيح، فلقد أوصل بعض العلماء تلك الصفات العارضة إلى أكثر من أربعين صفة، منها على سبيل المثال لا الحصر: المد والإمالة والإظهار والإدغام والسكت وغير ذلك من الصفات العارضة التي تصحب الحرف أحيانًا وتفارقه أخرى.

(٢) حقيقة علم التجويد: «إعطاء الحرف حقه ومستحقه»، أى: صفاته اللازمة والعارضة.

(٣) انظر المنح الفكرية - شرح المقدمة الجزرية تأليف ملا علي بن سلطان القارى - ط مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأخيرة عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م.

لذلك كان الواجب على القارئ العناية الشديدة بالقرآن الكريم، والاهتمام بإخراج الحروف من مخارجها، وإعطائها حقها من الصفات اللازمة والعارضة.

قال أبو عمرو الداني[١]: «ينبغي للقارئ أن يعوِّد نفسه على تفقد الحروف التي لا يوصل إلى حقيقة اللفظ بها إلا بالرياضة الشديدة، والتلاوة الكثيرة، مع

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي، الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي، وفى زماننا بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية، ولد سنة ست وثمانين وثلاث مائة قال: «وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاث مائة، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكث بالقيروان أربعة أشهر أكتب ثم دخلت مصر في شوال من السنة، فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس في ذى القعدة سنة تسع وتسعين، وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربع مائة فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة، قال: «وقدمت دانية سنة سبع عشرة، فاستوطنها حتى مات».
قرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر بن خواستي الفارسي، وعلى خلف بن إبراهيم بن خاقان، وأبي الفتح فارس بن أحمد، وأبي الحسن طاهر بن غلبون، وسمع كتاب ابن مجاهد في اختلاف السبعة من أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب بسماعه منه، وسمع الحديث من أبي مسلم، ومن أحمد بن فراس العقبسي، وعبد الرحمن بن عثمان الزاهد، وحاتم بن عبد الله البزار، وأحمد بن فتح بن الرسان، ومحمد بن خليفة بن عبد الجبار، وأحمد بن عمر بن محفوظ الجيزي، وعبد الرحمن بن عمر ابن النحاس، وأبي الحسن على بن محمد القابسي، وأبي عبد الله بن أبي زمنين، وعبد الوهاب بن منير المصري، وطائفة كبيرة، قرأ عليه أبو بكر بن الفصيح، وأبو الذواد مفرج فتى إقبال الدولة، وأبو الحسين يحيى بن أبي زيد، وأبو بكر محمد بن المفرج، وأبو الحسن على بن عبد الرحمن بن الدش، وأبو داود سليمان بن نجاح، وأبو عبد الله محمد بن مزاحم، وأبو علي الحسين بن علي بن مبشر، وأبو القاسم خلف بن إبراهيم، وأبو اسحاق إبراهيم ابن عليّ، وخلق سواهم.
قال ابن بشكوال: «كان أبو عمرو أحد الأئمة في علم القرآن، رواياته، وتفسيره، ومعانيه، وطرقه، وإعرابه، وجمع في ذلك كله، تواليف حسانًا مفيدة، يطول تعدادها، وله معرفة بالحديث وطرقه، وأسماء رجاله ونقلته، وكان حسن الخط، جيد الضبط من أهل الحفظ والذكاء، والتفنن، دينًا، فاضلًا، ورعًا، سنيًّا. =

العلم بحقائقها، والمعرفة بمنازلها، فيعطي كل حرف منها حقه من المد إن كان ممدودًا، ومن التمكين إن كان متمكنًا، ومن الهمز إن كان مهموزًا، ومن الإدغام إن كان مدغمًا، ومن الإظهار إن كان مظهرًا، ومن الإخفاء إن كان مخفيًا، ومن الحركة إن كان محركًا، ومن السكون إن كان مسكنًا، ويكون ذلك على حسب ما يتلقاه من أفواه المشايخ العارفين بكيفية أداء القراءة حسبما وصل إليهم من مشايخهم من الحضرة النبوية العربية الأفصحية، لا مجرد اقتصارٍ على النقل من الكتب المدونة، أو اكتفاءٍ بالعقل المختلف الأفكار[١].

قال ابن الجزري: «ولا أعلم سببًا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المُحَسِّن، وأنت ترى تجويد حروف الكتابة كيف يبلغها الكاتب بالرياضة أو التكرار، وتوقيف الأستاذ»[٢].

= قلت: وكتبه في غاية الحسن والإتقان، منها كتاب: «جامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والغريبة»، وكتاب: «إيجاز البيان فى قراءة ورش مجلد»، وكتاب: «التلخيص في قراءة ورش مجلد صغير»، وكتاب: «التيسير»، وكتاب: «المقنع فى: رسم المصحف»، وكتاب: «المحتوى في القراءات الشواذ»، وكتاب: «الأرجوزة في أصول السنة»، وكتاب: «طبقات القراء وأخبارهم فى: أربعة أسفار»، وكتاب: «الوقف والابتداء»، وغير ذلك، بلغني أن له مئة وعشرين مصنفًا، ثم وقفت على أسماء مصنفاته في تاريخ الأدباء لياقوت الحموي، فإذا فيها كتاب التمهيد لاختلاف قراء نافع عشرون جزءًا، كتاب الاقتصار في القراءات السبع - مجلد، كتاب: اللامات والراءات لورش مجلد، كتاب: الفتن مجلدان، مذاهب القراء في الهمزتين مجلد، كتاب: اختلافهم في الثلاث «مجلد كتاب» الفتح والإمامة لأبي عمرو بن العلاء مجلد وبهذا نرى أن معظم مؤلفاته أجزاء مفردة، وقد روى عنه بالإجازة أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني، وأحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة المرسي، وبقي ابن أبي حمزة، توفى الحافظ أبو عمرو الداني بدانية يوم الإثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة، ودفن ليومه بعد العصر، وشيّعه خلق كثير.

(١) انظر التحديد لأبي عمرو الداني. (٢) انظر النشر في القراءات العشر.

وقال الداني أيضًا: « معنى التجويد هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها، ومراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه، وأصله، وإلحاقه بنظيره، وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال هيئته وبنيته من غير إسراف، ولا تعسف، ولا إفراط، ولا تكلف »[١].

فيجب على الإنسان أن يلزم نفسه بأحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس، ومقارب، وقوي، وضعيف، ومفخم، ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب، وإذا أردنا الوصول إلى هذه الحقيقة فلا بد من مراعاة أربعة أمور، يتوقف عليها تجويد القرآن، **أولها**: معرفة مخارج الحروف، **ثانيها**: معرفة صفاتها، **وثالثها**: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، **ورابعها**: رياضة اللسان وكثرة التكرار، وأصل ذلك كله وأساسه تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء[٢] بهذا الشأن وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان، وصحة الإسنان كان الكمال[٣]،

---

(١) انظر التحديد والتيسير لأبي عمرو الداني.

(٢) وضح مكي حاجة المتعلم إلى الأخذ عن الشيخ المتقن، وحاجة الشيخ أيضًا إلى إتقان تجويد الحروف بالاعتماد على الأصول التي يسطرها علماء التجويد في كتبهم، فقال: « والمقرئ أحوج من القارئ في تعلم ذلك؛ لأنه إذا علمه علّمه، وإذا لم يعلمه لم يعلّمه فيستوي في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ، ويضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر »، انظر الرعاية ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٣) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٦٠ .

لذلك قال الداني: «ليس بين التجويد وتركه إلا رياضةٌ لمن تدبره بفكه»[١].

٢- موضوعه:

علم التجويد يبحث في الكلمات القرآنية، من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها من غير تكلف في النطق، أو تعسف، مما يخرجها عن القواعد المجمع عليها.

وذهب بعض أهل العلم إلى: أن التجويد يتعلق أيضا بالحديث الشريف، وعلل ذلك بأن الحديث الشريف نوعٌ من أنواع الوحي، وإن كان يختلف عن القرآن فلا بد من تجويده كالقرآن.

وذهب فريق آخر إلى: أن التجويد يتعلق بالمقاطع الصوتية عند النطق بها، فإن انعدم النطق انعدم الصوت، وإن انعدم الصوت فلا يتحقق التجويد ولا الإلقاء الصوتي.

وقال آخر: نستطيع أن نقول: إن علم التجويد يبحث في الصورة الصوتية للحرف الهجائي القرآني.

قال المرعشي: «قيل: موضوع التجويد الكلمات القرآنية يعنى حروفها، وفيه نظر؛ لأنه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من العلوم العربية»، ثم قال: أما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف[٢].

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٦٢ .

(٢) انظر جهد المقل.

وعند بحث هذا الموضوع في كتاب قواعد التلاوة؛ وجدنا أن الأستاذ فرج توفيق يقول: « إن الآيات القرآنية لا تكون وحدها موضوع هذا العلم، وإن كانت الدافع لتأليف هذا العلم ككثير من العلوم العربية، باعتبار وجوب النطق بها على الصورة التي نطق بها الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ومن بعده جيلا بعد جيل، بل موضوعه سائر الكلمات العربية من نثر وشعر، وهذه الكلمات تتكون من الحروف العربية؛ لذلك أطلق عليه المحدثون اسم: « علم الأصوات »، ثم قال: « إن فائدته صون اللسان عن اللحن في لفظ القرآن الكريم ليس ذلك فقط بل يقال أيضًا: أن فائدته صون اللسان عن الخطأ في الكلمات العربية، والنطق بها على الصورة الصحيحة التي نطق بها الفصحاء من العرب، وفى مقدمتهم صاحب الرسالة ﷺ[1] ».

الخلاصة: أنه إذا كان موضوع علم التجويد الكلام العربي، كما ذهب إليه هذا الفريق، فما الفارق بين هذا الكلام « العربي « وكلام رب العالمين » الآيات القرآنية »؟؛ وإذا جوّدنا هذا الكلام العربي مساويين له مع لفظ القرآن، فما الفاصل عند السامع بين ما هو قرآن وما هو غير ذلك من كلام البشر؟؛ فلابد من التفرقة بين الكلام العادي والكلام الإلهي.

قلت: إن علم التجويد علم يتعلق بالكلمات القرآنية، كما ذهب إلى ذلك علماء التجويد منذ زمن بعيد لقول المولى عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فإذا كان التجويد متعلقا بأي كلام عربي كما يدعي البعض؛ لكان الأمر بالترتيل في غير محله، وحاشا لله أن يكون كلامه دون فائدة.

---

(١) انظر قواعد التلاوة - فرج توفيق.

أستأنس في ذلك بقول الشيخ القاضي رحمه الله، حيث قال: « علم التجويد علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية »[١].

٣- ثمرته:

صون اللسان عن اللحن[٢] في لفظ القرآن الكريم؛ ومعنى « اللحن » عند علماء فن التجويد: هو: تغيير الإعراب، وقيل: هو ألا يوفي القارئ الحرف حقه، أو يقصر في صفته، أو يزيد على ذلك، كالإفراط في التمطيط والتعسف في التفكيك[٣]، وعرفه ابن الجزري بأنه: « خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف، أو بالعرف دون المعنى[٤]، وقيل هو: الميل عن الصواب والخطأ في الإعراب وينقسم إلى قسمين:

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للعلامة القاضي.

(٢) جاء لفظ اللحن في لغة العرب على عدة معان، منها:

أ- « اللغة »: لقول عمر رضي الله عنه : « تعلموا الفرائض، والسنن، واللحن كما تعلموا القرآن »، وقال الأزهري في لسان العرب: معناه: « تعلموا لغة العرب في القرآن، واعرفوا معانيه »، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، أي: « معناه وفحواه ».

ب- « الغناء » كما يقال: فلان لا يعرف لحن هذا الشعر، أي: لا يعرف كيف يغنيه، ويقال: لحن في قراءته إذا طرّب بها.

ج- الفطنة: يقال: لحنت لحنًا إذا فهمته وفطنته، فتقول مثلًا: « لحن هو عنى لحنًا »، أي: فهم وفطن، ومنه قوله ﷺ: « لعل بعضكم يكون ألحن بحجته »، أي: أفطن وأحسن تصرفًا.

د- التعريض والإيماء: وذلك كقوله ﷺ حينما بعث قومًا ليخبروه خبر قريش: « إذا انصرفتما فالحنا لى لحنًا، أي: أشيرا إليّ ولا تفصحًا، وعرِّضا بما رأيتما »، فأسرهما ﷺ بذلك؛ لأنهما ربما أخبرا عن العدو ببأس وقوة، فأحب ألا يقف عليه المسلمون « لسان العرب » - مادة لحن.

(٣) انظر جمال القراء للسخاوى ج٢ ص٥٢٩ .

(٤) انظر التمهيد لابن الجزرى ص٧٧ .

أ- لحن جلي

ب- لحن خفي

أ- اللحن الجلي[1]:

خلل يطرأ على الألفاظ، فيخل بعرف القراءة، سواء أخل بالمعنى أم لا؛ وهذا النوع يعرفه من عنده أدنى دراية بعلم اللغة العربية.

واللحن الجلي ينقسم الى قسمين:

الأول: يخل بعرف القراءة والمعنى.

الثاني: يخل بعرف القراءة دون المعنى.

وإليك بيانها:

فالأول: الذي يخل بعرف القراءة والمعنى:

كتغير حركة بحركة وتغيير حرف بحرف.

(١) كان ابن مجاهد هو صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، فقد قال الداني: حدثني الحسين بن شاكر السمسار، قال حدثنا أحمد بن نصر، قال: «سمعت ابن مجاهد يقول: «اللحن في القرآن لحنان»: جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه، وفى بعض المصادر: «ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها»، فابن مجاهد إذن هو مؤسس فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، وكانت هذه الفكرة في تقسيم اللحن قد عرفت في أعمال علماء التجويد منذ مراحله الأولى، وكانت مستندهم في بناء منهج كتبهم، وطريقة معالجتهم للظواهر الصوتية. قال ابن مزاحم الخاقاني في قصيدته مشيرًا إلى اللحن:

فأول علم الذكر إتقان حفظه ... ومعرفة باللحن فيه إذا يجرى

فكن عرفا باللحن كيما تزيله ... فما للذى لا يعرف اللحن من عذر

انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٥٠/ ٥١ .

فمثال تغيير الحركة:

نحو: ضم «التاء» أو كسرها في كلمة «أنعمت»، من قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، فإذا حركت «التاء» بالضم بدلًا من تحريكها بالفتح؛ فكأنك جعلت القارئ هو المنعم؛ مع أنه منعم عليه من قبل مولاه؛ وبهذا تم تغيير المعنى المراد.

وكذلك كلمة «كتبت» من قوله تعالى: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧] فضم «التاء» في «كتبتُ» يؤدّي إلى تغيير المعنى؛ وتغييره بالكسر أيضًا في كلمتي: ﴿أَنْعَمْتَ﴾، و﴿كَتَبْتَ﴾ جعلت المسئول أنثى، وحاشا لله ذلك، أو أن يوصف بذلك؛ وكذلك من يغيّر حركة «العين» في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] فإذا قالها: ﴿عُلِّمْتُمْ﴾ بضم «العين» فقد غير المعنى إلى معنى قبيح، وهذا خطأ مستبشع، ينبغي لكل مسلم عند قراءته لكتاب ربه أن يتدبر المعاني الجليلة، حتى يتجنب مثل هذا المنزلق الخطير؛ لأن اللَّه عز وجل قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]. وقال سبحانه في حق كتابه الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وكذلك قد يقع الخطأ من القارئ، في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ فأصلها بضم التاء من ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟﴾ لأن الأمر هنا للنساء، فيفتح القارئ التاء فيقرأها ﴿وَلَا تَنكحوا﴾ فيجعل الأمر للرجال، فيتغير معنى الكلمة إلى معنى فاسد، وهو أمر الرجال بعدم نكاح الرجال المشركين وهذا خطأ فادح وقبيح لا يقع إلا من قليل الفهم، أو معدومه.

مثال تغير الحرف بحرف:

هذا النوع يؤدي إلى تغيير المعنى مطلقًا، وذلك نحو: إبدال « الطاء » « تاءً »، وهذا ناتج عن إهمال القارئ لمخرج الحرف، وصفته.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، فينطقها القارئ: ﴿الصرات﴾ بترك الإطباق والاستعلاء، ونحو: ﴿طَبَعَ﴾ من قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [النساء: ١٥٥]، فينطقها « تبع »، وكذلك ﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾، فينطقها ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾، فواضح لكل عاقل وضوحًا جليًا في هذه الأمثلة أن المعنى قد تغير إلى معنى مختلف تمامًا عن المراد والمقصود، وكذلك إذا أُبدلت: « الظاء »، « ذالا » في كلمة ﴿مَحْظُورًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، فينطقها ﴿مَحْذُورًا﴾[(١)].

فلا شك أن تغيير « الظاء »، بـ« ذال » أدى إلى تغيير المعنى كما تبين لك من الفرق بين الكلمتين، وكذلك إبدال: « السين- صادًا » في كلمة « عسى » من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾[(٢)] [الإسراء: ٨]، فينطقها: ﴿وَعَصَىٰٓ﴾،

---

(١) جاء في لسان العرب: « الحظر »: المنع، ومن قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، والمحظور: المحرم؛ حظر الشيء يحظره وحظارًا، وحظر عليه: منعه وكل ما حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك، وقول العرب: لا حظار على الأسماء، يعني: أنه لا يمنع أحد أن يسمى بما شاء أو يتسمى به، وحظر عليه حظرا: حجر ومنع؛ ونقول: هناك أسماء منع الشرع الشريف من التسمي بها، وليس الأمر على الإطلاق في ذلك؛ ومعنى الآية: أن عطاء ربك غير ممنوع، وغير ممتنع عن أحد، وليس له حدود، انظر لسان العرب ٢/ ٩١٨ مادة « حظر ».

أما الحذر: الخيفة، نقول: رجل حذر وحذر « متيقظ شديد الحذر والفزع »، ومتحرز وحاذر متأهب معد كأنه يحذر أن يفاجأ والتحذير التخويف اهـ. انظر لسان العرب، مادة « حذر ».

(٢) وجاء في لسان العرب: عسى بمعنى: « طمع وأشفق، وهو من الأفعال المتصرفة؛ =

وهذا خطأه واضح، والأمثلة كثيرة جدًا، أعرضنا عن ذكرها واكتفينا بالإشارة فقط.

لذلك أشار ابن الجزرى بقوله:

وخلص انفتاح محذورا عسى خوف اشتباهه محظورا عصى

فلا شك أن إبدال أحد الحرفين من بعض يؤدي إلى تغيير المعنى، وهذا قبحه شديد.

والثاني: الذي يخل بعرف القراءة دون المعنى:

كتحريك السواكن نحو: تحريك النون بالفتح من كلمة «أنعمت»، وكذا الميم من كلمة ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾، أو تغيير حركة الدال بالفتح أو الكسر مثلا، في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وكذا: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وهكذا.

ووجه تسمية هذا النوع جليًا: لأنه ظاهر؛ يشترك في معرفته من عنده أدنى معرفة باللغة العربية، سواء كانوا من القراء أو لم يكونوا كذلك.

حكم هذا اللحن:

ذهب جمهور أهل الأداء إلى تحريم هذا النوع من اللحن بإجماع.

= قال الأزهري: عسى حرف من حروف المقاربة، وفيه ترج وطمع، وعسى عند جمهور النحويين من أخوات «كاد»، ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وعسى في القرآن من الله - جل ثناؤه - واجب، ومن العباد ظن؛ وحكى الأزهري عن الليثي: عسى تجرى مجرى لعل، كقوله تعالى: ﴿عسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وقد أتى الله به في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أما معنى عصى بالصاد: «من العصيان، وهو خلاف الطاعة فيقال: عصى العبد ربه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عصيانًا إذا لم يطعه»، انظر لسان العرب ٤/ ٢٩٤٩، مادة «عسى».

قال فضيلة الشيخ علي صبره في كتابه «العقد الفريد»: «إن هذا اللحن حرام بالاتفاق متى تعمده القارئ، أما إن كان ناسيًا أو جاهلًا بالحكم فلا إثم عليه».

قلت: إن قصد الشيخ: إذا كان هذا القارئ جاهلًا بالحكم، وأهمل التعلم، فإن الإثم لا يتركه، ولا ينصرف عنه، أما إذا كان في سبيل التعليم، وأخطأ فهذا- والله أعلم- ما يقصده الشيخ بقوله: أو جاهلًا.

هذا؛ وذهب بعض أهل العلم إلى: إن من لم يتعلم شيئا من القرآن تكاسلًا مع القدرة لا تجوز صلاته بخلاف الأمّي[(١)].

قلت في هذه المسألة: إن التحريم والتحليل لا بد أن يكون بدليل، فعلماء التجويد ذهبوا إلى الوجوب العيني على من أراد أن يقرأ شيئًا من القرآن، وذهب علماء الأصول إلى أن الواجب في أحكام التجويد واجب صناعي، وقد سلكنا في هذا الكتاب مسلك علماء التجويد وجمهورهم، وفى بحث لاحق نحقق هذه المسألة بالتفصيل، ونرجح أحد الرأيين بالأدلة - إن شاء الله وقدر -[(٢)].

---

(١) انظر المدخل إلى فن الاداء؛ والأمي: من لا يقدر على القراءة.

(٢) قال د. سعود بن عبد الله الفنسيان: أما اللحن الخفي- كما هو عند أهل التجويد-: فغير مراد؛ لأن الصلاة به صحيحة، ولا تحرم به القراءة عند أهل العلم قاطبة، ولا أعلم فيه خلافًا، إلا عند بعض متأخري أهل التجويد، حيث يكرهون القراءة باللحن الخفي، قلت: قد يتغير المعنى لأن من اللحن الخفي ما يتغير به معنى الكلمة في ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فهي في الأصل من السقاية فينطقها كأنها من «الفسق» والعياذ بالله وقد نبهنا على هذا الخطأ كثيرًا.

ب- اللحن الخفي:

خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة دون المعنى[١]؛ وينقسم أيضا إلى قسمين:

(١) قسم يعرفه عامة القراء.

(٢) قسم لا يعرفه إلّا المهرة من القراء.

فالأول: وهو: ما يعرفه عامة القراء، نحو: ترك الإدغام في موضعه، وكذا الإظهار، والإخفاء، والترقيق، والتفخيم، الهمس، وتخفيف المشدد، وتشديد المخفف، وقصر الممدود، ومد المقصور، بمعنى: كل ما يخالف قواعد هذا الفن.

والثاني: وهو ما لا يعرفه إلّا المهرة من القراء وحذّاقهم[٢]، نحو: تكرير

---

(١) لاحظ أننا ذكرنا التعريف الذي ذهبت إليه غالب مؤلفات التجويد، ولكن التعريف الذي ينبغي أن يعمل به هو: خلل يطرأ على الألفاظ، فيخل بعرف القراءة، وقد يخل بالمعنى.

(٢) كان عبد الوهاب القرطبي من أكثر علماء التجويد عناية بفكرة اللحن الخفي، فإن الفكرة ظلت موضع عناية علماء التجويد من بعده حتى العصور المتأخرة، فقد قال: «واعلم أن اللحن الخفي لا يعرفه إلا النحارير الماهرون من القراء، والحذاق المحققون من العلماء بالقرآن»، ثم ذكر: وقال بلغنا عن أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله أنه قال: «اللحن في القرآن لحنان: جلي، وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها بلا زيادة فيها ولا نقصان، اللحن الخفي لحنان: أحدهما: لا تعرف كيفيته، ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة، وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو: مقادير المدات، وحدود الممالات، والملطفات والمشبعات، والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر، والاستفهام، والإظهار، والإدغام، والحذف، والإتمام، والروم، والإشمام إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط»، «فأما الضرب الثاني من ضربي اللحن الخفي =

الراءات، وتطنين[١] النونات، وتغليظ اللّامات في غير محله، وكذا تنحيفها إذا استحقت التفخيم، وترعيد الصوت بالمد الغنّة، ونقص الغنّة عن مقدارها أو الزيادة، وكذا المد، أو أن يسكت سكتة لطيفة على الحرف في غير مواضع السكت خوف قلقلته.

وجه تسميته خَفيًا: هو اختصاص علماء القراءة بمعرفته دون غيرهم.

أما حكمه: ففيه خلاف بين المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم:

فيرى المتقدمون: أن حكمه التحريم مثل اللحن الجلي.

ويرى المتأخرون: أن المحافظة على هذه القواعد واجب صناعي[٢] وليس واجبًا شرعيًا، وأن الأَوْلى المحافظة على النطق بالحروف مجوّدة ومرتلة.

وإلى ذلك مال بعض أهل العلم، منهم صاحب نهاية القول المفيد رحمه الله حيث قال نقلًا عن البركوي: «قال البركوي في شرحه على الدر اليتيم:

= فإنه يتقيد بالخط، ويدرك وصفه بالشكل والنقط، ويحتاج مبتغيه أولًا إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها، قال دكتور غانم قدوري: «يتضح مما سبق أن ملاحظة اللحن الخفي في قراءة القرآن، ومحاولة معالجتها وتصحيح النطق بها، كانت السبب الذي يقف وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وأنهم درسوا أصوات اللغة، وحددوًا صور نطقها الصحيحة، وصور الانحرافات المتوقعة في نطقها، مما سموه باللحن الخفي، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥٤/ ٥٩ .

(١) لا تعرف هذه الأشياء إلّا بالتلقي، يقوم بشرحها من يتصدر لتعليم الناس، ويلقنهم القرآن؛ لأنها لا تصح الّا بالتلقي والمشافهة من الشيخ الماهر الحاذق.

(٢) يقصد بالواجب الصناعي: ما صنعه واتفق عليه أهل هذا الفن، وأوجبوه من عندهم، وليس المقصود به الواجب المعروف عند علماء الأصول وعلماء الفقه، وعلى هذا يكون لكل أهل صنعة مسائل وقضايا يوجبونها، ويصطلحون عليها، وهي تدخل في نطاق العرف ولا تصل إلى درجة الواجب اهـ. «كلام الشيخ عبد العزيز عبد الحفيظ».

« وتحرم هذه التغييرات جميعها، لأنها وإن كانت لا تخل بالمعنى لكنها تخل باللفظ، وفساد رونقه، وذهاب طلاوته ».

وتعليقا على ذلك قال الشيخ المرصفي[١]: « الحق ما قاله البركوي رحمه الله لأن القارئ إذا قرأ بترك الإظهار، والإدغام، والقلب، والإخفاء، والمد، فماذا بقي من أحكام التجويد؟ وكيف توصف التلاوة بالصحة؟ » وقال: « إن ترك هذه الأحكام لا يتفق وقواعد التجويد المجمع عليها بين عامة المسلمين؛ ولما كانت الأمة متعبدة بإقامة حدود القرآن، فهم متعبدون كذلك بإقامة حروفه وتصحيح ألفاظه[٢]، وكيف الحال وقد منع الفقهاء القراءة بالشاذ مع أنه ورد؟ فما بالك بما لم يرد أصلا؟[٣]، فترك الغنة، وعدم الإظهار في موضعه، وكذا الإدغام، قراءة لم ترد عن النبي ﷺ، وتعتبر كذبًا في الرواية ».

---

(١) انظر هداية القارئ للشيخ المرصفي.

(٢) ذهبت إلى هذا الرأى- فيما سبق- على أن الأمر في أصول الفقه على الوجوب، مالم يأت صارف يصرفه إلى غير ذلك، ولكن أقوم الآن بتحقيق هذه المسألة، مع ملاحظة أن الأمر قد يأتى لغير الوجوب كما في أصول الفقه، في نحو قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فإن قدر الله سبحانه أن يكون ذلك البحث قبل طباعة هذا الكتاب فسوف يلحق به، وإن طبع الكتاب قبل تحقيق هذه المسألة فسوف يفرد له بحث خاص- إن شاء الله وقدر- المؤلف.

(٣) ذكر في بحث حكم القراءة بالتغني والتجويد قول المالكية في حكم اللحن في الصلاة، قال الإمام مالك: « لا ينبغي لأحد أن يأتم بمن لا يحسن القرآن، ويرى أنه أشد ممن ترك القراءة في الصلاة أصلًا »، وقال: « من صلى خلف رجل يقرأ بقراءة ابن مسعود أي ما نسب عنه من القراءة الشاذة فليخرج وليتركه »، وهذا أشد من اللحن؛ لأنه إدخل في القرآن ما ليس منه على أنه قرآن، وقول الإمام الشافعى رحمه الله حيث قال: « وأكره أن يكون الإمام لحانًا؛ لأن اللحان يحيل معانى القرآن، فإن لم يلحن لحنًا يحيل معنى القرآن أجزأته صلاته، وإن لحن في أم القرآن لحنًا يحيل معنى شيء منها لم أر صلاته مجزئة عنه، ولا عمن خلفه، وإن لحن في غيرها كرهته، ولم أر عليه إعادة؛ لأنه لو ترك غير أم القرآن، وأتى بأم القرآن رجوت =

ثم قال: قلت: « ويؤخذ ذلك من عبارة الحافظ ابن الجزري التالية:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم.

قلت: إن هذا اللحن منه ما يؤدي إلى تغيير المعنى ومنه ما لا يؤدي،

فمثال الذي يؤدي إلى تغيير المعنى:

كاختلاس الحركات في نحو قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ﴾، من قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]، و﴿فَقَعُواْ﴾، من قوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، و﴿فَعَصَىٰ﴾، من قوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]، وهنا قد يغير القارئ المعنى فيجعل الأولى: ﴿فَسَقَىٰ﴾ من الفسق - والعياذ بالله -، والثانية من « الفقع »، والثالثة من « الفعص »، وكذلك: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] من القسوة، ينطقها

= أن تجزئه صلاته، وإذا أجزأته أجزأت من خلفه - إن شاء الله تعالى - وإن كان لحنه في أم القرآن، وغيرها لا يحيل المعنى أجزأت صلاته وأكره أن يكون إمامًا بحال »، ثم نقل كلام الشيرازي في المجموع حيث قال: « وإن قرأ في الفاتحة لحنا يخل بالمعنى بأن ضم تاء ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة: ٧]، أو كسرها، أو كسر كاف ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] أو قال: « إياء » بهمزتين لم تصح قراءته، وصلاته إن تعمد، وتجب إعادة القراءة إن لم يتعمد، وإن لم يخل بالمعنى كفتح دال ﴿ نعبد ﴾ [الفاتحة: ٥]، ونون ﴿ نستعين ﴾ [الفاتحة: ٥] الثانية، وصاد ﴿ الصراط ﴾ [الفاتحة: ٦]، ونحو ذلك لم تبطل صلاته، ولا قراءته، ولكنه مكروه، ويحرم تعمده، ولو لم يتعمد لم تبطل قراءته ولا صلاته، قال: « هذا هو الصحيح وبه قطع الجمهور، هذا كله في الفاتحة، أما في غيرها فالخلل في تلاوته إن غير المعنى وهو متعمد بأن قرأ: ﴿ **إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء** ﴾ [فاطر: ٢٨] برفع اسم الجلالة ونصب العلماء، أو قرأ ببعض الكلمات في الشواذ كقراءة: « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما** »، وكذا « **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات** » فهذا كله تبطل به الصلاة... إلخ، وذكر كلاما كثيرًا عن هذا الموضوع ولكن ما يهمنا هنا أن اللحن في القرآن عند الفقهاء كما ترى بين الكراهة والتحريم، والله أعلم - انظر حكم القراءة بالتغني والتجويد ص٣٦/ ٣٧ .

٥- نِسْبَةُ:

هو: أحد العلوم الشرعية؛ لأن اللَّه- سبحانه- أمرنا بترتيل القرآن الكريم، فقال عز من قائل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقد جاء هذا العلم عن طريق الرواية عن النبي ﷺ.

٦- واضعه:

لا بد من التفرقة بين الواضع من الناحية العملية: «التطبيقية»، ومن الناحية العلمية: «النظرية».

فأما الواضع من الناحية العملية «التطبيقية» لعلم التجويد هو الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه، ذلك؛ لأن القرآن الكريم أنزل مجودًا من قبل المولى عز وجل ثم تلقاه جبريل عليه السلام ثم تلقاه النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام، ثم الصحابة عن النبي ﷺ، ثم التابعين عن الصحابة، ثم من بعدهم أمم وخلائق لا يحصون عددًا، إلى أن وصل إلينا عن أئمة القراءة بالتواتر في كل قرن من القرون[1].

أما الواضع من الناحية النظرية:- بمعنى: قواعده وقضاياه الكلية التي يتعرف من خلالها على جزئيات هذا العلم- ففيه خلاف بين أهل العلم.

---

(١) عند مراجعة كتاب الجامع على فضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الحفيظ قال: «يدلنا على هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، فإن من معاني الآية الكريمة: فإذا قرأناه فاتبع قراءتنا له على لسان جبريل عليه السلام، فتكون القراءة بالتجويد من عند الله عز وجل علمها جبريل عليه السلام، ثم قرأها جبريل أمام النبي ﷺ، فتلقاها منه النبي ﷺ هكذا، وقرأ بها، وهكذا تعلمها الصحابة - رضوان الله عليهم -، حتى نقلت إلينا متواترة هكذا». اهـ.

« فقست » من « الفقس »، فكل ذلك يغير المعنى، لاحظ أننا أتينا بالمشهور الواضح من الأمثلة، ولكننا نستطيع أن نستخرج من كل آية كلمات ينطقها بعض القراء على غير القراءة الصحيحة المعتبرة، قد يغفل عنها الكثير من القراء، وذلك بإهمالهم مواضع النبر(١).

وكذا من يهمل التشديد على الحرف المشدد، فإنه بذلك حذف حرفًا من كتاب اللَّه، أدى إلى تغيير المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، فكلمة ﴿أمرّ﴾ هنا من المرارة، فإذا أهمل الشدة فإنه ينطقها « قمر » كما ينطقها العوام « وأمر »، وكذا من يهمل الشدة على الراء من ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] في قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] فإنه بذلك حذف حرفًا من كتاب اللَّه وغير كذلك المعنى، وجعله من السمر السهر، ولا شك أن المقصود: « الاستمرار »، وليس « السمر ».

أما الذي لا يؤدي إلى تغيير المعنى، فكاختلاس الحركة، نحو: ﴿يَعِظُكُم﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿يَعِدُكُمُ﴾ [البقرة: ٢٦].

٤- فضله:

علم التجويد من أشرف العلوم الشرعية على الإطلاق، لتعلقه بأشرف كلام، وهو كلام رب العالمين، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

---

(١) إذا أردت زيادة في توضيح هذا النوع من الأخطاء راجع فصل أخطاء الحروف من هذا الكتاب.

فقيل: واضعه: الخليل بن أحمد الفراهيدي[١]، وقيل: أبو الأسود الدؤلي[٢]،

(١) الإمام، صاحب اللغة العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري أحد الأعلام، حدث عن: أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان، أخذ عنه سيبويه النحو، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جرير، والأصمعي، وآخرون. وكان رأسًا في لسان العرب، دينًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، كبير الشأن، يقال: إنه دعا الله أن يرزقه علمًا لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب «العين» في اللغة. وثقه ابن حبان، وقيل: كان متقشفًا متعبدًا. قال النضر: أقام الخليل في خص له بالبصرة، لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال، وكان كثيرا ما ينشد:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجده ذخرا يكون كصالح الأعمال

وكان رحمه الله مفرط الذكاء، ولد سنة مائة، ومات سنة بضع وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في اللغة العربية، ومات ولم يتمم كتاب العين، ولا هذبه، ولكن العلماء يغرفون من بحره.

قال ابن خلكان: «الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي»، قيل: «كان يعرف علم الإيقاع، والنغم، ففتح له ذلك علم العروض، وقيل: مر بالصفارين، فأخذه من وقع مطرقة على طست، وهو معدود من الزهاد، كان يقول: إني لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همي، وقال: أكمل ما يكون الإنسان عقلًا وذهنًا عند الأربعين. وعنه قال: لا يعرف الرجل خطأ معلمه، حتى يجالس غيره. قال أيوب ابن المتوكل: كان الخليل إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يره بأنه أفاد، وإن استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنه استفاد منه، انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٩: ٤٣١.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: قاضي البصرة، واسمه على الأصح: ظالم بن عمرو، قرأ على عليّ رضي الله عنه، وكان من وجوه شيعته، روى عن عمر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وأبي ذر رضي الله عنهم، والكبار، وهو أول من وضع مسائل في النحو بإشارة عليّ رضي الله عنه فلما عرضها على عليّ قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت فمن ثم سمي النحو نحوًا، أخذ عنه ولده أبو حرب بن أبي الأسود، ويحيى بن يعمر، وعبد الله بن بريدة وجماعة، وقد أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وثقه أحمد العجلي وغيره، توفى سنة تسع وتسعين في طاعون الجارف بالبصرة، قال المدائني: «فحدثني من أدرك الجارف»، قال: «كان ثلاثة أيام فمات فيها في كل يوم نحو من سبعين ألفا، وقال أبو اليقظان، وغيره: مات لأنس بن مالك رضي الله عنه في طاعون الجارف سبعون ولدًا» يعني: «من أولاده وأولاد أولاده».

وقيل: غيرهما من علماء التجويد[١]، ولكن لا بد أن يعلم أن أئمة القراءة لم يكتفوا بتلقي التجويد بالسماع والمشافهة والقراءة من الأفواه، بل اجتهدوا ودونوه في صحائف، وضبطوا فيها قواعد التجويد لئلا يكون لمتعلل علة يتكاسل بها عن طلب هذا العلم.



(١) قال د. غانم قدوري: كان علماء التجويد دائمًا من المتخصصين في علم القراءات ومن المشتغلين بعلوم القرآن، كما أن الكثير منهم كانوا لغويين ونحاة، أو كانوا على جانب كبير من الثقافة اللغوية: النحوية والصرفية، واستطاع هؤلاء العلماء أن يجردوا المباحث الصوتية المبعثرة في كتب النحو والصرف والقراءات، ويجمعوها في كتب مستقلة، وهذا من أول شروط كون المنهج واضح المعالم، محدود الأبعاد، غير مختلط بما سواه من كتب العلوم، الأخرى، وكان علم التجويد، وعلم القراءات يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم؛ ولكن كل منهما يعني بجانب معين من جوانب نطق ألفاظ القرآن، وقد ميز العلماء بين العلمين تمييزًا واضحًا من حيث المنهج والموضوع، فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية، أما كتب التجويد فقد كانت تعتمد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٦٨ وما بعدها.

أقسام علم التجويد

من العرض السابق يتبين لنا أن علم التجويد ينقسم إلى أقسام متعددة؛ وذلك باختلاف النظرة إليه:

فبالنظر إليه من جهة الواضع فنجد أن التجويد ينقسم إلى:

أ- تجويد علمي.

ب- تجويد عملي.

وبالنظر أيضًا إلى تركيب الكلام، والآيات القرآنية، نجد أن الآيات القرآنية تتكون من جمل، وهذه الجمل تتركب من كلمات، والكلمة تتركب من حروف، فهذه ثلاثة أقسام أخرى وهي:

١- تجويد الحرف.

٢- تجويد الكلمة.

٣- تجويد الجملة.

وإليك بيانها:

أولًا - تجويد الحرف: يتعلق بالمخارج والصفات، مع ملاحظة أن المخارج والصفات تتبعان في الأصل علم الأصوات، وهو من مباحث اللغة العربية، ويتبعان أيضًا علم التجويد؛ لأنه علم يبحث في تحسين التلفظ بالآيات القرآنية؛ وتجويد الحروف هو: إخراجها من مخرجها، وإعطائها صفاتها اللازمة، والعارضة.

ثانيًا - تجويد الكلمة: يشمل المد، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، . . الخ.

ثالثًا - تجويد الجملة: ويشمل الوقف والابتداء، وما يتبعه من الوقف على مرسوم الخط وعلم الرسم[(١)]، وهذا التقسيم سوف نتبعه في تقسيم أبواب هذا العلم، عند شرحنا له خلال هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

٧- **اسمه:** علم التجويد.

٨- **استمداده**

من كيفية قراءة رسول الله ﷺ، وهذه الكيفية نقلت إلينا عن طريق الصحابة والتابعين، إلى أن وصلت إلينا عن طريق المشايخ والعلماء المتخصصين في هذا الفن، والمتصل سندهم برسول الله ﷺ.

٩- حكم الشارع

حكم علم التجويد قيل: واجب شرعي يأثم تاركه، وقيل: واجب صناعي[(٢)].

وهذا الحكم يختلف من شخص إلى آخر، فإذا كان القارئ طالب علم فيكون خلاف الأمي، أو من يتصدر للإقراء.

---

(١) إن الناظر لكتب المتقدمين من علماء العربية يجدها خالية من الحديث عن الوقف والابتداء، أو المقطوع والموصول، وهو ما يتعلق بعلم الرسم، قال المرعشي: هذا فن مستقل مغاير لفن التجويد ولكن جرت عادة بعض العلماء بجعل قواعده الكلية جزءًا من كتب التجويد، وكان لصنيع ابن الجزري من إلحاقه لمباحث الوقف وبعض مباحث الرسم في آخر المقدمة تأثير في اتجاه المؤلفين المتأخرين إلى التعرض إلى هذه المباحث في مؤلفات علم التجويد، ولكن يبدو لي أن علاقة علم التجويد بعلم الوقف والابتداء ترجع إلى ما اتبعه الداني في كتابه التحديد؛ حيث ألحق بالكتاب ذكر الوقف وأقسامه، وقال فيه: اعلموا أن التجويد لا يتحقق لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف، ومواضع القطع على الكلم، قلت: هذا الكلام صحيح من وجهة نظرنا، تحقيقًا لمعنى التجويد «التحسين»، فإن القارئ غير مطالب بتحسين النطق باللفظ فقط بل عليه أن يعرف معاني ومقصود القرآن الكريم ليحسن الوقف والابتداء، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٧٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) سبق ذكر تخريج هذا الحديث.

والراجح أن علم التجويد التطبيقي العملي واجب شرعي بالنسبة للسور التي يحفظها القارئ، والتي يصلي بها، وخصوصًا « فاتحة الكتاب »، ودليله الكتاب والسنة والإجماع.

فالدليل من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]؛ فهذا طلب من الشارع سبحانه وتعالى للمكلفين، وكما هو مقرر في علم أصول الفقه: أن الأمر للوجوب ما لم يأت صارف يصرفه من الوجوب إلى الاستحباب أو الإباحة، وليس ذلك فحسب بل إن المولى عز وجل لم يكتف بالأمر حتى أكده بالمصدر، كما في الآية السابقة.

وذهب علماء الأصول: إلى أن الأمر في الآية للاستحباب وليس للوجوب، وعليه؛ فيكون علم التجويد عندهم واجبًا صناعيًا وليس شرعيًا.

الدليل من السنة:

حديث عن رسول الله ﷺ رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق، فإنه سيأتي بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء، والرهبانية، والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم، وقلوب من يعجبهم شأنهم** »[1].

---

(١) ضعيف- انظر الجامع الصغير ١/ ١٧٢، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٨٣) رقم (٧٢٢٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٦٩)، «وفيه من لم أعرفه»، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٤٠) رقم (٢٦٤٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٣٢٨ - ٣٢٩) رقم (١١٦٥).

وهذا ابن مسعود ﷺ الذي مدح الرسول ﷺ قراءته، لم يقبل من رجل قصر كلمة: ﴿ٱلْفُقَرَآءِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآيه [التوبة: ٦٠] ولم يمدها، مع العلم أن قصر الألف فيها وعدم مدها لم يغيّر المعنى، ذلك لأن ابن مسعود تعلمها من رسول اللّه ﷺ بغير الكيفية التي قرأها الرجل، فأوقفه ونهاه أن يقرأ الكلمة الممدودة مقصورة.

دليل الإجماع:

لم يرد عن رسول اللّه ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، وكذا التابعين، وأئمة القراءة، أنهم قرءوا بدون مراعاة المد، والغنن، والإظهار في موضعه، هذا؛ وقد أجمعت الأمة على عدم جواز القراءة بدون تجويد.

وتعال أيها القارئ العزيز ننظر: إذا قرأنا القرآن بدون أحكام، ولا قواعد، فأين نجد حلاوة القرآن وكيف نستشعر لذته؟ وإذا كان جمهور العلماء قد منعوا القراءة بالشاذ مع أنه ورد، فكيف الحال بالذى لم يرد أصلًا؟؛ فترك أحكام التجويد عند التطبيق العملي لما يحفظه في ذاكرته حرام شرعًا.

ولكن ذهب بعض علماء التجويد إلى أن الواجب المقصود هو: الواجب الصناعي الذي لا يثاب فاعله، ولا يأثم تاركه، وليس المقصود الواجب الشرعي[١].

---

(١) الواجب الشرعي: هو ما يثاب فاعله ويأثم تاركه، وقد قسم العلماء هذا الواجب إلى: واجب عيني، وواجب كفائي:

فالواجب الشرعي هو: طلب الشارع من المكلفين الفعل على سبيل الحتم والإلزام، بحيث يذم تاركه ومع الذم العقاب، ويمدح فاعله ومع المدح الثواب، ويستفاد من صيغة الطلب كما في الآية الكريمة ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، ولا شك أن هناك فرقًا بين الواجب العيني، والواجب الكفائي: فالواجب العيني ما توجه فيه الطلب اللازم إلى كل مكلف، أي: ما طلب =

والقائلون بأن أحكام التجويد من قبيل الواجب الصناعي ينقصهم الدليل.

١٠- مسائله:

هي: قضاياه، وقواعده الكلية، التي يتعرف من خلالها على جزئيات هذا العلم التي وضعها علماء القراءة واللغة وهى:

نحو: قاعدة الإظهار الحلقي وهى: كل نون ساكنه أو تنوين وقع بعدهما أى حرف من حروف الحلق وجب الإظهار، ويسمى إظهارًا حلقيًا.

وقاعدة الإدغام وهي: إذا جاء بعد النون الساكنة أى حرف من حروف يرملون من كلمتين، أو التنوين ولا يكون إلّا من كلمتين وجب الإدغام، وهكذا

* * *

= الشارع حصوله من كل واحد من المكلفين، فلا يكفي فيه قيام البعض دون البعض الآخر، ولا تبرأ ذمة المكلف منه إلّا بأدائه؛ لأن قصد الشارع في هذا الواجب لا يتحقق إلّا إذا فعله كل مكلف؛ ومن ثم يأثم تاركه ويلحقه العقاب، ولا يغني عنه قيام غيره به.
أما الواجب على الكفاية: هو ما طلب الشارع حصوله من جماعة المكلفين، لا من كل فرد منهم؛ لأن مقصود الشارع حصوله في الجماعة؛ فإذا فعله البعض سقط الفرض عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثم جميع القادرين، انظر: الوجيز في أصول الفقه ٣٥/٣٦ .
وإذا نظرنا إلى الفرق بين الواجب العيني والواجب الكفائي، نجد أن قراءة القرآن الكريم بالتجويد، وتطبيق الأحكام دون طلب معرفة أن هذا إظهار، وهذا إدغام، وهذا مد، وغيره، واجب عيني على كل مكلف أراد أن يقرأ شيئًا ولو يسيرًا من القرآن الكريم، أما معرفة الأحكام النظرية فنقول فيها: إنها واجبة عينًا على من يتصدرون للإقراء، وتعليم الناس، وعلى غيرهم واجبة كفائية، والله أعلم.

الفصل السادس

مراتب القراءة

لتجويد القرآن الكريم منزلة عظيمة يربو إليها أهل الإيمان؛ وعلمنا - فيما سبق - أن الله أمر بترتيل القرآن الكريم، فقال - عز من قائل -: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، وقال في حق نفسه سبحانه: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وتنقسم مراتب القراءة إلى أربعة مراتب وهي:

١- التحقيق **٢- الترتيل**

٣- الحدر **٤- التدوير**

١- التحقيق:

هو الإتيان بالشيء على حقيقته، والمقصود هنا المبالغة المحمودة من غير زيادة ولا نقص، مع إعطاء الحروف حقها، وتبيين الغنن والمدود، وإعطائها مقدارها، وهذه الطريقة تصلح للتعليم؛ لأنها تعني القراءة بتؤدة، وتوضيح الحروف حرفًا حرفًا.

٢- الترتيل:

هو متابعة الكلام بعضه بعضًا على تؤدة من غير عجل، مع إعطاء الفرصة لمن وراءه أن يردد خلفه، وبه نزل القرآن الكريم، وهو كالتحقيق، ولكنه أسرع

قليلًا، مع إعطاء الحروف حقها ومراعاة الأحكام، وعلى القارئ الحذر من أن يحرك السواكن، أو الإفراط والمبالغة في الغنة، والمد، أو الانتظار على الحروف، أو السكت في غير محله، وما شابه ذلك.

قال الشيخ المرصفي: «يراعى أحكام التجويد من إعطاء الحروف حقها من الصفات، والمخارج، ومد الممدود، وقصر المقصور، وترقيق المرقق، وتفخيم المفخم، مما يتفق وقواعد التجويد، وهو أفضل المراتب الثلاث».

٣- الحدر:

هو الإسراع بالقراءة مع مراعاة الأحكام، ويحذر القارئ من بتر حروف المد، أو ذهاب صوت الغنة، أو اختلاس حركة، وكذلك يحترز عن التفريط، ويندرج تحت هذه المرتبة أربعة أنواع هى:

أ- **الهذرمة**: وهى القراءة بسرعة، بحيث يسمعها من حوله إن وجد.

ب- **الهدرجة**: وهى القراءة بسرعة، ولكن لا يسمعها إلّا جاره فقط.

ج- **الهذهذة**: القراءة بسرعة، ولكن يسمع نفسه فقط ولا يسمع أحدا.

د- **التمتمة أو الزمزمة**: القراءة بسرعة، دون صوت فلا يسمع نفسه، وهي عبارة عن القراءة بتحريك الشفاه فقط.

يلاحظ مما سبق:

أن هذه الأربعة كلها واحدة، وهى القراءة بسرعة مع مراعاة الأحكام، وكل هذه المراتب لا بد فيها من مراعاة أحكام التلاوة.

٤- التدوير:

وهو التوسط بين مرتبتي الترتيل[١] والحدر، ووردت عن أكثر الأئمة، ممن روى المنفصل ولم يبلغ حد الإشباع.

وقد ذكر الشيخ المرصفي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن المراتب ثلاث، وهي: الترتيل والحدر والتدوير، هذا وقد نظم هذه المراتب صاحب «تذكرة القراء» فقال:

الحدر والترتيل والتدوير والأوسط الأتم فالأخير[٢].

قد يسئل البعض أيهما أفضل عند قراءة القرآن، الترتيل أم الحدر؟

قلت: اختلف العلماء في ذلك، هل الترتيل مع قلة القراءة أفضل؟ أم الحدر مع كثرتها؟

فذهب بعضهم إلى: أن الحدر أفضل من الترتيل، واستدلوا بحديث رواه الترمذى عن النبي ﷺ، قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب اللّه تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها**»[٣]، وقالوا لا شك أن كثرة القراءة تزيد من حسنات القارئ.

---

(١) قيل: إنه وسط بين التحقيق والحدر، انظر: نهاية القول المفيد. ط الحلبي ص١٥ .

(٢) نقلا عن تذكرة القراء للشيخ إبراهيم عبد الرازق.

(٣) أخرجه الترمذي في (الجامع) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا . . . (٥/ ١٦١) رقم (٢٩١٠)، وهو ضعيف مرفوع، صحيح موقوف على ابن مسعود ولفظه: عن عبد اللّه قال: «تعلموا القرآن واتلوه فإن اللّه يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: الم، ولكن ألف، لام، وميم، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٦٢) رقم (٩٩٨٤) من طريق أبي الأحوص، وابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٩) رقم (٨٠٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٥)، والفريابي في فضائل القرآن (ص: ١٦٩) رقم (٦٣)، موقوفًا على ابن مسعود.

وذهب البعض الآخر إلى: أن الترتيل والتدوير مع قلة القراءة أفضل من الحدر مع كثرتها، ودليلهم أن المقصود بالقراءة: التدبر، والفهم، وأن القرآن نزل للعمل به، وفهمه، وتدبره، لقوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قلت: كفاك أنها قراءة رسول الله[١] ﷺ التي أمره المولى عز وجل أن يقرأ بها، ونعتتها لنا أم سلمة - زوج رسول الله - حينما سئلت عن قراءة الرسول ﷺ، فقالت رضي الله عنها: «قراءة مفسرة حرفًا حرفًا»[٢].

وعن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها»[٣].

وقال ابن عباس[٤] رضي الله عنهما، عندما سئل عن الترتيل؟ قال: «بينه»، قال مجاهد في معنى الترتيل: «تأن فيه»، وقال الضحاك: «إنبذه حرفًا حرفًا».

---

(١) ثبت في الصحيح كيفية قراءة النبي ﷺ، ففي صحيح البخاري كما في الفتح (٨/ ٧٠٨) رقم (٥٠٤٥) و (٥٠٤٦) من طريق قتاده في أحدهما: سألت أنسًا، وفى الأخرى سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مدًا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم، وروى مسلم من حديث حفصة، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٠٧) رقم (٧٣٣) قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ في سبحته قاعدًا، وكان يقرأ حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدًا وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (١/ ٥٠٧) رقم (٧٣٣).

(٤) هذ الأثر: أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٥٨) رقم (٢٧٢٧٣) حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس (ورتل القرآن ترتيلا)، قال: بينه بيانًا، إسناده ضعيف، الضعيف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي، ورواه من طريقه أيضًا: ابن منيع كما في «المطالب العالية» (٣/ ٣٩٣) والآجري في «آداب حملة القرآن» ص ٨٧ .

وسئل الإمام مالك عن الترتيل أفضل أم الحدر؟

فقال: «من النّاس إذا حدر كان أخف عليه، وإذا رتل أخطأ وصعب عليه، ومن الناس من إذا رتل كان أخف عليه، وإذا حدر أخطأ، والناس في ذلك على ما يخف عليهم»[١].

قلت: إن الترتيل أفضل؛ لأن الإنسان يحصل على أجره بفهم مراد الله تعالى ويكون الثواب أكبر ممن قرأ القرآن دون فهم ووعي، لقوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، وكيف يكون التدبر مع سرعة القراءة؟!!.

ولكن القراءة المرتلة في رأينا تصلح للتعبد، وقراءة الحدر تكون لمراجعة الورد اليومي أو الأسبوعي؛ ليكثر بذلك الحفظ وتزداد التلاوة.

والترتيل مع قلة القراءة أفضل؛ لأنه يعين على التدبر والتفكر والاستنباط الذي يؤدي للعمل، وقد أمرنا المولى عز وجل أن ننظر ونتفكر في آياته فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فهذه الآيات المنظورة فما بالك بالآيات المقروءة؟!!

وإليك الأحاديث الدالة على فضل الترتيل:

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة وفيه: «كان النبي ﷺ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها»[٢].

---

(١) انظر نهاية القول المفيد.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

وورد في الأثر[١]: أن علقمة قرأ القرآن على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال ابن مسعود: « رتل فداك أبي وأمي؛ فإنه زينة القرآن ».

وروى البخاري في « صحيحه » قال: حدثنا أبو النعمان، حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا واصل، عن أبي وائل، عن عبد اللَّه قال: غدونا على عبد اللَّه فقال رجل: « قرأت المفصل البارحة »، فقال: « هذًا كهذّ الشعر »، إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشر سورة من المفصل، وسورتين من آل حم[٢].

وهذا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن قال له رجل: إني رجل سريع القراءة، إني لأقرأ القرآن في ليلة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة أحب إليَّ؛ ثم قال للرجل: « إن كنتَ لا بدَ فاعلًا فاقرأْ قراءةً تسمعها أذنيك ويوعها قلبك ».

قال شارح صحيح البخاري عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ فقال: « وعند الطبري[٣] بسند صحيح عن مجاهد في تفسيره للآية قال: بعضه إثر بعض »، فقال: « أي تبيين حروفها، والتأني في أدائها ليكون أدعى إلى فهم معانيها »، ثم قال: « والذي يكره في القراءة الهذ، وهو الإسراع المفرط بحيث يخفي كثير من الحروف؛ أولا يخرجها من مخارجها » والتحقيق أن

---

(١) انظر الفتح (٨/ ٧٠٨)

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل القرآن، باب: الترتيل في القراءة كما في الفتح (٨/ ٧٠٦) رقم (٥٠٤٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور عن مجاهد: (ورتل القرآن ترتيلا) قال: بعضه إثر بعض (انظر تفسير الطبري - ١٤/ ١٥٨ رقم ٢٧٢٧٤ ط دار الفكر)، اسناده صحيح عن مجاهد.

لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل بشرط أن يكون المسرع لا يخل بشيء من الحروف والحركات، والسكون، والواجبات، فلا يمتنع أن يفضل أحدهما الآخر، أو أن يستويان، فإن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة مثمنة، ومن أسرع تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة؛ وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون العكس- والله أعلم».



الفصل السابع

ما ابتدعه بعض القراء عند تلاوتهم للقرآن

لا شك أن النفس جبلت بطبعها إلى سماع الصوت الحسن والميل إليه، وقد ورد في السنّة أن النبي ﷺ مر هو وزوجه أم المؤمنين عائشة بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم أنهما مضيا فلما أصبح لقى رسول اللّه ﷺ أبا موسى الأشعرى، فقال له ﷺ: « يا أبا موسى: مررتُ بك »- فذكر الحديث، فقال أبو موسى: « لو علمتُ لحبرتُه لك تحبيرًا ».

وكان أبو موسى الأشعري حسن الصوت؛ لذلك قال له النبي ﷺ: **« يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود »**(١).

قلت: لا شك أن حسن صوت أبا موسى الأشعري لفت نظر المصطفى ﷺ، وزوجه أم المؤمنين رضي الله عنها.

وأخرج ابن أبي داود من طريق ابن أبي مسجعة، قال: كان عمر يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدى القوم(٢).

فلا شك أن حسن الصوت في تلاوة القرآن الكريم مشروعة، وهذا أبو موسى يقول: للنبي لو علمت لحبرته لك تحبيرًا؛ ولا يظن ظان أن المقصود

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص٧١١

(٢) المرجع السابق ذكره.

بتحسين الصوت في التلاوة هو التطريب الذي يخرج القراءة عن قواعد اللغة العربية إلى القواعد الموسيقية التي يتبعها أهل الضلال والهوى؛ فإن أدى حسن الصوت إلى الخروج عن قواعد اللغة، والخروج كذلك عن حد الطباع السليمة فلا شك في حرمة القراءة بذلك صيانة لكتاب الله وكلامه سبحانه من عبث العابثين.

قال ابن حجر: «والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسنًا فليحسنه ما استطاع؛ كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح، ومن جملة تحسينه: أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن حسن الصوت يزداد حسنًا بذلك؛ وإن خرج منها أثر ذلك في حسنه وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء»[١].

وبنظرة إلى حال كثير من القراء في هذا الزمان نجد أنهم ابتدعوا طرقًا في قراءة القرآن أخرجته بذلك عن قواعد اللغة العربية، وقواعد التجويد مخالفين بذلك الطباع السليمة، ولم يكن هذا الأمر في عصرنا فقط، بل كان منذ زمن بعيد.

فمثلا: في زمان ابن الجزري كما يقول في تمهيده[٢]: «ابتدع القراء في القرآن الكريم أصوات الغناء، فابتدعوا الترقيص: بمعنى أن يروم السكت على الساكن، ثم ينفر مع الحركة في عدو وهرولة».

---

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخاري.

(٢) ذكر هذا الكلام السخاوي في كتابه جمال القراء ج٢ ص٥٢٨ .

وابتدعوا كذلك الترعيد: وهو أن يرعد صوته كالذى يرعد من برد وألم، وقد يخلط بشيء من ألحان الغناء.

وابتدعوا التطريب: وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على ما ينبغى لأجل التطريب، فيأتى بما لا تجيزه العربية[١].

وابتدعوا التحزين: وهو أن يترك طباعه وعادته في التلاوة، ويأتى بالتلاوة على وجه كأنه حزين، يكاد يبكى مع خشوع وخضوع، ولا يأخذ الشيوخ بذلك لما فيه من الرياء.

وأحدث هؤلاء أيضًا أنهم يجتمعون فيقرءون كلهم بصوت واحد فيقولون، في نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠] و﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، أفل يعقلون، أول يعلمون- فيحذفون «الهمزة» فيهما، وكذلك يحذفون «الواو» من ﴿**قالوا ءامنا**﴾، والياء من «**الدين**» في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيقولون: «قال أمنا، ويوم الدن» فيمدون ما لا يمد، ويحركون السواكن التي لا يجوز تحريكها ليستقيم لهم طريقهم في الغناء بالقرآن، وهو ما أطلق عليه ابن الجزري «التحريف».

خلاصة القول: أن تحسين الصوت بالقراءة غير ممنوع، بل مطلوب، خاصة عند قراءة كتاب الله عز وجل، ليكون ذلك مدعاة للإنصات وفهم القرآن الكريم، أما إذا خرج عن حده الطبيعي، ولم يلتزم قواعد التجويد من قصر المقصور، ومد الممدود، وإظهار المظهر، وإدغام المدغم، أى: القواعد المتفق عليها: حرم عليه ذلك.

* * *

---

(١) النشر في القراءات العشر- لابن الجزري.

الفصل الثامن

الاستعاذة

هي طلب الالتجاء إلى الله عز وجل من وساوس الشيطان وقد وردت الاستعاذة في كتاب اللّه، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، مع ملاحظة أن الاستعاذة ليست من القرآن، أما البسملة فذهب فريق من أهل العلم على أنها ليست آية من كل سورة، وأنها آية من الفاتحة خاصة، وبعض آية من سورة النمل، وذهب فريق آخر إلى أنها ليست آية من الفاتحة، أو من أي سورة، وأن وجودها في أوائل السور سوى براءة للفصل بينها وبين السورة التي تسبقها، وسوف نتحدث خلال هذا الفصل عن الاستعاذة، وفى الفصل التالي نتحدث عن البسملة؛ وذلك لتبويب ذلك في أغلب كتب التجويد.

وإذا كنا بصدد الحديث عن الاستعاذة، فسوف يكون حديثنا من خلال معرفة: معناها، صيغتها، أحوالها، أوجهها، محلها، حكمها.

أولًا: معناها:

معنى الاستعاذة في اللغة: الالتجاء والاعتصام.

وفى الاصطلاح: لفظ يحصل به الالتجاء إلى اللّه تعالى، والاعتصام به من الشيطان الرجيم، وهى ليست من القرآن الكريم كما بينا آنفًا، والعائذ كأنه يقول: اللّهم أعذني وأجرني من الشيطان الرجيم.

ثانيا- صيغتها:

حددت الاستعاذة في أربع صيغ، نوردها حسب المقدم والمختار عند أهل الأداء، وهي:

الصيغة الأولى: وهي «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهذه هي الصيغة المختارة لجميع القراء لسببين:

١- لمطابقتها للآية الكريمة الواردة في سورة النحل، وهي قول المولى عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢- من جهة الرواية[١]، ذكر ذلك ابن الجزري، قال أبو الحسن السخاوي في كتابه «جمال القراء»: «إن الذي عليه إجماع الأمة هو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

قال الحافظ أبو عمر الداني: «إنه هو المستعمل عند الحذاق دون غيرهم، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء، كالشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد، وغيرهم.

وقد ورد النص بذلك عن النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: «استب رجلان عند رسول الله ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[٢].

---

(١) النشر في القراءات العشر.

(٢) التيسير لأبي عمرو الداني.

ولكن المتمعن في هذا الحديث يجد أن الشاهد فيه ليس في قراءة القرآن ولكنه في سباب الرجلين.

هذا وقد ذكر جماعة من القراء والمحدثين[(١)] تعوذ الرسول ﷺ فلم يزد شيئًا على اللفظ الوارد في سورة النحل، واستدلوا بحديث ورد عن ابن مسعود، قالوا: «إن ابن مسعود قرأ على رسول الله ﷺ فقال: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، فقال له الرسول ﷺ: «يا ابن أم عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وروى عن صبير بن مطعم أن الرسول ﷺ كان يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال أبو شامة[(٢)]: «الأول: لا أصل له في كتب الحديث»؛ ثم قال:

---

(١) انظر: الوافي في شرح الشاطبية تأليف عبد الفتاح القاضي طبعة الأزهر ص.٣٢

(٢) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، ثم الدمشقي الشافعي المقرئ، النحوي الأصولي، صاحب التصانيف، سمى أبو شامة، لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، ولد في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمس مائة، وقرأ القرآن صغيرًا، وأكمل القراءات على شيخه السخاوي سنة ست عشرة وست مائة وسمع صحيح البخاري من داود بن ملاعب، وأحمد بن عبد الله العطار، وسمع مسند الشافعي رضي الله عنه من الشيخ الموفق، وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم بن عيسى وغيره، كتب كثيرًا من العلم، وأحكم الفقه، ودرس، وأفتى، وبرع في العربية، وصنف شرحًا للشاطبية، واختصر تاريخ دمشق مرتين، وشرح القصائد النبوية للسخاوي فى(مجلدين) وكتب كثيرة، وله مسودات كثيرة لم يفرغها، ذكر أنه حصل له الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولى مشيخة القراءة بتربة الملك الأشرف، ومشيخة دار الحديث، وكان مع فرط ذكائه، وكثرة علمه متواضعًا، مطرحًا للتكلف، أخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين حسين الكفري، والشيخ أحمد اللبان، وآخرون، وقرأ عليه شرح القصيدة الخطيبان برهان الدين الإسكندري، وشرف الدين الفزاري، توفي في تاسع عشر رمضان من سنة خمس وستين وست مائة، انظر معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٧٣ .

« وليس أدل على ضعف الحديثين من ورود أحاديث أخر أصح سندًا منهما تعارضهما »[١].

قال الإمام الشاطبي في بيان ذلك:

وقد ذكروا لفظ الرسول فلم يزد ولو صح[٢] هذا النقل لم يبق مجملا[٣]

الصيغة الثانية: « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ».

هذه الصيغة تعلقت بتنزيه المولى عز وجل كما في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: « من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم »، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكَلَ الله به سبعين ألف ملكًا يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا ».

قلت: الزيادة التي وردت في هذه الصيغة تعلقت بتنزيه المولى عز وجل.

قال الإمام الشاطبي في ذلك:

إذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعذ جهارا من الشيطان بالله مسجلا
على ما أتى في النحل يسرا وإن تزد لربك تنزيها فلست مُجَهَّلا[٤]

الصيغة الثالثة: « هي نفس الصيغة السابقة مع اختلاف وهي: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم ».

---

(١) انظر الوافي للعلامة القاضي.

(٢) اشارة إلى الحديثين الضعيفين.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٨ .

(٤) انظر متن الشاطبية المرجع السابق نفس الصفحة.

الصيغة الرابعة: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم.

قلت: هذه الصيغة أيضًا ليست متعلقة بالقراءة، ولكن رواها أبو داود في الدخول إلى المسجد، عن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ وقال: إذا قال ذلك: قال الشيطان: « حفظ مني سائر اليوم ».

هذا؛ وقد وردت صيغ أخرى، ولكن بنقص بعض الألفاظ نحو: « أعوذ بالله من الشيطان »، دون ذكر « الرجيم ».

قال الحافظ ابن الجزري في نشره: « نص الحلواني في جامعه على جواز ذلك » فقال: ليس للاستعاذة حد ينتهي إليه، من شاء زاد، ومن شاء نقص[١].

أشار الإمام الشاطبي إلى هذا المعنى وقال:

على ما أتى في النحل يسرا وإن تزد لربك تنزيها فلست مجهلا[٢]

وسئل مكي ما الاختيار في الاستعاذة؟ قال: « إن الذي عليه العمل، وهو الاختيار، أن يقول القارئ: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »، وعلة الاختيار ما وقع في النص بلفظ الأمر الذي معناه الترغيب في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فحضنا الله على قول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند القراءة، فعلينا امتثال هذا الذي رغبنا فيه عند افتتاح القراءة.

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر ١/ ٢٥٣-٢٥٦.

(٢) انظر المرجع السابق نفس الصفحة.

ثم قال - يعني مكيًا - : « فإن قيل: فإن لفظ القرآن أتى بلفظ الأمر والحتم به، أذلك فرض على كل من قرأ القرآن؟ أم لا »؟ قال: « فالجواب: أن لفظ الأمر في القرآن يأتي على وجوه كثيرة، ليس معناها الفرض والحتم، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، واللفظ لفظ الأمر ومعناه الإباحة، ومثله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ويأتي لفظ الأمر ومعناه الندب والإرشاد، كقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، وكذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، معناه: الندب والإرشاد ليس على الفرض والحتم »[١].

ثالثا: أحوالها:

لا بد أن نعلم أن الجهر بالقراءة هو المأخوذ به لدى عامة القراء عند افتتاح القراءة، إلّا ما روى عن نافع وحمزة من أنهما كانا يخفيان الاستعاذة في جميع القرآن، والمشهور عند جماهير العلماء هو الجهر لعامة القراء، ولا فرق بين نافع وحمزة، أو غيرهما[٢].

سئل مكي ما وجه ما ذكرت أنه روى عن سليم، عن حمزة، أنه يخفي التعوذ والبسملة؟ قال: « الجواب أن ذلك إذا صح فمعناه أنه أخفاهما لئلا يظن ظان أنهما من القرآن، فاكتفى بالإخفاء عن الإظهار؛ ولأنه يقرأ عليه القرآن،

---

(١) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج ١/٨،٩ لمؤلفه أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي

(٢) هداية القارئ ص٥٦٣

ولذلك أخفى، والتعوذ والبسملة ليسا من القرآن، ففرق بالإخفاء بين ما ليس بقرآن وبين ما هو قرآن، أما سائر القراء فأظهروهما، إذ قد وقر في النفوس، وعلم أنهما ليسا من القرآن، إنما هما للاستفتاح، والدعاء، والتبرك، وهو الاختيار، وعليه العمل عند القراء في سائر الأمصار »[١].

قال الحافظ أبو عمر الداني في التيسير: « ولا أعلم خلافًا بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القرآن، وعند الابتداء برؤوس الأحزاب وغيرها في مذهب الجماعة اتباعا للنص، وإقتداء بالسنة[٢].

وللاستعاذة: حالتين:

الأولى: الجهر بالاستعاذة. والثانية: الإسرار بها

قال الإمام الشاطبي:

إذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعذ جهارًا من الشيطان بالله مسجلا[٣]

وإليك بيان الحالتين:

الحالة الأولى: إذا كان هناك من بحضرة قارئ القرآن، وهو يجهر بالقراءة، فله الجهر بالاستعاذة.

قال أبو شامة: « لأن الجهر بالتعوذ إظهارًا لشعائر القراءة كالجهر بالتلبية، وهى شعيرة الحج، والجهر بالتكبيرات، وهى شعيرة العيد، فكذلك الجهر بالاستعاذة شعيرة القراءة ».

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات ١/ ١١-١٢ .

(٢) انظر التيسير لأبي عمرو الداني.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٨ .

فائدة: الجهر بالاستعاذة له علة، وهي أن من بحضرة القارئ إذا سمع القارئ يتعوذ أنصت من بدء القراءة، فلا يفوته شيء منها، وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة خارج الصلاة وداخل الصلاة، فإن المختار في الصلاة الإخفاء؛ والحكمة من ذلك: أن المأموم منصت للإمام بمجرد تكبيرة الإحرام للصلاة، فإذا كان من يريد قراءة القرآن الكريم مع جماعة، وكان هو المبتدئ بالقراءة، فله الجهر بها للحكمة السابقة.

نستخلص مما سبق أن الاستعاذة يجهر بها إذا كان القارئ يقرأ بمفرده بصوت مرتفع، ويوجد بحضرته من يسمعه، أو كان في حلقات لتعليم القرآن مثلًا، أو قرئ القرآن في المحافل العامة والمناسبات، فيشرع للقارئ الجهر بالاستعاذة[١].

إذا كانت هناك حلقة تعليم قرآن فهل تكفي استعاذة المبتدئ بالقراءة دون غيره أم لا بد من الاستعاذة للجميع؟

أجاب ابن الجزري، وقال: «لم يوجد نص في ذلك، أو يحتمل أن تكون كفاية، أو تكون عينًا على كل من القولين القائلين بالوجوب والاستحباب، والظاهر الاستعاذة لكل أحد؛ لأن المقصود بالاستعاذة: التجاء القارئ واعتصامه بالله تعالى من شر الشيطان»[٢].

الحالة الثانية: وهى حالة الإسرار بها، إذا كان القارئ يقرأ سرًا، وليس بحضرته أحد، أو بحضرته من لا يسمع القراءة، إذ إن المقصود من الجهر بالاستعاذة منتف في هذه الحالة.

---

(١) يرجع إلى آراء الفقهاء وأدلتهم الشرعية في جواز ذلك من عدمه.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ١/ ٢٥٢-٢٥٣.

أما إذا كان الإنسان في صلاة، سواء أكان إمامًا، أو مأمومًا، فلابد من الإسرار بالاستعاذة[١].

رابعًا: **أوجه الاستعاذة**: يوجد حالتان لقارئ القرآن عند تلاوته لكتاب الله:

الحالة الأولى: إذا كان القارئ بادئًا للقراءة رأسًا.

الحالة الثانية: إذا كان يقرأ القرآن وأثناء القراءة اعترضه عارض.

فالحالة الأولى: وهى بدء القراءة رأسًا فإما:

١- أن يبدأ من أول السورة.

٢- وإما أن يبدأ من وسط السورة.

١- فإذا كان القارئ بادئًا القراءة من أول السورة فله أربعة أوجه في جميع السور مع البسملة سوى سورة براءة وهى:-

(١) قطع الجميع.

(٢) قطع الأول، ووصل الثاني بالثالث

---

(١) استعاذة قارئ القرآن في الصلاة: هل الاستعاذة للصلاة أم للقراءة؟ ذهب الجمهور في هذه المسألة، كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد إلى أن الاستعاذة للقراءة وليست للصلاة، لنص الآية الكريمة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، قال أبو يوسف: «هى للصلاة، فعلى هذا القول يتعوذ المأموم ولو كان لا يقرأ مع إمامه؛ ورجح الإمام النووي القول بأن كل ركعة مستقلة بنفسها فلا يكفي استعاذة واحدة»، ومنع الإمام مالك الاستعاذة في الصلاة إلا في قيام رمضان، وكأنه أخذ بظاهر الأمر في الحديث الصحيح الذي روته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: «كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ: «الحمد لله رب العالمين».

والراجح في هذه المسألة أن الاستعاذة في أول ركعة فقط، والله أعلم.

(٣) وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث.

(٤) وصل الجميع

الوجه الأول: قطع الجميع: يعني: أن يقف القارئ على الاستعاذة، ثم يتلو البسملة ويقف؛ بمعنى: فصل الاستعاذة عن البسملة، عن أول السورة.

الوجه الثاني: قطع الأول، ووصل الثاني بالثالث يعنى: فصل الاستعاذة عن البسملة، ووصل البسملة بأول السورة.

الوجه الثالث: وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث يعني ذلك: أن يصل القارئ الاستعاذة بالبسملة ويقف، ثم يبدأ من أول السورة.

الوجه الرابع: وصل الجميع، ونعني به: أن يصل القارئ الاستعاذة بالبسملة بأول السورة في نفس واحد دون وقف، أما سورة براءة: فليس له فيها إلّا وجهان فقط لجميع القراء وهما:

(أ) قطع الاستعاذة عن أول السورة دون بسملة[١].

(ب) وصل الاستعاذة بأول السورة دون بسملة.

٢- أما إذا كان القارئ يبدأ القراءة من وسط[٢] السورة، فسوف يتم الكلام عن ذلك في مبحث البسملة- إن شاء اللّه.

الحالة الثانية: إذا كان القارئ مستمرًا في القراءة، واعترضه عارض، سبق أن تكلمنا عن بدء القراءة رأسًا، وهى الحالة الأولى فراجعها إن شئت.

---

(١) سورة براءة ليس فيها بسملة، ويرجع إلى التفصيل في ذلك من خلال صفحات هذا الكتاب.

(٢) يقصد بوسط السورة: ما كان بعيدًا عن أولها ولو بكلمه واحدة، انظر: هداية القارئ.

أما الحالة الثانية وهى: التي نحن بصددها، فلا بد من التفرقة بين حالتين:

١- إذا كان المانع من استمرار القراءة أمرًا ضروريًا كسعال، أو عطاس، أو كلام يتعلق بالقراءة، فلا يعيد القارئ لفظ التعوذ بأى حال من الأحوال.

٢- إما إذا كان المانع من استمرار القراءة أمرًا أجنبيًا كرد ردٌ للسلام فإنه يعيد الاستعاذة، كما أنه مطالب بالاستعاذة لو قطع القراءة رأسًا ثم عاد إليها.

خامسا: محل الاستعاذة:

استشكل أمر الاستعاذة على البعض حتى قالوا: «إن الاستعاذة بعد القراءة»، ظنًا منهم أن الآية تنص على ذلك، وهذا شطط لم يسبقهم إليه أحد، والصحيح: أن الاستعاذة قبل القراءة لنص الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت أن تبدأ القراءة فاستعذ بالله، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

فهل الوضوء قبل الصلاة أم بعدها؟!، فلا شك أن الوضوء قبل الصلاة.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا توضأ أحدكم فليستنثر**»[١]، وقوله ﷺ أيضا: «**من أتى الجمعة فليغتسل**»[٢].

فالاستنثار أثناء الوضوء وليس بعد الوضوء، وكذلك غسل الجمعة قبل الجمعة، وكذلك الاستعاذة لا بد أن تكون قبل الشروع في القراءة.

كيف يتعوذ القارئ؟ هل يقول: أستعذ بالله من الشيطان الرجيم؟ أم يقول: «أعوذ» دون «أتعوذ»؟.

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٥٢)، ومسلم (١/ ١٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: البخاري (٢/ ٦)، ومسلم (٣/ ٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال أبو أمامة محمد بن علي بن النقاش: «لا يقال إلّا «أعوذ» دون «أستعيذ» وأتعوذ، وذلك لأن «السين» و«التاء» شأنهما الدلالة على الطلب فوردتا في الأمر إيذانًا بطلب التعوذ، فمعنى أستعيذ بالله أي: اطلب منه أن يعيذك؛ فامتثال الأمر أن يقول: أعوذ بالله؛ لأن قائله: متعوذ، وقد عاذ والتجأ، أما القائل: أستعيذ بالله ليس بعائذ، ولكن هو طالب العياذ به، كما تقول: أستخير الله، أي: أطلب خيرته، وكذا أستغفر.

والقصد: أن الذي تواتر عن النبي ﷺ في التعوذ للقراءة، ولسائر التعوذات من روايات كثيرة لا تحصى، هو لفظ: «أعوذ بالله» دون غيره، وهو الذي أمر الله تعالى به نبيه، وعلّمه إيّاه فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

وفي الحديث الشريف: «**اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[١].

سادسا: حكم الاستعاذة

حكم الاستعاذة: مسألة لا تعلق للقراءات بها، وقد تكفل بها أئمة التفسير والفقه؛ وفيها مسائل؛ فقد ذهب الجمهور: إلى أنها مستحبة في القراءة بكل حال في الصلاة وخارجها، وحملوا الأمر في ذلك على الندب.

وذهب «داود بن علي» إمام الظاهرية وأصحابه إلى الوجوب، حملًا للأمر على الوجوب؛ كما هو الأصل في أصول الفقه، حتى إنهم أبطلوا صلاة من لم يستعذ في الصلاة.

---

(١) رواه مسلم.

وذهب الرازي إلى الوجوب لظاهر الآية، ولمواظبة النبي ﷺ عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان، ومعلوم أنه ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب.

قال ابن سيرين: «إذا تعوذ مّرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الواجب».

وذكر الحافظ ابن كثير في «تفسيره» قال: «قال بعضهم: كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته»[1].

* * *

(١) انظر تفسير ابن كثير ج١ .

الفصل التاسع

البسملة

البسملة: مصدر بسمل:

أي: إذا قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ ولا بد من الإتيان بها حتمًا عند افتتاح القراءة من أول السورة عند جميع القراء.

ثبت من الأحاديث الصحيحة، أن رسول الله ﷺ كان لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم»[(١)]، هذه واحدة، أما الثانية فلرسمها في المصحف في بدء كل سورة سوى سورة «براءة».

أشار الإمام الشاطبي إلى هذا المعنى بقوله:

ولا بد منها في ابتدائك سورة[(٢)]

ومعنى قوله: أن القارئ لا بد أن يبسمل إذا ابتدأ أى سورة سوى سورة «براءة»، سواء في ذلك من بسمل منهم بين السورتين ومن لم يبسمل[(٣)].

---

(١) قال في غاية المريد ص ٤٧: أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الصلاة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كما رواه أبو داود، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير.

(٢) انظر متن الشاطبية ص٩ .

(٣) انظر سراج القارئ المبتدئ لابن الحسن القاصح العذري البغدادي ص٣٠ .

ولا خلاف بين العلماء في أنها بعض آية من سورة النمل، كما أنه لا خلاف بين القراء في إثباتها أول الفاتحة [١].

وقد اختلف القراء كما أشرنا آنفا في الفصل بين السورتين بالبسملة، فمنهم من وصل بين السورتين دون بسملة، ومنهم من سكت، ومنهم من بسمل، ولا خلاف بين الفاصلين بالبسملة والساكتين إذا ابتدأ سورة من السور بسمل، بلا خلاف عن أحد منهم، إلّا إذا ابتدأ « براءة » سواء أكان الابتداء عن وقف أم عن قطع[٢].

وحفص عن عاصم ممن بسمل بين السورتين لذلك قال الشاطبي:

وبسمل بين السورتين بسنة   رجال نموها دربة وتحملا[٣]

ولا خلاف أيضا في حذف البسملة بين الأنفال عند كل من بسمل بين السورتين، وكذلك في الابتداء بسورة « براءة » على الصحيح عند أهل الأداء.

وحجة من أسقط البسملة من براءة أنها نزلت بالسيف، والحرب، والحصر، ونبذ العهد، وفضح المنافقين، والوعد والوعيد، فذاك مخصوص بمن نزلت فيه، ونحن نسمي للتبرك، وأن البسملة رحمة، وتنتفي الرحمة مع العذاب.

---

(١) يرجع إلى كتب الفقه في وجوب قراءة الفاتحة من عدم قراءتها.

(٢) انظر الوافي في شرح الشاطبية.

(٣) الراء من « رجال » رمز للكسائي، والنون من « نموها » رمز لعاصم، وهو القارئ الذي نقرأ بقراءته برواية حفص عنه، والدال من « دربة » رمز لابن كثير المكي.

وذهب فريق آخر من العلماء: أن الأنفال وبراءة وحدة واحدة، والدليل على ذلك عدم كتابة البسملة بينهما، وأن النبي ﷺ كان لا يعلم انقضاء السورة إلّا بنزول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، كما في حديث أم المؤمنين عائشة السابق ذكره، وهذه السورة «براءة» لم تبدأ بالبسملة فهي متممة للأنفال، وكذلك الحديث الذي في براءة متمم للحديث الذي في سورة الأنفال.

والقراء مجمعون على عدم الفصل بين الأنفال وبراءة بالبسملة، وكذلك أجمعوا على ترك البسملة في أولها حال الابتداء بها.

أشار الإمام الشاطبى بقوله:

ومهما تصلها أو بدأت براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا[١]

قال شارح الشاطبية: يعني: أن سورة براءة لا بسملة في أولها، سواء وصلها القارئ بـ «الأنفال» أو ابتدأ بها، ثم ذكر الحكمة في ترك البسملة في أولها فقال: «لتنزيلها بالسيف»، يعني: أن براءة نزلت على سخط، ووعيد، وتهديد، وفيها: آية السيف[٢].

قال ابن عباس: «سألت عليا ﵁ لِمَ لَمْ تكتب في براءة: «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: لأن «بسم الله» أمان، و «براءة» ليس فيها أمان، نزلت بالسيف.

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩.

(٢) انظر الوافي في شرح الشاطبية.

أوجه البسملة:

الابتداء بالقراءة رأسًا، سبق الإشارة إليها في بحث الاستعاذة، أما إذا ابتدأ القارئ القراءة رأسًا من وسط السورة، فهو مخير بين الإتيان بالبسملة وعدم الإتيان بها، وذلك لقول الإمام الشاطبي:

وفى الأجزاء خير من تلا[١]

وهنا يكون لنا حالتان:

الأولى: البسملة أثناء السورة.

الثانية: عدم البسملة أثناء السورة.

الأولى: حالة اختيار البسملة، وهذا أفضل للثواب المترتب على ذلك فيجوز للقارئ أربعة أوجه، مثل الأوجه المذكورة في مبحث الإستعاذة وهي:

١- قطع الجميع[٢].

٢- قطع الأول، ووصل الثاني بالثالث

٣- وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث ٤- وصل الجميع

نعني: أن القارئ إذا ابتدأ القراءة رأسًا من أجزاء السورة فله الأوجه الأربعة السابقة وهي:

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩ .

(٢) استخدمنا مصطلح قطع الجميع اتباعًا لتدوينها والاصطلاح عليها في كتب التجويد ولكن المصطلح الأولى بالتسمية في هذه الحالة هو (فصل الجميع أو وقف الجميع)؛ لأن مصطلح القطع ضابطه الإعراض عن القراءة في الوقت الحالى، وهو لا يتناسب مع هذه الحالة؛ لأن القارئ وقف للاستراحة مع أخذ النفس بنية استئناف القراءة.

١- قطع الإستعاذة عن البسملة، وقطع البسملة عن أجزاء السورة.

٢- قطع الإستعاذة عن البسملة، ووصل البسملة بأجزاء السورة.

٣- وصل الإستعاذة بالبسملة، وقطع البسملة عن أجزاء السورة.

٤- وصل الإستعاذة بالبسملة، ووصل البسملة بأجزاء السورة.

نحو: بدء القراءة رأسًا من وسط سورة سبأ، بدءًا من الآية التي يقول فيها المولى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

الحالة الثانية: وهي حالة عدم اختيار البسملة فللقارئ وجهان:

*وصل الاستعاذة بالآية مباشرة. * قطع الاستعاذة عن الآية مباشرة.

ولا بد من ملاحظة: أن وجه قطع الاستعاذة أولى من وصلها، إذا كانت الآية المبتدئ بها اسمًا من أسماء الله تعالى، أو ضميرًا يعود عليه عز وجل، نحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، و ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، و ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٨]، و﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أو اسمًا من أسماء الرسول ﷺ نحو قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ففي هذه الأمثلة يكون القطع أولى من وصل الإستعاذة بالآية، لما في الوصل من بشاعة المعنى، والإتيان بالبسملة في هذه الأمثلة أفضل مع القطع وعدم الوصل[(١)] بدونها.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٦٦.

أما إذا ابتدأ القارئ في الأجزاء من سورة براءة، ك: من أراد القراءة من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، ففيه خلاف بين أهل العلم، وهو: ذهب فريق منهم إلى منع البسملة في أجزاء براءة، كما منعها في أولها.

وذهب فريق آخر إلى جواز البسملة، وحجته أن المنع في أول براءة فقط.

وأرجح الرأيين هو: المنع؛ لأن السورة وحدة واحدة، فإذا منع من أولها منع من أجزائها، لنزول براءة بالسيف والله أعلم[١].

أما الابتداء بالآي وسط براءة، فقال ابن الجزرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «قل من تعرض للنص عليها، ولم أر فيها نصًا لأحد من المتقدمين، وظاهر إطلاق كثير من أهل الأداء التخيير فيها».

وعلى جواز البسملة فيها نص أبو الحسن السخاوي في كتابه «جمال القراء» قال: «ألا ترى أنه يجوز بغير خلاف أن يقول المسلم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وفى نظائرها من الآي؟.

وإلى منعها جنح أبو إسحاق الجعبري، فقال ردًا على السخاوي: «إن كان نقلًا فمسلم به، والإ فردّ عليه، أنه تفريع على غير أصل وتصادم لتعليله».

قال ابن الجزري: «وكلاهما يحتمل الصواب، أن يقال: إن من ذهب إلى ترك البسملة في أوساط السورة لا إشكال في تركها عنده وسط السورة،

---

(١) فى هذه المسألة لم يرد في السنة فيما ظهر لنا أن النبي ﷺ بسمل في أجزاء السور أبدًا، ومن وجد ذلك فالرجاء بيان المصدر لنعود إليه وجزاه الله خيرًا.

وكذلك لا إشكال في تركها فيها عند من ذهب إلى أن البسملة عندهم في وسط السورة تبع لأولها، ولا تجوز البسملة أولها فكذلك وسطها.

أمّا من ذهب إلى البسملة في الأجزاء مطلقًا، فإن اعتبر أثر العلة التي من أجلها حذفت البسملة من أولها - وهي نزولها بالسيف كالشاطبي، ومن سلك مسلكه - لم يبسمل، وإن لم يعتبر بقاء أثرها؛ أو لم يرها علة بسمل بلا نظر[(١)].

إذا كان القارئ منتهيًا من سورة ودخل في السورة الثانية:

كمن انتهى من سورة: «النساء» وبدأ بـ: «المائدة» وصلا، فله أربعة أوجه: ثلاثة معمول بها، وواحد غير معمول به، وإليك هذه الأوجه:

الأول: قطع الجميع، أي: قطع نهاية السورة عن البسملة، وقطع البسملة عن أول السورة التالية».

الثاني: وصل الجميع، أي: وصل نهاية السورة بالبسملة، والبسملة بأول السورة التالية».

الثالث: قطع الأول ووصل الثاني بالثالث، أي: قطع نهاية السورة عن البسملة، ووصل البسملة بأول السورة.

وهذه الأوجه الثلاثة هي المعمول بها، ويشرع للقارئ الإتيان بأي وجه من هذه الأوجه.

أما الوجه الرابع وهو: وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث، أي: وصل

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٦٦ وما بعدها.

نهاية السورة بالبسملة، والوقف، ثم يبدأ ببداية السورة التالية »، هذا الوجه غير معمول به، حتى لا يظن السامع أن البسملة تبعًا لنهاية السورة السابقة، مع أن البسملة نزلت لأوائل السور وليس لأواخرها، وهذا الوجه ممتنع لجميع القراء بالإجماع.

قال الإمام الشاطبي:

ومهما تصلها مع أواخر سورة فلا تقفن الدهر فيها فتثقلا[١]

قال شارح الشاطبية: اختار الأئمة لمن يفصل بالبسملة أن: يقف القارئ على أواخر السورة، وعكسه لا يجوز، وهو ما نهى عنه الناظم بقوله: فلا تقفن، وهو أن يصل القارئ البسملة بأواخر السور، ثم يقف على البسملة؛ لأن البسملة لأوائل السور لا لأواخرها، فهذان وجهان: الأول مختار، والثاني منهي عنه »[٢].

وقد نظم الأوجه المعمول بها العلامة الخليجي في كتابة « قرة العيون » فقال:

وبين كلّ سورةٍ وأخرى لمن يبسمل ثلاثٌ تقرا
قطع الجميع ثم وصل الثانى ووصل كلّ فاتل بالاتفاق

وهذه الأوجه الثلاثة تجوز بين كل سورتين، سواء رتبتا في التلاوة كآخر « آل عمران مع النساء »، أم لم ترتبا كآخر « الفاتحة مع أول المائدة »؛ ولا بد أن تكون السورة الأولى في التلاوة تسبق الثانية في ترتيب المصحف.

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩ .

(٢) سراج القارئ ص٣٠ .

الأوجه التي بين سورتي الأنفال وبراءة:

علمنا فيما سبق أنه ليس بين الأنفال والتوبة بسملة وعلى ذلك تكون الأوجه الثلاثة:

١- الوقف، نحو: الوقف على قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾ مع أخذ النفس، والابتداء بـ « براءة ».

٢- السكت، نحو: السكت على قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾ سكتة لطيفة دون تنفس؛ ثم الابتداء بسورة براءة.

٣- الوصل، نحو: وصل قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾ بداية سورة براءة مع تبيين الإعراب هكذا: « عليمٌ براءة ».

هذه الأوجه التي بين آخر الأنفال وأول براءة لم تكن قاصرةً على هذا الموضع فقط، بل تجوز بين آخر أى سورة وأول براءة، بشرط أن تكون آخر هذه السور قبل سورة براءة في ترتيب المصحف، نحو: « سور آل عمران » « النساء »، « المائدة »، والسورة التالية في التلاوة تكون « براءة ».

أما إذا جاءت سورة قبل براءة في التلاوة، وهي تليها في ترتيب المصحف، كما في نحو: آخر سورة الأنبياء وأول سورة براءة فليس له إلّا وجهًا واحدًا فقط، وهو القطع دون بسملة، ويمتنع وجها الوصل والسكت.

أوجه سورة « آل عمران »:

لسورة « آل عمران » وضع خاص وذلك لمن أراد أن يصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة « اللّه » دون وقف؛ ذلك لأن الميم من قوله تعالى: « آلم »، ساكنة، وكذلك اللام من لفظ الجلالة « ساكنة »، « وهي لام التعريف »، فالتقى

ساكنان، ونحن نعلم أن الميم في الآية: ﴿الٓمٓ﴾ تمد ست حركات؛ لأنها مد لازم حرفي مثقل؛ لأنه اجتمع بعد حرف المد سكون أصلي، ولكنه لما التقت هذه الميم الساكنة بـ: «اللام الساكنة» في لفظ الجلالة «التقى ساكنان»، ولا يجوز في لغة العرب التقاء ساكنين حال الوصل إلّا إذا كان أولهما حرف مد، ولا بد من التخلص من التقائهما في هذه الحالة[1].

أما في حالتنا هذه فقد تم التخلص من التقاء الساكنين بفتح الميم من ﴿الٓمٓ﴾ حال الوصل؛ وبناء على ذلك ذهب أهل العلم إلى فريقين في مد الميم من قوله ﴿الٓمٓ﴾:

ذهب فريق من أهل العلم إلى: أنه انتفى سبب المد في ﴿الٓمٓ﴾ لتحرك الميم بالفتح فلا داعي للمد ست حركات لعدم وجود السكون، أي: أن هذا الفريق اعتد بالعارض وهو تحريك الميم الساكنة أصلًا بالفتح للتخلص من التقاء الساكنين، وعلى هذا تمد «الميم حركتين فقط» مع التخلص من التقاء الساكنين بالفتح.

وذهب فريق آخر إلى القول: بأن حركة الفتح عارضة، وأصل الحرف السكون، فلا يعتد بهذا العارض؛ لأنه طارئ وليس أصليًا، والأصل في الحرف السكون، والفتحة عارضة للتخلص فقط من التقاء ساكنين، فتمد الميم ست حركات مع التخلص من التقاء الساكنين بالفتح.

---

(١) يراجع تفصيل ذلك في هذا مبحث المد؛ وإذا كان الساكنان أولهما حرف مد فنتخلص من التقائهما بالمد الطويل، أما لو التقى ساكنان وأولهما غير حرف مد فيتم التخلص من هذا الالتقاء بالتحريك.

وعلى كلا القولين: نجد أن بين ﴿الٓمٓ﴾، ولفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾: وجهين للقارئ الأخذ بأحدهما دون حرج وهما:

أ- قصر الميم حركتين حال وصلها بلفظ الجلالة، والتخلص من التقاء ساكنين بالفتح.

ب- مد الميم ست حركات حال وصلها أيضًا بلفظ الجلالة، مع التخلص من التقاء ساكنين بالفتح أيضًا.

وهناك وجه ثالث وهو: الوقف على ﴿الٓمٓ﴾ ثم البدء بلفظ الجلالة؛ لأن ﴿الٓمٓ﴾ رأس آية فيكون عندنا بين «ألم» ولفظ الجلالة ثلاثة أوجه، وهي المذكورة آنفًا.

مع ملاحظة: أن هناك أربعة أوجه عند البدء بالقراءة رأسًا مع الاستعاذة والبسملة، وهم: ١- قطع الجميع، ٢- وصل الجميع، ٣- قطع الأول، ووصل الثاني بالثالث، ٤- وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث.

وبضرب هذه الأربعة في الثلاثة أوجه بين ﴿الٓمٓ﴾ ولفظ الجلالة «اللَّه» تكون أوجه آل عمران عند بدء القراءة رأسًا اثنى عشرة وجهًا.

فلو افترضنا أننا قرأنا بوجه وقف قطع الجميع فتكون الأوجه:

(١) نقطع الاستعاذة عن البسملة

(٢) نقطع البسملة عن أول السورة، وفى هذا الوجه نفصل ﴿الٓمٓ﴾ عن لفظ الجلالة، أو نصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة مع قصر الميم حركتين، والتخلص بالفتح.

أو نصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة مع مد الميم ست حركات، والتخلص بالفتح أيضًا، وبذلك يكون عندنا ثلاثة أوجه بين ﴿الٓمٓ﴾ ولفظ الجلالة اللَّه.

ولو قرأنا بوصل الجميع: « وهو أن نصل الاستعاذة بالبسملة بأول السورة، ونفعل كذلك مع ﴿الٓمٓ﴾ ولفظ الجلالة، كما فعلنا في الوجه السابق؛ يكون معنا أيضًا في هذا الوجه ثلاثة أوجه بين ﴿الٓمٓ﴾ ولفظ الجلالة؛ وهكذا مع الوجهين الباقيين نجد أن المجموع: أربعة أوجه بين السورتين × ثلاثة أوجه بين ﴿الٓمٓ﴾ ولفظ الجلالة = اثني عشر وجهًا، وهو المقصود.

أما لو كان الإنسان بادئًا في القراءة، وانتهى من سورة البقرة ودخل في آل عمران:

فقد علمنا فيما سبق أن الأوجه بين السورتين أربعة أيضًا، ولكن ثلاثة معمول بها، وواحد غير معمول به، وبيانها كالآتي:

١-نصل بين السورتين بوجه وصل الجميع.

٢- ونصل آلم بلفظ الجلالة مع قصر الميم حركتين، وفتحها للتخلص من التقاء الساكنين.

٣- أو نصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة مع مد الميم ست حركات، وفتحها للتخلص من التقاء الساكنين، وهكذا مع وجه قطع الجميع، ووجه قطع الأول ووصل الثاني بالثالث وهكذا.

٤- والوجه غير المعمول به: هو وصل الأول بالثاني وقطع الثالث، أي: وصل نهاية البقرة مثلًا بالبسملة، ونقف، ثم نبدأ بأول السورة، وله ثلاث حالات:

أ- وصل نهاية البقرة مثلًا بالبسملة ثم الوقف، والبدء بعد ذلك بأول السورة مع فصل ﴿الٓمٓ﴾ عن لفظ الجلالة.

ب- وصل نهاية البقرة بالبسملة ثم الوقف، والبدء بأول سورة آل عمران مع وصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة ومد الميم ست حركات مع تحريكها بالفتح.

ج- وصل نهاية الفاتحة بالبسملة ثم الوقف والبدء بعد ذلك بأول سورة آل عمران مع وصل ﴿الٓمٓ﴾ بلفظ الجلالة ومد الميم حركتين[١].

حكم البسملة:

اختلف الفقهاء فيها تبعًا لاختلاف القراء، فقيل: إنها سنة، ذهب إلى ذلك الأحناف والمالكية، وقال: بفرضيتها، الشافعية، والإمام أحمد؛ لأنها تعد آية من أول كل سورة عندهما، ومن أراد التفصيل فليراجع كتب الفقه.

* * *

(١) يلاحظ: أن هذه الأوجه للأئمة العشرة باستثناء أبي جعفر؛ لأنه يفصل حروف التهجي بسكتة لطيفة دون تنفس، ويلزم من هذا السكت سكون الميم ومدها طويلًا وجهًا واحدًا.

أسئلة الباب الثاني

س١ : بين كيف تكونت القراءات التي وصلت إلينا في العصر الحالي؟ ومتى تكونت؟ ولماذا نسبت القراءة إلى شخص بعينه دون آخر؟ ولماذا لم تنسب القراءة إلى الصحابة، ونسبت لبعض التابعين وتابعي التابعين؟

س٢ : هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة؟ أم ماذا؟

س٣ : ما الدليل على أن الصحابة تعلموا أوجه القراءات من النبي ﷺ؟

س٤ : ما هو السبب في جمع القرآن بين دفتين في العهد البكري؟ وعدم جمعه في العهد النبوي الشريف؟ وما الفرق بين الجمعين؟

س٥ : ما سبب جمع المصحف في العهد العثمانى بالرغم من جمعه في العهد البكري؟ وما الفرق بين الجمعين؟

س٦ : ما سبب نزول القرآن على سبعة أحرف؟

س٧ : اذكر بعض من اشتهر من الصحابة في إقراء القرآن؟

س٨ : اذكر بعض من اشتهر من التابعين في إقراء القرآن؟

س٩ : اذكر من اشتهر من تابعي التابعين في إقراء القرآن؟ ولماذا نسبت القراءات إلى بعض التابعين، وتابعي التابعين، ولم تنسب إلى أحد من الصحابة؟

س١٠ : هل يمكن لنا في هذا العصر أن نؤلف قراءة من مجموع القراءات التي وصلت إلينا، وننسبها إلى شخص ما؟

س١١ : كيف تكونت قراءة نافع؟ ولماذا اختلف الرواة عنه؟

س١٢ : بين السبب في اختلاف رواية شعبة عن رواية حفص عن عاصم في بعض ألفاظ القرآن؟

س١٣ : ما هي أركان القراءة؟ وما السبب في وجودها؟ ومتى وجدت؟

س١٤ : لماذا اختار ابن مجاهد القراء السبعة دون غيرهم؟ ولماذا ترك قراءة أبي جعفر المدني بالرغم من أنه شيخ نافع؟ وهل ترك هذه القراءة لشذوذها؟

س١٥ : اختر أحد القراء العشرة وتكلم عن حياته مبينًا الدروس المستفادة من هذه الدراسة؟

س١٦ : هل رواية حفص عن عاصم هي أول الروايات اشتهارًا في مصر منذ الفتح الإسلامي لها؟ أم ماذا؟ وما المقصود برواية حفص عن عاصم؟ وما الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه؟

س١٧ : ما المقصود بأصول عاصم وما المقصود بأصول رواية حفص عن عاصم؟ وما المقصود بأصول رواية شعبة؟ وما الفرق بين أصول الرواية وفرشها؟ ولماذا اختلفت رواية شعبة عن رواية حفص؟ وهل لأي راو أو قارئ تدخل في القراءة التي يقرأها أو يرويها؟ أم ماذا؟

س١٨ : تكلم عن سبعة من أصول رواية حفص عن عاصم؟

س١٩ : رتل: فداك أبي وأمي فإنه زينة القرآن .... من قائل هذه العبارة؟ ومتى قيلت؟

س٢٠ : اذكر مبادئ علم التجويد، ثم بين بالدليل شرف علم التجويد على غيره من العلوم.

س ٢١: عرف التجويد لغة واصطلاحًا.

س٢٢: ما المقصود بحق الحرف ومستحقه؟ وما هي حقيقة علم التجويد؟

س٢٣: ما هو موضوع علم التجويد؟ وهل كل كلام عربي يجب تجويده؟

س٢٤: ما معنى اللحن لغة واصطلاحًا؟

س٢٥: ما المقصود باللحن في القرآن الكريم؟ وما أقسامه؟ ومن أول من تكلم عن اللحن بنوعيه؟ مقارنًا بين اللحنين.

س٢٦: عرف اللحن الجلي موضحًا أقسامه؛ وهل تغيير الحركة يؤدي إلى تغيير المعنى؟ أم أن الذي يغير المعنى هو تغيير الحرف فقط؟ مثل لما تقول من القرآن الكريم.

س٢٧: ما هو اللحن الخفي؟ وما أقسامه؟ وهل من أقسام هذا اللحن ما يؤدي إلى تغيير المعنى؟ مثل بأمثلة من القرآن، مع بيان لماذا سمي باللحن الخفي؟

س٢٨: من هو الواضع لعلم التجويد؟

س٢٩: ما هي أقسام علم التجويد؟

س٣٠: ما المقصود بكل من تجويد الحرف، تجويد الكلمة، تجويد الجملة؟ وهل ترى تقسيمًا آخر لعلم التجويد غير هذه الأقسام؟

س٣١: اذكر حكم التجويد عند أهل فن التجويد؟ ثم بين المقصود بالواجب الصناعي؟ وما هي أرجح الأقوال في رأيك؟

س٣٢: ما هي قواعد علم التجويد؟

س٣٣: اشرح ما يلي:

إن مبادئ كل فن عشرة　　الحد والوضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضع　　..................

س٣٤: ما هو حد علم التجويد؟ وما هي حقيقته؟

س٣٥: ما المقصود بأركان القراءة؟ وما المقصود بالفصيح والأفصح في القراءات؟

س٣٦: ما معنى موافقة القراءة للغة العربية ولو بوجه؟

س٣٧: ما معنى قول ابن الجزري ولو احتمالًا؟

س٣٨: ما معنى صحة السند؟ وهل المقصود بها التواتر في القراءات؟

س٣٩: القراءات التي وصلت إلينا في العصر الحالي منها ما هو متواتر ومنها ما هو شاذ؛ اذكر أقسام القراءات موضحًا الضابط لكل من القراءة الصحيحة والشاذة؛ وكيف تبين الصواب لمن أجاز القراءة بالشاذ في الصلاة وغيرها؟

س٤٠: عرف كل من الترتيل، والتدوير، والحدر، والتحقيق.

س٤١: أى المراتب ترجح: الترتيل أم الحدر؟ مع ذكر أقوال أهل العلم.

س٤٢: قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، من خلال هذه الآية الكريمة وضح إلى أي مراتب القراءات ينسب القرآن المجود؟

س٤٣: تزداد الحسنات بكثرة تلاوة القرآن، وقد أنزل القرآن للعمل بما فيه، ولكي يتم ذلك لا بد من فهم مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه

من خلال هذه العبارة: اذكر الفرق بين التدوير، والحدر، موضحًا السنة في ذلك؟

س٤٤: عرف كل من الهذهذة، والتمتمة، والهدرجة، والهذرمة، موضحًا ضابط كل منهم، ثم وضح أي المراتب أفضل عند تلاوة القرآن، مستشهدًا في ذلك بالآثار التي وردت بها السنة المطهرة؟

س٤٥: ما هي البدع التي ابتدعها قراء هذا الزمان عند تلاوتهم للقرآن الكريم؟ وهل تحسين الصوت في تلاوة القرآن يدخل ضمنها؟ ثم بين ما هو ضابط قبول حسن الصوت في التلاوة وعدم قبوله؟.

س٤٦: ما هو الضابط الذي إذا تعدّاه القارئ أصبح مبتدعًا في التلاوة؟

س٤٧: ما الدليل على استحباب حسن الصوت في التلاوة؟

س٤٨: هل التغني بالقرآن مكروه، أم مندوب إليه؟ وما دليلك؟

س٤٩: ما هى أقسام اللحن الخفي؟ وما حكمه؟

س٥٠: قال بعض أهل العلم: «لما كانت الأمة متعبدة بإقامة حدود الله، فهم متعبدون كذلك بتلاوة كتابه، وإقامة حروفه وتصحيح ألفاظه؛ وبناءً على ذلك يأثم تارك أحكام التلاوة عند قراءة القرآن».

من خلال هذه العبارة بيّن حكم التجويد؟؛ ثم بيّن الفرق بين الواجب الشرعي وبين الواجب الصناعي؟ وإلى أى الآراء تميل مع ذكر الدليل؟.

س٥١: من اللحن الجلي ما يكون بسبب تغيير حركة، ومنه ما يكون بسبب تغيير حرف؛ وضح المقصود من كل منهما مع التمثيل لما تقول؟

س٥٢ : من اللحن ما يخل بعرف القراءة والمعنى؛ ومنه ما يخل بعرف القراءة دون المعنى؛ وضح ذلك من خلال كل من اللحن الجلى والخفى؟ .

س٥٣ : التجويد هو .... مع ....
و.........

س٥٤ : صوب العبارة التالية: « اللحن الجلي هو الذي يعرفه عامة القراء ويكون بسبب تغيير حركة ».

س٥٥ : لكل فن أهله الذين تخصصوا فيه، فهم أهل الذكر في فنهم هذا؛ ولا شك أن الفقيه هو الذي يسأل عن الحلال والحرام والواجب والمندوب؛ هذا وقد ذكر أهل التجويد أن التجويد واجب شرعي مستشهدين بقوله تعالى: « ورتل القرآن ترتيلا »، وبقول ابن الجزري »: « من لم يجود القرآن آثم »، وقد ذكر بعض أهل العلم في عصرنا الحالي أن تجويد القرآن ليس بواجب كما يدعي أهل التجويد.

من خلال هذه العبارة بين حكم التجويد، وحكم القراءة بالقراءات الشاذة.

س٥٦ : ما هي مبادئ علم التجويد موضحًا المقصود بحقيقة علم التجويد؟

س٥٧ : المقصود بـ: « التجويد » إخراج كل حرف من مخرجه، مع إعطائه حقه ومستحقه؛ وحق الحرف هو الصفات اللازمة التي لا تنفك عن الحرف بأي حال من الأحوال؛ أما الصفة العارضة هي التي تلازم الحرف أحيانًا، وتفارقه أخرى.

من خلال العبارة السابقة بين خطأ من ادعى أن الهمس في « التاء » لا يكون إلا حالة سكون « التاء »، بالرغم من أن الهمس من الصفات الأصلية؟

س٥٨ : تكلم عن بعض بدع قراء القرآن؟

س٥٩ : هل يجوز للقارئ أن يقرأ برواية حفص عن عاصم خلطًا برواية قالون عن نافع أو العكس؟ ولماذا؟ وماذا لو فعل ذلك في الصلاة؟

س٦٠ : ما المقصود بالاستعاذة؟

س٦١ : ما هي صيغ الاستعاذة؟ وأيها ترجح؟

س٦٢ : ما هي أحوال الاستعاذة؟

س٦٣ : ما هي أوجه الاستعاذة؟

س٦٤ : هل رد السلام يستلزم إعادة الاستعاذة للقارئ؟

س٦٥ : ما حكم الاستعاذة؟

س٦٦ : ما المقصود بالبسملة؟ وهل البسملة واجبة؟ أم ماذا؟

س٦٧ : ما هي أحوال القراء في الفصل بين السورتين؟

س٦٨ : ما وجه حذف البسملة بين سورتي الأنفال وبراءة؟

س٦٩ : ما هي حجة من أسقط البسملة من براءة؟

س٧٠ : ما المقصود من قول الشاطبي :

« ومهما تصلها أو بدأت براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا »

س٧١ : ما هى أوجه البسملة؟

س٧٢: ما حكم البسملة؟

س٧٣: ما هي الأوجه بين سورتي الأنفال وبراءة؟

س٧٤: ما هي الأوجه بين سورتي البقرة وآل عمران؟

س٧٥: ما هي الأوجه بين سورتي براءة والحج؟

س٧٦: ما هي الأوجه بين سورتي الشعراء والنمل؟

س٧٧: ما هي الأوجه التي بين سورتي الفاتحة وآل عمران؟

انتهت أسئلة الباب الأول بإذن الله

* * *

البَابُ الثَّالِثُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تجويد الحرف

تمهيد:

إن دراسة الصوت البشري من جانبه المادي[١] لذو مكانة عظيمة بين فروع العلم؛ إذ به ندرس كيفية خروج الألفاظ القرآنية، وهيئتها، وكيفية تركيبها، وعلل ذلك؛ بأن الكلام البشري ما هو إلا عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات المركبة.

فأي مجموعة من الأصوات أو الحروف أيًا كان عددها ما دامت تقع بين سكتتين، وتستغرق مرة واحدة من مرات التنفس، هي « مجموعة كلامية » سواء كانت كلمة واحدة، أو جملة مفيدة، أو جزءًا من جملة.

والمجموعة الكلامية هذه نسق من أصوات أو سلسلة منها، وهي بهذا مادة للوصف من الناحية الأصواتية، وتتم دراستها من الناحية الأصواتية عن طريق وصف مخارج أصواتها، وطرق النطق بها وصفاتها.

---

(١) الأصوات الصادرة من الجهاز الصوتي تمثل الجانب المادي للغة، ولا تخلو دراسة تفصيلية للغة ما من دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، وليس أدل على ذلك من ظهور علم التجويد مبكرًا ضابطا للأداء القرآني، معنيًا بالعناصر التكوينية، والأحكام السياقية للتلاوة القرآنية، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي- د. أحمد مختار عمر ص٢٠ .

ولكي نتمكن من وصف النطق في اللغات المختلفة، والموازنة بين صوره لا بد من تحليل الكلام، أي: تقسيمه إلى وحدات تيار الحركات المخرجية المتواصل، فيقال: إن الصوت الفلانى على - سبيل المثال - من أصوات هذه الكلمة يخرج من المخرج الفلاني، وهو: شديد، أو رخو، أو مركب، أو متوسط، أو مهموس، أو مجهور، ويتم ذلك الوصف بعد ملاحظة وتجارب؛ فإذا تناولنا العلاقة بين أصوات مجموعة كلامية بأن قلنا على - سبيل المثال -: إن هذا الصوت واحد من المجموعة الأصواتية التي ننسبها إلى مكان معين، موقعه في الكلمة قبل الصوت الفلاني الملاصق له قد ختم أن يبدو في شكل كذا، وأن الحرف الذي هو أحد أصواته يبدو بصورة أخرى في المواقع الأخرى.

فـ «النون» - مثلًا - تكون مفردة في شكل معين، وإذا جاورت حرف «الهمزة» تحتفظ بشكله، فإذا تلاها «قاف» تغير صوتها إلى صوت آخر، وكذا إذا تلاها «جيم»، أو «شين»، تغير صوتها حسب ما جاورها من هذه المجموعة التي نسميها الإخفاء، وهذه صور صوتية للنون، يطلق عليها في علم الأصوات مصطلح التشكيل الصوتي، مما نستنتج معه أن الصوت المفرد في أي من حروف الهجاء يسمى: «وحدة صوتية»، وإذا تغير نتيجة العوامل السابقة، وأحدث صوتًا آخر غير صوته الأول، قلت: إنه أصبح صورة صوتية تفرعت عن الوحدة الصوتية الأم[1].

ولقد اعتنى علماء اللغة القدامى بدراسة الصوت اللغوي، وَأَوْلَوْهُ عناية كبيرة، ولا يخفى أن شيوع الدرس الصوتي، وتناثره بين المصنفات اللغوية

---

(١) انظر مناهج البحث في اللغة ص٥٧ .

لخير دليل على عناية القدامى وتعلقهم به؛ لأهميته وأثره الفعال في تفسير كثير من مشكلات اللغة[١].

فقد اعتمد منهجهم في دراستهم الصوتية على الملاحظة الذاتية، وليس أدل على ذلك من ترتيب صحيح للحروف حسب مخارجها، وملاحظات مهمة حول صفات الحروف، وقد ميزوا بين الحروف الصحيحة والهوائية، وفق إعاقة الهواء، أي: «الصوت» داخل الممر الصوتي أو عدم اعاقته[٢].

هذا: ولقد ارتبطت الدراسات الصوتية - كغيرها من ألوان الدرس اللغوى - بالقرآن الكريم نشأة ونهضة، ولا غرو في ذلك، إذ إن الحفاظ علي القرآن الكريم يستوجب الحفاظ على اللسان الذي أنزل به، ومن ثم كانت عناية العرب بلغتهم ألفاظًا، وأصواتًا، وتراكيبَ.

فلقد لعبت مصنفات التجويد دورًا رائدًا في حفظ تراثنا الصوتي، والإشارة إلى جُلّ قضاياه، ولذا تعد من أهم مصادر هذا التراث ومنابعه، فلقد كان علماء القراءات من أكثر القوم حرصًا على تناول المباحث الصوتية في مؤلفاتهم، ومن هذا المنطلق جمعوا ما قرره السابقون، وأضافوا إليه كثيرًا من التفصيلات حينما وصفوا القراءات المختلفة للتلاوة القرآنية، وسجلوا في ضوء

---

(١) لقد كانت الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على الجانب النطقى، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها، في زمن حرم معظم فروع العلم آلاته وأجهزته الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي ويظهر هذا الاتجاه النطقي واضحًا في أعمال العرب، كما تشهد بذلك آثارهم العلمية، والمصطلحات، والتصنيفات الصوتية، التي خلفوها من ورائهم، انظر علم الأصوات د. كمال بشر ص ٤٧.

(٢) انظر مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسان ص٦٢ .

ذلك كثيرًا من الخصائص الأدائية، كما حوت مؤلفات التجويد زادًا موفورًا من المصطلحات الصوتية[١].

إن ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد جعل منه علما شعبيًا بالتعبير المعاصر، في المجتمع الإسلامي على اختلاف البلدان، والأزمان، يحرص المسلمون على اختلاف مستوياتهم الثقافية، والمادية، وعلى تباين ألسنتهم وأجناسهم على دراسته وتطبيق أحكامه، وقد أعطى علم التجويد بذلك قوة معنوية تجعل المشتغلين به يقبلون على البحث فيه دون كلل، ويصبرون على متاعب البحث والتعليم حتى يتحقق لدى المتعلم المستوى النطقي المطلوب، ويحتسبون ذلك الجهد عند الله تعالى، وقد أثمرت تلك الجهود التي حظي بها علم التجويد في ترسيخ النطق العربي الفصيح على مدى العصور التي أعقبت نزول القرآن الكريم حتى عصرنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط بين اللغة العربية، والقرآن وبالتحديد بين علم التجويد والقرآن، لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هي عليه[٢].

لقد جمعت مؤلفات التجويد بين الجانبين النظري والتطبيقي في الدراسات الصوتية[٣]؛ فعرضت لمخارج الحروف، وصفاتها، وتقسيماتها وفق ذلك،

(١) انظر علم اللغة د. السعران ص١٠١، والمقطع الصوتي ص٢٠ .

(٢) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٨٦/ ٨٧ .

(٣) كان علماء العربية وعلماء التجويد يتقاسمون دراسة الأصوات العربية، وكان كل فريق يأخذ من الآخر، والفرق بينهما أن علماء العربية القدامى لم يخصصوا للموضوع كتبًا مستقلة، وكانت دراستهم الصوتية مرتبطة بقضايا صرفية، أما علماء التجويد فقد جعلوا دراستهم مستقلة في كتب خاصة، كما أنها كانت عندهم على نحو أشمل، ولكن ذلك كله لا يغير من حقيقة جوهرية هي أن دراسة الأصوات العربية موضوع لغوى أساسًا، سواء أقام بها النحاة أم قام بها علماء قراءة القرآن، وسواء ارتبطت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم»، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٨٣ .

وكذا الملامح الأدائية لها في ضوء السياقات المختلفة والتجاورات المتنوعة، فليس الحديث عن الإظهار، والإدغام، والإخفاء، والترقيق، والتفخيم، والوقف، والابتداء إلا دلائل على ذلك، وأمارات على وقوع مؤلفات التجويد والأداء القرآني موقع القمة بين مصادر تراثنا الصوتي[١].

محاور دراسة الصوت اللغوي:

لقد كان اهتمام علماء التجويد ببيان مخارج الحروف وصفاتها، ليسلم اللفظ القرآني من اللحن[٢]، ودراسة المخارج والصفات هذه تعتبر ضمن المباحث الصوتية التي قامت على محورين أساسيين:

أحدهما: دراسة الصوت مفردًا لبيان كيفية نطقه، وتنوع صفاته، وكذلك هيئة انتقاله، وأثر ذلك على كيفية إدراكه واستقباله، وقد عني القدامى بهذا الجانب أيما عناية، فقد فَصَّلُوا القول في مخارج الحروف وصفاتها، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي[٣] عام ١٧٥هـ أول من اعتنى بهذا الجانب

---

(١) من يقلب صفحات هذه المؤلفات يدرك تماما أهميتها في ميدان تراثنا الصوتي، ويقف عن قرب على موقعها بين مصادر الدراسة الصوتية، ومما يثبت ذلك ويؤكده اتجاه الدراسات الصوتية الحديثة، هذا النمط من ذخائر التراث تنهل منه، وتكشف عن أدق القضايا الصوتية بين جنباته»، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص.٢١

(٢) اهتم العرب- منذ ظهور الدين الإسلامي- بالحفاظ على القرآن الكريم ولغته، خوف التحريف والتغيير، حتى لا تنبهم معانيه على أهله، فوصفوا مخارج الحروف وصفًا دقيقًا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم، وتحدثوا عن صفات الحروف وأصواتها بما يدل على إرهاف الحس العربي وشفافيته، انظر أصوات اللغة العربية، الدكتور هلال ص٨ - الناشر مكتبة وهبه، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٣) تروي كتب اللغة والأدب أن الخليل بن أحمد كان علمًا من أعلام اللغة، ضرب بسهم وافر في نواح عدة من الدراسات اللغوية، فهو- كما يقولون- مسئول عن أول معجم عربي، =

الصوتي في اللغة العربية؛ حيث قام بترتيب الحروف ترتيبًا صوتيًا كما سوف يتبين لنا خلال هذا الباب، ثم تبعه سيبويه، وابن جني، وعلماء اللغة آنذاك في تصنيف المخارج وصفاتها.

والجانب الآخر من هذه الدراسة هو: دراسة الصوت مركبًا، أي: في سياقه، فيحدد وظيفته، ومدى تلائمه مع غيره في بنية الكلمة، وما يطرأ عليه من تطور وتغيير في ضوء العلاقة بين الأصوات اللغوية في السياق، وأثر التجاور فيما بينها.

نستخلص من ذلك أن هندسة الصوت في اللغة العربية الفصحى، التي نزل القرآن الكريم بها تبدو بوضوح وجلاء في غاية الإحكام، مما يجعلنا لا نحسب أن أي لغة أخرى تتمتع بمثله؛ لذلك كان الواجب على القارئ الاعتناء عند نطقه للحروف القرآنية بأن يخرجها من مخارجها الصحيحة، ليس ذلك فحسب؛ بل عليه أن يعطيها حقها من الصفات؛ خاصة الحروف التي تشترك في المخرج الواحد، أو تكون متقاربة من بعضها في المخرج، أو الصفة، لئلا يلتبس أحدهما بالآخر، فإن لكل حرفٍ مخرجًا وممرًا صوتيًا خاصًا بهِ، وله كذلك خصائص يتمتع بها في الجهاز النطقي، فكل حرف شارك غيره في مخرجه فإنه لا تمتاز عنه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج.

ويجب العناية الشديدة أيضًا حال تركيب الحرف مع غيره؛ لأن ما ينشأ عند التركيب لا ينشأ عند نطق الحرف مفردًا.

= أعنى: «كتاب العين»، وهو واضع علم العروض وأوزان الشعر، وهو المؤلف في الموسيقى، وهو صاحب المباحث المستفيضة التي جاءت في كتاب سيبويه، ولد سنة ١٠٠هـ بعمان، وقيل توفى ١٧٠هـ انظر «نزهة الألباء» لابن الأنباري ص ٢٩ .

إن الهيئات النطقية المختلفة للحرف الواحد ينشأ عنها ظهور أكثر من فرق بين أشكال الحرف الملفوظ به على المدرج الصوتي، فقد يتفق للحرف أن يكون نطقه يسيرًا حينًا في أوائل المخرج، ويكون نطقه عسيرًا حينًا آخر في نهايات المخرج.

لذلك قال ابن الجزري: «يجب على مريد أتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، ويعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعًا وسليقة، فكل حرف شارك غيره في صفاته فإنما لا يمتاز عنه إلا بالمخرج، فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه، فليعمل نفسه بإحكامه حال التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس، ومقارب، وقوي، وضعيف، ومفخم، ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالاتقان والتدريب[١]».

وفي خلال هذا الباب سوف نقوم بشرح المخارج، ويكون الحديث في الفصل الأول منه: لهذه المقدمة، والفصل الثاني: لبيان المخارج، والفصل الثالث: المخارج الخاصة.

* * *

(١) انظر النشر في القراءات العشر- ١/ ٢١٤

الفَصْلُ الثَّانِي

مخارج الحروف[(١)]

يعد « الصوت » هو الجانب المنطوق للغة[(٢)]. التي لو تأملناها لوجدناها ذات عناصر ثلاثة بشقيها المنطوق والمكتوب وهي :

العنصر الأول: الأصوات المفردة: وهى اللبنات الأولى والأساسية للغة.

العنصر الثاني: الكلمة أو الكلمات؛ وتتألف من الأصوات المفردة، فكل كلمة مؤلفة من مجموعة من الأصوات.

العنصر الثالث: الجمل أو التراكيب؛ وهي عبارة عن مجموعة من الكلمات، منظمة بطريقة خاصة، وتخضع لنظم وقوانين ارتضتها الجماعة الناطقة بها[(٣)].

فالصوت المنطوق هو الأساس الأول للّغة ، ولكل لغة من لغات البشر نظام

---

(١) هذا الباب من الأبواب المهمة في مباحث فن التجويد، هو والباب الذى يليه، الذى نتحدث فيه عن الصفات؛ لأنه بمعرفة المخارج والصفات وما يترتب عليهما يحسن القارئ التلفظ بالقرآن الكريم؛ لذلك قال ابن الجزري في مقدمة الجزرية:

إذ واجب عليهم محتم ... قبل الشروع أولا أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات ... ليلفظوا بأفصح اللغات

(٢) اللغة : يعرفها ابن جني قوله : «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» «الخصائص» (١/ ٣٣).

(٣) انظر أصوات اللغة العربية ص٧ .

صوتي، يتكون من عدد من الوحدات الصوتية، ولا توجد لغة تستخدم الأصوات اللغوية في السلسلة الكلامية بشكل مفرد، يعنى ذلك نطق حروف مفردة دون تركيبها في كلمات[١].

خواص الأصوات اللغوية:

الأصوات الصادرة من الجهاز الصوتي قد تكون أصواتًا عادية، لا تعتبر كلامًا، وقد تكون أصواتًا يتكون منها الكلام، وإن الترتيب الأساسي في نظام الأصوات البسيطة المكونة للكلام البشري عند المحدثين من علماء الأصوات هو ترتيبها إلى حروف وحركات، ولكل منهما خاصية يتميز بها[٢].

فخاصية الحروف هي: أن يقوم حاجز في جهاز التصويت، ثم يجتاز الصوت هذا الحاجز، أو يحدث له تضييق أثناء خروجه في الممر الصوتي، أى: إن أي حرف صحيح لا بد له من احتجاز في الممر الصوتي، أو تضييق المجرى الصوتي أثناء خروجه، وهو ما يطلق عليه صوت مخرجه محقق[٣].

أما خاصية الحركات فهي بالعكس من الحروف[٤] الصحاح، لا يقوم حاجز في جهاز التصويت أو تضييق للمر الصوتي أثناء خروج الصوت، فيجرى

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٩٠ .

(٢) انظر علم الأصوات د. كمال بشر ص١٤٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ص١٥٠ .

(٤) اهتم القدامى بالصوت المكتوب، لذلك اعتبروا «الألف»، و«الواو»، و«الياء» المديتين حروفًا، ولعل اهتمامهم بها على أن لها رموزًا مستقلة في الكتابة دون الحركات القصيرة، أما المحدثون فاعتبروها من الصوائت، أى: الحركات، ولم يعدوها ضمن الحروف الصحاح؛ لأنهم ينظرون إلى الصوت المنطوق، لذلك وجدنا أنهم اعتبروا الأصوات نوعين: صحاح =

الصوت حرًا طليقًا، وهذا يختص بالحركات سواء الطويلة منها: « حروف المد » أو القصيرة، وهي الحركات الثلاث « الفتحة والضمة والكسرة »[(١)].

ويعلم من ذلك أن موضع هذا الحاجز أو التضييق هو موضع خروج الحرف؛ لأنك لو قمت بالتجربة لوجدت أن صفة الشدّة هي التي يكون فيها اعتراض كُلّي في المخرج، وموقع هذا الاعتراض أو التضييق في رأينا هو موضع خروج الحرف[(٢)].

تصنيف الأصوات اللغوية:

صنفت الأصوات اللغوية إلى تصنيفات[(٣)] مختلفة، ومتنوعة، وفق اعتبارات

= « صوامت » وهي الثمانية والعشرون، وحركات « الصوائت »، وعددها ستة، وهي: ثلاثة قصار، وثلاثة طوال، فأما القصار فهي: « الفتحة، والضمة، والكسرة »، على ما سوف نرى، وأما الطوال فهي: « حروف المد الثلاثة »، مع ملاحظة أن الحركات لها دور هام في التأليف الصرفي، انظر علم الأصوات د. بشر ١٥٣/ ١٥٥ بتصرف.

(١) انظر الأصوات اللغوية د. أنيس.

(٢) انظر أصالة علم الأصوات ١٨٨/ ١٩٠، حيث قال مؤلفه: « لا يفهم من ذلك أن الحركات ضد الحروف، بل إن الحركة ضدها السكون ».

(٣) يمكننا تصنيف الأصوات باستخدام المكان والهيئة أن نقدم عناوين واصفة وموجزة للقطوع الصامتة النموذجية، أو بالأحرى للحبسة التي نأخذها على أنها ممثلة لهذه القطوع، وذلك لكي نستطيع أن نتحدث عنها بصورة مناسبة، وطبقا لنظام التسمية هذه يسبق الاسم المعروف للهيئة، نحو: انفجاري، امتصاصي، انفي، تكراري، لمسي، جانبي، احتكاكي، وما يشبه ذلك، صفة معينة للمكان مشتقة من الأسماء اللاتينية للمصوتات وهو ما يعطيها ذيوعًا عالميًا خاصًا، والمصوت السلبي في كل هذه الحالات تقريبًا هو ما يزودنا بهذه الصفة، وهكذا تستخدم الصفة شفوي عندما يكون المصوت السلبي هو الشفة العليا، وأسناني عندما يكون المصوت السلبي هو الأسنان العليا، انظر دروس في علم أصوات العربية ص٧٩/ ٨٠ .

متعددة، إذ قسمها علماء اللغة القدامى[١] باعتبار المخارج ومواضع النطق إلى حروف صحاح، وحروف مد، فالحروف الصحاح مخارجها محققة[٢]، وهى مقسمة على مواضع النطق في الممر النطقى إلى: حلقية، ولسانية، ولثوية، وأسلية، وشفوية[٣]..... إلخ، نسبة إلى موضع خروجها، وحروف المد أطلقوا عليها: « حروف العلة » ومخرجها مقدر.

كما صنفها المحدثون من علماء الأصوات بالنظر لموضع النطق بنفس تقسيم القدامى، لكنهم قسموها إلى صوامت، وصوائت، ويقصدون بالصوامت: الحروف الصحاح، ويقصدون بالصوائت: الحركات سواء القصيرة أو الطويلة[٤].

---

(١) أقصد بعلماء اللغة والأصوات القدامى: الخليل بن أحمد وتلاميذه، وسيبويه وتلاميذه وابن برى والفراء، وابن يعيش، وابن جني، وأقصد بعلماء الأداء مَنْ تصدروا لإقراء القرآن الكريم، أو كانت لهم مؤلفات في فن التجويد، مثل: مكي بن أبى طالب، وابن الجزري وأبو عمرو الداني، والشاطبي، والعلامة المتولي، والجريسي الكبير، ومشايخ القراءات في عصرنا أو العصور السابقة، وأقصد بعلماء اللغة المحدثين، علماء الأصوات في عصرنا، مثل: الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور كمال بشر، والدكتور تمام حسان، وأحمد قدور، وكانتنيو، وأحمد مختار عمر، والدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور عبد المنعم عبد الله والدكتور عبد الغفار حامد هلال، وغيرهم من علماء الأصوات في عصرنا الحاضر.

(٢) إن تجزئ الأصوات إلى علل وسواكن متتابعة يبدو أمرًا مصطنعًا على الرغم من أنه ضروري وعملي لدراسة اللغة وتحليلها؛ لأن الكلام امتداد متصل من التحركات التي تؤديها أعضاء النطق، وقد وجد في التحليل الدقيق عن طريق التجريب أن الانتقالات من نطق الساكن إلى العلة التالية، ومن العلة إلى الساكن التالي تعد من أهم المفاتيح التي يملكها السامع لمعرفة أى أصوات الكلام تنطق، كما لاحظ العلماء أن المعنى ليس مرتبطًا بأصوات الكلام المنفصلة فحسب، وإنما بالتجمع الصوتي ككل »، انظر دراسة الصوت اللغوي ص٢١٨/ ٢١٩ .

(٣) انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص.٣٥

(٤) انظر علم الأصوات ص١٦٣ .

وقسمها القدامى أيضا إلى تقسيمات أخرى بالنظر إلى قوة اعتماد الحرف في مخرجه وضعفه؛ فبالنظر إلى قوة الاعتماد نجد أنهم قسموا الحروف إلى مجهورة ورخوة، فقوة الاعتماد عندهم، هي: انحباس جري النفس عند نطق الحرف لقوته في مخرجه، أو لقوة اعتماده في مخرجه[(١)]، وضعفه على العكس من ذلك، وهو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف اعتماده في مخرجه[(٢)].

أما هذا التقسيم عند المحدثين نجد أنهم قسموا الأصوات إلى مجهورة ومهموسة[(٣)] من خلال الرنين الذي يحدث في الأوتار الصوتية[(٤)].

وقد قسم القدامى من علماء اللغة كذلك الحروف الهجائية إلى: شديدة، ورخوة، و«متوسطة» من خلال قوة الاعتماد أيضًا، ولكن قوة الاعتماد هنا هي: منع الصوت من الجريان عند مخرج الحرف، وضعفه هو: جريان الصوت، والبيني هو الذي توسط فيه جريان الصوت[(٥)].

أما عند المحدثين من علماء الأصوات فقد ذهبوا إلى نفس تقسيم القدامى، وصنفوا الأصوات[(٦)] إلى:

---

(١) انظر جهد المقل للمرعشي.
(٢) انظر المرجع السابق
(٣) انظر الأصوات العربية د. كمال بشر ص ٨٧ وما بعدها، والمقطع الصوتي ص٣٥ .
(٤) الأصوات العربية د. أنيس ص٢ ٠
(٥) سوف نوضح ذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن الصفات.
(٦) لاحظ أن المحدثين صنفوا الأصوات اللغوية كتصنيف القدامى لها، مثل شديدة، ورخوة، وبينية، ومجهورة، ومهموسة، ومطبقة، ومنفتحة. . . . إلخ، ولكن بنظرة مختلفة بعض الشيء عن نظرة القدامى لها عن نظرة المحدثين، كما سيتبين لك عند الحديث عن الصفات.

شديدة، ورخوة، ومتوسطة[١]، ومركبة[٢]، ولكن من خلال التحكم في مجرى الهواء

عناصر دراسة الصوت اللغوي:

حدد علماء الأصوات المحدثين عناصر لدراسة الأصوات اللغوية، فقاموا بدراسة الصوت اللغوي وتقسيمه من خلال عناصر ثلاثة، هى: ١- موضع النطق ٢- اهتزاز الأوتار الصوتية من عدمه ٣- حالة الممر الصوتي[٣].

ولكننا في هذا البحث نرى أن يضاف إلى العناصر السابقة عنصران آخران اعتبرهما القدامى من علماء اللغة والقراءات ضمن عناصر تقسيم الصوت، وكما رأى كذلك بعض المحدثين من علماء الأصوات[٤].

لذلك أرى أن يضاف إلى العناصر السابقة عنصر ارتفاع أقصى اللسان وقربه من سقف الحنك الأعلى من عدمه[٥]، وتقسم الحروف وفقا لذلك إلى

---

(١) أطلق المحدثون من علماء الأصوات على هذه الأصوات: «الأصوات المائعة»، انظر الأصوات اللغوية ص٢٤/ ٢٥ .

(٢) وصفت الجيم عند المحدثين من علماء الأصوات بالصوت المركب، لزيادة تفصيل راجع فصل صفة الشدة في باب الصفات من هذا الكتاب.

(٣) انظر علم الأصوات د. كمال بشر ص١٧٣ .

(٤) انظر الأصوات العربية د. بشر ص٨٩، والأصوات اللغوية د. أنيس.

(٥) وجود اللسان مع تحريك الفك السفلى عن العلوى يؤدي إلى تغيير شكل حجرة الرنين، الذى يؤدي بدوره خلق أثر صوتى معين، ففى حالة الترقيق يكون مؤخر اللسان منخفض في النطق، وهذا الانخفاض يعطي لحجرة الرنين شكلاً مغايرًا لشكلها في حالة التفخيم، فعند النطق بـ« الضاد » يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق، وتلك ظاهرة عضلية تسمى الإطباق، ينتج عنها تغيير في شكل حجرة الرنين تغييرًا يؤدي إلى خلق أثر صوتي معين يسمى التفخيم، وعند النطق بـ« الدال » ينخفض مؤخر اللسان في النطق بهذا الصوت، وهذا الانخفاض =

مستعلية ومستفلة، وكذلك تقسم وفق التصاق طائفة من اللسان بسقف الحنك الأعلى إلى مطبقة ومنفتحة، وعلى ذلك تكون القاعدة العامة عندنا في تقسيم الأصوات هي تقسيمها إلى خمسة أقسام، هى:

١- بالنظر إلى مواضع النطق.

٢- اهتزاز الأحبال من عدمه[1].

٣- بالنظر إلى وضع الممر الصوتي.

٤- ارتفاع أقصى اللسان جهة سقف الحنك.

٥- التصاق طائفة من اللسان بسقف الحنك الأعلى

فإذا نظرنا إلى التقسيم الأول وهو الذي يقوم عليه تقسيم الأصوات اللغوية بالنظر إلى موضع النطق، نجد أنه يختص بمكان خروج الحرف من مخرجه.

أما العناصر الأخرى وهي: حالة الممر الصوتي، واهتزاز الأحبال الصوتية وعدمها، وارتفاع أقصى اللسان من عدمه، والتصاق طائفة من اللسان بسقف الحنك الأعلى من عدمه، فتختص بصفات وهيئة الحرف حال خروجه من مخرجه.

والعناصر السابقة هي عناصر دراسة الصوت اللغوى من حيث خروجه من مخرجه، ومعرفة صفاته الواجب أن يتصف بها عند خروجه، وهو المتعلق بتجويد الحرف.

= يعطي لحجرة الرنين شكلا مغايرا لشكلها في حالة التفخيم، انظر مناهج البحث في اللغة ص٩١ وما بعدها.

(١) أطلق بعض المحدثين على عدم اهتزاز الأحبال الصوتية والتى ينتج عنها الهمس أنها أصوات غير حنجرية، أما الأصوات التي يهتز معها الأحبال الصوتية فأطلق عليها أصوات حنجرية، انظر أصوات اللغة ص١٢٢ .

وإليك بيان العنصر الأول من هذه العناصر، ألا وهو عنصر « موضع النطق » الذي اصطلح العلماء على تسميته بـ « **مخارج الحروف** ».

فالمخرج في اللغة: هو موضع الخروج[(١)]، أو هو مكان خروج الشيء؛ أيًا كان هذا الشيء[(٢)].

وفي الاصطلاح: محل خروج الحرف الذي ينقطع الحرف عنده فيتميز عن غيره[(٣)]، أو هو الحيز المولد للحرف[(٤)]، أو هو موضع النطق[(٥)]، أو كما قال الداني: هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف[(٦)]، أو هو الحيز المولد للحرف بواسطة انحباس الصوت فيه تحقيقًا أو تقديرًا[(٧)]، أو هو الموضع الذي ينحبس عنده الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت.

وكلمة المخرج هي الغالبة في الاستخدام عند علماء التجويد[(٨)]، وبالنظر إلى التعريفات السابقة للمخرج نجد أنه لا تناقض بينها، وهى متفقة في أن

---

(١) انظر لسان العرب - واللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٢٨ .

(٢) انظر كتاب أحكام تلاوة القرآن ص٣٨/ ٣٩ .

(٣) انظر جهد المقل ص٣١ .

(٤) انظر نهاية القول المفيد في علم التجويد ص٣٣ .

(٥) انظر مناهج البحث في اللغة ص٨٤ .

(٦) انظر الدراسات الصوتية عند علماء اللغة العربية ص٣٢ .

(٧) انظر كتاب أحكام تلاوة القرآن ص٣٩ .

(٨) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٧٤، حيث قال المؤلف: « وكان قدماء النحويين قد استخدموا إلى جانب كلمة « المخرج » عددًا من الكلمات، للتعبير عن مكان تكون الحرف من آلة النطق، فكان الخليل بن أحمد قد استخدم في مقدمة « كتاب العين » كلمة « حيز » وجمعها « أحياز » وكلمة « مدرجة، ومدرج، ومدارج »، واستخدم أقل من ذلك كلمة « المخرج »، أما سيبويه فإن كلمة « المخرج » هي المستخدمة لديه أكثر من غيرها، حيث تردد عنده كلمة « حيز »، وكلمة « موضع » على نحو أقل، ويغلب أن تكون هذه الكلمات بمعنى واحد؛ وهو استخدام لم يجد المحدثون عنه محيدًا، ولم يجدوا له بديلاً ولا مزيدًا ».

المخرج هو النقطة المعينة من آلة النطق التي ينشأ منها الحرف، أو يظهر فيها، ويتميز عن غيره نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثم إطلاقه وهي تعريفات تتطابق مع وجهة نظر المحدثين من علماء الأصوات[١].

ومخارج الحروف تنقسم إلى عدة أقسام، يختلف كل تقسيم عن الآخر باختلاف النظرة إليها كما سوف يتبين لنا، فبالنظر إليها من جهة وضع الممر الصوتي نجد أنها تنقسم إلى قسمين هما:

١- مخرج محقق ٢- مخرج مقدر

١- المخرج المحقق:

هو نقطة محددة من نقاط الجهاز النطقي من: «الحلق، أو اللسان، أو الشفتين» والذي ينتهي فيه صوت الحرف ولا يتعداه[٢]، ويخرج منه حروف الهجاء الثمانية والعشرون الصحاح، والتي تبدأ من مخرج الحلق، وأوله «الهمزة»[٣]، وينتهى بالشفاه وآخره «الباء»[٤].

٢- المخرج المقدر:

هو التجويف الداخل في فم الإنسان وجوفه[٥]، ولا ينتهي في نقطة

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٢ .

(٢) انظر الدقائق المحكمة في شرح المقدمة - لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى.

(٣) هذا حسب وجهة نظر القدماء، لأن الهمزة عند المحدثين تخرج من لسان المزمار. أو من الحنجرة.

(٤) المنح الفكرية ص٩، مع ملاحظة أنهم وضعوا الخيشوم ضمن المخارج المحققة للحروف الصحاح، مع الأخذ في الاعتبار أن خرق الأنف «الخيشوم» مخرج مقدر وليس محققًا؛ لانسياب الصوت فيه دون أى عائق أو اعتراض، وهو مخرج للغنة كما بينا أعلاه.

(٥) انظر الدقائق المحكمة لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وجهد المقل ص٢٩ .

محددة، وهو مخرج الجوف، وينتهي بانتهاء الهواء[١]، ويخرج منه الحركات الثلاثة « الفتحة، والضمة، والكسرة، أو ما تفرع عنها، وهي: حروف المد[٢] الثلاثة « الألف »، و« الواو »، و« الياء ».

أما بالنظر، إليها من حيث المخارج والأحياز فنجد أنها تنقسم إلى مجموعات أو فئات بحسب مخارج النطق وأحيازه وهي:

- مخارج عامة - مخارج خاصة

المخرج العام:

هو الحيز أو المنطقة التي قد ينسب إليها صوت أو أكثر، فتنعت به على ضرب من التعميم[٣]، ويمثله مخرج الحلق[٤]، وكذا مخرج اللسان - على سبيل المثال -، والمخارج العامة عند جمهور أهل العلم عددها خمسة، باعتبار مخرج الخيشوم كمخرج للحروف[٥]، وأربعة مخارج بعدم الاعتداد بالخيشوم، وهذا ما أميل إليه؛ لأنني لم أعتد كغيري من علماء التجويد بمخرج الخيشوم ضمن مخارج الحروف، وهو عندي مخرج لصفة الغنة، وهو

(١) انظر جهد المقل للمرعشي- وهداية القارئ للشيخ المرصفي.

(٢) قال المرعشي: « لجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد وعلل ذلك بقوله: إذ لا ينضغط الصوت في موضع انضغاطا ينقطع به الصوت، بل تمتد بلين بلا تكلف إلى أن تقطعه بإرادتك، ولذا قبلت الزيادة في الامتداد على مقدار يحصل به على ذوات هذه الحروف، ويمكن لك قطع أصواتها عند حصول ذواتها »، انظر جهد المقل ص٣٢ . قال مراجعة هذا حسب رأي القدماء، أما المحدثون فلهم رأي آخر

(٣) الأصوات العربية - د. كمال بشر.

(٤) فمخرج الحلق على رأي الجمهور يخرج منه ستة أحرف موزعة على ثلاث مدارج، أقصى الحلق، ووسط الحلق، وأدنى الحلق.

(٥) راجع الفصل الأخير من هذا الكتاب، وهو: شبهات والرد عليها لمزيد من التفاصيل

مخرج مقدر، وعلى ذلك فالمخارج أو المواضع العامة عندي هي: «الجوف، الحلق، اللسان، الشفتان».

المخرج الخاص:

هو النقطة الدقيقة التي يصدر منها أو عندها الصوت[١]، من هذه المخارج ما يخرج منها صوت واحد وهناك مخارج يخرج منها اكثر من صوت «حرف».

فمثال الذي يخرج منه حرف واحد: مخرج «النون»، ومخرج «اللام»، ومخرج «الضاد»، والذى يخرج منه أكثر من حرف نحو: مخرج وسط اللسان، وهو ما يطلق عليه «شَجْرِ الفم» ويخرج منه ثلاثة أحرف هي: «الجيم»، و«الشين»، و«الياء»، وكذا حروف الصغير «الصاد»، «السين» الزاي.

والمخارج الخاصة عند جمهور علماء الأداء سبعة عشر[٢]مخرجًا، باعتبار

---

(١) الأصوات العربية - د. كمال بشر.

(٢) قال د. غانم قدوري: قال سيبويه: «لحروف العربية ستة عشر مخرجًا، وهذا هو الذى جرى عليه أكثر علماء العربية، وكثير من علماء التجويد، ولكن نجد إلى جانب ذلك مَنْ يذهب مِنْ علماء العربية المتقدمين إلى جعل المخارج أربعة عشر مخرجًا، ومن يذهب من علماء التجويد المتأخرين إلى جعلها سبعة عشر مخرجًا»، وقال أيضًا: «ولا توجد في أيدى الدارسين اليوم المصادر الأصلية التي ورد فيها رأى الفراء «يحيى ابن زياد ت ٢٠٧هـ، وقطرب «محمد بن المستنير ت ٢٠٦هـ»، والجرمى «صالح بن اسحاق ت ٢٢٥ هـ» وابن كيسان «محمد بن أحمد ت ٢٩٩ هـ»، أما اعتبار مخارج الحروف العربية سبعة عشر مخرجًا فهو ما ذهب إليه جماعة من علماء التجويد، الذين أفردوا «الألف»، و«الواو»، و«الياء» المدية بمخرج مستقل سماه أكثرهم «الجوف»، تأثرا بما ذهب إليه الخليل بن أحمد من اعتباره الحروف الثلاثة هوائية تخرج من الجوف، وليس متيقنا أن الذين ذكرهم ابن الجزري قالوا جميعًا: بأن مخارج الحروف سبعة عشر، ويترجح لدى أن ابن الجزري أراد أن هؤلاء العلماء يذهبون إلى أن لحروف المد مخرجًا مستقلاً، خاصة بالنسبة للخليل، =

مخرج الخيشوم، ولكني أرى أنها عشر[١]، باعتبار الخيشوم مخرجًا مقدرًا لخروج صفة الغنة، وليس لخروج حرف، كما بينا آنفًا.

ولكن بعض النحاة ذهب إلى أن تحديد المخارج بستة عشر، أو سبعة عشر، أو أربعة عشر، هو على سبيل التقريب.

ويرى أحد الباحثين أن لكل حرف مخرجًا منفصلاً عن الحرف الآخر»، وعلى هذا القول يكون عدد المخارج بعدد حروف الهجاء[٢]، وقد ذهب إلى ذلك بعض علماء التجويد[٣].

قال أحد الباحثين: الهدف من محاولة حصر المخارج في عدد محدود هو تيسير حفظها، وتسهيل تعلمها، وإلا فإن لكل صوت كلامي مخرجًا في التحقيق لكن يعسر ضبطه، وهو ما أقرته الدراسة الحديثة حين أوضحت أن

= ومكي، وابن سينا، فالخليل بن أحمد لم ينقل في مقدمة «كتاب العين» أن مخارج الحروف سبعة عشر، بل إن الذى يستنتج من كلامه أنه يجعل مخارج الحروف تسعة، لكنه ذكر أن «الواو»، و«الياء»، و«الألف» هوائية، تخرج من الجوف، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٧٦/ ١٧٩ .

(١) اتجه بعض علماء التجويد إلى تقسيم مخارج الحروف إلى مجموعات، وذلك طبقا لتقسيم أعضاء آلة النطق إلى أقسام رئيسية، وكل قسم يضم عددًا من المخارج، ويبدو أن هذا الاتجاه جاء من أجل تيسير فهم العلاقات الصوتية بين مجموعات الحروف، فقسم أحمد ابن أبي عمر في «الإيضاح» المخارج إلى ستة أقسام، فقال: ومخارج حروف العربية ستة عشر، وهى على ستة أقسام: حروف الحلق، وحروف أقصى اللسان، وحروف وسط اللسان، وحروف حافة اللسان، وحروف طرف اللسان، وحروف الشفتين»، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٨٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص١٨١/ ١٨٢ .

(٣) نقل في هداية القارئ ص٥٦ قول العلامة ابن عبد الرزاق في تذكرة القراء قوله:

والحصر تقريب وبالحقيقة ... لكل حرف بقعة دقيقة
إذ قال جمهور الورى ما نصه ... لكل حرف مخرج يخصه

لكل صوت كلامي قالبا عصبيًا، بل ولكل صورة نطقية من صور الصوت المتنوعة في السياقات المختلفة قالبا عصبيًا، أيضًا[١].

قلت: هذا الرأي في نظر العلماء ونظرنا رأي غير معمول به، ولم يعتمد في دراسة المخارج حتى عند القائلين به، وقد انتقد الشيخ القارى ذلك المذهب، وقرر أن الصواب هو ما ذهب إليه الجمهور في أن عدد مخارج الحروف سبعة عشر مخرجًا[٢].

وإذا نظرنا إلى اختلاف العلماء في عدد المخارج نجد أنه راجع إلى الأسس التي بنوا عليها وصفهم للمخارج، فمنهم من يجنح إلى العموم، فيقل عنده عدد المخارج، ومنهم من يركن إلى التفصيل، فيزيد عنده العدد[٣].

والحرف معناه في اللغة: الطرف[٤]، أو الناحية، وجمعه أحرف، أو

(١) انظر كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف لأبي إسحق بن وثيق الأشبيلي تحقيق د. أبو السعود الفخراني ص.٢٩

(٢) انظر هداية القارئ ص١٨٢، والمنح الفكرية ص٩

(٣) انظر الدراسات الصوتية عند علماء اللغة العربية ص.٣٤

(٤) قال الجوهري: «حرف كل شيء: طرفه، وشفيره، ومنه حرف الجبل، أى: أعلاه المحدد»، وفي لسان العرب ٢/ ٨٣٧: الحرف من حروف الهجاء معروف، واحد حروف التهجي، يقصد بذلك الحروف التي للمعاني، كالتى تربط الاسم بالفعل، أو الفعل بالفعل نحو: «من»، «إلى»، «عن»، «على»، قال الأزهري: «كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعانى فاسمها حرف، وكل كلمة تقرأ على الوجوه في القراءات تسمى حرفًا، وقد يقصد بها اللغة لما جاء في الحديث «نزل القرآن على سبعة أحرف»، أي: لغات، ويقصد بالحرف أيضًا: الناحية، كمن قال: فلان على حرف من أمره، أي: «ناحية منه، كأنه ينظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يجب وإلا مال إلى غيرها، وفي التنزيل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، وقيل: «الذى يعبده في السراء دون الضراء»، قال الزجاج: «على حرف، أي: على شك، قال: =

حروف[١]، فحرف كل شيء طرفه[٢]، ووجهه، وحافته، وحدّه، وناحيته، وهو واحد حروف التهجي، وإنما سُمي حرفا[٣]؛ لأنه غاية الطرف، وغاية كل شيء حرفه، أي: طرفه[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج من الآية رقم: ١١].

وللحرف في الاستعمالات اللغوية أكثر من معنى، منها: أحد حروف الهجاء، أو أحد حروف المعجم[٥].

= «وحقيقته أنه يعبد الله على حرف، أي: على طريقة في الدين، لا يدخل فيه دخول متمكن، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابه قلة مال انقلب على وجهه، ورجع عن دينه إلى الكفر والعياذ بالله».

(١) أطلق النحاة العرب اسم «حرف»، وهو اسم يطلق في الأصل على عناصر الأبجدية، على كل صوت بسيط من الكلام، سواء أكان حرفًا في المعنى الحقيقي للكلمة أم حركة طويلة كحروف المد واللين، ويمكن في نظام الكتابة العربية أن تغفل الحركات القصيرة»، انظر دروس في علم أصوات العربية لكانتنيو ص٢٠ .

(٢) انظر اللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٢٨ .

(٣) قال د. عبد الغفار هلال: «الحرف هو وحدة تصنيفية، يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف؛ إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد، كما يشتمل حرف «الميم» على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار، وذو الإخفاء، وذو الإقلاب»، «ويبدو لي أن بعض الأقدمين كان يعرف الفروق الدقيقة بين الصوت، في حقيقته التي هي العملية الحركية ذات الأثر السمعي وبين الحرف كوحدة تجريدية قد تكون ذات صوت واحد أو عدة أصوات»، ثم ذكر كلام لابن جني، وانتهى بنتيجة أن الصوت هو نشاط عضوي حركي، تنشأ عنه قيم صوتية، والحرف هو تلك الوحدة اللغوية المعينة، كـ «النون»، أو «الباء»، التي توجد عند موقع معين يقف عنده الصوت، يطلق عليه اسم المخرج، انظر أصوات اللغة العربية د. هلال ص٦٠/ ٦٢ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور.

(٥) قال د. أبو السعود الفخراني: «ويطلق الحرف في الدراسة الحديثة على أكثر من معنى، منها: القسم الذى يشمل عددًا من الأصوات التي تنطق في أثناء الكلام، ومنها: الشكل الكتابي الذى هو رمز للصوت اللغوي الملفوظ»، وأرجع ابن وثيق حروف المعجم إلى =

ومادة الحرف: الصوت، والصوت: هواء متموج متصادم بين جسمين[١]، والصوت بالمعنى العام هو: الأثر السمعي الذي يصدر به ذبذبة مستمرة مطردة ولو لم يكن مصدره جهازًا صوتيًا حيًا[٢].

وفي الاصطلاح: صوت معتمد[٣] على مقطع محقق أو مقدر[٤]، أو هو هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله[٥]، أو نستطيع القول: بأنه صوت[٦] مقروع في مخرج معلوم[٧].

= تسعة وعشرين حرفًا، وهذا هو رأي جمهور علماء العربية والتجويد «انظر» كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف «لأبي إسحق إبراهيم بن وثيق الأشبيلي ص٢٢/ ٢٣ .

(١) انظر اللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٢٨ .

(٢) انظر مناهج البحث في اللغة ص٥٩ .

(٣) معنى اعتماد الصوت على المخرج: تضييق المخرج وضغط الصوت فيه، ومعنى قوة الاعتماد عليه: شدة تضييقه، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٣ .

(٤) قال المرعشي: «سبب انقطاع الصوت في المخرج المحقق انضغاط الصوت فيه»، فما ذكره البعض أن الحرف صوت معتمد على مخرج محقق أو مقدر فيه نظر؛ وعلل ذلك بأن «الألف» لا اعتماد له على شيء من أجزاء الفم؛ ولذا يقبل الزيادة»، انظر جهد المقل للمرعشي ٣٢/ ٣٥، ونهاية القول المفيد ص٣٣ .

(٥) قال ابن سينا: «والحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها عن حبسات تامة للصوت، أو للهواء الفاعل للصوت، تتبعها إطلاقات دفعه، وبعضها مركبة، وحدوثها عن حبسات غير تامة، تتبعها إطلاقات»، انظر أسباب حدوث الحروف ص١٠ .

(٦) الصوت الطبيعي هو الأثر السمعي الذى ينشأ من اتصال جسم بآخر، أو هو الحدث الذى يختص السمع بإدراكه، وينشأ من التقاء جرمين أحدهما بالآخر، والمراد بالأثر السمعى أو الحدث الذى يختص السمع بإدراكه: تلك الظاهرة التي هي عبارة عن الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقيين، انظر أصوات اللغة العربية ص٢٣ .

(٧) قلت: صوت مقروع إشارة إلى عملية القرع والقلع التي تحدث نتيجة تصادم الثنايا الصوتية لإنتاج الصوت في الحنجرة، والذى تحدث عنها الرئيس ابن سينا في كتابه «إحداث الحروف»، فالقرع يقابل الاصطدام، والقرع تقريب جرم إلى جرم مقاوم لمزاحمته تقريبًا =

قال المرعشي: «اعلم أن النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان، إن كان مسموعًا فهو صوت وإلا فلا، والصوت إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر فهو حرف وإلا فلا[١]».

أقسام حروف الهجاء:

تنوعت تقسيمات الحروف عند العلماء كما تنوعت أقسام المخارج عندهم، فقد قسمت الحروف عند العلماء إلى أقسام مختلفة، فالحروف الهجائية تقسم إلى عدة أقسام، فإما أن تكون «أصولاً أو فروعًا، والحروف الأصول - كما بينها العلماء - هي الوحدات الصوتية، وهي في اللغة العربية تسعة وعشرون حرفًا باتفاق البصريين؛ لأنهم يعدون «الألف» المدية غير «الهمزة»، ويجعلون «الواو» «والياء» حرفين سواء أكانا مديين أم لا، والحرف الأصلي هو الذي يخرج من أحد المخارج الرئيسية التي حصرت في سبعة عشر[٢]، أو ستة عشر، أو أربعة عشر[٣].

= تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها وليس ذلك إلا معنى الطرق الذى ذكرته قواميس اللغة للقرع، انظر أصوات اللغة العربية د. هلال ص٢٤، وأسباب حدوث الحروف تصنيف الرئيس أبى علي الحسين بن سينا مراجعة وتقديم طه عبد الرءوف سعد - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م

(١) انظر جهد المقل ص٣١ .

(٢) انظر اللآلئ السنية ص٢٩، وقال مؤلفه: «وهو الذى اختاره المحققون كالخليل بن أحمد، ومكي بن أبى طالب، وأبى القاسم الهذلى، وأبى الحسن شريح»، قلت: نسبة هذا الكلام للخليل فيه نظر كما سوف يتبين لك في الصفحات التالية.

(٣) انظر جهد المقل ص٢٥، وقال محققه د. أبو السعود الفخرانى: «ويقابل الحرف الأصلى مصطلح فونيم في الدراسة الحديثة، ويعرف بأنه أصغر وحدة صوتية مؤثرة في الدلالة، أى: إذا حلت محل غيرها مع اتحاد السياق الصوتي تغيرت الدلالة، وقد حصرت أصوات العربية في أربعة وثلاثين صوتًا رئيسيًا، منها ثمانية وعشرون صامتًا وستة أصوات صائتة «حركات» قصيرة وطويلة.

جمع الشاطبي الحروف التسعة والعشرين في قوله:

أهاع[١] حشا غاو خلا قارئ كما جرى شرط يسرى ضارع لاح نوفلا
رعى طهر دين تمه ظل ذى ثنا صفا سجل زهد في وجوه بنى ملا

أما الفروع فهي الصور الصوتية المتفرعة من الحروف الأصول »[٢].

والحروف الأصول تقسم كذلك عند العلماء إلى: « صحاح وعلل »، وهذا التقسيم بنى - كما بينا آنفًا - بالنظر إلى سعة المخرج أو ضيقه[٣].

وضابط الحرف الصحيح[٤] أنه يخرج من نقطة محددة من نقاط الفم، أو الحلق، أو الشفاه[٥].

أما العلل « حروف المد »؛ فلا مخرج لها محدد؛ لأنها لم تنسب لمكان محدد نستطيع معه تحديد مكان انتهاء الصوت، بل هي امتداد للهواء[٦]؛

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩٢، وقال في اللآلئ السنية ص٢٩: الحرف المقصود هو أول حرف من كل كلمة فيما عدا « أهاع » فإن حروف الكلمة بأكملها مقصودة في العد ».

(٢) تكلمنا عن الحروف الفروع بشيء من التوسع عند حديثنا عن المذهب الثاني من مذاهب أهل العلم وهو مذهب سيبويه.

(٣) انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي - د. عبد المنعم عبد الله ص٣٥ .

(٤) هذه الحروف على كثرتها تتكون بطريق الضغط على مخرج صوتي واحد، كالضغط على الآلات، دون أن يستدعي ذلك افتنانًا في تخريج الصوت الناجم من الأجهزة الصوتية، وكثير من تلك الحروف مجرد حركات مختلفة لحرف واحد، مثل: « يا » « يو » « تس » و « ب، ب » ثقيلة، « ف، ف ثقيلة، باختلاف نطقها، وهذا الاختلاف في الضغط أو الحركة - كما يقول الأستاذ العقاد - يمكن أن تبلغ به حروف الأبجدية خمسين أو ستين، ولكنها لا تدل على تنوع مفيد لمخارج النطق الإنساني على حسب الملكة الموسيقية الكامنة في استعداده »، انظر أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص٦٤/ ٦٥ .

(٥) انظر نهاية القول المفيد.

(٦) قال ابن الجزري عنها: فألف الجوف وأختاها وهي حروف مد للهواء تنتهى- انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩ .

لأن مخرجها مقدر[١]، وعلى ذلك فالحروف الهجائية تنقسم إلى:

١- حروف أصلية.

٢- حروف فرعية

والحروف الأصلية تنقسم إلى:

أ- حروف صحاح.

ب- علل « جوفية ».

وبعد أن انتهينا من بيان أنواع المخارج وكذا أقسام الحروف[٢]، وقبل أن نتحدث عن الحروف الهجائية من حيث ترتيبها الصوتي، لا بد من التنويه إلى أن النطق باللغة يتطلب عمل نصف الجسد الإنساني[٣]من الرأس حتى

---

(١) انظر الجهد المقل ص٢٦ .

(٢) هناك تقسيم آخر للحروف وهو تقسيمها إلى: حروف مبان، وإلى حروف معان، فأما حروف المعانى: فهي التي نقصد بها المعانى التي تربط بين الاسم والفعل، أو الفعل والفعل نحو: « من، إلى، عن، على »، والمثال التالى يوضح ذلك، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].
فمن حروف المعاني في الآية الحرفان: « من، إلى »، وكل منهما دل على معنى؛ فالحرف « من » دل على بدء الرحلة من « المسجد الحرام »، والحرف « إلى » دل على نهاية الرحلة إلى « المسجد الأقصى ».
أما حروف المباني: فهى الحروف التي تبنى أو تتكون منها الكلمة، نحو: « أ، ب، ت، ث » والمثال التالي يوضح المقصود، فكلمة مثل: « محمد » على سبيل المثال بنيت أو تكونت من أربعة أحرف وتركبت منها وهي: « الميم، والحاء، والميم، والدال »، وهذا هو المراد من حروف المباني.

(٣) ليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن جهاز النطق هو الإنسان نفسه بكل أعضائه، وأجهزته العضوية، والبيولوجية، والنفسية أيضا، ذلك أن هذه الأعضاء والأجهزة كلها لها تدخل في عملية إصدار الكلام »، انظر علم الأصوات ص١٣١ .

البطن[١]، وأن في الجسم البشري أجهزة تقوم بإنتاج الصوت، ولا بد من الاهتمام بدراسة هذه الأجهزة، وكذا حركات أعضاء النطق التي تتضافر جميعها لإنتاج أصوات الكلام، وبيان كيفية إنتاجه.

فالواجب على كل دارس للأصوات الإلمام بأعضاء النطق وبوظائفها، وبغير هذه الإلمامة لا يمكن للطالب أن يسير في الدراسة[٢].

وإذا أمعنا النظر في الأجهزة المباشرة التي تتعاون وتتضافر لإنتاج الصوت البشري، نجد أنها تتكون من ثلاثة أجهزة، بخلاف الجهاز العصبي المسئول عن عمل هذه الأجهزة، والذى يصدر إليها الإشارات للبدء في إنتاج الكلام البشري، وتسمى هذه الأجهزة عادة: الجهاز التنفسي، والجهاز الصوتي، والجهاز النطقي[٣].

فالجهاز التنفسى هو: الذي يساعد في إنتاج الكلام البشري ويبدأ من عضلات البطن، مرورًا بالحجاب الحاجز، والرئتين[٤]، . . . .

---

(١) انظر مبادئ علم الأصوات العام لديفيد ابركرومبى - ترجمة وتعليق د. محمد فتيح - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩- ١٩٨٨ ص٣٦ .

(٢) انظر الأصوات العربية- د. كمال بشر ص٧١ .

(٣) انظر مبادئ علم الأصوات العام ص٣٧ .

(٤) الهواء الخارج من الرئتين يحمل عددًا ضخمًا من الموجات البسيطة، ولكنها ضعيفة بحكم توزيع الطاقة بينها، وعند مرور هذه الموجات بالأوتار الصوتية وهى مشدودة تتذبذب، وتنتخب الموجات التي توافق درجتها طبيعة جسمها، ومقدار شدها، وتلقي بها بقوة إلى فراغ البلعوم، وتكون النتيجة أن الأوتار الصوتية قد قوت عددًا معينًا من الموجات، أولا بالذبذبة، ثم تقوت مرة أخرى في غرف الرنين، فالموجات في حالة الأصوات المجهورة تكتسب قوة هائلة بتأثير تردد الأوتار الصوتية، ثم تتأثر بعد ذلك بغرف الرنين، والتقوية التي تقع فوق الحنجرة.

والقصبة الهوائية[١]، وتتصل الرئتان بالهواء الخارجي بواسطة الأنف والفم.

والرئتان جسم مطاط قابل للتمدد والانكماش، ولكنه لا يستطيع الحركة بذاته، ومن ثم فهو في حاجة إلى محرك يدفعه للتمدد أو الانكماش، وهذا المحرك هو الحجاب الحاجز من ناحية، والقفص الصدري من ناحية أخرى.

والحجاب الحاجز: هو عبارة عن عضلة في صورة صحيفة من الورق يكسوها من كلا جانبيها نسيج أبيض، ويبدأ الحجاب الحاجز من عظمة القص وهي العظمة التي تنتهي عندها الأضلاع القصيرة الستة في جانبي الصدر، ويسير الحجاب الحاجز في جانبي الصدر مع هذه الأضلاع حتى يتصل بالعمود الفقري عند الخاصرة، وهو يفصل بين الأمعاء والمعدة وبين الرئتين والقلب[٢].

= وإذا كانت الرئتان تقوم بوظيفة صوتية هامة، فهي تقوم كذلك بتكرير الهواء وتنقيته من ثاني أكسيد الكربون المتخلف عن عملية الاحتراق داخل الجسد وإرساله إلى القلب، وكذا اللسان يقوم بحاسة التذوق والمساعدة على بلع الطعام، قس على ذلك بقية الأعضاء، أي: إن عملية الكلام وظيفة إضافية تقوم بها هذه الأعضاء، غير أن علماء الأصوات يرون أن أعضاء النطق بالشكل الذى عليه قد هيئت للقيام بعملية الكلام بمقدار ما شكلت بعملية التنفس وتناول الغذاء، فسبحان من خلق وأحسن كل شئ خلقه، انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية ص١٨بتصرف، وأصوات اللغة - د. عبد الرحمن أيوب ص.٤٠

(١) القصبة الهوائية تسمى قصبة الرئة، وهي عبارة عن أنبوبة تمتد في العنق إلى الصدر أمام المرئ، وتبقى مجوفة باستمرار لوجود حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف، وهي مغلقة من طرفها الأعلى بواسطة الحنجرة، وتتفرع من جزئها الأسفل إلى فرعين يسميان الشعبتين، وتكون بالنسبة للصوت كفراغ رنينى، انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية ص٢١ وأصوات اللغة ص٤٦ .

(٢) انظر دراسة الصوت اللغوي ص١٠٠، وأصوات اللغة ص٤٢ .

وتتصل القصبة الهوائية بشعيبات متشعبة تنتهي بأنابيب شعرية، تتصل الأنابيب الشعرية هذه بحويصلات يتجمع فيها الأكسجين(١).

أما الجهاز الصوتي: فيشتمل على: الحنجرة بما فيها من الغضاريف، والأوتار الصوتية «الثنايا الصوتية»، ولسان المزمار.

أما الجهاز النطقي : فيشتمل على: الممر الذي يمر منه الصوت بعد إنتاجه في الجهاز الصوتي «الحنجرة»، ويشمل الحلق مرورًا باللهاة، والطبق الأنفي، والخيشوم، والفم بما فيه من أسنان، والحنك الأعلى بقسميه الرخو والصلب، والفك السفلي، واللسان منتهيا بالشفاه(٢).

وقبل أن أتحدث عن أعضاء النطق التي تتضافر لإنتاج الصوت البشري، قلت: إن الكلام الذي نتكلمه يعتبر تنفسًا وظيفيًا؛ لأن الزفير يقع تحت سيطرة عضلية عندما يكون الهدف الكلام، ولكن هذا الكلام لا يحدث عن طريق ضغط عضلي منتظم، ودائم ينتج عنه تيار مستمر وهادئ.

بل الذي يحدث هو أن تنقبض وتنبسط العضلات التنفسية بصورة متعاقبة بمعدل خمس مرات تقريبًا في الثانية، حتى إن الهواء يطرد على صورة نفخات صغيرة متعاقبة، وتكون كل انقباضة من هذه الانقباضات مع نفخة الهواء الناتجة أساس المقطع(٣)، وتسمى حركة العضلات التنفسية هذه المنتجة للمقطع نبضة صدرية(٤).

---

(١) انظر أصوات اللغة - د. عبد الرحمن أيوب ٤٠/ ٤١ .

(٢) المقطع الصوتي د. عبد المنعم عبد الله ص١٧٦ .

(٣) راجع المقاطع الصوتية من هذا الكتاب، فصل أخطاء الحروف لمزيد من التفاصيل عن المقاطع الصوتية.

(٤) مبادئ علم الأصوات العام ص٥٦

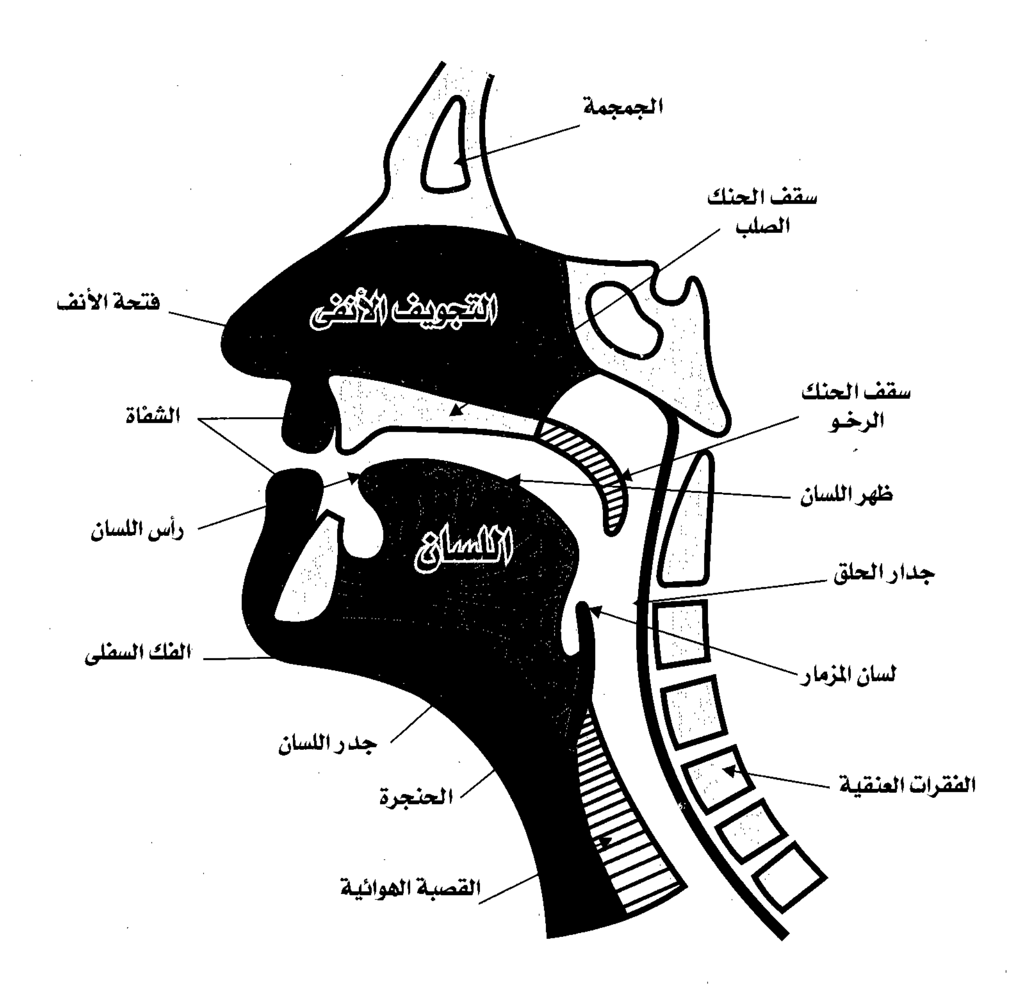
وأعضاء النطق هذه التي تساعد في انتاج الكلام البشري ليست جميعها متحركة[١]، فمنها ما هو ثابت لا يتحرك، كـ« سقف الحنك الأعلى الصلب، والأسنان، والتجويف الأنفي »، ومنها ما هو قابل للحركة، كـ« اللسان، والشفتين، والحنك اللين، واللهاة، والحنجرة، بما فيها الوتران الصوتيان، وتعتبر الرئتان كذلك من الأعضاء المتحركة، وعن طريق حركة هذه الأعضاء من اتصال تام محكم بين العضو المتحرك والعضو الساكن، أو تقارب بينهما تكون التنوعات الصوتية »[٢].

---

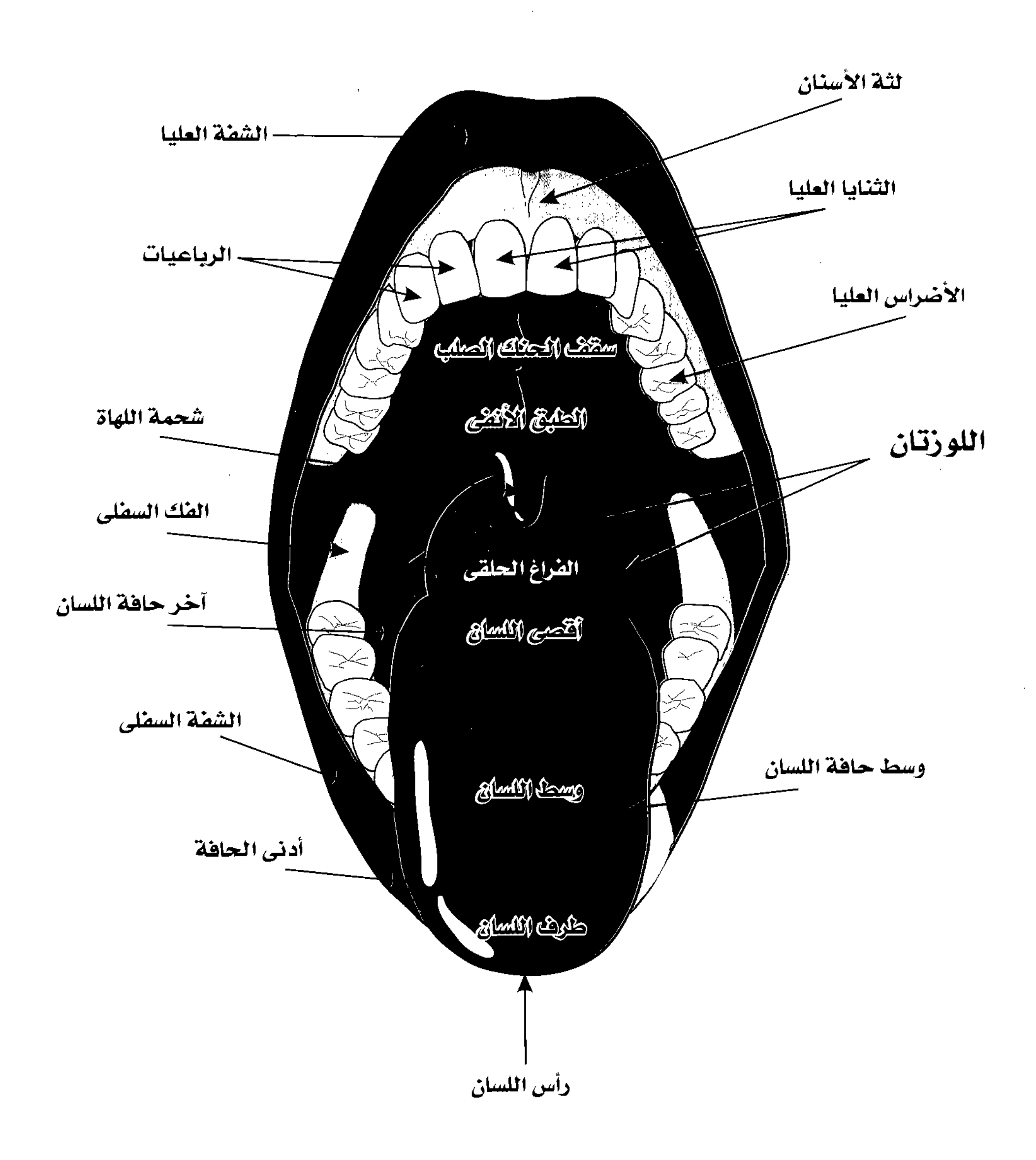
(١) انظر علم الأصوات د. كمال بشر ص١٣٢ .

(٢) انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية - الأصيبعي ص١٨ من منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٩٢م.

والرسم التوضيحي التالي يوضح لك أعضاء النطق بدءًا من الجهاز الصوتي



قطاع جانبي لأعضاء النطق وحجرات الرنين في الإنسان



رسم توضيحي آخر لفم الإنسان من الأمام موضح لمخارج الحروف

أولا: الحنجرة[1] : هي صندوق الأصوات الذي يقدم معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام، وهى بمثابة صمام ينظم تدفق تيار الهواء القادم من الرئتين، وهي تقع أسفل الفراغ الحلقي أعلى القصبة الهوائية، وهي أشبه

(١) إن من الإنجازات المهمة لعلم الأصوات الحديث إدراك دور الحنجرة في عملية التصويت، وذلك بعد اطلاع علماء الأصوات على تشريح الحنجرة، وتقدم وسائل دراسة الأصوات، وللحنجرة وظائف متعدده تؤثر في درجات الصوت الإنسانى، فمن هذه الوظائف:

١- السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين، وتحديد نسبة ما يندفع منهما مع التنفس، وتنظيم هذا حسب الإرادة.

٢- تتوقف درجة الصوت على قدر مرونة عضلات الحنجرة، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات، وازداد الصوت حِدَّةً.

٣- تتأثر درجة الصوت حسب طول أو قصر الأوتار الصوتية، فكلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات، وترتب على قلتها عمق الصوت، حتى يصل إلى « القرار » كما يسميه الموسيقيون.

٤- نسبة شد الوترين تؤثر تأثيرا مطردًا في درجة الصوت، فالصوت المنبعث من ذبذبة وترين مشدودين شدًا محكمًا يكون صوتًا حادًا كصوت النساء، في حين أن غلظ الوترين في الرجال يقلل من نسبة هذا التوتر، مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة؛ لأن عدد الذبذبات أقل، كما أن شدة الصوت تتوقف إلى حد كبير على سعة الرئتين، ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما، وكذا تتوقف على تلك الفراغات الرنانة المضخمة للصوت، انظرالأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٧ بتصرف، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٥، وعلم الأصوات د. بشر ص١٣٤ .

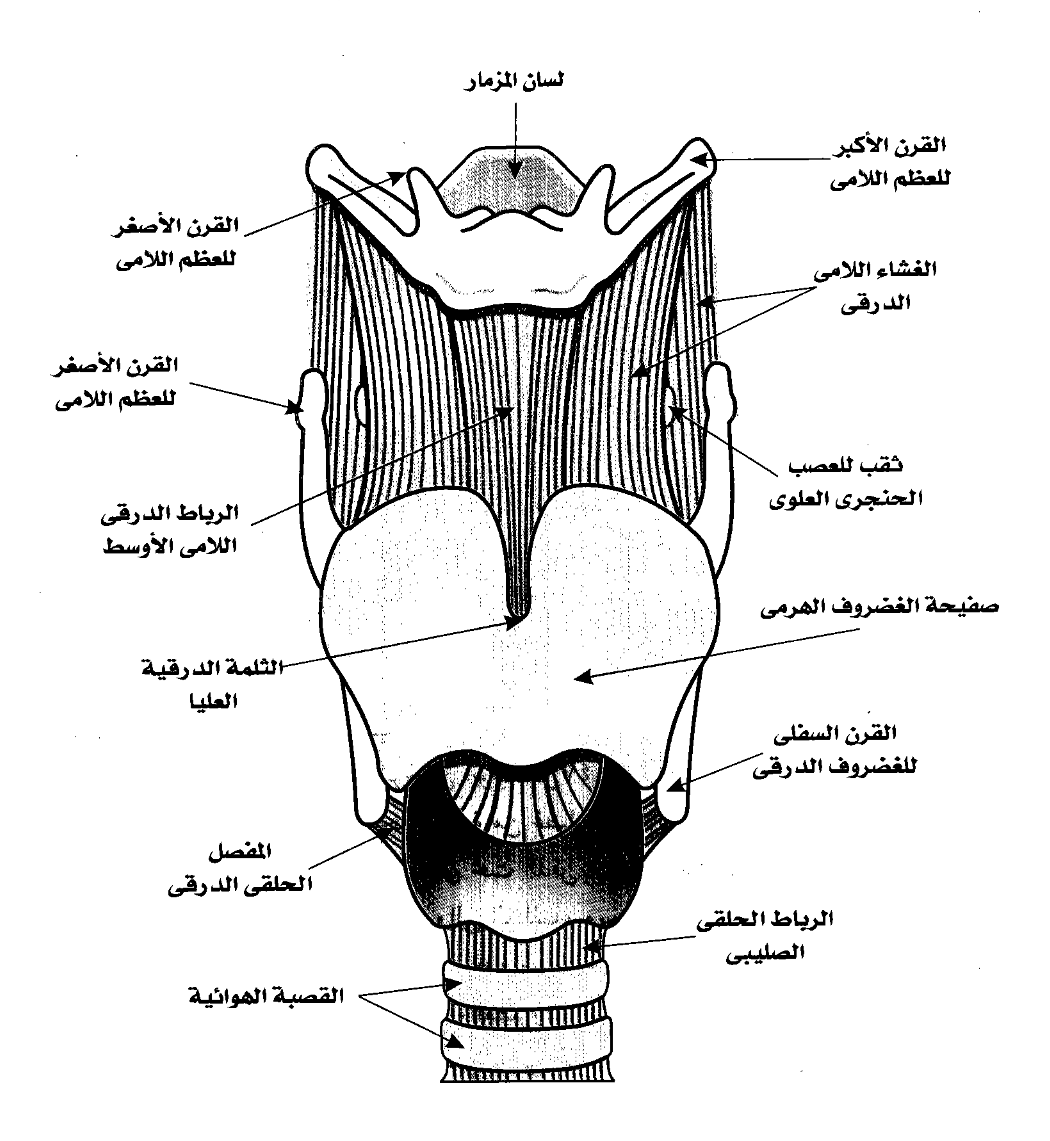
قال مراجعه : الأحبال الصوتية علاقتها من ناحية الصفة لا المخرج فهي التي تكون الصوت بالجهر أو بالهمس أو بغيرهما .

قلت: إنما أطلق على الحنجرة صندوق الأصوات؛ لأنها المسئولة عن غالبية أصوات اللغة؛ ولكن بعض الأصوات تنتج إما بالاحتكاك بالأوتار الصوتية، أو بالاحتكاك بعد الحنجرة كأصوات « الحاء »، و« الخاء »، و« الفاء »، و« السين »، ولم ينتج عن اهتزاز الأحبال الصوتية، ونستطيع القول إن إطلاق صندوق الأصوات على الحنجرة على سبيل الغلبة من الأصوات، كإطلاق حروف المعجم على حروف الهجاء، انتهى- مؤلفه.

بحجرات ذات اتساع معين، ومكونة من عدد من الغضاريف، والأنسجة، تربط بينها وظيفة مشتركة هي فتح القصبة الهوائية، أو إغلاقها على نحو يناسب عمليات التنفس، والكلام، والبلع[١]، وتقع الحنجرة بين قاعدة اللسان وأعلى القصبة الهوائية، وتشتمل على الأوتار الصوتية[٢].

(١) انظر أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب ص٤٧ .

(٢) قال الرئيس بن سينا: « الحنجرة مركبة من غضاريف ثلاثة، أحدها: موضوع إلى قدام يناله الجس في المهزيل عند أعلى العنق تحت الذقن. وشكله شكل القصعة، حدبته إلى خارج وإلى قدام، وتقعيره إلى الداخل وإلى الخلف، ويسمى الغضروف الدرقي » و « الترسى »، والغضروف الثاني: خلفه مقابل سطحه، وسطحه متصل به بالرباط يمنة ويسرة منفصل عنه إلى فوق ويسمى « عديم الاسم »، والغضروف الثالث: كقصعة مكبوبة عليها، وهو منفصل عن الدرقي، ومربوط بالذى لا اسم له من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين، وتصعدان من الذى لا اسم له وتستقران في نقرتين له، ويسمى « المكبى » و « الطهرجالى » فإذا تقارب الذى لا اسم له من الدرقي وضامه حدث منه ضيق الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل، وإذا انطبق « الطهرجالى » على « الدرقى » حصر النفس وسد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة، انظر أسباب حدوث الحروف ص١٢/ ١٣ .



قطاع أمامي للحنجرة وغضاريفها

الأوتار الصوتية[1]: عبارة عن شفتين تمتدان بالحنجرة نفسها أفقيًا من الخلف إلى الأمام، ويلتقيان عند ذلك البروز الذي يطلق عليه تفاحة آدم، ويوجد فراغ بين الوترين الصوتيين يطلق عليه المزمار.

والوتران الصوتيان لهما القدرة على الحركة وعلى اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات الكلامية.

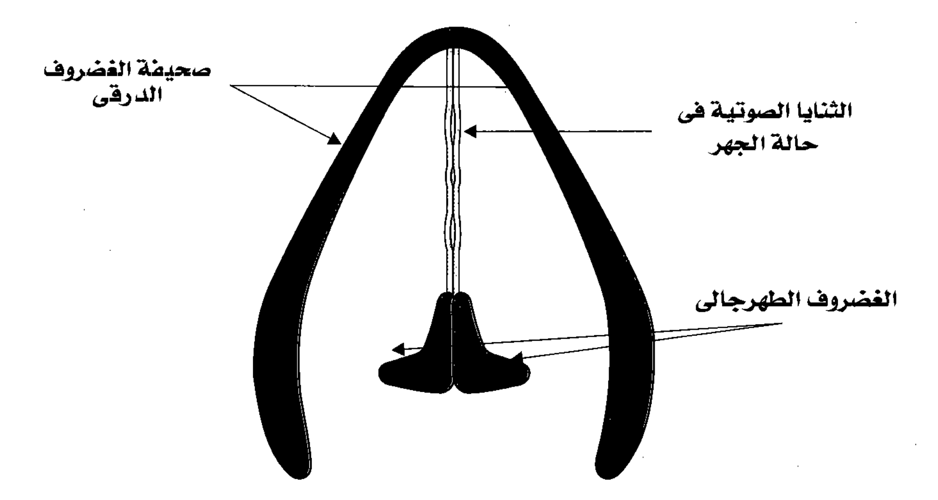
فالهواء الخارج من الرئتين إما أن يجد الأوتار الصوتية مفتوحة فتحًا تامًا؛ بحيث لا تعترض طريقه فيمر منها دون أن يحدث بها ذبذبة أو احتكاكا، وإما أن يجدها متقاربة قربًا يمكن الهواء من أن يحتك بها دون أن يحدث بها ذبذبة، وإما أن يجدها قريبة جدًا فيحتك بها ويحدث بها ذبذبة، والوتران الصوتيان في ذلك كالشفتين، يستطيع الإنسان أن يفتحهما في طريق الهواء الخارج من الفم، ويستطيع كذلك أن يقربهما فيحدث صوتًا، بل يستطيع أن يقربهما بدرجة أكبر ليحدث صوتًا مسموعًا، أما حين تتباعد الأوتار الصوتية مع مرور الهواء بينها تسمح بحدوث ما يسمى بالتنفس العادي غير المصحوب باحتكاك الهواء بهذه الأوتار، فإذا تقاربت لدرجة تحتم احتكاك الهواء بها حدث ما يسمى «الهمس»، وهى حالة تغاير تمامًا تلك التي اصطلح عليها بـ«الجهر»، التي لا بد لها من ذبذبة الأوتار الصوتية، مع ملاحظة أن هذه الذبذبة التي تحدث في

---

(١) الأوتار الصوتية في الواقع جزء من العضلتين الدرقيتين الهرميتين، وهاتان العضلتان هما امتداد إلى أعلى القمع المطاط، وإن كانتا أرق منه نسيجًا، وتنقسم كل من هاتين العضلتين إلى قسمين، علوي وسفلي، يفصل بينهما بطين، يمتد من الغضروف الدرقي إلى نهاية العضلة تقريبًا، وعندما تلتقي هاتان العضلتان تجذبان الغضروفين الهرميين إلى الأمام بشيء من الميل نحو الغضروف الدرقي، وتحصر الأوتار الصوتية بينها فراغًا يعرف باسم «فراغ الحنجرة»، أو «المزمار»، انظر أصوات اللغة ص٥٣/ ٥٤، وانظر علم الأصوات ص١٣٥ .

الأوتار الصوتية ليست كل شيء في إنتاج الصوت[١]، بل إن انتاج الصوت يتوقف على عوامل مساعدة يمكن تسميتها « غرف الرنين »، وفى الجهاز الصوتي البشري غرف رنين متعددة، تعمل على تضخيم الصوت الناتج من ذبذبة الأحبال الصوتية، وهي: التجويف الصدري، والحلق، وتجويف الفم، والأنف، بل والحنجرة أيضا، التي يطلق عليها صندوق الأصوات، تعتبر كلها غرف رنين من الأنواع الممتازة[٢]، والرسم التالي يوضح كل حالة من حالات الأوتار الصوتية عند إنتاجها للصوت البشري:

١- اقتراب الوترين الصوتيين اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما محدثًا فيهما ذبذبة، وهذا الوضع يسمى في علم الأصوات بوضع الجهر.

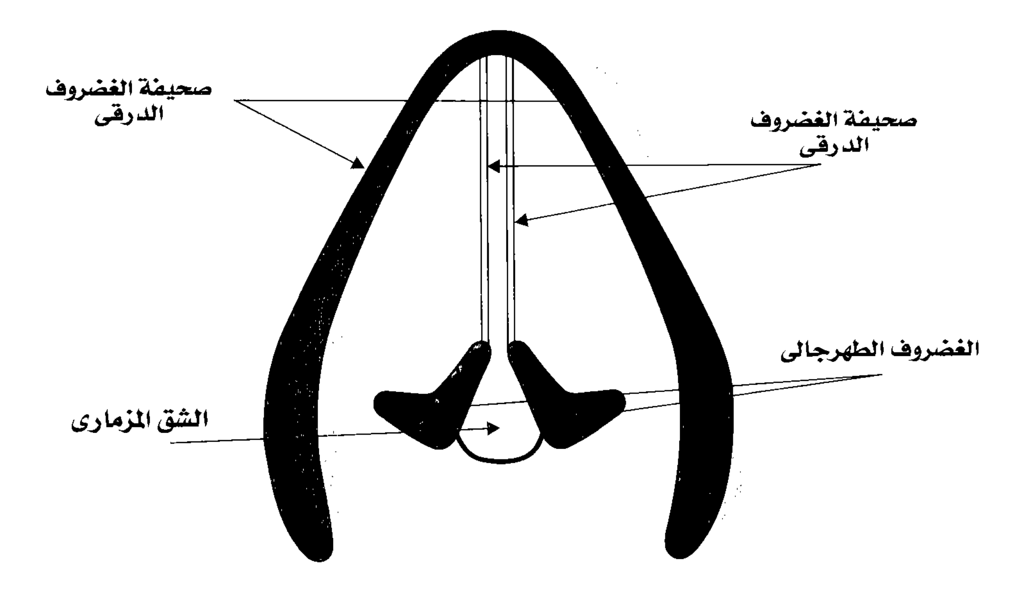


رسم توضيحي لقطاع من الحنجرة يبين وضع الأوتار الصوتية حالة الجهر

(١) المعروف أن لكل صوت مخرجًا - والأوتار تكون صفة الحرف أو الصوت كما سبق - بالهمس أو الجهر أو غير ذلك مما معروف . أما المخرج فإنه يحدد الصوت من حيث الشدة والرخاوة والتوسط .

(٢) انظر مناهج البحث في اللغة ص٦٢ .

٢- اقتراب الوترين الصوتيين اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما دون أن يحدث أي ذبذبة، وهذا الوضع يسمى في علم الأصوات بوضع التنفس، وهو وضع الأصوات المهموسة[١].



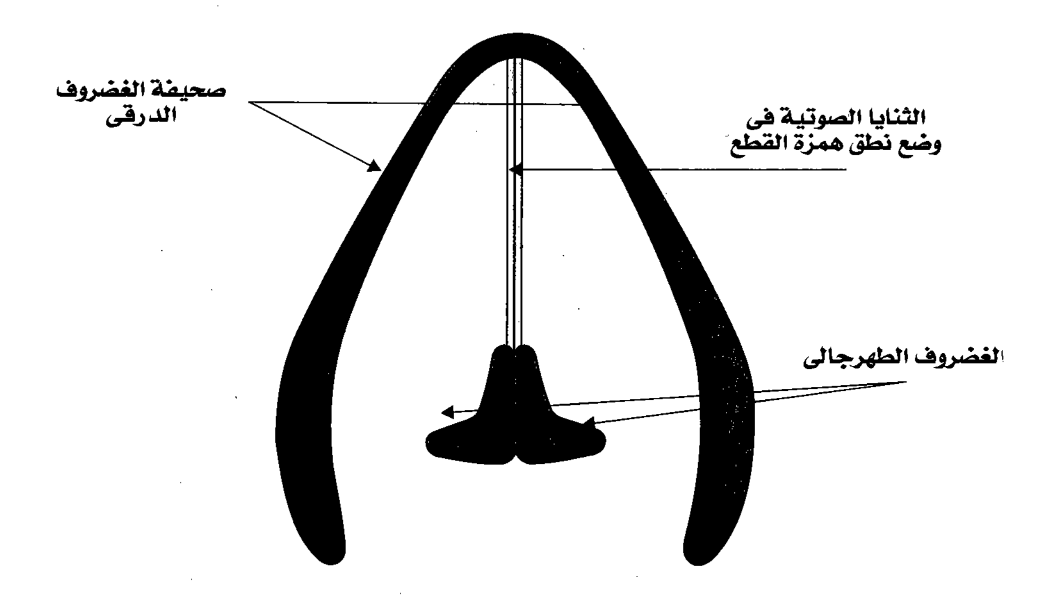
رسم توضيحي لقطاع من الحنجرة يوضح كيفية خروج الحروف المهموسة[٢]

---

(١) ليست الأوضاع المذكورة هي جميع أوضاع الأحبال الصوتية، ولكنني اقتصرت على ذكر ثلاثة أوضاع فقط التي تستخدم في إنتاج الأصوات، ولكن وضع التنفس العادي لم أذكره؛ لأنه لا يستخدم في إنتاج أو تحديد صفة أي صوت، ولكن بعض العلماء ذكر حالة أخرى للأوتار الصوتية تحدث صوتًا، وهي حالة نصف انفتاح أي: وسط بين الغلق والفتح، وهو وضع يؤدى إلى أن يحدث الهواء احتكاكًا خفيفًا أثناء مروره بين الأوتار الصوتية دون حدوث ذبذبة، ويطلق عليه في هذه الحالة: «احتكاك التجويف»، انظر دراسة الصوت اللغوي ص. ١٢٧.

(٢) انظر علم الأصوات ص. ١٤٧.

٢- انطباقهما انطباقًا تامًا لفترة زمنية قصيرة دون أن يسمحا للهواء الخارج من الرئتين بالمرور، ثم يحدث انفراج مفاجئ نتيجة ضغط الهواء[1]، وهذا الوضع وضع إنتاج صوت همزة القطع[2].



رسم توضيحي لقطاع من الحنجرة يوضح كيفية خروج همزة القطع

(١) انظر علم الأصوات د. بشر ص١٣٦ .

(٢) يختلف هذا الوضع عن وضع خروج « الهمزة » المسهلة، ولا أقصد بذلك أن لـ « همزة » القطع مخرجين، ولكن أقصد من هذا الكلام توضيح أن لـ « الهمزة » مخرجًا واحدًا فقط بصفتها وحدة صوتية، وقد يكون لها أكثر من صورة صوتية، كـ « النون » مثلا، فهي وحدة صوتية، ولكن لها أكثر من عشر صور صوتية، وتعتبر « الهمزة » المسهلة من الصور الصوتية لـ « الهمزة »، وليست وحدة مستقلة، قس ذلك على كل الوحدات الصوتية التي لها أكثر من صورة صوتية.

غرفات الرنين ووظيفتها الصوتية:

لا بد من التنويه إلى أن الذبذبة التي تحدث في الأوتار الصوتية ليست كل شيء فيما يتعلق بإنتاج الحس، وكل ما ينتج عن هذه الذبذبة هو ما اصطلح على تسميته « الجَرْس »، أما كيف يتحول هذا الجَرْسُ إلى حس له درجة، وعلو، وقيمة، فذلك يتوقف على عوامل مساعدة يمكن تسميتها « حجرات الرنين »، كما بينا، فالهواء عند مروره بالأعضاء الصوتية المختلفة، يتعرض لأنواع من التدخل، وأن الصوت يختلف باختلاف التدخل الذي يتعرض له الهواء، فالرئتان - على سبيل المثال - تقوم أثناء عملية التصويت بدور المنفاخ، ويكوّن الهواء الصاعد منهما ذلك التيار الغازي الذي يحدث ارتجاج الأوتار الصوتية، ذلك أن عضلات الحلق قد تمدد الأوتار الصوتية تمديدًا مناسبًا، حتى إذا ما مر بها ذلك التيار الهوائي[1] نزت نزيزًا[2] هو كنزيز اللسان المتحرك الموجود في بعض الأنابيب المدوية، ثم إن التدخل الذي تقوم به الأعضاء الصوتية العليا يحدث غرف رنين مختلفة الأحجام والأشكال، وبالتالي تكون مختلفة الدرجة حسب كل تدخل، وتقوم هذه الغرف بعمليات الرنين والتي تكيف درجة الموجات الخارجة من الفم وسعتها، وما دام كل صوت من هذه الأصوات هو النتيجة المباشرة لدرجة الموجات التي تنتجها

---

(١) مما يجب أن يلتفت إليه أن انتقال الذبذبة في الهواء لا يعني أن الهواء في عمومه يتحرك من مصدر الصوت في اتجاه الأذن. بل إنه قد يلاحظ العكس، فيكون السامع في مكان تهب منه الريح في اتجاه المتكلم ومع ذلك تنتقل الذبذبات إلى السامع في اتجاه هو عكس اتجاه الريح، والواقع أن الذى يتحرك هو جزئيات الهواء في عمومه، والذبذبة الواحدة هي عكس حركة الجسم في اتجاه ما، حتى يبلغ نقطة ما، ثم رجوعه في اتجاه عكسي بحيث يجاوز النقطة التي كان فيها عند سكونه، انظر أصوات اللغة ص٩٦/٩٧ .

(٢) نزّ: نز الظبي نز نزيزًا أي: عدا وصوت. انظر «لسان العرب» ج٦ ص٤٣٩٤ مادة نزز .

وسعتها، فإن تحديد هذين الأمرين يعتبر وسيلة هامة من وسائل دراسة الأصوات المختلفة[١].

فالذى يحدث من الأوتار الصوتية من غير اعتبار العوامل المساعدة، كالذى يحدث من وتر مشدود في غير آلة موسيقية، ونحن نعلم أن وظيفة الصندوق في العود، إنما هي إيجاد الرنين الضرورى لإحداث صوته، وفي الإنسان صناديق رنين متعددة؛ وهي التجويف الصدرى، والحلق، والتجويف الأنفي، والتجويف الفموي[٢].

الحلق[٣]: هو الفراغ الذي يشتمل على الحنجرة، والفراغ الذي

---

(١) الفرق بين ما يحدث بالنسبة للأصوات «الحنجرية»- ويقصد بها المجهورة «وغير الحنجرية» - ويقصد بها المهموسة أن النغمة المركبة الصادرة في حالة الأصوات الحنجرية قد اكتسبت طاقة أكبر بكثير من تلك التي تصدر عنها الأصوات غير الحنجرية، وذلك بتأثير ذبذبة الأوتار الصوتية، والواقع أن الهواء الخارج من الرئتين يحمل عددًا ضخمًا من الموجات البسيطة، ولكنها ضعيفة بحكم توزيع الطاقة بينها، وعند مرور هذه الموجات التي توافق درجتها طبيعة جسمها، ومقدار شدها، وتلقى بها في قوة إلى فراغ البلعوم الذى يعمل عمل جسم الزجاجة، وتكون النتيجة أن الأوتار الصوتية قد قوت عددًا معينًا من الموجات أولاً بالذبذبة، ثم تقوت هذه الموجات ثانيًا في غرفة الرنين، أما في حالة عدم شد الأوتار فإن جميع الموجات تمر من الحنجرة وبالتالى تكون ضعيفة، ثم تتم عملية عملية تقوية بعضها مرة واحدة، وهي الموجات التي تتفق درجتها ودرجة غرفة الرنين، انظر أصوات اللغة ص١٢٣/ ١٢٤ .

(٢) انظر مناهج البحث في اللغة ص٦٢، ودروس في علم أصوات العربية ص١٩/ ١٢٥ .

(٣) فتحة الحلق في نهاية البلعوم الفموي، وعند مؤخرة اللسان توجد فتحة الحلق، ويتكون محيط هذه الفتحة من العضلتين اللسانيتين الحنكيتين اللتين تبدأن من منتصف اللهاة وتسيران في شكل قوس يسمى بالقوس اللساني الحنكي حتى تصلا إلى جانبي اللسان، وعند انتاج الصوت ينقبض قوسيه مما يسبب ضيق فتحة البلعوم الفموي التي تصل بينه وبين الفم واتساع البلعوم الأنفى الذى يوجد فوق الحنك الرخو، وحركة القوسين تؤثر تأثيرًا مباشرًا في اتساع أو ضيق غرفة الرنين التي يمثلها البلعوم الأنفي، انظر أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب ص٧٠/ ٧١ .

يليه[١]، الذي يشتمل على جذر اللسان[٢] حتى اللهاة، على رأي جمهور أهل العلم[٣].

أما عند علماء الأصوات المحدثين هو الفراغ الحلقي الذي بين الحنجرة ومدخل الفم[٤]، ويسمى بالفراغ الحلقي، أو البلعوم الحلقي، وهو قابل للتضييق والاتساع، وعند تضييقه ينتج لنا أصواتًا تسمى أصواتًا احتكاكية، وعند اتساعه يستخدم كغرفة رنين تضخم الصوت[٥].

اللهاة: هي زائدة لحمية تتدلى من الطبق الأنفي[٦] « سقف الحنك الرخو »، وهذا الطبق قابل للحركة عن طريق عمل العضلات المتصلة به، فيحرك إلى أعلى وإلى أسفل، وهذا الجزء الرخو من الحنك، أو الطبق يعتبر بمثابة صمام المخرج الأنفى[٧]، فعندما يخفض الطبق ينفتح الطريق عبر الأنف، وعندما

---

(١) انظر علم الأصوات ص١٣٨ .

(٢) أصل اللسان هو الذى يشكل الحائط الأمامي للحلق، وهو يؤثر في إنتاج الأصوات عن طريق تغيير شكل وحجم تجويف الحلق، ويتم إنتاج الأصوات الحلقية عن طريق تقريب الحائطين الأمامي والخلفي للحلق، أو بعبارة أخرى جذر اللسان ومؤخر الفم، ولذا فمن الأدق أن تسمى هذه الأصوات لسانية حلقية، انظر دراسة الصوت ص١١٤، قلت: أثناء مناقشتي لبعض المتخصصين من أطباء الأنف والأذن والحنجرة وهو- عضو من أعضاء هيئة التدريس بكلية طب القصر العيني- ذكر لي أن أصل اللسان هو الذي يتحكم في عدم دخول الماء والطعام إلى القصبة الهوائية، وليس لسان المزمار، ودلل على ذلك أنه أجرى عملية جراحية لمريض استأصل له لسان المزمار وهو يعيش في حالة طبيعية جدًا بعد إجراء العملية ونجاحها.

(٣) انظر نهاية القول المفيد ص٣٨ .

(٤) انظر الأصوات العربية - د. بشر ص٦٩ .

(٥) انظر الأصوات اللغوية - أنيس .

(٦) قال د. كمال بشر: « أما اللهاة فهى في نهاية الحنك اللين ولها - كما هو معروف - دخل في نطق « القاف » العربية كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم، انظر الأصوات العربية ص٧١ .

(٧) انظر علم الأصوات ص.١٤٠

يرفع كلية يحتك بالجدار الخلفي للحلق، وَمِنْ ثَمَّ يغلق المخرج الأنفي[١]، فإذا ما رفع الطبق الأنفي كان الفم هو المنفذ الوحيد لتيار الهواء إذا كان الصوت فمويًا كـ « الكاف » و « الباء » - على سبيل المثال -، وإذا ما خفض أمكن للهواء أن يتخذ مجراه من الأنف إذا كان الصوت أنفمويًا كـ « النون » و « الميم »، والفراغ الأنفى هذا يستخدم كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق[٢].

ولا بد من ملاحظة أن اللهاة تستخدم في إنتاج بعض الأصوات اللغوية مثل صوت « الغين ».

الفم: هو بمثابة غرفة الرنين القابلة للتضييق والاتساع تبعًا لحركات أجزائه وهو فراغ يحصره من الأمام الشفتان، ومن الجانبين باطن اللحيين، ومن الخلف فتحة الحلق، ومن أعلى سقف الحنك بأجزائه المختلفة، أما من أسفل فيحصره الفك السفلى، واللسان من فوقه[٣].

وظيفة كل عضو من أعضاء الفم[٤]:

الفك العلوى: من الأعضاء الثابتة، مركب فيه الأسنان العليا، وينقسم إلى قسمين: مقدمة ومؤخرة.

---

(١) قال د. عصام نور الدين أستاذ العلوم اللغوية بالجامعة اللبنانية: وأما القناة الأنفية فليس لها من وظيفة في عملية النطق إلا إحداث الاهتزازات « الذبذبات » الصوتية التي تمر من خلالها، فليس لها إذن أي دور في إنتاج الصوت الإنساني أو إخراجه، وأما تجويف الفم فهو عكس القناة الأنفية، يؤدي وظيفتين؛ لأنه مفتح للصوت الإنساني ومخرج له، ومرجع لهذا الصوت، أي يحدث الرنين »، انظر علم الأصوات اللغوية ص٧٨، قلت: أظن أن هذا الكلام يرد على من ادعوا أن الغنة حرف.

(٢) انظر مبادئ علم الأصوات - ديفيد أبركرومبي ص٤٨/٤٩ .

(٣) انظر أصوات اللغة ص٧٧ . (٤) أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب ص٧٧ .

فالمقدمة تسمى: سقف الحنك الصلب[١]، والمؤخرة تسمى: سقف الحنك الرخو[٢]، وترجع أهمية سقف الحنك من الناحية الصوتية إلى أنه بالتعاون مع اللسان يضيق أو يوسع فراغ الفم، كما أنه يمكن أن يكون مرتكزًا للسان، عندما يسد مخرج الهواء بالفم، أو عندما يضيقه بحيث يحدث خروج الهواء احتكاكًا مسموعًا.

الفك السفلي: يعتبر من أعضاء النطق المتحركة، ويشتمل على اللسان والأسنان السفلى، والفك السفلي قد يتحرك إلى الأمام أو إلى أسفل، وعند حركته للأمام ينتج لنا بعض الأصوات[٣].

أما الحركة السفلية فلها أهمية كبرى في النطق بالأصوات المختلفة وخاصة الحركات، وينتج عنها وجود زاوية يصنعها الفك السفلى مع الفك الأعلى، ويختلف مقدار هذه الزاوية في نطق الفتحة الطويلة عن الكسرة الطويلة[٤].

---

(١) انظر علم الأصوات ص١٣٩ .

(٢) يسمى الحنك اللين وهو جزء عضلي متحرك، يمكن رفعه رفعًا كاملًا حتى يعقد اتصالاً كاملًا مع الجانب الخلفي لفراغ الحلق، ويغلق تبعا لهذا الطريق إلى الأنف، ولذا فهو الذى يحدد ما إذا كان الصوت أنفيًا «حين يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، أو فمويًا» حين يمر الهواء خلال الفم فقط، ويمكن رؤية حركة الحنك اللين هذه من خلال النظر في مرآة، انظر دراسة الصوت اللغوي ص١٠٦ .

(٣) انظر أصوات اللغة ص٨٣ .

(٤) تتميز الفتحة على الضمة والكسرة في أن الفتحة من الناحية الصوتية أكثر وضوحًا في السمع من أختيها، وتحتاج للنطق بها زمنًا أطول، فهي أملأ منهما من الناحية الصوتية، وأكثرهما قوة في الكلام؛ لذلك كانت عرضة للتشكيل في المخرج خاصة في حالة التفخيم والترقيق، لوضعها في الفم فيكون الفم منفتحًا معها أكثر من غيرها، انظر الأصوات اللغوية ص٢٥١ - وجاء في المنح الفكرية: إن «الألف» يخرج دون كلفة لاتساع مخرجه فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان، وإذا ضاق انضغط وصلب»، انظر ص١٠/ ١١ .

الأسنان: من أعضاء النطق الثابتة وهي مقسمة إلى قسمين: أسنان عليا، وأسنان سفلى، وتقسم أيضا إلى: ثنايا، وأنياب، وضواحك، وأضراس، وللأسنان وظائف مهمة في إنتاج عدد من الأصوات، نحو حرف: « الفاء »، وكذا حروف الصفير مثل (ص س ز)، وحروف: « الظاء »، و « الذال »، و « الثاء »، كما أنه قد يعتمد عليها اللسان مثلاً في نطق « الدال » و « التاء »، وتشترك الأضراس أيضا مع اللسان في إنتاج « الضاد » العربية.

وتظهر أهمية الأسنان في النطق بوضوح عندما نلاحظ الفرق بين الأصوات اللغوية لشخص معين عند وجود أسنانه، وبعد خلعها[١].

اللسان: هو عضو عظيم المرونة فهو يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز الأسنان، ويتراجع إلى الخلف حتى يبعد عنها، ويمكن لأي جزء من أجزائه أن يرتفع إلى أعلى في اتجاه الأسنان، أو في اتجاه سقف الحنك، كما يمكن للّسان أن يتراجع إلى الخلف ملامسًا سقف الحنك الصلب، حتى يصل إلى نقطة التقائه بسقف الحنك الرخو، وبفضل العضلات اللّسانية[٢] يمكن للّسان أن يتقوس من جهة السطح على شكل محدب، أو مقعر، أو أن يرتفع جانباه فيكونان

(١) انظر أصوات اللغة ص٨٣ .

(٢) اللسان تحركه ثماني عضلات، منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنة ويسرة، وتتصلان بجانبي اللسان، فإذا تشنجتا عرضتاه، ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه بـ « اللام » وتنفذان وسط اللسان، فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام، فتبعها جزء من اللسان وامتد وطال، ومنها عضلتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم، ينفذان بين المعرضين والمطولين ويحدث عنهما توريب اللسان، ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين، وإذا تشنجتا بطحتا اللسان، وأما تمييله إلى فوق وداخلا فمن فعل المعترضة والموربة، انظر أسباب حدوث الحروف ص١٥، وأصوات اللغة ص٧٢ .

شكل قناة، يمثل الحاجز الأوسط منه أعمق خط في قاعها، ومن أجل هذه المرونة يساهم اللِّسان بدور كبير في انتاج الأصوات اللغوية، ولذا خص باسم عضو النطق[١].

ويقسم الأصواتيون اللسان إلى عدة أقسام[٢]:

- **الجذر**: وهو الجزء الذي يرتكز على العظم اللامي، والمقابل لجدار الحلق الخلفي، ويعرفه المتقدمون من العلماء بأصل اللسان أو عكرة اللسان.

- **مؤخرة اللسان**: وهو الجزء المقابل للحنك الرخو، ويعرفه المتقدمون بأقصى اللسان.

- **مقدمة اللسان**: وهو الجزء المقابل للحنك الصلب، ويعرفه المتقدمون بوسط اللسان.

- **طرف اللسان**: وهو الجزء المقابل للَّثة، وعندما يرتفع اللسان حتى يتصل

(١) يتخذ اللسان عددًا كبيرًا من الأوضاع والأشكال المتنوعة جدًا حتى ينتج قطوعًا حركية مختلفة، لكننا دائمًا ما نجد في هذه الأوضاع كلها الشكل العلوي لجرمه الرئيسى محددًا، بمعنى أن اللسان دائمًا ما يكون على صورة سنام في الفم، فإذا ما استطعنا بالنسبة لأية حركة أن نذكر أين تكون النقطة العليا لحدبة اللسان في الفم أثناء أدائها؟ فسوف يكون هذا كافيًا؛ لأن نعين بقدر متوسط من الدقة الموقع الذى يحتله اللسان ككل في القناة النطقية، وذلك أن اللسان يجب أن ينظر إليه على أنه كتلة عضلية مرنة، وأنه رغم استطاعته أن يتخذ أشكالاً مختلفة كثيرة، لا يغير بصنيعه هذا من حجمه الكلي، ولهذا فإن موقع النقطة العليا لسطحه العلوي المقوس وسيلة؛ لأن تتصف ببساطة وإيجاز ما لكتلته الكلية من تأثير بالنسبة لأي حركة على شكل القناة النطقية، انظر مبادئ علم الأصوات ص٨٧، وأصوات اللغة ص١٦ .

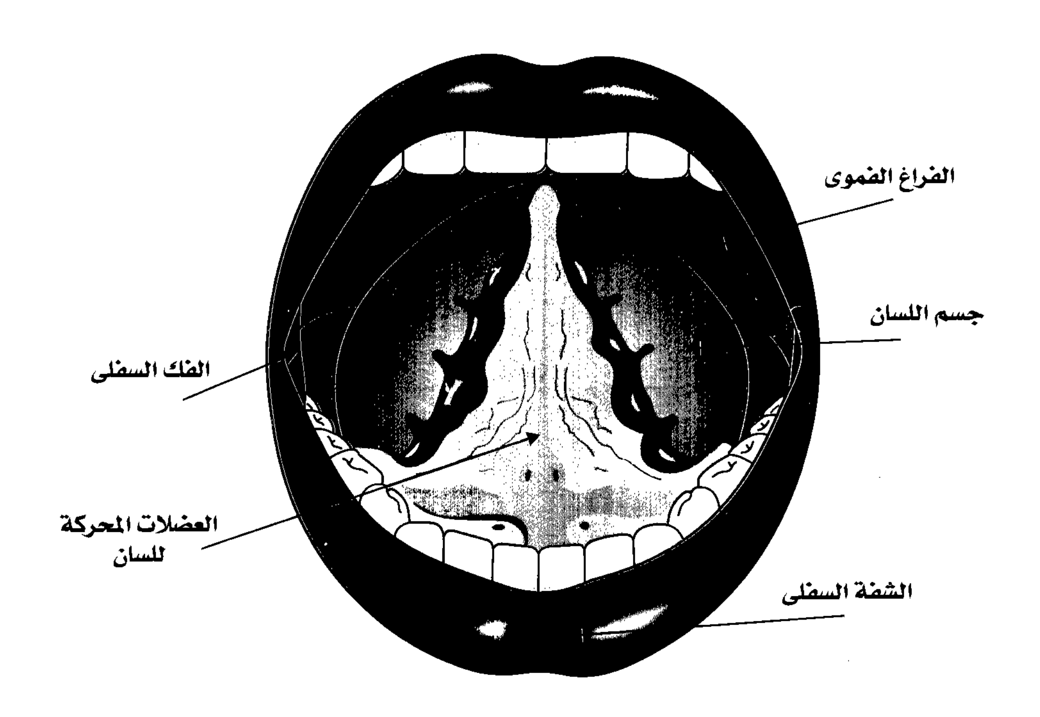
(٢) انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية ص٢٩-٣٠ بتصرف.

باللثة يسمى طرفه « ذلقا »، وعندما يكون مسجى خلف الأسنان يسمى طرفه « أسلة ».

- **حافة اللسان**: وهي الجزء المقابل للأضراس من الجهتين، وعندما يصطدم بالأضراس ينتج لنا بعض الأصوات مثل « الضاد »[1].

والرسم التوضيحي التالى يبين فتحة فم الإنسان وعضلات اللسان.

(١) حافة اللسان لم يدرجها علماء الأصوات ضمن أجزاء اللسان؛ لأنهم يعتبرون « الضاد » تخرج من طرف اللسان، ولكن « الضاد » عندنا تخرج من حافة اللسان؛ لذلك أدرجناها ضمن أجزاء اللسان «تلك هي الضاد الفصيحة التي إليها تنسب اللغة» فيقال لغة الضاد.



رسم توضيحي للعضلات المحركة للسان والفك السفلي

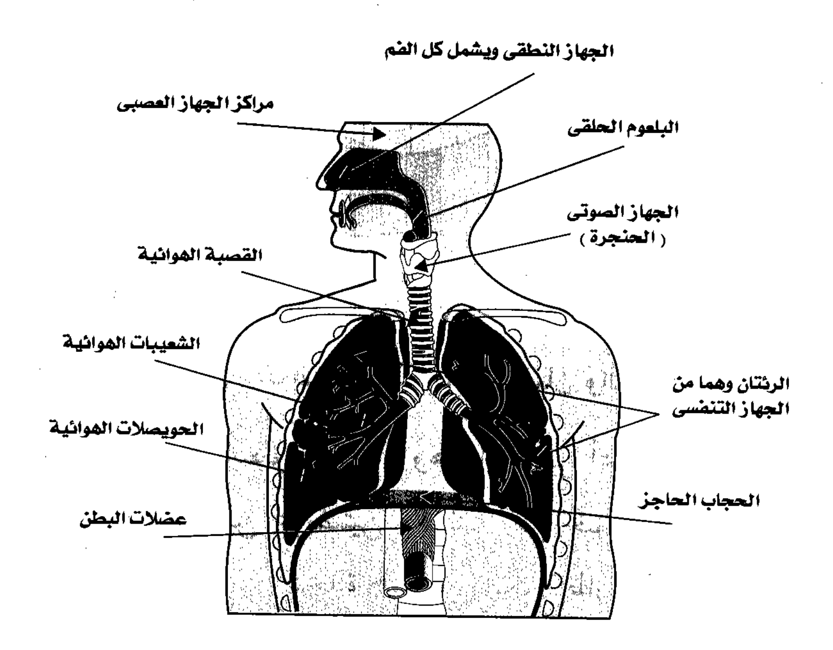
الشفتان: من أعضاء النطق المهمة، وهي أيضًا من أعضاء النطق المتحركة، وهي عبارة عن صحيفتين عريضتين مكونتين من خيوط عضلية صادرة عن عضلات الوجه المختلفة، ومتحدة جميعًا في شكل إطار يحيط بفتحة الفم[1]، فهي تتخذ أوضاعًا مختلفة حال النطق، ويؤثر ذلك في نوع الأصوات وصفاتها، ويظهر هذا التأثير بوجه خاص في نطق الأصوات المسماه بالحركات، فحركة الشفاه توضح نوع الصوت المنطوق من الحركات، هل هو

(١) انظر أصوات اللغة ص٨٥ .

فتحة أم ضمة أم كسرة؟ فشكل الشفاة عند الفتحة يختلف عن شكلها عند الضمة، وكذلك عند الكسرة[١].

وقد تنطبق الشفتان انطباقًا تامًا، كما تنفرجان ويتباعد ما بينهما إلى أقصى حد، وبين هاتين الدرجتين من الانطباق والانفتاح درجات مختلفة، ويحدث الانطباق التام في نطق «الباء» ويحدث الانفراج في كثير من الأصوات كـ«الكسرة» - على سبيل المثال -، ومع بعض الأصوات الأخرى[٢].

وإليك رسم توضيحى يوضح لك الأجهزة التي تتضافر في إنتاج الكلام



رسم توضيحي للجهاز التنفسي والصوتي والنطقي في الإنسان

---

(١) انظر علم الأصوات ص١٥٠، وقال: تأخذ الشفاه أوضاعًا خاصة عند النطق بالحركات، ولكن هذه الخاصية هي الأنسب في التفريق بين أنواع الحركات.

(٢) الأصوات العربية - كمال بشر ص٦٤ وما بعدها.

الفصل الثالث

آراء العلماء في عدد المخارج

ذهب كثير من الدارسين إلى أن آراء أهل العلم في عدد مخارج الحروف ثلاثة آراء[١]، وذهبوا إلى أن الرأي الأول هو: رأى الجمهور، وادَّعوا أنه مذهب الخليل[٢] ومن تابعه، كابن الجزري، والناظر إلى مؤلفات علم التجويد يجد صحة ما ذهبت إليه، وذكروا أن الرأي الثاني هو: رأي سيبويه ومن تابعه، كالشاطبي، والرأي الثالث هو: رأي الفراء ومن تابعه، كالجرمي وقطرب[٣].

---

(١) انظر هداية القارئ – للشيخ المرصفي ص٥٥ .

(٢) قال ابن الجزري: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد، ومكي بن أبى طالب، وأبي القاسم الهذلى، وأبي الحسن شريح، وغيرهم سبعة عشر، وهذا الذى يظهر من حيث الاختيار، وهو الذى أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها، انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٨ .

(٣) ذكر صاحب كتاب «أحكام تلاوة القرآن الكريم» مذهبًا يذكر أن عدد المخارج تسعة وعشرون مخرجًا بعدد حروف الهجاء، أى: إن لكل حرف مخرجًا خاصًا به يتميز به عن الحرف الآخر، ونسبه إلى بعض أهل العلم ولم يسم اسمه، وعلل صاحب هذا المذهب اختياره بقوله: «لو لم يكن لكل حرف مخرج يختلف عن الآخر لاختلطت الحروف، ولم يتميز بعضها من بعض»، هذه الحجة لا وزن لها واعتبار ذلك أن اشتراك بعض الحروف في مخرج واحد، لا يلزم منه اختلاطها وعدم تميزه عن غيره، وتمنع اختلاطه به، فلا غضاضة في اجتماع بعض الحروف في مخرج واحد، دون أن يختلط بعضها ببعض»، انظر ص٣٩ . =

وقد كنت ذهبت مذهبهم في كتاب الجامع، شأنى شأن من تكلم في هذا الفن عن موضوع المخارج، وقد نسبت مذهب الجمهور للخليل بن أحمد، كغيري من أهل العلم، ولكنني عندما تحققت من عدم صحة هذا الكلام عدلت عن هذا الرأى في هذا الكتاب؛ لعدم وجود أي علاقة تربط بين الخليل بن أحمد في ترتيبه للأصوات اللغوية وبين هذا المذهب الذي أطلق عليه مذهب الجمهور، بل إن كتاب « العين » نفسه المنسوب للخليل لم يذكر هذا الترتيب المنسوب لمذهب الجمهور.

لذلك رأيت أن أضع مذهبًا مستقلًا للخليل(١)؛ لأن ترتيبه الصوتي للحروف في كتاب « العين » مخالف لترتيب الجمهور لها(٢).

= قلت: لأن الذي يميز الصوت عن الآخر عند اتحاد المخرج - هو الصفات الفارقة بين الصوتين - وأحيانًا يكون صفة واحدة كالإطباق مثلًا هي الفارق بين السين والصاد.

(١) قال الدكتور هلال عند مقارنته لترتيب الخليل، وترتيب سيبويه، وابن جني: « وأيًا ما كان الأمر فإن التصنيف المنسوب للخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه للأصوات العربية حسب المخارج، وذلك لأن سيبويه كان دقيقًا في تحليله وتفصيلاته، وعلى كل حال فإن الفضل يعود إلى صاحبه الذى ابتدأ الطريق الشاق »، انظر أصوات اللغة العربية ص٩ .

(٢) قد يعترض البعض في أنني أضفت إلى المذاهب الثلاثة مذهبين آخرين، قلت: إذا رجعنا إلى مذهب الفراء ومن تابعه من أهل العلم لبيان الفرق بينه وبين مذهب سيبويه فسوف نجد أن الفرق الوحيد بينهما هو أن سيبويه جعل مخرجًا مستقلًا لـ « النون » مختلف عن « اللام »، وكذا « الراء »، أما الفراء فقد جمعهم في مخرج واحد فقط، وبالرغم من ذلك نسب له مذهب مستقل، وإذا نظرت لترتيب الأصوات المذكور في كتاب « العين » والمنسوب للخليل بن أحمد، فسوف تجده مختلفا عن بقية المذاهب في أكثر من موضع، فلماذا لا يكون له مذهب مستقل مخالف لمذهب الجمهور؟!، وكذا فعلت مع علماء الأصوات المحدثين؛ لإن ترتيبهم للأصوات مخالف لترتيب المذاهب الأخرى، وإتمامًا للفائدة ذهبت إلى ما ذهبت إليه في أن عدد المذاهب التي تحدثت عن مخارج الحروف خمسة مذاهب.

ورأيت كذلك أن أجعل لعلماء الأصوات المحدثين مذهبًا آخر، لأن ترتيبهم الصوتي للحروف مخالف لترتيب المذاهب الثلاثة المذكورة في كتب التجويد.

وبهذا تكون المذاهب التي تعرضت لترتيب المخارج ترتيبًا صوتيًا من وجهة نظرنا هي خمسة مذاهب، وقد ذكر صاحب كتاب «أحكام تلاوة القرآن» مذهبًا آخر ملخصه أنه جعل المخارج تسعة وعشرين مخرجًا، وردَّ على هذا المذهب أنه غير دقيق فيما ذهب إليه[1]، وإليك بيان المذاهب الخمسة:

(١) انظر كتاب أحكام تلاوة القرآن.

أولًا: مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي

صنف الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه الشامل « العين »- إن صحت نسبته إليه[١]- الذى نظم فيه أصول الكلمات ومصادرها، وفق نظام صوتي منطلقه حرف « العين ».

سبب دراسة الخليل للأصوات:

كانت دراسة الخليل للأصوات لأغراض تتعلق بالمعجم، وتنظيمه

(١) شكك د. إبراهيم أنيس في صحة نسبة كتاب « العين » للخليل بن أحمد بقوله: « إذا صح أن كتاب العين على الصورة التي انحدرت إلينا كان من عمل الخليل بن أحمد، أو إملائه فقد كنا نتوقع إذن أن نجد نفس المصطلحات التي قالها الخليل في نفس كتاب سيبويه تلميذ الخليل، ووارث الكثير من علمه وآرائه، ولكن كتاب سيبويه قد خلا منها، وليس من التجني أو المغالاة إذن أن نتخذ من هذه الظاهرة دليلًا جديدًا على عدم صحة الرأي القائل بنسبة كتاب « العين » للخليل على الأقل على الصورة التي انحدرت إلينا »، انظر الأصوات اللغوية ص١٠٦ .

قلت: ليس شرطًا أن تكون المصطلحات متحدة بين التلميذ والأستاذ لكي ننسب كتاب بعينه لمؤلفه أو ننفي نسبته إليه، خاصة إذا علمنا أن كثيرًا من الرواة نسبوا كتاب « العين » للخليل، وقد ذهب إلى صحة نسبة كتاب « العين » للخليل الدكتور غانم قدوري الحمد، فقال: فالذى يقرأ مقدمة « معجم العين » للخليل بن أحمد وهي الجزء الذي لا يختلف اللغويون حول صحة نسبته إلى الخليل، ونسب الكلام للأزهري في كتاب تهذيب اللغة: ١/ ٤١، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٧ .

وذكر الدكتور هلال أيضا كلام ابن جني في نفيه نسبة كتاب « العين » للخليل فقال: « وقد ناقش أستاذنا الدكتور نجا هذا الرأي وغيره من الآراء التي تنفي نسبة كتاب « العين » للخليل، وفندها بأدلة واقعية تستحق الاعتبار، ثم خرج من ذلك بنتيجة حاسمة وهي أن الكتاب للخليل بن أحمد قال: « وقد ارتضى هذه الوجهة كثير من أصحاب العقول الراجحة »، انظر أصوات اللغة العربية ص٨٥ .

بالكلمات وأبنيتها، فانشغاله بترتيب الحروف في أول المعجم وتقديمه طريقة لاختيار مخارجها كان لتوضيح منهجه الذى سار عليه في الكتاب، وكان تقسيمه للحروف إلى صحاح، ومعتلة لتوزيع الكلمات في أبواب المعجم[١].

والحقيقة أن الخليل بنى عمله على أساس لغة العرب ابتداءً، وكانت غاية الخليل من كتابه هي حصر أبنية كلام العرب، فلا يخرج منها عن هذا الحصر شيء، وقد دفعه إلى ذلك فهمه لأسرار تركيب الحروف من حيث المخرج والصفة، ويتفق مسلك الخليل فى الرجوع إلى المبدأ الصوتي[٢]، القائم على المشافهة التى كانت السبيل المثلى لتلقي اللغة من أهلها، وأسس التحليل اللغوي الذى ينطلق من كون اللغات التي تتصف بكونها كلامًا منطوقًا يتداول مشافهة، لذلك وجب الاهتمام بالأصوات المنطوقة قبل الحروف المكتوبة، ثم نظر في الحروف على أساس صوتي منطوق فكان ذواقه إياها، ووضعه لتسلسلها بدءًا من الحلق وانتهاءً بالشفتين[٣].

وهكذا اهتدى الخليل إلى مبدأ اللغة الصوتي قبل أن يتوسع التدوين وتتطور الكتابة، وتحظى بمكانة لائقة[٤].

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدوري.

(٢) قال الدكتور محمد قدور: «أراد الخليل أن يدرس اللغة على أساس علمي استقى طرفيه من الثقافة العقلية واللغوية، فقد فكر الخليل بطريقة تمكنه من جمع اللغة على سبيل الحصر والاستيعاب، وليس على أساس الجمع وتصنيف المسائل بحسب الموضوعات وغيرها، ولم يستطع ترتيب آخر أن ينهض بالمهمة التي أرادها الخليل لمعجمه كتاب «العين» كالترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي؛ لأنهما يهدران القيمة الصوتية التي جعلها الخليل مبدأ من مبادئ عمله، انظر أصالة علم الأصوات عند الخليل ص٢٠ .

(٣) انظر مبادئ علم الأصوات، وكذا أصالة علم الأصوات.

(٤) انظر أصالة علم الأصوات.

وكان في زمن الخليل الترتيب الألفبائي، الذي ابتدعه نصر بن عاصم، والذي رتب حروف الهجاء على أساس مجموعات متشابهة في الصورة، نحو: «ب ت ث»- «ج ح خ»- «د ذ»- «ر ز» - «س ش» - «ص ض» - «ط ظ»... إلخ، فتجاوزه كما تجاوز الترتيب الأبجدى، «أبجد هوز»[١] أيضًا؛ لأنهما لا يشيران إلى قيمة صوتية تركيبية تعين على كشف خصائص الكلام العربي، ولم يكن ترتيب كلٍ منهما قائمًا على أساس علمي[٢].

وهكذا كان اعتماد الخليل على الترتيب الصوتي لحروف اللغة العربية، لتحليل الظواهر التي تنتج عن مجاورة الحروف، وتتابعها، من قلب، وإدغام، وتباين، الأمر الذي لم يتوفر في كل من الترتيب الألفبائي، والترتيب الأبجدي[٣]، وبعد أن فكر الخليل، ونظر وجد أن منشأ الكلام كله من الحلق[٤]، فوضع تسلسلها بدءًا منه منتهيًا بالشفتين، وكان السبيل إلى ذلك أنه كان يأتي بالحرف خالصًا من أي حركة، بعد أن يفتح فاه بـ« همزة » الوصل؛ لأن الصوت لا يفهم إلا بسكون الحرف[٥].

---

(١) هذا الترتيب هو ترتيب أهل الحساب، وقد رتبوا حروف (أبجد هوز) بحسب جعل الحروف إشارة إلى الأعداد، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢٢ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب- ط ١٤١٢هـ ص١٤/ ١٥ .

(٣) دروس في علم أصوات العربية ص٢٦ وما بعدها.

(٤) أصالة علم الأصوات ص٣٥ .

(٥) إن الصوت في منشئه دفعة هوائية خارجة من الرئتين، فإذا انتهى الصوت في نقطة معينة من نقاط الفم، وهي: «الحلق، اللسان، الشفتين» فمخرج الحرف هنا محقق؛ بمعنى أن الصوت تحقق وانتهى في نقطة محددة نستطيع تمييزها، أما إذا لم ينته الصوت في نقطة محددة، وكان امتدادًا للهواء، ولم نستطع تحديد نقطة محددة من نقاط الفم ينتهي فيها هذا الصوت، فإن هذا الحرف مخرجه مقدر، وعلى ذلك نجد أن جميع حروف الهجاء مخارجها محققة فيما عدا أحرف المد الثلاثة، فمخرجها مقدر. عند القدمات - أما المحدثون فقد =

ويحدد الخليل عدد الحروف التى ألفت منها أبنية كلام العرب بتسعة وعشرين حرفًا، فقد روى الليث عن الخليل أنه قال: « في العربية تسعة وعشرون حرفًا، منها خمسة وعشرون حرفًا لها أحياز ومدارج[١]، وأربعة حروف جوف[٢]، ثم رتب الخليل الحروف الصحاح ترتيبًا تصاعديًا بدءًا من الحلق، وهو الترتيب التالي[٣]: « ع[٤]، ح، هـ » « خ ، غ » - « ق، ك - ج »، ش، ض - « ص س ز » - « ط، د، ت » - « ظ، ذ، ث »- « ر، ل، ن »-

---

= توصلوا المعرفة فخارج هذه الحروف أو ما يسمىٰ بالحركات الطويلة - وكذا القصيرة - وقد سبق بيان ذلك.

(١) انظر أصالة علم الأصوات عند الخليل بن أحمد في كتاب العين ص٢٥ .

(٢) أطلق في الدراسات الصوتية الحديثة على حروف المد والحركات هذا المصطلح « الصوائت »؛ لأنها أكثر وضوحًا في السمع من الصوامت، نتيجة كيفية نطقها وإصدارها ويقرر الخليل أن حروف المد لا مخرج لها، ومن ثم يطلق عليها هوائية، ويشير سيبويه إلى الصوائت مقررا أن « الألف » حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع « الياء » و « الواو » وقد قسم ابن جني الصوائت إلى حروف طوال، وحروف صغار، فيقول: « الصوت الذى يجرى في « الياء » مخالف للصوت الذى يجري في « الواو »، والعلة في ذلك أنك تجد الفم، والحلق في الثلاث مختلف الأشكال، أما « الألف » فتجد الحلق والفم منفتحين غير معترضين على الصوت بحصر أو بضغط، وأما « الياء » فتجد معها الأضراس سفلا وعلوًا قد التفت جنبتي اللسان، وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان أي : (تباعد) فجرى الصوت متصعدًا هناك؛ فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما « الواو » فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة، اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في « الألف »: أا « وفى » الياء « إى »، وفي « الواو » « أو »، انظر الأصوات اللغوية، وأصالة علم الأصوات، و سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٨-٩ .

(٣) انظر أصالة علم الأصوات ص٢٧ .

(٤) قلت: إن ابتداء الخليل بـ « العين » في معجمه ثابت وصحيح، فقد ذكر الخليل أنه بدأ كتابه بـ « العين »؛ لأنها من أنصع الحروف وأقصاها مخرجًا عنده، انظر أصالة علم الأصوات ص٢٨/٢٩ .

« ف، ب، م »- ثم الحروف الجوفية « العلل: « الواو »، و « الألف »[١]، و « الياء »، و « الهمزة »[٢] ».

وقد بين الخليل في تقسيمه هذا أن الصحاح هي التي تقع في مدرج من مدارج الحلق، واللسان، والشفاه، ولها أحياز تنسب إليها، ومواضع تتسمى بها فتكون: حلقية، ولهوية، وشجرية، وأسلية... إلخ[٣].

أما العلل[٤] فليس لها موضع تنسب إليه من حلق، أو لسان، أو لهاة، أو شفاه، إنما تنسب إلى الجوف والهواء.

---

(١) قال د. كمال بشر: « الألف » لم تعد ضمن الأصوات الصامتة؛ لأنه يعد حركة في كل مواضعه في اللغة العربية، وهذه الحركة هي الفتحة الطويلة، وعلى هذا لا مكان لها في الألفباء، الأصوات العربية ص١٩٤ .

(٢) يوجد خلط كبير في نسبة « الهمزة » عند الخليل بن أحمد، ففي بعض الروايات نجد أن « الهمزة » تنسب إلى الجوف، وفي بعضها الآخر نجد أنها تنسب إلى الحلق، أما ترتيب حروف الهجاء الأخرى لم تختلف الروايات عن الخليل فيها، قال د. عبد المنعم عبد الله: « قال الخليل عن « الهمزة » أنها هوائية؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، كما يقرر أنها في حيز واحد، قلت: وأيًا كان الأمر فإن ترتيب الخليل لحروف الهجاء ترتيبًا صوتيًا يخالف ما نسب للجمهور في ترتيبهم للحروف، مما يدعم صحة ما ذهبنا إليه من نسبة مذهب مستقل له، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص٨٢ . ينظر كتاب العين ج١ ص ٢٩ .

(٣) انظر أصالة علم الأصوات عند الخليل ص٣٨ .

(٤) وصفت حروف العلة « الألف، والواو، والياء » بالاعتلال، نظرًا إلى أنها لا تسلك مسلك الحروف الصحيحة في تحمل الحركة والانفصال عنها دون غموض أو لبس، كما في نحو: « كتب » فلكل حرف من الحروف الصامتة استقلال عن حركته « فتحة أو ضمة أو كسرة »، بل إنها تتحمل الحركة وهي جزء منها، من ذلك يتبين لنا أن لكل صامت استقلال عن حركته، أما الصوائت فعلى العكس من ذلك فليس لها استقلال عن حركتها؛ لأنها تقوم بها ولا تستغني عنها، وقد علل ابن جني عدم قبول « الألف » للحركة، ولماذا كانت الحركة التي =

وبهذا نجد أن الخليل حدد للحروف في اللغة العربية مخارج محددة، ثم جمع ما تقارب منها في ألقاب استمدها من أعضاء النطق التي تخرج منها، لكنه لم يعين عددًا للمخارج[١].

ذكر أحد الباحثين أن الخليل قد نحى «الهمزة» و«الألف» عن أن يبدأ بهما ترتيبه المعجمي؛ لأن «كليهما» كثير التغيير، لا تثبت له صورة في الخط، كما أنه عرضة للحذف لفظًا[٢]، فضلًا عن السمات الصوتية التي تميز هذه الحروف من غيرها من الصحاح، أنها ليس لها حيز تنسب إليه على طريقة الصحاح فهي جوفية وهوائية؛ لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لها حيز أو أكثر تنسب إليه، نظرًا لمبدئها كالجوف أو الهواء على غير طريقة الصحاح، كما لا يمنع من أن تختلف مجاريها، وتتباين مباديها، فيكون لكل منها حيز متدرج،

= قبله فتحة؟ فقال: «إنّ علة قلب «الألف» إلى «همزة» تكمن في أن «الألف» حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو «الهمزة»، أما عن كون الحركة التي تسبقه هي الفتحة دون غيرها؛ فلأنها أخف الحركات، انظر سر صناعة الإعراب، قلت: لا بد أن نوضح هنا مسألة صوتية، وهي: أن «الألف» نفسها عبارة عن حركة طويلة، فكيف تقبل الحركة حركة مثلها؟ قد يرد على ذلك ويقال: «إذا صح كلامك، فلماذا قبلت «الياء، والواو» الحركات مع أنهما حركتان؟ قلت: ربما سوغ اتساع المخرج في «الألف» عدم قبولها الحركة، وربما يكون ضيق المكان في «الياء» و«الواو» وعمل العضو فيهما سوغ قبولهما للحركة، والله أعلم.

(١) انظر كل من أصالة علم الأصوات، أصوات اللغة، ودروس في علم أصوات االغة، علم الأصوات، الأصوات العربية، الأصوات اللغوية، مبادئ علم الأصوات العام، المقطع الصوتي، دراسة الصوت اللغوي.

(٢) انظر أصالة علم الأصوات ص٢٨ . هذا نص المؤلف أمّا الخليل بن أحمد فلم يذكر سوى الألف مراجعه.

ف « الهمزة » - وإن عدّها الخليل من حروف العلة بسبب كثرة ما يعتريها من تغيير يقلبها حرفا من حروف العلة - تبقى أقوى هذه الحروف متنًا.

ويبدو أن ما يجمع هذه الحروف مع « الهمزة »[١] هو قرب مباديها، إذ أصل مبتدئهن من عند « الهمزة »، وكثرة تحول « الهمزة » إلى « ياء » أو « واو » أو « ألف ».

ألقاب الحروف عند الخليل[٢]:

الحلقية: لأن مبدأها من الحلق، وهي « العين »، و « الحاء »، و « الهاء »، و « الخاء »، و « الغين ». ومن أقصى الحلق الهمزة التي نسميها همزة القطع[٣].

اللهوية: لأن مبدأها من اللهاة، وهما لهويتان: « القاف، والكاف »

الشجرية: لأن مبدأها من شجر الفم، وهي: « الشين، والجيم، والضاد ».

---

(١) مما يؤيد كلامنا أن هناك خلطًا كبيرًا في نسبة « الهمزة » للجوف عند الخليل ما قاله د. محمد قدور: « إن « الهمزة » بحسب أحد أقوال الخليل تخرج من أقصى الحلق، وهي مهتوتة مضغوطة، وتسقط « الهمزة » من عدة الصحاح بحسب آراء أخرى، فلا يكون لها حيز؛ لأنها في الهواء، أو هوائية، أو جوفية، أو معتلة، أما « العين » و « الحاء » و « الهاء » و « الخاء » و « الغين » فتخرج من الحلق، ولها حيزان الأول من أقصى الحلق ويكون لـ « لعين » ثم « الحاء » ثم « الهاء »، والثاني الأدنى، ويكون لـ « لخاء » و « الغين »، ويضيف الخليل كما يروي النضر بن شميل إلى المخرج الثانى « الهمزة »، انظر أصالة علم الأصوات ص٣٦ .

(٢) كتاب المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي.

ومن أقصى الحلق قيل هذه الحروف الستة - الهمزة التي ينطلق عليها همزة القطع - انظر كتاب « العين » (ص٥٢ ج١).

وضعنا همزة القطع مع حروف الحلق لأننا عندما رجعنا إلى كتاب العين للخليل بن أحمد وجدنا أنه ذكر الهمزة مع حروف الحلق، ولكنه بين أن هذه الهمزة إذا رفه عنها لانت وصارت الألف والواو والياء فكأنه يشير إلى همزة أخرى لعلها الهمزة المسهلة.

الأسلية: لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي: « الصاد، والسين، والزاى ».

النطعية: لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهي: « الطاء، والدال، والتاء »

اللثوية: لأن مبدأها من اللثة، وهي: « الظاء، والثاء، والذال »

الذلقية: لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهي: « الراء، واللام، والنون »

الشفهية أو الشفوية: لأن مبدأها من الشفة، وهي: « الفاء، والباء، والميم ».

الجوفية أو الهوائية: ليس لها حيز على طريقة الصحاح، فتنسب إلى الجوف، أو الهواء، وهي: الألف اللينة، والواو، والياء المديتان، والهمزة.

ذكر بعض الباحثين أن الخليل بن أحمد عدّ الهمزة جوفية ولم يعدها ضمن حروف الحلق، إلا أن البعض الآخر نسب الهمزة عند الخليل تخرج من أقصى الحلق(١).

والجدول التالى يوضح الحروف الهجائية موزعة على مخارجها عند الخليل ابن أحمد، كما هو مدون بالكتاب المنسوب إليه وهو كتاب « العين »، ونقصد بالموضع في هذا الجدول المخرج العام، والمخرج نقصد به المخارج الخاصة.

مع ملاحظة أن المنقول عن الخليل أنه لم يحدد عددًا لمخارج الحروف، ولكننا حددنا هذا العدد بناء على تقسيمه للحروف من حيث الألقاب.

(١) انظر كتاب « العين » للخليل بن أحمد ١/ ٥٨ تحقيق د. عبد الله درويش.

الموضع	عدد المخارج	عدد الحروف
الجوف	مخرج واحد مقدر	خاص بأحرف المد الثلاثة والهمزة المسهلة
الحلق	خاص بمخرجين	خاص باحرف الحلق وعددها خمسة أحرف هي:
		١- العين والحاء والهاء
		٢- الغين والخاء
		٣- والهمزة من أقصى الحلق
اللسان	خاص بستة مخارج	خاص بسبعة عشر حرفًا وهي
	اللهوية	بالترتيب: القاف - الكاف
	الشجرية	الشين - الجيم - الضاد
	الأسلية	الصاد - السين - الزاي
	النطعية	الطاء - الدال - التاء
	اللثوية	الظاء - الثاء - الذال
	الذلقية	الراء - اللام - النون
الشفتان	مخرج واحد «الشفوية»	خاص بثلاثة أحرف وهي الفاء -
	المجموع عشرة مخارج(١)	الباء - الميم.

(١) لم يعين لنا الخليل عدد المخارج في كتاب « العين »، ولكن هذا التقسيم مستنبط من نص الخليل على المخارج في كتاب « العين »، وقد قمت بتقسيمه بناء على ألقاب الحروف التي ذكرت في كتاب « العين » المنسوب للخليل بن أحمد.

ثانيا: مذهب سيبويه

هذا المذهب هو مذهب سيبويه وابن بري، وتابعهما الإمام الشاطبي وبعض أهل العلم، وتنقسم المخارج عند أصحاب هذا المذهب إلى ستة عشر مخرجًا، موزعة على أربعة مواضع عامة، هي: « الحلق، اللسان، الشفتان، الخيشوم »، ويخرج منها تسعة وعشرون حرفا، وقد قسم سيبويه[١] الحروف العربية المنسوبة إلى هذه المخارج إلى قسمين[٢] أصول، وفروع.

قال عنها الشاطبي:

وهاك موازين[٣] الحروف وما حكى جهابذة النقاد فيها محصلا
ولا ريبة في عينهن ولا ربا وعند صليل الزيف يصدق الابتلا

وقال أيضًا:

ولابد في تعيينهن من الأولى عنوا بالمعانى عاملين وقولا[٤]

---

(١) ارتبطت دراسة سيبويه للأصوات في «الكتاب» بموضوع الإدغام، فقد قال بعد أن ذكر عدد حروف العربية وبين مخارجها وصفاتها: وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه وما لا يجوز، وما لا يحسن فيه، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤٧ .

(٢) على ضوء هذا التقسيم نلمح أن الحروف الأصول هي الوحدات الصوتية، أما الحروف الفروع فما هي إلا صور صوتية، إذ لا يترتب على تغيرها تغيير في المعنى، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص٣٦ .

(٣) أطلق عليها: موازين باعتبار أنها تميز الحروف عن بعضها، ويعرف بها مقدار كل حرف من حيث الكمال، والزيادة، والنقص، والمعنى: خذ مخارج حروف الهجاء التي يتميز بها كل حرف عن الآخر، وخذ القول الذى نقله فيها الشيوخ الحذاق المتضلعون في هذا العلم، انظر الوافي للشيخ القاضي رحمه الله ص٢٧٤ .

(٤) انظر متن حرز الأماني ووجه التهاني ص٩١ .

أقسام الحروف عند سيبويه:

تنقسم الحروف العربية عند سيبويه - كما ذكرنا - إلى:

١- أصـــول

٢- فـــروع

والأصول عنده هي الحروف الصحاح، التي تنسب إلى مخرج من المخارج الستة عشر، كما مر آنفًا.

وقد عد الأصول[١] تسعة وعشرين حرفًا، والفروع وأصلها من الأصول التسعة والعشرين، ووصف « الفروع » بأنها كثيرة، قد تصل إلى اثنين وأربعين

(١) اختلف العلماء في عدد حروف الهجاء إلى عدة آراء، فذهب الجمهور إلى أن عدد الحروف الهجائية تسعة وعشرون، وذهب البعض إلى أن الحروف الهجائية ثمانية وعشرون حرفًا، بجعل « الألف » و « الهمزة » حرفًا واحدًا، واستدلوا بأن مسمى كل حرف يكون أول كلمته، وهذا الكلام غير دقيق؛ لأنه يستوجب أن تكون « الهمزة » « هاء »، وذهب البعض الآخر: إلى أن الحروف الهجائية ثلاثون حرفًا.
قال الدكتور تمام حسان: « من المعروف أن حروف الهجاء الصحيحة في اللغة العربية الفصحى ثمانية وعشرون، وأن حروف العلة ثلاثة، لكل منها كميتان، إحداهما قصيرة أو حركة والثانية طويلة أو لين، وبناء على ذلك تكون الحروف في العربية الفصحى واحد وثلاثون حرفًا »، انظر مناهج البحث في اللغة ص. ٩٠
قلت: والصحيح أن الحروف الأصول في اللغة العربية تسعة وعشرون حرفًا؛ لأن كلا من « الواو » و « الياء » لهما صورتان صورة تكونان فيها حرفا مد، وصورة أخرى يكونان حرفا لين، ولا خلاف بين من قال: إن عدد الحروف تسعة وعشرون حرفًا، ومن قال: إنها واحد وثلاثون حرفًا؛ لأن من قال: بأنها واحد وثلاثون حرفًا تحدث عن الطبيعة المزدوجة لكل من « الواو » و « الياء »؛ لأنها تكون من الصحاح إذا تحركتا، وتكون من المد إذا سكنتا، وكانتا امتدادًا للضمة والكسرة.

حرفًا بما فيها الأصول، بل قد تصل إلى أكثر من ذلك[١]، وجعلها على قسمين:

أ- مستحسنة

ب- مستهجنة

مستحسنة[٢]، وهي ما تستحسن في قراءة القرآن، والشعر، وحصرها[٣] في: « النون » الخفيفة، أي: المخفاة، و « الهمزة » التي بين بين، و « الألف » التي تمال إمالة شديدة، و « الشين » التي كـ « الجيم »، و « الصاد » التي تكون كـ « الزاى »[٤]، و « ألف » التفخيم[٥].

وثمانية أحرف مستهجنة في اعتقادهم، يستعملها العرب الذين خالطوا الأعاجم وهي: « الكاف » التي بين « الجيم » و « الكاف »[٦]، و « الجيم » التي

---

(١) قال محقق جهد المقل: « يمكن حصر الأصوات الفروع في خمس وعشرين صوتًا، بعضها مستحسن، وبعضها مستهجن، انظر جهد المقل للمرعشي ص٢٦ .

(٢) قال كانتنيو: « قد كانت الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية صرفًا، مثلها في ذلك مثل الدراسات الصوتية التي قام بها نحاتنا في القرن السابع عشر، فقد أغفلوا فيها تطور اللغة التاريخى، واكتفوا بالقول: بأن بعض كيفيات النطق صحيحة مستحسنة، وأن بعضها الآخر قبيح مستهجن، بدون تعمق في الموضوع، ولا سبر أغواره، وليس معنى هذا أن دراستهم الصوتية هذه لا قيمة لها، بل هي دراسات نفيسة، ولو رجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها »، انظر دروس في علم أصوات العربية ترجمة صالح القرمادي ص١١ .

(٣) انظر المقطع الصوتي ص٣٧ .

(٤) أي المشربة بصوت الزاي لا الخالصة وإلّا كانت مستهجنة .

(٥) انظر الكتاب لسيبويه.

(٦) « الكاف » التي بين « الجيم » و « الكاف » وهو مثل « الجيم » المصرية في النطق، مثل: « جافر » في نطق: « كافر »، وهو من لغات اليمن وبغداد، انظر أصوات اللغة العربية ص٩٣ .

كـ « الكاف »[١]، و « الجيم » التي كـ « الشين »[٢]، و « الضاد » الضعيفة[٣]، و « الصاد » التي كـ « السين »[٤]، و « الطاء » التي كـ « التاء »[٥]، و « الظاء » التي كـ « الثاء »[٦]، . . . .

---

(١) « الجيم » التي كـ « الكاف » كانت شائعة في اليمن، وهي الآن موجودة بكثرة عند أهل البحرين، مثل: « رجل » و « جمل » يقولون فيهما: « ركل » و « كمل »، انظر المرجع السابق ص٩٢ .

(٢) قال مكي: « هو حرف لم يستعمل في القرآن، وهو حرف بين « الشين » و « الجيم »، وهي لغة لبعض العرب، يبدلون من « كاف » المؤنث شينًا يخالط لفظها لفظ « الجيم »، قال ابن دريد: « يقولون: في غلامك: غلامش، يجعلون « الكاف » بين « الشين » و « الجيم »، ومنهم من يجعلها « شينا » خالصة »، انظر الرعاية ص١١١ ، قلت: وهذا ما يعرف في علم اللغة واللهجات بـ « الشنشنة، يقولون: لبيش اللهم لبيش.

(٣) حدد سيبويه موطن خروج « الضاد » بأنها تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف؛ لأنها من حافة اللسان مطبقة، وقال الفارسي: « كما إذا قلت: « ضرب »، ولم تشبع مخرجها أي: الضاد، ولا اعتمدت عليه، ولكن تخف فتختلس، فيضعف إطباقها »، ويذكر ابن يعيش: أنها من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها « ظاء »، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم تأت لهم، فخرجت بين « الضاد » و « الظاء »، انظر أصوات اللغة العربية ص٧٨، قلت: هذا الكلام يرد على من ذهبوا إلى أن « الضاد » الظائية، لغة كل العرب واتضح لنا مما سبق أنها لغة قوم من العرب وليست لغة فصحاء العرب.

(٤) « الصاد » التي كـ « السين » مثل قولهم في: « صالح » « سالح »، وهي من لغة بني العنبر، وليس في حسن إبدال « الصاد » من « السين »؛ لأن « الصاد » أصفى في السمع من « السين » وأصغر في الفم، انظر أصوات اللغة العربية ص٩٢ .

(٥) « الطاء » التي كـ « التاء » وهي لكنة أعجمية عند أهل المشرق؛ لأنهم لا يستطيعون نطق الطاء فيتكلمون هذا النطق فيقولون فى: « سلطان » « سلتان » وفي « طالب » « تالب » بتفخيم قليل، انظر أصوات اللغة العربية ص٩٣ .

(٦) الظاء التي كـ « الثاء » وينشأ هذا الحرف من المبالغة في إفشاء الظاء فتخرج، كأنها ثاء مفخمة، مثل قولهم في ظلم: ثلم، انظر المرجع السابق ص٩٣ ، وهي لهجة غير معروفة ونطق غير مستحسن وقد يكون نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم. لأن الظاء ليس فيها تفشي.

و « الباء » التي كـ « الفاء »[١]، وخمسة أحرف أخرى يضيفونها أحيانًا وهى: « القاف » التي بين الكاف والقاف[٢]، و « الجيم » التي كـ « الزاى »، والشين التي كـ « الزاي »، والياء التي كـ « الواو »، والواو التي كـ « الياء »، وهكذا فإن عدد الحروف عند العرب[٣] يرتقي إلى مجموع ثمانية وأربعين حرفًا، بل إلى خمسين[٤].

نشأة الحروف الفرعية:

الحرف الفرعي هو الصوت الأصلي الذى تتغير صفة من صفاته الصوتية، أو ينتقل مخرجه إلى مخرج صوت مجاور له، وذلك التغير ناتج عن واحد من ثلاثة أسباب وهي:

١- **المجاورة**، مثل الصاد التى كـ « الزاى » في نحو: « مصدر » والشين التي

---

(١) قال الرئيس بن سينا: الفاء تكاد تشبه الباء، وتقع في لغة فارس عند قولهم « فرندى »، تفارق الباء؛ لأنه ليس فيها حبس تام، وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد، حتى يكاد أن يحدث بسببه في السطح الذى في باطن الشفة اهتزاز، انظر أسباب حدوث الحروف ص٢٥ .

(٢) حرف بين « الكاف » و « القاف » وقد ذكره ابن دريد وابن فارس قالا: فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيغلظ جدًا، فيقولون: الكوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والكاف وهذه لغة معروفة، فيها قال الشاعر:

ولا أكول لكدر الكوم قد تضجت ولا أكـول لـبـاب الـدار مـكـفـول

يريد في كل ذلك « القاف »، انظر أصوات اللغة العربية ص٩٣ .

(٣) هذه الحروف المستقبحة لا يؤخذ بها في القرآن، ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة، ولا يصح أمر هذه الحروف إلا بالسمع والمشافهة، وقد تكون هذه الحروف دخلت في العربية على لسان بعض القبائل الذين خالطو الذين يتحدثون بالعبرية، أو السريانية، أو لغة الفرس، أو الروم، انظر المرجع السابق ص٩٤ .

(٤) انظر أصالة علم الأصوات ص٢٩/ ٣٠ .

ك « الجيم » نحو: « أشدق »، فقد لحق الجهر كلا من « الصاد، والشين » المهموستين لمجاورة الدال المجهورة.

٢- **لغات القبائل**، مثل « همزة » بين بين، و « ألف » الإمالة، وألف التفخيم.

٣- **اللكنة الأعجمية**، مثل « الطاء » التى ك « التاء »، و « الباء » التى كالفاء.

وقد أدرك علماء التجويد حقيقة الأصوات الفرعية، فقال مكي في الرعاية: « إن مخرج الحرف الفرعي » متوسط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه »،

وقال أحمد بن أبي عمر في الإيضاح: « وإنما كانت فروعًا لامتزاجها بغيرها وكانت مستحسنة لما يستفاد بالامتزاج من تسهيل اللفظ وتحسينه في المسموع »[١].

وقال المرادي في المفيد: « المراد بالفروع حروف ترددت بين مخرجين وتولدت من حرفين »[٢].

وقال المرعشي: « ووجه تفرع هذه الحروف أنها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين »[٣].

وإذا نظرنا إلى ضابط الحرف الفرعي نجد أن من عد أصوات « اللام » المفخمة و « الميم » و « النون » المخفاتين من الفروع قد وهم؛ لأنها ليست خارجة مما بين المخرجين في حالة واحدة؛ ولكنها ذات مخرجين مختلفين[٤].

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

(٢) انظر المرجع السابق. (٣) انظر جهد المقل ص٢٧ .

(٤) انظر كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف لابن وثيق الأشبيلى ص٢٧، حيث قال محققه: « وفي تصورى أن الضابط الملائم للصوت الأصلي أو الرئيسي لا يؤثر في الدلالة، وهذا التنوع قد يأخذ شكل التفخيم، أو الخفاء، أو الإدغام، أو الإشمام، أو التسهيل، أو الإمالة . . . . ».

وقد أدرك علماء التجويد أن الحروف الفرعية لا تدرك إلا بالمشافهة؛ لأنها لا صورة لها في الكتابة [١].

وعددها في تقدير بعض العلماء: خمسة أحرف، وفي تقدير آخرين: ثمانية أحرف، ولدى البعض الآخر: أقل من ذلك، والمعتمد لدينا أنها أربعة أحرف فقط وهي:

١- « **الهمزة** » **المسهلة** [٢]: وضابطها: الخروج من مخرج « الهمزة » ومن

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٧٢/ ١٧٣.

(٢) قال الدكتور إبراهيم أنيس: « تسهيل » الهمزة « بين بين هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك الحالة الغامضة لنطق « الهمزة »، فقد قالوا: إن تسهيل « الهمزة » المتحركة بأن ينطق بها، لا محققة، ولا حرف لين خالص، بل بين بين، فـ« الهمزة » المكسورة ينطق بها في حالة تسهيلها بين بين، لا محققة، ولا « ياء » خالصة، هكذا قال القدماء من القراء، أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفًا علميًا مؤكدًا، وإذا صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط « الهمزة » من الكلام تاركة حركة وراءها، فالذى نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة « الهمزة » من فتحة أو ضمة أو كسرة، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين، والذى يؤيد ما ذهبنا إليه بشأن نطق « الهمزة » بين بين، أن مثل هذه القراءة لا تكون إلا حين تحرك « الهمزة » بحركة ما، أما « الهمزة » المشكلة بالسكون فلا تقرأ بين بين، على أن من القراء من يجعلون تلك الحركة التي خلفتها « الهمزة » بعد سقوطها من النطق حركة مهموسة فنسمع حينئذ كما لو أنها نوع من « الهاء » ففي قراءة قوله تعالى: ﴿ءاعجمى﴾ قراءة بين بين للهمزة الثانية، تسمع العبارة كأنما هي: « أهعجمي »، انظر الأصوات اللغوية ٩٠/ ٩١.

قلت: إن من قال: إن التسهيل بين « الهمزة » و « الهاء » فقد أخطأ؛ لأنه لم يرو عن أحد من القراء المعتبرين أن التسهيل بين « الهمزة » و « الهاء »، لذلك قال عنها الداني: إنها لم ترد عن أحد، وقد بين الإمام الشاطبي كيفية التسهيل بقوله:

..... **والمسهل بين ما هو الهمز والحرف الذي منه أشكلا**

مخرج « الألف »، فلا هي « همزة » خالصة، ولا هي « ألف » خالصة، بل مترددة بين « الهمزة » و « الألف »، ومثالها في القرآن الكريم في رواية حفص عن عاصم كلمة: « ءأعجمي » [فصلت: ٤٤].

أشار الشاطبي إلى التسهيل بقوله:

وتسهيل أخرى همزتين بكلمة ....[1]

والتسهيل عند القراء بين « الهمزة » وحركة « الهمزة » نفسها، وهو المسمى بين بين، فإذا كانت حركة « الهمزة » فتحة سهلت بين « الهمزة » و « الألف »، كما في نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، ﴿ءألد﴾ [هود: ٢٧]، ﴿ءأسلمتم﴾ [آل عمران: ٢٠]، وإذا كانت ضمة سهلت بينها وبين « الواو »، كما في نحو قوله تعالى: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عِمرَان: ١٥]، ﴿أءلقى﴾ [القمر: ٢٥]، وإذا كانت « ياء » سهلت بينها وبين « الياء »، كما في نحو قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُم﴾ [يس: ١٩]، هذا عند القراء الذين أخذوا بالتسهيل، أما عند حفص فلم يسهل سوى « الهمزة » فقط في موضع واحد، وهو الذي في سورة فصلت في قوله تعالى: ﴿ءَاْعۡجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فُصّلَت: ٤٤] .

٢- « **الألف** » **الممالة**: ضابطها: هي التي تنطق بين « الألف » و « الياء »، فلا هي « ألف » خالصة، ولا « ياء » خالصة، وخير مثال عليها في القرآن

= فمعنى قول الشاطبي هو: أن تسهيل « الهمزة » يكون بينها وبين حركتها هي؛ لذلك قال: والحرف الذي منه أشكلا، فإذا كانت الحركة فتحة يكون التسهيل بينها وبين « الألف »، وإذا كانت ضمة تكون بينها وبين « الواو »، وإذا كانت كسرة تكون بينها وبين « الياء » كما بينا، انظر متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ص١٨ .

(١) انظر متن الشاطبية ص١٥ .

الكريم في رواية حفص عن عاصم كلمة: ﴿مجراها﴾ من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

وإلى ذلك أشار الشاطبي بقوله:

وما بعد راء شاع حكمًا وحفصهم يوالى بمجراها وفى هود أنزلا[(١)]

٣- « **الصاد** » **المشمة رائحة** أو صوت « الزاي »: ضابطها: هي « الصاد » التي خالط صوتها صوت « الزاي »، في نحو قوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ونحوها، ونطقها هكذا يتعلق بالقراءات كرواية خلف عن حمزة ومن وافقه؛ أما رواية حفص عن عاصم فلم يرد فيها هذا النوع من الإشمام.

قال الإمام الشاطبي:

بحيث أتى والصاد زايًا أشمها لدى خلف واشمم لخلاد الاولا[(٢)]

٤- « **الياء** » المشمة صوت « الواو »، كما في نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾ [هود: ٤٤]، ﴿وَغِيضَ﴾ [هود: ٤٤]، و ﴿سيءَ﴾ [هود: ١١]، و ﴿سيئت﴾ [الإنسان: ٧٧].

وحدها: هو أن نشم « الياء » صوت « الواو »، و « الياء » المشمة صوت « الواو » اختصت بقراءة الكسائي ورواية هشام عن ابن عامر، ولم ترد في رواية حفص عن عاصم.

قال عنها الإمام الشاطبي:

وقيل وغيض ثم جئ يشمها لدى كسرها ضمًا رجال لتكملا[(٣)]

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٥ .

(٢) انظر متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ص٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ص٣٦ باب فرش الحروف - سورة البقرة

إلا أننا نرى أن « النون » الخفيفة التي يقصد بها أنها المخفاة، تعتبر صورة صوتية من صور « النون »؛ لأن اللّسان يتجافى عن اتصاله بموضع « النون » في اللثة، وضابط الإخفاء أن الحرف يخفى عند الحرف الذي يليه؛ لذلك عدها علماء الأصوات من الصور الصوتية، ومن هذا القبيل أدخلت في الحروف الفرعية، ولولا ذلك ما كانت لتدخل عندنا ضمن الحروف الفرعية، وعلى العموم فنحن نعتبرها من الحروف الفرعية في حالة الإخفاء عند « القاف » و « الكاف » فقط، لظهور جزء كبير من « النون » عند أقصى اللسان، كأن « النون » شمت صوت « الكاف » أو « القاف »، مع ملاحظة أن صوت « النون » يظهر عند مخرج كل من « القاف » و « الكاف » بالتصاق أقصى اللسان بسقف الحنك عند نطق « النون » عند مجاورتها لكل منهما.

هذا وقد وزع سيبويه[١] حروف الهجاء على مدارجها مرتبة ترتيبًا صوتيًا حسب المخرج، كالآتي[٢]: « همز، هاء، ألف[٣] »- « عين، حاء »- « غين،

---

(١) قال الدكتور كمال بشر: « يظهر أن توفيق سيبويه في هذا الترتيب قد نتج عن تقسيم المجموعات الإدغامية، فكل مجموعة متجانسة، أو متقاربة في المخرج تتبادل فيما بينها التأثير والتأثر، وهو في هذا الترتيب متساو مع منطق الموضوع الذى يعالجه، ولسوف يزداد تقديرنا لوجهة نظره حين نتعرض لمقاييسه التي وضعها.

(٢) عدد المخارج عند سيبويه ستة عشر مخرجا، على اعتبار الخيشوم مخرجًا، وخمسة عشر مخرجا على أساس عدم اعتباره مخرجًا، وهو ما نميل إليه.

(٣) قال مكى: « اعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة: « الفم، والحلق، والشفتان، فأما الحروف التي تخرج من الحلق فستة: الهمزة، والهاء، والخاء، والعين، والحاء، والغين وقد زاد قوم الألف، ومسالك خروجها من الحلق على ترتيبها في الخط الذى مثلنا، وعطفنا بعضها على بعض، وأما حروف الفم فقد تتشارك في المخرج، وهى ثمانية عشر حرفا، انظر الكشف عن وجوه القراءات، لمكى بن أبى طالب ١/ ١٣٩ .

خاء »- « قاف »- « كاف »- « جيم، شين، ياء »- « ضاد »- « لام »- « نون »- « راء »- « طاء، تاء، دال »- « صاد، سين، زاي »- « ظاء، ذال، ثاء »- « فاء »- « باء، ميم، واو »- والغنة ومخرجها الخيشوم(١)، فمخارج الحروف عند سيبويه ستة عشر مخرجا تنحصر في أربعة مواضع(٢) هي: الحلق، واللسان، والشفاه، الخيشوم.

قال الإمام الشاطبي:

ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه   وحرفان منها أول الحلق جملا(٣)

قد يفهم أن أصحاب هذا المذهب أسقطوا مخرج الجوف، ووزعوا أحرفه على الحلق، واللسان، والشفتين.

قلت: إن الذين نقلوا ذلك عن سيبويه قد حملوا كلامه أمرًا لم يقصده حين ذكر « الألف » بعد « الهمزة »، فربما أراد بكلمة « الألف » تفسير المقصود من كلمة الهمزة، التى - فيما يبدو - كانت مصطلحا صوتيا غير مألوف في عصره، أو حديث العهد بالدارسين، فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة، وهو كلمة الألف، وذلك لأن الهمز في المعنى المعجمى له معان، يقول الفيروزبادي في المحيط: « الهمز » هو الغمز، والضغط، والنخس،

(١) انظر اللآلئ السنية ص٢٩ .

(٢) قال د. أحمد مختار عمر: « يمكن القول: إن العلماء الذين أسقطوا مخرج الجوف أسقطوه على أنه مخرج صوائت، وليس مخرج صوامت، وقد تمكن علماؤنا القدامى من حصر مخارج الحروف في ستة عشر مخرجًا أو سبعة عشر، إذ أسقط كثير من النحاة والقراء مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين»، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩١ .

والدفع والضرب، والعض، « ولم يكن المعنى الاصطلاحى شائعا، أو مألوفا بين الناس، بدليل تلك الرواية التي يقال فيها: إن أحد اللغويين سأل رجلًا من قريش « أتهمز الفأرة »، فلم يفهم الرجل، وأجاب بسخرية « إنما يهمزها القط »، (ولم يرد اللغوى سوى التأكد من تلك الظاهرة المنسوبة للهجة قريش من تسهيل « الهمزة »، فيسأل عما إذا كان هذا القرشي يحقق « الهمزة » في نطقه، أي ينطق بها دون تسهيل، ولعل مما يستأنس به لهذا التوجيه أن سيبويه ومن جاءوا بعده كانوا يذكرون في موضع آخر نوعًا ثانيًا من « الألف » يسمونه بـ « ألف » المد، وعلى كل حال نرى سيبويه وغيره يتحدثون عن حروف المد وجهرها، كـ « ألف » المد، و « ياء » المد، و « واو » المد فيعتبرونها حروف لين ومد، ويصفونها في كتبهم وصفا يشبه وصف المحدثين من علماء الأصوات فيتحدث عنها ابن جني بقوله: الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: « الألف »، ثم « الياء »، ثم « الواو »، وأوسعها وألينها « الألف ».

قال الدكتور إبراهيم أنيس: « وبمقتضى هذا ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق أن نذكر « الهمزة » و « الألف » معًا، بل كان الواجب الاكتفاء بكلمة « الهمزة » التي هي رمز للصوت، لا سيما ونحن في مجال شرح الأصوات وتحديدها »[١].

قلت: إن سيبويه قصد بذلك أن « الهمزة » حلقية ولم تعتبر « الألف » من وجهة نظرنا حلقية عند سيبويه؛ لأنه تكلم عن سماتها بمعزل عن الصحاح.

وإليك ترتيب الحروف ترتيبات صوتيا عند سيبويه، الجدول التالى يوضح عدد الحروف الهجائية موزعة على مخارجها عنده.

---

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس.

الموضع	عدد المخارج	عدد الحروف
الحلق	خاص بثلاثة مخارج	خاص بأحرف الحلق وعددها سبعة أحرف:
		- أقصى الحلق: الألف - الهمزة - الهاء
		- وسط الحلق: العين والحاء.
		- أدنى الحلق: الغين والخاء.
اللسان	خاص بعشرة مخارج	خاص بثمانية عشر حرفًا وهي بالترتيب
	أقصى اللسان فوق	القاف
	أسفل أقصى اللسان	الكاف
	شجرية	الجيم - الشين - الياء
	حافة اللسان مع الأضراس	الضاد
	أدنى حافة اللسان لمنتهاها	اللام
	طرف اللسان مع اللثة	النون
	رأس طرف اللسان	الراء
	نطع الفم	الطاء - التاء - الدال
	أسلة اللسان	الصاد - السين - الزاي
	من بين الأسنان وطرف اللسان	الظاء - الذال - الثاء
الشفتان	عبارة عن مخرجين	
	بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا	الفاء
	انطباق الشفتين	الباء - الميم - الواو
الخيشوم		الغنة

ثالثا: مذهب الفراء

هذا المذهب هو مذهب الفراء والجرمي وقطرب، وابن كيسان ومن تابعهم من أهل العلم، وعدد الحروف الهجائية عندهم تسعة وعشرون حرفًا كالمذهب السابق، موزعة على أربعة مواضع عامة، هي: الحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم، وقسموا المخارج العامة إلى أربعة عشر مخرجًا خاصًا، وحروف الهجاء عند أصحاب هذا المذهب موزعة على مخارجها الأربعة عشر[١]، وهي كالتالي: الألف،ء، هـ- «ع، ح» - «غ، خ» - «ق» - «ك» - «ج ش ى» - «ض»- «ل، ن، ر» - «ط ت د» - «ص س ز» - «ظ ذ ث» - «ف»- «ب م و»- الغنة ومخرجها الخيشوم[٢].

الملاحظ أن أصحاب هذا المذهب أسقطوا مخرج الجوف كالمذهب السابق، ووزعوا أحرفه، فضموا «الألف» إلى أقصى الحلق مع كل من «الهمزة» و «الهاء»، وضموا «الياء» إلى حروف وسط اللسان، و «الواو» إلى حروف الشفاه، وجعلوا الشفاه مخرجين كالمذهب السابق، وقسموا مخرج الحلق كذلك إلى ثلاثة مخارج مثل أصحاب المذهب السابق، لكنهم اختلفوا عن المذهب السابق في أنهم جعلوا «النون»، و «الراء»، و «اللام» مخرجًا واحدًا بدلًا من ثلاثةِ مخارج[٣]، وبذلك نجد أن اللسان أصبح ثمانية

---

(١) انظر هداية القارئ ص٥٥ .

(٢) انظر اللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٢٩ .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩ .

مخارج عند أصحاب هذا المذهب، بدلًا من عشرة مخارج، مخالفين بذلك أصحاب المذهب السابق[١].

وقد أشار الإمام الشاطبي إلى جعلهم « النون » و « الراء » و « اللام » مخرجًا واحدًا بقوله:

ومن طرفهن الثلاث لقطرب ويحيى مع الجرمي معناه قولا[٢]

والجدول التالي يوضح عدد الحروف الهجائية موزعة على مخارجها عند الفراء.

---

(١) قال مكي في « الرعاية » في باب الاختلاف في المخارج: « اعلم أن سيبويه وأكثر النحويين يقولون: « إن للحروف ستة عشر مخرجًا، للحلق منها ثلاثة مخارج، وللفم ثلاثة عشر مخرجا » وخالفهم الجرمي ومن تابعه فقال: « للحروف أربعة عشر مخرجًا، للحلق ثلاثة مخارج، وللفم أحد عشر مخرجًا، وذلك أنه جعل « اللام »، و « النون »، و « الراء » من مخرج واحد، وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة »، قال ابن كيسان محتجًا لسيبويه: « النون » أدخل في اللسان من « الراء »، وفي « الراء » تكرير ليس في « النون »، وارتعاد طرف اللسان بـ « الراء » لتكريرها مخالف لمخرج « النون »، فهما مخرجان متقاربان »، و « اللام » مائلة إلى حافة اللسان عن موضع « النون »، تنحرف عن الضاحك والناب والرباعية حتى تخالط الثنايا، فهذا مخرج ثالث ».

(٢) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

الموضع	عدد المخارج	عدد الحروف
الحلق	خاص بثلاثة مخارج	خاص بأحرف الحلق وعددها سبعة أحرف:
		- أقصى الحلق: الألف - الهمزة - الهاء
		- وسط الحلق: العين والحاء.
		- أدنى الحلق: الغين والخاء.
اللسان	خاص بعشرة مخارج	خاص بثمانية عشر حرفًا وهي بالترتيب
	أقصى اللسان فوق	القاف
	أسفل أقصى اللسان	الكاف
	شجرية	الجيم - الشين - الياء
	حافة اللسان مع الأضراس	الضاد
	طرف اللسان ذلقية	اللام - النون - الراء
	نطع الفم	الطاء - التاء - الدال
	أسلة اللسان	الصاد - السين - الزاي
	طرف اللسان من بين الثنايا العليا والسفلى	ظ - ذ - ث
الشفتان	عبارة عن مخرجين	
	بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا	الفاء
	انطباق الشفتين	الباء - الميم - الواو
الخيشوم	مخرج واحد	الغنة

رابعًا: مذهب علماء الأصوات المحدثين

حدد علماء الأصوات المحدثون مخارج الأصوات اللغوية بعدد من المخارج وقسموا الأصوات اللغوية إلى حروف وحركات، «وأطلقوا على الحروف: «الصوامت»[١]، ويقصدون بها «الحروف الصحاح»- التي لها مخارج محققه.

والحركات[٢] أطلقوا عليها «صوائت»[٣]، وقسموا الصوائت[٤] إلى

---

(١) انظر علم الأصوات ص١٥٢ .

(٢) قال ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث فالفتحة بعض «الألف»، والكسرة بعض «الياء»، والضمة بعض «الواو»، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة «الألف» الصغيرة، والكسرة «الياء» الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، مع ملاحظة أن الحركات تنقسم إلى حركات أصلية، وحركات فرعية، فالحركات الأصلية «الفتحة والضمة والكسرة، أما الحركات الفرعية وهى الحركات التي جمعت تحت باب الإمالة» كالفتحة المشوبة بالكسرة. . إلخ»، انظر الأصوات العربية ١٤٧ .

(٣) مصطلح الصوائت جمع ومفرده صائت، من صات وصوت، وأطلق مصطلح الصوائت في الدراسات الصوتية الحديثة على حروف المد والحركات، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص٨١ .

(٤) الأساس الذى بنى عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين «حروف المد» أساسًا صوتيًا، وهو نسبة وضوح الصوت في السمع، مع ملاحظة أن كل أصوات اللين لم تكن ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، بل منها الأوضح، فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة، كما أن الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة، بل منها الأوضح أيضًا، فالأصوات المجهورة أوضح في السمع من الأصوات المهموسة، والوضوح السمعي الطبيعى لا المكتسب هو الذى بنيت عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين، ومن النتائج التي حققها المحدثون، أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحًا، وأقربها إلى أصوات اللين؛ ولذا يميل بعضهم إلى =

قسمين: « طويلة »، ويعنون بها حروف « المد » الثلاثة، وهي « الألف » و « الواو » و « الياء »[١]، و « قصيرة » ويعنون بها « الفتحة، والضمة، والكسرة »، وجعلوا لها مخرج الجوف، وهو مخرج مقدر.

والحركة « الصائت »: « صوت يتميز بأنه الصوت المجهور الذى يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرّا طليقًا خلال الحلق والفم دون أن يقف فى طريقه أي عائق، أو حائل، ودون أن يُضَيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا، وكل صوت لا ينطبق عليه هذا التعريف فهو صوت صامت[٢].

والصوت الصامت هو: الصوت المجهور أو المهموس الذى يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملاً، كما في نطق: « الدال »، « التاء »، « القاف »، « الباء »، أو كان الاعتراض جزئيًا

= تسميتها أشباه أصوات اللين، وأساس هذا التقسيم مرجعه إلى كيفية مرور النفس في المجرى، فكأن المجرى ينقسم إلى مناطق متميزة، والفرق بينها لا يعدو أن يكون فرقًا في درجة الاتساع؛ فمنطقة ينحبس عندها النفس، وهي منطقة الأصوات الشديدة، وأخرى يضيق فيها المخرج ضيقًا تختلف نسبته، فهناك الضيق وهناك الأضيق، ويكون هذا مع الأصوات الرخوة، فإذا اتسع المجرى، وخرج عن النسبة المعينة لهذه الأصوات الرخوة دخلنا إلى منطقة أصوات اللين، التي تبدأ بالأصوات المتوسطة، وتنتهى بالفتحة و « الألف »، ومعهما يكون المجرى أوسع ما يكون »، انظر دروس في علم أصوات العربية ص٣٦، والأصوات اللغوية ص٢٠٧ .

(١) الصوائت الطويلة: يسميها القدامى « حروف المد » وهي « الألف » و « الواو » و « الياء »، والصوائت القصيرة قد اعتبرها القدامى أبعاض حروف المد - « الألف » و « الواو » و « الياء »، وقد سمى النحاة كلا منها حرفًا صغيرًا ينتسب إلى حروف المد، وقد ساق ابن جني أدلة كثيرة تؤيد أن الحركات أبعاض حرف المد، انظر المرجع السابق ٩٢/ ٩٣ .

(٢) انظر الأصوات العربية.

من شأنه أن يسمح بمرور الهواء، ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع في نحو: « الذال »، « الثاء »، « السين »[١].

ويدخل في الأصوات الصامتة تلك الأصوات التى يمر الهواء أثناء النطق بها من الفم، وإنما يمر من الأنف كـ« النون » و« الميم »، وكذلك الأصوات التى ينحرف هواؤها فلا يخرج من وسط الفم، وإنما يخرج من جانبيه أو أحدهما كـ« اللام » إلخ[٢].

ومن الجدير بالذكر أن بعض العلماء المحدثين قد عاب على علماء اللغة العربية القدامى أنهم لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها، وأنهم عدوها أشياء عارضة تعرض للأصوات الصامتة فهي تبع لها، وليست مستقلة مثلها، وقال: إن أصول الكلمات عندهم مكونة من الأصوات الصامتة، وهذه الأصوات هى الأساس، أما الحركات فهي أصوات من شأنها أن تعدل الصيغة أو الوزن فقط[٣].

ولكن من الملاحظ أن علماء العربية في القديم قد أولوا حروف المد عناية أكبر وأعمق مما فعلوه مع الفتحة والكسرة والضمة؛ ربما لأن حروف المد لها رموز كتابية[٤]، وهي بذلك تكون جزءًا من جسم الكلمة، عكس الحركات

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية ص٨٨ بتصرف، وعلم الأصوات ص٦٤ .

(٢) انظر علم الأصوت د. بشر، والأصوات اللغوية د. أنيس.

(٣) الأصوات العربية- د. كمال بشر ص١٤٧ .

(٤) قال د. إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية: « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات، ومع أنها أكثر شيوعًا فيها لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية، فقد كانت الإشارة إليها دائمًا سطحية، لا على أنها من بنية الكلمات بل كعرض يعرض لها، ولعل الذى دعا إلى هذا أن الكتابة العربية منذ القدم عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمزت لها برموز، ثم جاء =

القصيرة فلم تكن من جسم الكلمة، وليس لها صورة في أى بنية[١]، بالرغم من أنها تقوم بتعديل الصيغ.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن هؤلاء العرب قد أدركوا معنى هذه الأصوات التى سموها بالحركات، كما كانوا على علم بالفرق بينها وبين الأصوات الصامتة في النطق والصفات، وكذلك أدركوا أن هناك حركات قصيرة وأخرى طويلة، وعبروا عن الفرق بين القصر والطول في عبارات دقيقة دلَّتْ على عمق التذوق[٢].

= عهد عليها أحس الكتّاب فيه بأهمية أصوات اللين الطويلة، كـ« الواو » و« الياء » الممدودتين فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة، وظلت الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية، فالكتابة التي ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية، صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين فلم يرمز لها برمز في صلب الكلمات »، انظر الأصوات اللغوية ص.٣٧

وقال كانتنيو: « لم يكن في الخط العربي في أول عهده في القرن الأول للهجرة أية طريقة لرسم الحركات القصيرة، ولم يكن يرسم فيه رسم مناسب ألا حركتان طويلتان هما الضمة الطويلة، والكسرة الطويلة « وأما الفتحة الطويلة فلم تكن ترسم إلا في آخر الكلمات »، ولم يهتموا برسم الحركات القصيرة إلا في القرن الثامن المسيحي عندما أرادوا ضبط قراءة القرآن، وإثباتها إثباتا نهائيًا، فافترضوا علامات رسم الحركات القصيرة »، انظر دروس في علم أصوات العربية ص١٧٢/ ١٧٣ .

(١) انظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٩ .

(٢) نستخلص عدة نتائج في التفرقة بين الحروف والحركات وهي: ١- الحركات كلها مجهورة في الكلام العادي، ٢- كل صوت حصل له اعتراض تام في مجرى الهواء حال النطق به فهو صامت، ٣- كل صوت حصل له اعتراض جزئي في مجرى هوائه محدثا احتكاكا من أي نوع حال النطق به يعد صوتًا صامتًا أيضًا، ٤- كل صوت ينحرف هواؤه فيخرج من جانبي الفم أو أحدهما صوت صامت كـ« اللام »، وعلى ذلك فـ« الهمزة » العربية صوت صامت، ولا تعد من الحركات؛ لأنه يحدث في نطقها أن يقابل الهواء باعتراض تام في الممر الصوتي »، انظر الأصوات العربية ص٧٣ وما بعدها.

هذا وقد وزع علماء الأصوات المحدثون الحروف الصحاح على مدارجها في الجهاز النطقى مرتبة ترتيبًا صوتيًا، وقسموا الممر الصوتي إلى أحد عشر مخرجًا، موزعين عليه الحروف الصحاح، وهي: الهمزة، والهاء، العين والحاء، القاف، الخاء، والغين، والكاف، والواو، الياء، الجيم، والشين، الراء، والزاي، والسين، والصاد، التاء، والدال، والضاد، والطاء، واللام، والنون، الثاء، والذال، والظاء، الفاء، الباء، والميم، « الواو »[١].

من الملاحظ أن أصحاب هذا المذهب اعتدوا بمخرج الجوف، وخصوه بحروف المد، كجمهور أهل العلم ومن تابعهم كابن الجزري، وأكثر النحاة، ولكنهم أطلقوا عليه الفراغ الفموي وهو مخرج « الصوائت »، أي: الحركات القصيرة والطويلة[٢]، وتكلموا عنه بمعزل عن الصحاح.

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن المخارج العامة عند علماء الأصوات خمسة مخارج عامة بإضافة الحنجرة كمخرج لكل من « الهمزة » و « الهاء ».

والمخارج الخاصة عندهم أحد عشر مخرجًا للصحاح، وبإضافة مخرج الجوف إليها وهو مخرج الصوائت، أي: حروف المد-، فتكون عدد

---

(١) أطلق علماء الأصوات على « الهمزة » و « الهاء »: أصواتا « حنجرية »، و « العين » و « الحاء »: « حلقية »، والقاف: « لهوية »، و « الخاء » و « الغين » و « الكاف » و « الواو »: « حنكية قصية »، و « الياء »: « وسط اللسان »، و « الجيم » و « الشين »: أصواتًا « لثوية حنكية »، و « الراء » و « الزاى » و « السين » و « الصاد »: أصواتا « لثوية »، و « التاء » و « الدال » و « الضاد » و « الطاء » و « اللام » و « النون »: أصواتا « أسنانية لثوية »، « الثاء » و « الذال » و « الظاء »: أصواتًا « أسنانية أو أصوات ما بين الأسنان »، « الفاء »: « أسنانية شفوية »، « الباء » و « الميم » « الواو »: « شفوية ». انظر « علم الأصوات » د. كمال بشر.

(٢) انظر علم الأصوات د. كمال بشر.

المخارج الخاصة عندهم اثنى عشر مخرجًا، مع ملاحظة عدم اعتدادهم بالخيشوم كمخرج للحروف؛ لأنه مخرج لصفة الغنة، وعلى ذلك يكون ترتيب المخارج العامة عندهم كالآتي: الفراغ الفموي «الجوف» وهو خاص بالحركات القصيرة والطويلة، و«الحنجرة، والحلق، واللسان، والشفتان» وهي خاصة بالصحاح.

وعدد الأصوات التي تخرج من هذه المخارج أربعة وثلاثون صوتًا، ثمانية وعشرون صامتًا «صحاح»، وستة «صوامت» حركات»، ثلاثة قصار: الفتحة، والضمة، والكسرة، وثلاثة طوال وهي: أحرف المد الثلاثة[1].

والجدول التالي يوضح المخارج على رأي علماء الأصوات.

---

(١) انظر هامش جهد المقل ص٢٥ .

الموضع	عدد المخارج	عدد الحروف
الفراغ الفموي	مخرج واحد فقط	خاص بالحركات القصيرة والطويلة، وهي: حروف المد الثلاثة، والحركات الثلاثة
الحنجرة	مخرج واحد فقط	الهمزة - الهاء
الحلق	مخرج واحد	العين والحاء
اللسان	لهوية أقصى اللسان فوق	القاف
	مخرج حنكية قصية	الغينن والخاء، والكاف، والواو
	مخرج وسط اللسان	الياء
	مخرج لثوية حنكية	الجيم، والشين
	مخرج الحروف اللثوية	الراء، والصاد، والسين، والزاي
	مخرج اللثوية الأسنانية	والتاء، والدال، والضاد، والطاء،
	مخرج ما بين الأسنان	واللام، والنون، الظاء، الذال، الثاء
الشفتان	مخرج أسنانية شفوية	الفاء
	مخرج شفوية	الباء، الميم، الواو[1]

(١) لاحظ أن «الواو» عند علماء الأصوات المحدثين لها موضعان، موضع ذكرت فيه عند أقصى الحنك، وأطلقوا عليها: حنكية قصية مع كل من «الكاف»، و«الغين»، و«الخاء»، وموضع عند الشفاة، وعلة ذلك عندهم أن أقصى اللسان يعمل عند خروجها وكذلك الشفاة.

خامسا: مذهب جمهور أهل العلم

نقصد بمذهب جمهور أهل العلم، كل العلماء الذين ذهبوا في ترتيب المخارج وعددها إلى ما ذهب إليه ابن الجزري، وسائر علماء الأداء، والنحاة فيما عدا الخليل بن أحمد؛ فإن مذهبه كما بينا يخالف الجمهور، وعدد حروف الهجاء عند أصحاب هذا المذهب تسعة وعشرون حرفًا[١]، موزعة على خمسة مخارج عامة تشمل سبعة عشر مخرجًا خاصًا[٢].

قال ابن الجزري:

مخارج الحروف سبعة عشر   على الذي يختاره من اختبر[٣]

والمخارج العامة عندهم، هي: الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم.

وقد فرق أصحاب هذا المذهب بين الحروف الصحاح والعلل - المد -، وجعلوا الجوف مخرج حروف المد الثلاثة «الألف» و«الواو» و«الياء»، وهو مخرج مقدر - كما ذكرنا آنفًا.

---

(١) وفى نهاية القول المفيد ص٣٤ نقلا عن الإمام الطيبي قال:

وعدة الحروف للهجاء   تسع وعشرون بلا امتراء
أولها الهمزة لكن سميت   بألف مجازا إذ قد صورت
بها في الابتداء حتما وهى في   سواه بالواو ويا وألف
ودون صورة فما للهمزة ما   مر لتخفيف إليه علما

(٢) انظر هداية القارئ ص٥٦ .

(٣) انظر متن مقدمة الجزرية لابن الجزري - متن مطبوع بترتيبنا صغير الحجم.

لذلك قال ابن الجزري:

فألف الجوف وأختاها وهي   حروف مد للهواء تنتهي[(١)]

أما الحروف الصحاح فقد جعلوا لها مخارج: «الحلق، واللسان، والشفاه» فقط، ويخرج منها ثمانية وعشرون حرفًا، وهي الحروف التي لها مخرج محقق نستطيع تحديد مكانه وفصله عن غيره.

أما الخيشوم عند أصحاب هذا المذهب فهو مخرج الغنة على الراجح كما سوف نرى، قال ابن الجزري:

. . . .   وغنة مخرجها الخيشوم[(٢)]

وقال الشاطبي:

وغنة تنوين ونون وميم إن   كن ولا إظهار في الأنف يجتلى[(٣)]

وترتيب الحروف على رأي الجمهور وفق مخارجها على حسب الترتيب الصوتي هي: «الألف»، و«الواو والياء المديتين»- «ء، هـ»- «ع، ح»- «غ، خ»- «ق»- «ك»- «ج، ش، ى»- «ض»- «ل»- «ن»- «ر»- «ط، ت، د»- «ص، س، ز»- «ظ، ذ، ث»- «ف»- «ب، م، و»- الغنة ومخرجها الخيشوم.

والجدول التالي يوضح لنا حروف الهجاء موزعة على مخارجها العامة والخاصة وفق مذهب الجمهور:

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر متن مقدة الجزرية.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

الموضع	عدد المخارج	عدد الحروف
الجوف	مخرج واحد	حروف المد الثلاثة
الحلق	ثلاثة مخارج	- أقصى الحلق: الهمزة - الهاء
		- وسط الحق: العين والحاء
		- أدنى الحلق: الغين والخاء
اللسان	عشرة مخارج	خاص بثمانية عشر حرفًا وهي:
	أقصى اللسان فوق مما يلي الحلق	القاف
	مما يلي (أسفل) أقصى اللسان	الكاف
	وسط السان (الحروف الشجرية)	الجيم - الشين - الياء
	إحدى حافتي اللسان وما يحاذيها	
	من الأضراس	الضاد
	أدنى حافة اللسان مع اللثة	اللام
	رأس طرف اللسان مع اللثة	النون
	ظهر طرف اللسان من اللثة	الراء
	رأس اللسان مع أصول	
	الثنيتين العلويتين	الطاء - التاء - الدال
	أسلة اللسان	الصاد - السين - الزاي
	رأس اللسان وما بين طرفي الثنتيين	الظاء - الذال - الثاء
الشفتان	مخرجان	
	بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا	الفاء
	انطباق الشفتين	الباء - الميم - الواو
الخيشوم	مخرج واحد	الغنة(١)

(١) لاحظ أننا لم نوافق ابن الجزري في وضعه للغنة عنها ضمن مخارج الحروف؛ وكان من الأفضل أن يذكرها في الصفات لكي لا يظن البعض أنها حرفًا من حروف الهجاء.

هذه هي مذاهب أهل العلم الذين تحدثوا عن مخارج حروف الهجاء حسب ترتيبها الصوتي، وهذه بعض الملاحظات عليها:

الملاحظة الأولى: يتضح لنا مما سبق أن ثمة خلاف بين أهل العلم في تحديد مخارج الحروف، ولكن كثيرًا من نقاط الخلاف يمكن أن نغض الطرف عنها، وأن نهملها لشدة التقارب، والتداخل بين مخارج النطق، فليس هناك في الواقع حدودًا فاصلة فصلًا تامًا بين بعض هذه المخارج، ومن ثم كان من الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها باحث آخر إلى مخرج قريب منه، أو متصل به، ومتداخل معه، أو ربما يرجع الخلاف بيننا وبينه، أو بيننا وبين غيره إلى الملاحظة والخبرة الشخصية، فقد تنطق صوتًا ما من مخرج معين، وينطق شخص آخر هذا الصوت نفسه من موضع قريب منه، وذلك بسبب الاختلافات الفردية في الخبرة الصوتية، واللغوية بوجه عام بين المتكلمين[١].

أو أنه من المحتمل أن يكون قد حدث تطور من نوع ما للأصوات العربية من حيث مواضع نطقها منذ زمن ابن جني وغيره من القدامى إلى وقتنا الحاضر، فقد يفسر هذا التطور الخلاف بين القدامى والمحدثين[٢] أحيانا على أنه راجع إلى هذا السبب[٣].

---

(١) انظر الأصوات العربية.

(٢) أيد بعض المحدثين من علماء الأصوات كلام القدامى في عدد أصوات الحلق الستة فقال: « حدد هنا سيبويه ثلاثة مخارج، وعين أصوات كل مخرج، وتبعه في تحديده كل من تعرضوا لأصوات اللغة من العلماء الذين جاءوا بعده، فمن أقصى الحلق: « الهمزة و « الهاء »، ومن وسطه: « العين » و « الحاء »، ومن أدناه: « الغين » و « الخاء »، قال: « وتدل التجارب الحديثة على صحة كلام سيبويه في كل هذا »، انظر الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس ص١١٣ .

(٣) الواقع إنه ليس تطورًا وإنما هو عدم اعتناء بالنطق الصحيح الذي يعد نوعًا من الانحراف =

والمتتبع لتطور اللهجات يجد أن اللهجة العامية المصرية نفسها قد حدث فيها تطورات صوتية واضحة، إذا قيست بما يقابلها من أصوات اللغة الفصيحة في القديم والحديث، بل هي في رأينا نتاج التطور الصوتي.

الملاحظة الثانية: مذاهب جمهور أهل العلم في عدد مخارج الحروف تفوق المذاهب الثلاثة المذكورة في كتب التجويد والقراءات، باعتبار أن الخليل له مذهب مخالف لما نسب للجمهور في ترتيبهم للأصوات، مما يدعم كلامنا في أن نسبة كلام الجمهور للخليل في ترتيبهم للحروف وفق مخارجها حسب الترتيب الصوتي فيه نظر.

الملاحظة الثالثة: بما أن لعلماء الأصوات المحدثين ترتيبا لمخارج الحروف مرتبًا ترتيبًا صوتيًا مخالف لترتيب الحروف التي ذكرها جمهور أهل الأداء في المذاهب الأربعة المدونة في هذا الكتاب، جعلنا لهم مذهبا مستقلًا، خاصة إذا علمنا أن الفراء ومن وافقه لم يختلفوا عن مذهب سيبويه إلا في مخرج «النون» و «اللام» و «الراء»، ومع ذلك جعل لهم أهل العلم مذهبًا مستقلًا.

الملاحظة الرابعة: أرى من وجهة نظري أن ترتيب جمهور أهل العلم الذي اتبعه ابن الجزري، وهو المذهب الخامس في هذا الكتاب هو في الحقيقة ترتيب سيبويه في المذهب الثاني من مذاهب أهل العلم؛ إلا أنهما اختلفا في مخرج الجوف.

فالجمهور اعتدوا بالجوف كمخرج لحروف المد، في حين أن ما نسب لسيبويه أنه لم يعتد بمخرج الجوف، ووزع حروفه على بقية المخارج، فجعل

= الصوتي الذي لو ضبط ضبطًا صحيحًا بتعليم الطلاب النطق الدقيق للصوت من مخرجه الصحيح بصفته الصحيحة ما حدث هذا الانحراف عند البعض.

الياء المدية من وسط اللسان مع الياء اللينة والمتحركة، وجعل الواو المدية كذلك من الشفاه مع الواو اللينة والمتحركة، وقد وضحنا هذه المسألة.

الملاحظة الخامسة: اتفق كل من سيبويه والجمهور في عدد مخارج الحلق؛ ولكن اختلفا في عدد حروف أقصى الحلق فقد عدهما الجمهور حرفين وهما: « الهمزة » و« الهاء »، أما سيبويه فقد عدهما ثلاثة أحرف فيما فهم عنه، وهي « الهمزة »، و« الألف »، و« الهاء »، وعلماء الأصوات المحدثون جعلوا الحلق مخرجًا واحدًا فقط ولم يقسموه كما قسمه القدامى، ولكن الرأي الراجح مع جمهور أهل العلم وهذا ما أميل إليه.

الملاحظة السادسة: فيما عدا ما ذكر نجد أن مذهب الجمهور موافق لمذهب سيبويه في كل المخارج من مخرج وسط الحلق حتى مخرج الشفاه، مما يدعم قولنا: إنه ليس بين سيبويه والجمهور في ترتيبهم للمخارج أي خلاف آخر، بل نستطيع القول أيضًا: لولا الملاحظات السابقة لكان مذهب الجمهور هو مذهب سيبويه.

المذهب المختار لدينا:

قلت: وإذا أردنا أن ننتهج مذهبًا نتبعه من مذاهب أهل العلم السابق ذكرها في هذا الكتاب نجد أنه مذهب القدامى من أهل اللغة والأداء، وهو ما ذكره ابن الجزري؛ لأنه المذهب الذي تؤيده الملاحظة والتجربة، وهو الذي التزمه القراء؛ ولأن واضعوه كانوا قريبين من عهد النبوة؛ ولأن المحدثين من أهل اللغة في العموم يعالجون أي ظاهرة من الظواهر اللغوية بصفة عامة، وعند دراستهم للُغة يأخذون في اعتبارهم التطور الذي صاحب اللغة من مخالطة غير العرب والأمم الأخرى، بل يبحثون في اللهجات المختلفة في اللغة، ولم يقتصروا على لفظ القرآن فقط.

أما أهل الأداء فعند دراستهم لأي ظاهرة في القراءات القرآنية لم يتعدّوا الرواية المروية عن رسول الله ﷺ في لفظ القرآن الكريم، والمنقولة لنا كابرًا عن كابر بالرواية الصحيحة، ولم يغيروا في اللفظ المنقول عنه ﷺ، فهم بذلك من وجهة نظرنا أدق من غيرهم في نقل لفظ القرآن، وتحديد مخرج كل حرف من حروفه، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء العلماء كانوا أهل لغة، لذلك سوف يكون منهجنا عند تحديد مخرج كل حرف هو مذهب أهل الأداء، وجمهور أهل العلم القدامى، ومنهم ابن الجزري وبعض المحدثين، مع التنويه على الرأي المخالف.

وعليه؛ فالمخارج التي سوف نتناولها في هذا الكتاب هي: ستة عشر مخرجًا موزعة على أربعة مواضع عامة، وهي: الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، وهي على الترتيب التالي: ١- الجوف، ويخرج منه: « الألف » و « الواو » و « الياء المدية »، الحلق: وهو مقسم إلى ثلاثة مخارج خاصة وحروفه هو: ٢- « ء هـ » لأقصى الحلق، ٣- « ع ح » لوسط الحلق، ٤- « غ خ » لأدنى الحلق، ٥- « ق » لهوية من أقصى اللسان، ٦- « ك » لهوية تلي « القاف » من أسفل أقصى اللسان، ٧- « ج ش ى » وسط اللسان، ٨- « الضاد » من حافة اللسان الجانبية، ٩- « اللام » من الحافة الجانبية بطرف اللسان من بعد مخرج « الضاد » لمنتهى الحافة، ١٠- « النون » من طرف اللسان »، ١١- « الراء » من طرف اللسان عند رأسه، ١٢- « ط ت د » من طرف اللسان نطعية، ١٣- « ص س ز » من طرف اللسان « أسلية، ١٤- « ظ ذ ث » من طرف اللسان وبين الأسنان، ١٥- « ف » من بطن الشفة السفلى مع رأس الثنيتين العليين، ١٦- « ب م و » من الشفتين دون الأخذ في الاعتبار مخرج الخيشوم.

وإليك تفصيل المخارج الخاصة السابق ذكرها على مذهب الجمهور، على ما نراه، أشار ابن الجزري إلى مخارج الحروف بقوله:

مخارج الحروف سبعة عشر ... على الذي يختاره من اختبر
فألف الجوف وأختاها وهى ... حروف مد للهواء تنتهى
ثم لأقصى الحلق همزهاء ... ثم لوسطه فعين حاء
أدناه غين خاؤها والقاف ... أقصى اللسان فوق ثم الكاف
أسفل والوسط فجيم الشين يا ... والضاد من حافته إذ وليا
لاضراس من أيسر أو يمناها ... واللام أدناها لمنتهاها
والنون من طرفة تحت اجعلوا ... والرا يدانيه لظهر أدخلوا
والطاء والدال وتا منه ومن ... عليا الثنايا والصفير مستكن
منه ومن فوق الثنايا السفلى ... والظاء والذال وثا للعليا
من طرفيهما ومن بطن الشفة ... فالفا مع اطرف الثنايا المشرفة
للشفتين الواو باء ميم ... .[1]

والجدول التالي يوضح لك المذاهب الخمسة للعلماء في ترتيبهم للأصوات ترتيبًا صوتيًا حسب المخارج.

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية، باب مخارج الحروف.

المخرج	مخرجه عند الخليل بن أحمد	مخرجه عند سيبوه والشاطبي	مخرجه عند بن برى والفراء	مخرجه عند علماء الأصوات المحدثين	مخرجه عند جمهور أهل العلم
الجوف	الهمزة وحروف المد	لم يعتد به	لم يعتد به		حروف المد
الحنجرة	====	====	====	الهمزة والهاء	====
الحلق	ع ، ح ، هـ	الألف، ء ، هـ	الألف ، ء ، هـ	العين والحاء	همز هاء
أدنى الحلق	غ ، خ	ع ، ح	ع ، ؛		عين حاء
أقصى الحلق	ء	غ ، خ	غ ، خ		غين خاء
اللسان					
اللهاة -	القاف	القاف	القاف	القاف فقط	القاف
	والكاف	والكاف	والكاف		الكاف
حنكية قصية	====	====	====	خ، غ، ك، و	====
وسط اللسان	ج ، ش ، ض	ج ، ش ، ي	ج ، ش ، ي	الياء فقط	ج ، ش ، ي
الحافة	====	الضاد	الضاد	====	الضاد

أدنى الحافة	====	اللام		====	اللام
طرف اللسان	====	النون	====	====	النون
طرف رأس اللسان		الراء	====	====	الراء
طرف اللسان ذلقبية			ل ، ن ، ر	====	====
لثوية أسنانية		====		ت، د، ض، ط، ل، ن	====
طرف اللسان لثوية		====	====	ر ، ص، س ، ز	====
طرف اللسان نطعية		ط ، د ، ت	ط ، د ، ت	====	ط ، د ، ت
أسلة طرف اللسان		س ، ص ، ز	س ، ص ، ز	====	س ، ص ، ز
طرف لسان لثوية		ظ ، ذ ، ث	ظ ، ذ ، ث	====	ظ ، ذ ، ث
ما بين الأسنان				ظ ، ذ ، ث	====
أسلية	س ، ص ، ز	====	====		
نطعية	د ، ت ، ط				
لثوية	ذ ، ث ، ظ				
ذلقية	ل ، ن ، ر				
الشفاة					
أسناني شفوي	الفاء	الفاء	الفاء	الفاء	الفاء
ما بين الشفتين	ب ، و ، م	ب ، و ، م	ب ، و ، م	ب ، و ، م	ب ، و ، م
الخيشوم	الغنة	الغنة	الغنة	=====	الغنة

حول الجدول: هذا الجدول يبين لنا مخارج الحروف على المذاهب الخمسة المذكور تفصيلها في هذا البحث، وتم توزيعها على هذا الجدول فالعمود الأول من الجدول خصص لبيان المخارج على رأي المذاهب المذكورة وبمسمياتها، والعمود الثاني تم تخصيصه لمذهب الخليل بن أحمد، والعمود الثالث تم تخصيصه لمذهب سيبويه ومن تابعه، والعمود الرابع تم تخصيصه لمذهب الفراء وابن بري ومن تابعهما، والعمود الخامس تم تخصيصه لعلماء الأصوات المحدثين، والعمود السادس تم تخصيصه لمذهب الجمهور ومن تابعهم وهو مذهب ابن الجزري، وإليك الملاحظات على هذا الجدول:

الملاحظة الأولى: من الملاحظ أن مخرج الجوف اعتدت به كل المذاهب فيما عدا مذهب سيبويه وكذا الفراء وقد علقنا على هذا الكلام في معرض حديثنا عن كل مذهب، وقد اعتد بهذا المخرج علماء الأصوات المحدثون(١) لكنهم جعلوه مخرجًا للحركات الطويلة والقصيرة، وهي المقصودة بحروف المد عند القدامى.

الملاحظة الثانية: مخرج الحلق عند الجمهور مقسم إلى ثلاثة أقسام وعدد حروف ستة أحرف إلا أن علماء الأصوات المحدثون حددوا «العين» و«الحاء» فقط، وخصوهما بمخرج الحلق، وخصوا «الهمزة» و«الهاء» بالحلق فقط لأنهم أضافوا «الغين» و«الخاء» إلى أقصى اللسان وجعلوهما حنكيتين، أما سيبويه والفراء فقد ذكر عنهما أنهما أضافوا «الألف» المدية إلى مخرج الحلق وقد تكلمنا عن ذلك في معرض حديثنا عن المذاهب.

الملاحظة الثالثة: اختلفت ألقاب المخارج بين القدامى والمحدثين وكذلك نسبة بعض الحروف لمخرج معين دون الآخر فعلى سبيل المثال نلاحظ الآتي:

---

(١) وهو عندهم التجويف الفموي.

١- الحروف اللهوية عند كل المذاهب « القاف » و « الكاف » إلا أن مذهب علماء الأصوات المحدثين أطلقوا على « القاف » فقط لهوية.

٢- خالف مذهب علماء الأصوات المحدثين المذاهب الأخرى في إطلاقه على كل من « الكاف » و« الغين » و « الخاء » و « الواو » حنكية قصية في أن الكاف - أقصى اللسان - والعين والحاء حلقيتان والواو شفوية.

٣- اتفقت المذاهب على أن حروف وسط اللسان هي « الجيم » و « الشين » و « الياء » إلا أن الخليل وعلماء الأصوات المحدثين خالفوهم فالخليل جعل « الضاد » ضمن حروف وسط اللسان ولم يذكر مخرجًا لـ« الياء » اللينة أو المتحركة، وعلماء الأصوات جعلوا « الياء » فقط من وسط اللسان.

٤- اتفقت المذاهب في اعتبار الحافة مخرج « الضاد »، إلا أن الخليل كما بينا جعلها من وسط اللسان، وعلماء الأصوات جعلوها لثوية أسنانية مع كل من « التاء » و « الدال » و « الطاء »...... إلخ.

٥- اتفق سيبويه والجمهور في جعل « اللام » من طرف اللسان، و « النون » من طرف رأس اللسان، و « الراء » ذلقية من الطرف، لكن الخليل جعل مخرج « السين »، وكذا مخرج « الدال »، ومخرج « الذال » أسبق من « اللام » و « النون » و « الراء »، وهذا لا يشهد له الواقع العملي، أما علماء الأصوات فنلاحظ أنهم اختلفوا كثيرا في ترتيب حروف طرف اللسان فالواضح من الجدول السابق أنهم ضموا كلا من « التاء » و « الدال » و « الضاد » و « الطاء » و « اللام » و « النون » في مجموعة واحدة أطلقوا عليها لثوية أسنانية، وضموا « الراء » و « الصاد » و « السين » و « الزاي » في مجموعة أخرى أطلقوا عليها لسانية لثوية.

٦- اتفقت كل المذاهب على مخرجي الشفاه وحروفها.

٧- اتفقت كل المذاهب في تخصيص مخرج للغنة فيما عدا علماء الأصوات المحدثين لم يعتدوا بذكر مخرج الغنة ضمن حديثهم عن مخارج الحروف والأصوات.

٨- تم ترتيب اللام والنون والراء في خانة مذهب الخليل بن أحمد قبل «الطاء والدال والتاء» وهن كذلك قبل «السين والصاد والزاي» فلا يظن أن الخليل رتب هذه الحروف الترتيب المدون في جدوك المقارنة ولكن ترتيب الخليل لها عكس ما هو مدون بالجدول وبالرجوع إلىٰ مذهب الخليل سوف تجد انه جعل «السين والصاد والزاي» قبل «الطاء والدال والتاء» وجعلهما كذلك قبل «اللام والنون والراء» وهذا الترتيب مخالف للواقع ولم تشهد له الملاحظة العلمية.



الفصل الرابع

بيان حروف الهجاء موزعة على المخارج الخاصة

تحدثنا في الفصول السابقة عن الحروف وأقسامها وكذا المخارج وأقسامها وآراء أهل العلم في عددها وفي هذا الفصل نتحدث عن تفصيل حروف الهجاء موزعة على مخارجها مرتبة ترتيبًا صوتيًا على المذهب المختار، وهو مذهب الجمهور، وهي على الترتيب التالي:

١- مخرج الجوف:

أفرد علماء التجويد مخرج الجوف، وجعلوه خاصًا بحروف المد[١]، ويخرج منه الحركات الثلاثة: « الفتحة، والضمة، والكسرة »[٢]، أو ما تفرع عنها، وهي أحرف المد الثلاثة: « الألف »، و« الواو »، و« الياء ».

الجوف في اللغة هو: التجويف[٣]، وهو مخرج مقدر.

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢١

(٢) قلت: اعتبار الجوف مخرج « الفتحة والضمة والكسرة » على رأي علماء الأصوات المحدثين؛ لأنهم في دراستهم الصوتية ينظرون إلى الصوت وليس المنطوق إلى رمز الصوت المكتوب؛ أما علماء اللغة القدامى فاهتموا برمز الصوت المكتوب الذي هو أحد الحروف الهجائية.

(٣) ذكر بعض المؤلفين معنى الجوف بأنه الخلاء ونحن نميل إلى تسميته بالتجويف؛ لأن كلمة الخلاء تعبر عن مكان ليس به شئ، وهو ما لا يتوفر في الفم، لوجود اللسان والأسنان وهي من أعضاء النطق في الفم.

والجوف من كل شيء باطنه الذي يقبل الشغل والفراغ الوسيط « حوف » ج١ ص١٤٨

وفي الاصطلاح: هو التجويف الداخل في حلق الإنسان وفمه[(١)]، مع ملاحظة أنه عندنا يشمل الحنجرة؛ ولا ينظر إلى ما قبل الحنجرة؛ لأن الحنجرة هي منشأ الصوت، والحرف صوت معتمد على مخرج محقق أو مقدر، فلا ينظر إلى ما قبل تكوين الصوت.

شروط اعتبارها مدية:

اشترط العلماء أن تأتي حروف المد ساكنة وما قبلها مجانس، بمعنى أن الحركة قبل الحرف تكون من جنسه، فـ« الألف » يجانسها الفتحة، و« الياء » يجانسها الكسرة، و« الواو » يجانسها الضمة[(٢)].

والمعروف أن أحرف المد هي امتداد للحركات القصيرة، وهي متولدة منها، ولولا إطالة زمن الحركات ما كانت حروف المد ، فكل صوت من أصوات الحركات القصيرة يمكن أن يطول معه الزمن فيصير طويلًا، فإذا طال الزمن مع صوت الفتحة - على سبيل المثال - نتج عنه ما يسمى بـ« ألف » المد، وإذا طال مع الكسرة الخالصة نتج عنه ما يسمى بـ« ياء » المد، وإذا طال مع الضمة الخالصة نتج عنه ما يسمى بـ« واو » المد[(٣)]، ويطلق عليه في هذه

(١) قال المرعشي: « ومعناه: أن مبدأ أصوات هذه الحروف مبدأ الحلق، تمتد إلى آخر الفم من جهة الخارج، ولا مخرج لهن محقق تنتهي أصواتهن إليه، انظر جهد المقل ٤٨ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩ ، وهداية القارئ للشيخ المرصفي، واللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٣٠ .

(٣) ليس أمر الطول والقصر خاصا بالأصوات المتحركة وحدها، - نعنى بذلك- الحركات، بل إن الصوامت تطول وتقصر كذلك، وإن ما نعرفه باسم الحرف المشدد أو الصوت المضعف ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد؛ الأول ساكن والثانى متحرك كما يقول النحاة العرب، وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل يساوي زمنه زمن صوتين اثنين، وطول الحركة وقصرها ليس محددًا بزمن معين في أية لغة من اللغات، وإنما هو أمر نسبي مرهون =

الحالة الحركة الطويلة، وهذا الكلام يتضح لنا عند تقصير زمن الصوت لجزم أو التقاء ساكنين، ولو تغيرت حركة ما قبل «الياء» و «الواو» لتغيرت صفتهما من حروف مد «حركات» إلى حروف صحاح، أو أشباه صحاح، لذلك اصطلحوا في علم الأصوات على تسمية كل من الفتحة، والضمة، والكسرة، وحروف المد الثلاثة بالحركات، وفرقوا بينهما في الطول، بأن أطلقوا على كل من «الفتحة، والضمة، والكسرة» بالحركات القصيرة، وعلى حروف المد بالحركات الطويلة، وهذا هو الصحيح من وجهة نظرنا.

سبب تسميتها مدية:

سميت هذه الأحرف الثلاثة بأحرف المد؛ لامتداد الصوت بها على عكس الحروف الصحاح، وسميت جوفية نسبة إلى موضع خروجها وهو: الجوف[1]، ومخرجها مخرج مقدر ليس محققًا لعدم انتهاء صوت الحرف في نقطة معينة من نقاط الفم، بل هو امتداد للصوت وينتهي بانتهاء الهواء[2].

اختلاف العلماء في مخرج الجوف:

اختلف العلماء في تحديد مخرج الجوف، فمنهم من أدخل الصدر ضمن مخرج الجوف؛ لأنهما يشتملان عنده على الرئتين، وهما مصدر الهواء، فقال: «هو التجويف الداخل في جوف الإنسان وصدره».

= بسرعة الأداء وبطئه، ومن الطبيعي أن يقل طول الأصوات عندما تزداد سرعة الأداء، وأن تزيد طول الأصوات القصيرة عندما تقل، ومع ذلك لا بد من الاحتفاظ بالفرق بين الأصوات الطويلة والقصيرة مهما زادت السرعة أو قلت، وبهذا المعنى يمكن القول: إن طول الصوت أمر نسبي لا أمر مطلق؛ فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره في نفس اللغة، انظر أصوات اللغة ص ١٤٩ والمدخل إلى علم اللغة ٩٦/٩٩.

(١) انظر جهد المقل للمرعشي. (٢) انظر اللآلئ السنية ص٣٠.

ومع اعترافنا بأن منشأ الصوت هو الهواء؛ إلا أن العبرة بالصوت لا بالهواء عند دراسة مخارج الحروف؛ لأن الحرف صوت، فلا ينظر إلى ما قبل تكوين هذا الصوت عند تحديد مخرج الحرف.

فإذا كان مصدر الصوت هو الحنجرة كان تجويف الجوف هو ما يلي الحنجرة، وعلى ذلك يكون مخرج الجوف على الراجح عندنا - كما ذكرنا آنفا - هو التجويف الداخل في حلق الإنسان وفمه.

وأصل فكرة تخصيص مخرج مستقل لحروف المد، ترجع إلى ما ذكره الخليل بن أحمد من وصفه لهذه الحروف بأنها هوائية[١].

وكما اختلف العلماء في تحديد الجوف اختلفوا أيضًا في تحديد حروفه.

فالخليل بن أحمد- كما بينا سابقا- جعل حروف الجوف «حروف المد الثلاثة، بالإضافة إلى «الهمزة»[٢]، وأطلق عليها: جوفية هوائية ليس لها مدرج من مدارج الحلق، واللسان، والشفتين، إنما تنسب إلى الجوف

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٢١.

(٢) قال بعض الدارسين: «وضع «الهمزة» مع هذه الثلاثة - ويقصد بها حروف المد ونسبتها إلى الهواء - خطأ واضح، فـ«الهمزة» لها حيز محدد هو الحنجرة، فهي ليست هوائية بالمعنى الذي أراد»، أما البحث الحديث فيؤكد أن هذه الأصوات الستة تتوزع على ثلاثة مواضع مختلفة من جهات النطق، وإن كانت هذه المواضع يجاور بعضها البعض الآخر، فـ«الهمزة» و«الهاء» من الحنجرة، والحنجرة جزء من جهاز النطق سابق للحلق، و«العين» و«الحاء» من الحلق، وهو في موضع تال للحنجرة، و«الغين» و«الخاء» من أقصى الحنك، وهو يقع في منطقة تالية للحلق، ومعنى هذا أن الأصوات الحلقية صوتان فقط. هما: «العين» و«الحاء»، وأرجع هذا الاختلاف إلى احتمال خطأ العرب القدامى في الملاحظة، أو أنهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها نحن اليوم بالحلق، والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك على ضرب من التوسع والمجاز، وربما سوغ لهم هذا الصنيع ما رأوه من اشتراك هذه الأصوات الستة في بعض السمات الصوتية =

والهواء، وسميت عنده كذلك بالمعتلة لتغيرها من حال إلى حال، ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض.

ولكن الخليل حينما تحدث عن الهمزة بين مخرجها من أقصى الحلق ثم عاد وأوضح أن مخرجها مع أحرف المد وهنا نجد أن الخليل بن أحمد قد تكلم عن نوعين من الهمزة الهمزة، المحققة وبين مخرجها من أقصى الحلق والأخرى إذا رفه عنها أصبحت مع حروف المد وعلى كلٍ فنحن نعتبر أن الخليل قد بين أن الهمزة من أقصى الحلق.

قال ابن الجزري: «الصواب اختصاص حروف المد الثلاثة بالجوف دون «الهمزة»؛ لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف «الهمزة»[1].

= الصرفية، من هذه السمات وأشهرها أن هذه الأصوات تفضل حركة الفتح على الكسر والضم في بعض السياقات الصوتية، كما أنها تحرك بالفتح بدلًا من السكون إذا وقعت «عينا» في صيغ صرفية معينة، فيقال: «بَحَر» و«نَهَر» بفتح «الحاء» و«الهاء»، بدلًا من «نَهْر- وبَحْر» بسكونهما، ويؤيد هذا الاحتمال كذلك أنهم عادوا فقسموا الحلق إلى ثلاث مناطق جزئية، وإن كانت كلها لم تزل في حدود تلك المنطقة التي سموها الحلق، وأقصى الحلق عندهم يناظر الحنجرة في تقسيمنا، وأوسط الحلق يناظر الحلق بالمعنى الدقيق، وأدنى الحلق يقابل أقصى الحنك، وإذا ما قبل هذا الافتراض صح لهم ما صنعوا، وكانوا على صواب فيما فسروا، ولكن هذا التفسير- وهو إطلاق الحلق على ما يشمل الحنجرة والحلق وأقصى الحنك- كان يوجب على هؤلاء القوم أن يعدوا «القاف» من أصوات الحلق أيضًا، ذلك لأن «القاف»، كما ينطقها: اليوم تخرج من اللهاة، واللهاة كما هو معروف تقع في نهاية الحنك الأقصى، أي: إن «القاف» أسبق مخرجًا من «الغين» و«الخاء» وهي حينئذ واقعة في دائرة تلك المنطقة الواسعة التي أطلقوا عليها الحلق، فإذا ما عددنا «الغين» و«الخاء» حلقيتين كان علينا أن نعد «القاف» حلقية من باب أولى، انظر الأصوات العربية، وعلم الأصوات د كمال بشر: ص٢٨٨ وما بعدها، قال د. عبد الفتاح أبو الفتوح: كلامًا قريبًا من هذا، راجع دراسات في التجويد والأصوات ص٥٢.

(١) انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩.

أما سيبويه[(١)] فيما نسب له ومن وافقه من العلماء فإنهم ألغوا مخرج الجوف، ولم يعتدوا به، وقاموا بتوزيع أحرفه على الحلق، واللسان، والشفتين، فجعلوا « الألف » مع « الهمزة » و« الهاء » من أقصى الحلق، وجعلوا « الياء » من وسط اللسان مع كل من « الياء » اللينة والمتحركة، وجعلوا « الواو » من الشفاه مع كل من « الواو » اللينة والمتحركة[(٢)]، ووافقهم الإمام الشاطبي فيما ذهبوا إليه، وكذا ذهب ابن بري، والفراء، ومن وافقهم من أهل العلم.

قال الشاطبي:

ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه[(٣)]

أما علماء الأصوات المحدثون فقد جعلوا حروف المد، وكذا الحركات القصيرة: « الفتحة، والضمة، والكسرة من الصوائت، ولم يعتبروها من الصحاح، وحين تحدثوا عنها تحدثوا بمعزل عن الصحاح، وجعلوها جوفية هوائية »[(٤)].

---

(١) قال أحد الباحثين معتذرًا للقدماء: « يبدوا أن سيبويه قد استنتج ما قاله من فعل أستاذه الخليل بن أحمد، الذي نجده في معجم « العين » يضع « الهمزة » مع أحرف العلة « الواو » و« الألف » و« الياء »، ويبدو أن صعوبة تذوق كل من « الهمزة » و« الألف » على طريقة الخليل كانت السبب في خلط الخليل ومن تبعه بين الصوتين، وإذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة لـ« الهمزة » قد أظهرتها بصور متنوعة، وصوت غير مستقر لا يأخذ شكلًا معينًا محددًا، وصوت شبيه بالعلة في بعض السياقات، فكيف ننتظر من القدماء بوسائل ملاحظتهم البسيطة أن يصلوا إلى أوجه الصواب فيها؟ »، انظر دراسة الصوت اللغوي ص٣٤٥/ ٣٤٦.

(٢) انظر النشر ص١٩٨ .

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩١ .

(٤) علم الأصوات - د كمال بشر ص١٦٤ .

أما عند جمهور العلماء ومن وافقهم كابن الجزري فإن حروف الجوف عندهم هي: « الألف »، و« الياء »، و« الواو » المدية[١]، وهذا الرأي الذي نميل إليه؛ لأنها حروف يعتد بها في بنية الكلمة، وتؤدي إلى تغيير شكل الكلمة إذا دخلت عليها أو حذفت منها، كما في نحو قوله تعالى: ﴿قَتَلَ﴾ [النساء: ٩٢]، فلو أطلت حركة فتحة القاف لأصبحت « قاتل » فالمعنيان مختلفان ففي الأولى تحقق القتل والثانية فيها مجاهدة ومدافعة.

قال ابن الجزري مرجحًا مذهب الجمهور:

فألف الجوف وأختاها وهي حروف مد للهواء تنتهى[٢]

وقال صاحب السلسبيل الشافي[٣]:

فالجوف مخرج حروف المد عند الخليل ثابت في العد
والآخران[٤] الجوف أسقطاه وأخرجا الحروف من سواه

وقال صاحب لآلئ البيان[٥]:

وأحرف المد إلى الجوف انتمت وهكذا إلى الهواء نسبت

وبما أننا توصلنا إلى عدم التعارض بين رأي القدامى والمحدثين في بعض المصطلحات، التي وضحناها في فصل الصفات، نبين آلية نطق حروف الهجاء مستخدمين مصطلحات علماء الأصوات المحدثين.

---

(١) نهاية القول المفيد ص٣٨ .

(٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب مخارج الحروف.

(٣) نظم السلسبيل الشافي لفضيلة الشيخ عثمان بن سليمان ص٣٤ تحقيق د. حامد بن خير الله مطبعة النيل بالعمرانية - الجيزة- مصر- ط الأولى عام ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

(٤) يقصد بذلك مذهب سيبويه، وكذا مذهب الفراء

(٥) انظر هداية القارئ ص٦٨

كيفية خروج حروف الجوف:

قلت: تخرج حروف الجوف باندفاع الهواء من الرئتين بفعل ضغط الحجاب الحاجز اندفاعًا يؤدي إلى تذبذب الحبلين الصوتيين فيمر الهواء المحمل بالذبذبة، وأثناء مروره بالممر الصوتي يتسع المجرى الحلقي، ويرتفع الطبق الأنفي ليمر الهواء من الفم، ويمر الصوت في الممر الصوتي دون أن يحدث له أي اعتراض أو تضييق، وتختلف نسبة اتساع حجرة الرنين الفموية باختلاف الحركات، فتكون حجرة الرنين أوسع ما تكون عند نطق الحركة القصيرة « الفتحة »، أو الحركة الطويلة المتفرعة عنها « الألف »، وتضيق في كل من الضمة و « الواو »، والكسرة و « الياء »، ولكن نسبة تضييقها مع « الواو » أكثر من تضييقها عند « الياء »[(١)].

مخرج الحلق[(٢)]:

الحلق عند علماء اللغة القدامى وعلماء الأداء هو الجزء الذي يشمل الحبلين الصوتيين من الحنجرة ومدخل الفم[(٣)]، وهو الذي يشتمل على جدر اللسان، ويسمى هذا الجزء بالفراغ الحلقي[(٤)]، . . . .

---

(١) الأصوات اللغوية ص .

(٢) يبدو أن كلمة الحلق الواردة في المواضع المتعلقة بذوق الحروف لا تشير بالضرورة إلى مخرج الحلق الذي تصدر منه الأصوات الحلقية الستة، فربما كانت كلمة الحلق هنا تدل على مصدر الحروف الذي تخرج منه بداية، سواء كانت تتوقف فيه أم تتجاوزه إلى ما يعلوه من أعضاء أو مواضع نطقية أخرى، انظر أصالة علم الأصوات ص٢٥ .

(٣) انظر علم الأصوات اللغوية د. عصام نور الدين ص٦٥ الطبعة الأولى دار الفكر اللبناني عام ١٩٩٢ .

(٤) الأصوات العربية - د. كمال بشر ص٦٩

أو التجويف الحلقي[١]، وقد اختلف العلماء في تحديد منطقة الحلق، وفي حروفها، فمنهم من عد الحنجرة ضمن الحلق وهم - كما بينا آنفًا - علماء اللغة القدامى، ومنهم من عدّها تسبق الحلق، وهي عندهم تعد مخرجًا مستقلًا، وهم علماء الأصوات المحدثين[٢].

---

(١) إن الإشارة إلى موضع النطق بصيغة الإفراد لا تعنى أن موضع النطق عضو واحد، أو أن الصوت المعين صدر عن عضو واحد، فقد يشترك عضوان أو أكثر في إصدار الصوت الواحد، وقد يكون موضع النطق هو نقطة التقاء عضو بآخر، فحين نقول مثلًا: إن « العين » حلقية نعني بذلك أن جدر اللسان هو الحد الثاني لمخرج « العين »، وكذلك حينما يطلق علماء الأصوات على « الراء » أنه صوت لثوي، ليس معناه أن اللثة وحدها هي موضع النطق، فاللسان شريك اللثة في هذه الحالة، إذ إن طرفه يلتقي باللثة، حين النطق بهذا الصوت، فالتقاؤهما إذن على هيئة خاصة، هو الذي يحدد النطق، انظر علم الأصوات ص١٨٣ بتصرف.

(٢) انظر علم الأصوات اللغوية - مرجع سبق ذكره ص٦٥، وقال المؤلف: « يلاحظ أن كلمة الحلق عند القدامى غير الحلق عند المحدثين فهي تشتمل عند أولئك على موضع الوترين الصوتيين من الحنجرة أيضًا، ولا تقتصر على الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم، فالبروز الذي يلتقى عنده الوتران الصوتيان داخل عندهم، كما هو واضح من لفظ الحلق، على ما فسره غير واحد من لغويينا القدامى، فعلى هذا ينبغى أن نفهم من كلمة الحلق عند القدامى المنطقة المشتملة على أقصى الحنك، والحنجرة، والفراغ الذي بينهما، ذلك الفراغ الذي اصطلح على تّسميته وحده عند المحدثين بالحلق ».

قال د. أحمد مختار عمر: « الحكم بأن « الهمزة » هي أول الأصوات العربية مخرجًا حكم سليم، ولكنها ليست من أقصى الحلق، وإنما هي من الحنجرة، ولا توجد أعضاء نطق مستعملة في إنتاج هذا الصوت، ولكن الأوتار الصوتية تقوم بدور هذه الأعضاء، وعن طريق غلقها غلقًا كاملًا محكمًا، وإن كان قصيرًا في مجرى تيار الهواء- وأقول: إن لفظ الحروف الحنجرية عند بعض المحدثين لا يقصد به موضع النطق إنما قصد به التفرقة بين المجهور والمهموس، وبناء على هذا قُسِّمَتْ الحروف إلى قسمين: حنجرية، وهي ما يهتز معها الأحبال الصوتية المجهورة، وغير الحنجرية التي لا تهتز معها الأحبال الصوتية، وهي المهموسة، انظر أصوات اللغة، ودراسة الصوت اللغوي ص١٢٩ .

فمن عدها ضمن الحلق ألحق « الهمزة » و « الهاء » بحروف الحلق، وهم في رأيي جمهور أهل العلم[١]، ومن لم يعدها ضمن الحلق جعل « الهمزة » و « الهاء » حنجريتين، وهم علماء الأصوات المحدثون[٢].

اختلاف العلماء في حروف الحلق:

حروف الحلق عند الخليل بن أحمد هي: « العين »[٣]، و « الحاء »، و « الهاء »، و « الغين » و « الخاء »، في غالب الروايات عنه[٤]. والهمزة في بعض الروايات الأخرىٰ عن الخليل.

أما سيبويه[٥] ومن تبعه كـ: ابن جني، فقد جعل حروف الحلق سبعة أحرف

---

(١) انظر المنح الفكرية - ملا على القارئ. (٢) انظر علم الأصوات - د. بشر ص١٨٤ .

(٣) بالنظر إلى ترتيب الخليل نجد أنه جعل أقصى الحروف مخرجًا « العين »، والذى ذكره سيبويه أن « الهمزة » أقصى الحروف مخرجًا، وقد علل الخليل عدم البدء بـ« الهمزة » في أبجديته الصوتية لما يلحقها من النقص والتغيير والحذف، وكذا لم يبدأ بـ« الألف »؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بـ« الهاء »؛ لأنها مهموسة خفية، لا صوت لها فنزل إلى الحيز الثاني، وفيه « العين » و « الحاء »، فوجد « العين » أنصع الحرفين، فابتدأ به ليكون أحسن في التأليف، انظر أصالة علم الأصوات ص٢٧ وما بعدها.

(٤) انظر أصالة علم الأصوات.

(٥) ذكر أن سيبويه ومن تابعه من أهل العلم لم يعتدوا بمخرج الجوف، ووزعوا حروفه على مخارج الحلق واللسان والشفتين فجعلوا الألف مع « الهمزة » و « الهاء » من أقصى الحلق، قال د. بشر: « وضع سيبويه « الهمزة » و « الألف » و « الهاء » معًا، وجعل لهم مخرجًا هو أقصى مخرج في الجوف فرغم ما هو واضح من أن « الألف » لا تخرج من هذا المكان، ولا تشترك في المخرج مع « الهمزة » و « الهاء » فإنه يمكن التماس بعض العذر لسيبويه في واحد مما يأتى: =

وهي: « الألف »، و « الهمزة »، و « الهاء »، و « العين »، و « الحاء »، و « الغين »، و « الخاء ».

أما علماء الأصوات المحدثون[١]، فقد اعتبروا حروف الحلق هي: « العين » و « الحاء » فقط، واعتبروا كلًا من « الهمزة » و « الهاء » حنجريتين[٢]، وعلى ذلك نقرر أنهم لم يعتبروا الحنجرة داخلة ضمن الحلق، واعتبروا كلًا من « الغين » و « الخاء » حنكيتين قصيتين مع كل من « الكاف » و « الواو »[٣]، وسوف نناقش هذا الخلاف في معرض حديثنا عند مخرج كل حرف.

أما جمهور أهل الأداء، ومنهم ابن الجزري، فقد جعلوا حروف الحلق ستة أحرف وهي المعروفة لنا، وهي التي ذكرها ابن الجزري في الجزرية: « الهمزة والهاء » لأقصى الحلق، « والعين والحاء » لوسط الحلق، « والغين والخاء » لأدنى الحلق، وهذا ما نميل إليه.

= ١- أن سيبويه حين تحدث عن الشدة والرخاوة عد « الهمزة » من الشديد، ولم يعد « الألف » لا في الشديد ولا في الرخو، مما يدل على أنه يخرجها من النوعين، ويميز بين « الهمزة » و « الألف ».

٢- يبدو أن سيبويه حين لاحظ وجود ما سماه بصوت الصدر « الجهر » مع الألف نسبها إلى هذا الموضع، ولكن كان على سيبويه أن يفرق بين ما هو حركة أصلية وحركة ثانوية. إن حركة الأوتار هنا تؤدي إلى ما سماه سيبويه بصوت الصدر ليست حركة أصلية، وبالتالي لا يعد الوتران مخرجًا، وإلا لصح نسبة كل الأصوات المجهورة إلى هذا الموضع »، قلت: من المحتمل أن يكون سيبويه قد وصف هذا النوع من « الألف » المشوب بـ« همزة »، ومن العرب من يقلب « الألف » « همزة » قلبًا كاملًا، فيقول: دأبة في دابّة »، انظر علم الأصوات د. كمال بشر، ودراسة الصوت اللغوي ص٣٤٦/ ٣٤٧ .

(١) انظر علم الأصوات - الدكتور كمال بشر ١٩١/ ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص٢٨٨ . (٣) المرجع السابق ص١٩٠ .

وجه الخلاف بين المحدثين والقدامى:

الخلاف بين المحدثين والمتقدمين في تحديد مخرج الحلق راجع إلى مدلول لفظ الحلق عند الفريقين، فمصطلح الحلق عند القدامى يطلق على منطقة أوسع في جهاز النطق، عكس ما ذهب المحدثون من علماء الأصوات[١].

وعلى ذلك يكون الخلاف بين الفريقين لفظي[٢]، فلا يعدو ما نجده من اختلاف بين عبارة المحدثين وعبارة علماء التجويد في تحديد مخارج الحروف، أن يكون اختلافًا في الاصطلاح وطريقة التعبير أكثر من كونه اختلافًا في حقيقة الموضوع، فإذا وصف المحدثون «الهمزة» بأنها صوت حنجري فإن ذلك لا يناقض قول علماء التجويد أن «الهمزة» من أقصى الحلق، وذلك لأنهم يعبرون عن الحنجرة بأقصى الحلق، فالخلاف إذن هو اختلاف في المصطلح وطريقة التعبير، وهو اختلاف لفظي ليس له تعلق باختلاف المعنى، أو الفكرة التي يراد التعبير عنها؛ لأن مخرج الصوت يشترك فيه غالبا عضوان، وتكون نسبته إلى أحدهما كنسبته إلى الآخر وعلى هذا فلا خلاف في وصف مخرج الهمزة[٣]، وإليك بيان مخارج الحلق الثلاثة:

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية، لعبد الهادي إبراهيم الأصيبعي.

(٢) ومن ذلك أن بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين ينسبون مخرج الصوت إلى نقطة معينة من الحنك الأعلى «سقف الفم»، بينما ينسبه علماء التجويد إلى جزء اللسان الذي يشترك في إنتاج الصوت، فإذا قال علماء التجويد أن مخرج «الكاف» من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، وقال بعض الدارسين المحدثين: إن «الكاف حنكى قصى»، فإن ذلك لا يمثل اختلافًا جوهريًا بين علماء التجويد ودارسي الأصوات من المحدثين، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٢٤/ ٢٢٥ .

أي إن ما قاله بعض علماء التجويد هو نفسه ما قاله علماء الأصوات المحدثون.

(٣) المرجع السابق ص٢٢٤ وما بعدها.

أقصى الحلق[١]: وهو مخرج « **الهمزة** » و« **الهاء** »[٢].

يعني بذلك: أبعده من جهة فم الإنسان، أو أبعده مما يلي الحلق، ويخرج منه حرفان وهما: « الهمزة » و « الهاء »[٣] على مذهب الجمهور، قال ابن الجزري: أقصى الحلق- وهو لـ « الهمزة » و « الهاء »، فقيل على مرتبة واحدة، وقيل: « الهمزة » أول[٤].

كيفية خروج حروف أقصى الحلق:

قلت: تخرج « الهمزة » المحققة نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة فينغلق الحبلان الصوتيان انغلاقًا محكمًا، فلا يسمح للهواء بالمرور، ثم ينفصلان فجأة فتتولد « الهمزة »[٥]، وهنا نسمع ذبذبة الأحبال الصوتية؛ لأن « الهمزة » تنتج بغلق الحبلين الصوتيين نفسهما، وتوقف الهواء عن الاستمرار في الممر الصوتي، فلم يسمح للأحبال الصوتية أن تتذبذب، وفي

---

(١) أقصى الحلق يقابل المزمار أو الحنجرة في الدراسة الحديثة عند علماء الأصوات - انظر جهد المقل هامش ص٣٦ .

(٢) انظر اللآلى السنية ص٣١ .

(٣) انظر هداية القارئ ص٥٧ .

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ص.١٩٩

(٥) هذا الوضع جعل بعض المحدثين لا يصفون الهمزة بهمس أو بجهر، وعدم وصف الهمزة بالهمس أو بالجهر نتيجة لوضع خروجه بغلق الأحبال الصوتية ليس بصحيح طالما اعتبرناه حرفا من حروف الهجاء، فلا بد من وصفه بصفة، فإما أن يكون مهموسًا وإما أن يكون مجهورًا، ولا يصح نفي الصفة عنه طالما أنه حرف من حروف الهجاء، وذات من الذوات، فلا بد من وصفه بصفات كغيره من الحروف والذوات، وعلى ذلك أرى أن الرأي مع القدامى من أهل العلم في أن الهمزة مجهور.

الوقت نفسه يرتفع الطبق الأنفي ليمر الهواء من الفم، وقد عُدَّت « الهمزة » أول الصوامت، أي: « الحروف الصحاح » في الجهاز النطقي، ومن أصعب الحروف الهجائية نطقًا على الجهاز الصوتي.

أما « الهاء » فتخرج باندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فتنفرج الأحبال الصوتية انفراجًا يسمح بمرور الهواء دون اهتزاز الأحبال الصوتية، وعند مرور الصوت بالحلق لا يحدث أي تضييق لمجرى الحلق، فيخرج صوت « الهاء »، وعند خروجه يغلق الطبق الأنفي ليمر الهواء من التجويف الفموي وتكون اللهاة ملتصقة بجدار الحلق الخلفي، ليتسع الممر أمام الصوت، لذلك تخرج « الهاء » قريبة من حروف المد في اتساع مخرجها[١].

وقيل: إن أقصى الحلق ينقسم إلى ثلاثة مخارج[٢]، يخرج من ثالثها « الألف » المدية[٣].

قال بعض أهل العلم: « ما ذكر من الانقسام صحيح، ولكن جعل الموضع الثالث مخرج « الألف » المدية مجازًا، وإنما هو مبدأ صوته، والجمهور لما لم يقولوا بهذا المجاز، وجعلوا مخرج حروف المد « جوف الحلق والفم » سلكنا مسلكهم »[٤].

---

(١) وفي الأصوات العربية: تتكون الهاء عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة الفتحة مثلًا.

(٢) قال المرعشي: « إن قلت: لِمَ لَمْ يجعل الحلق مخرجًا واحدًا كليًا منقسمًا إلى ستة مواضع؟ قلت: « الظاهر أن أقصى الحلق ووسطه وأدناه متباعدة بحيث لا يعسر التمييز بينها، وإلا فالحق ما ذكر في السؤال » انظر جهد المقل ص٣٧ .

(٣) انظر نهاية القول المفيد- وجهد المقل للمرعشي.

(٤) انظر جهد المقل ص٣٦ .

مخرج وسط الحلق: وهو مخرج «**العين**» و«**الحاء**»[١].

وهو يعني الجهة التي تقع بين جذر اللسان، وجدار الحلق الخلفي، وهو الذي يسمى بالبلعوم الحلقي ويخرج منه «العين» و«الحاء»، لكل منهما نقطة دقيقة في وسط الحلق، على التحقيق، وذلك على مذهب الجمهور، وقد ذهب علماء الأصوات كما ذكرنا إلى أن حروف الحلق هما «العين»[٢] و«الحاء» فقط، وهذا ما سوف نناقشه.

كيفية خروج حروف وسط الحلق:

تخرج «العين» نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان، فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، فيتحول الهواء المندفع إلى صوت، وعند مرور هذا الصوت بالحلق يقترب جدار الحلق الخلفي، بجذر اللسان وهو الحد الثاني للمخرج، فيضيق مجرى الحلق محدثًا احتكاكًا خفيفًا، فيتولد صوت «العين» عند منتصف الحلق بين جدار الحلق وجذار اللسان، ويرتفع الطبق الأنفي ليسد الممر الأنفي فيتجه الصوت إلى الفم.

أما «الحاء» فتخرج نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان، فيمر الهواء من بينهما دون حدوث أي ذبذبة، وعند مرور

---

(١) انظر اللآلى السنية ص٣١.

(٢) قال د. بشر: «العين» في اللغة العربية تمثل مشكلة حقيقية لغير العرب، ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها بصورة صحيحة، والحق أن تكوين «العين» فيه غموض لم يتضح لنا تفسيره بعد، وهي أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا»، قلت: الغموض الذي يتكلم عليه هذا الباحث هو اعتبارها متوسطة، ليست شديدة ولا رخوة، لضيق المجرى أقل من ضيقه في «الحاء»، وهي من الأصوات الرخوة»، انظر علم الأصوات ص٣٠٤.

الهواء بالحلق يقترب جدار الحلق الخلفي بجدر اللسان، وهو الحد الثاني للمخرج، فيضيق مجرى الحلق أكثر من ضيقه في « العين »، فيحدث الاحتكاك الذي يتولد عنده صوت « الحاء »، وتنكمش اللهاة، فتكون « الحاء » أكثر احتكاكًا من « العين »، ويرتفع الطبق الرخو فيغلق الممر الأنفي، فيتجه الصوت إلى الفم.

اختلاف أهل العلم في ترتيب الحرفين:

اختلف أهل العلم في بيان أي الحرفين أسبق من الآخر في المخرج، فقال بعضهم: إن « العين » مخرجها قبل « الحاء »، وقال آخرون: الضد صحيح، وهو نص شريح، وظاهر كلام المهدوي[١].

قال بعض العلماء المحدثين[٢]: « لكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين يحلان فيه معًا، دون ترتيب لأحدهما على الآخر، غير أن بعض المتأخرين من العلماء كانوا يتوهمون أن « العين » تسبق « الحاء »، وأن « الغين » تسبق « الخاء »[٣]، على حين أن بعضًا آخر منهم كان يرى العكس في

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص.١٩٩

(٢) انظر الأصوات اللغوية د. أنيس، وكذا علم الأصوات د. بشر.

(٣) قال أحد الباحثين: « القضية التي شغل بها علماء التجويد كثيرًا هي قضية ترتيب الحروف التي تخرج من مخرج واحد، فقول سيبويه: ومن أوسط الحلق « العين » و « الحاء » هل يعني أن « العين » قبل « الحاء » أو أنه لم يقصد بينهما ترتيبًا؟ وقد كان أبو الحسن علي بن خروف « ت ٦٠٦هـ » قد قال: إن سيبويه لم يقصد ترتيبًا فيما هو من مخرج واحد، ثم إن وسائل دراستنا محددة لا تعدو الملاحظة الذاتية، مع الاستفادة من النتائج التي توصل إليها دارسوا الأصوات من المحدثين، فإذا كانت « التجارب الحديثة » قد دلت على خطأ موقف علماء التجويد، فنحن لا نملك بالملاحظة الذاتية فقط أن نثبت العكس في موضوع دقيق جدًا؛ لأن علماء =

هذا الترتيب، وقد أشار ابن الجزري في نشره إلى هذا الخلاف الوهمي بقوله: « نص مكي على أن « العين » قبل « الحاء »، وهو ظاهر كلام سيبويه وغيره، ونص شريح على أن « الحاء » قبل، وهو ظاهر كلام المهدوي، قال: ومن

= التجويد حين قالوا: بأن « العين » قبل « الحاء » مثلًا كانوا يدركون التقارب الشديد بينهما، ومن ثم نشأت تلك الآراء الثلاثة « قبل، مع، بعد »، ولولا ما عثرنا عليه من نصوص لبعض علماء التجويد حول الموضوع لاكتفينا بما دلت عليه التجارب الحديثة، لكن تلك النصوص لا تسمح للباحث المدقق أن يمر عليها دون أن يتساءل عن الأسس التي بنيت عليها، وعن مقدارها من الصحة، وكان محمد المرعشي قد قال وهو يتحدث عن « الظاء » و « الذال » و « الثاء »: « فاللسان يقترب إلى الخارج في « الثاء » أكثر مما يقترب في أختيها، ويقترب في « الذال » أكثر مما يقترب في « الظاء »، وهذا النص يكشف لنا عن ظاهرة دقيقة تخص الأصوات التي تشترك في مخرج واحد، وهو يتعلق بأصوات يمكن مراقبة انتاجها بالنظر من دون حاجة إلى أجهزة، فنحن نلاحظ ما لاحظه المرعشي »، ويمكن أن نفسر تلك الظاهرة من خلال ظاهرتي الجهر، والهمس، والإطباق، فـ« الثاء » حرف مهموس يحتاج نطقه إلى ضغط النفس في مخرجه على نحو أكثر مما يحتاج في نطق « الذال » الذي يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق به، فتحصل النغمة الصوتية التي تجعل الصوت المجهور أوضح من المهموس فلا يحتاج الناطق إلى ضغط الهواء في مخرجه بقدر ما يحتاج في المهموس، فيخرج نفس المجهور من مخرجه فاترًا »، ثم انتهى بنتيجة مؤداها أن الأصوات التي تخرج من مخرج واحد يمكن أن ترتب في داخل ذلك المخرج على أساس أن الصوت المهموس يكون متقدمًا نسبيًا على الصوت المجهور، وأن الصوت المنفتح يكون متقدمًا على الصوت المطبق، وذلك التمايز بين أصوات المخرج الواحد يكون جزئيًا ودقيقًا بحيث لا يحمل الدارس على جعل مخرج مستقل لكل صوت من تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد، ويبدو أن تلك الظاهرة هي التي جعلت المرعشي يذهب إلى تقسيم المخارج إلى مخارج كلية ومخارج جزئية، فإذا صح ما ذهبنا إليه من تفسير كلام المرعشي أمكننا القول: بإن اختلاف علماء التجويد في ترتيب الحروف التي في مخرج واحد ليس وهميًا بل هو مبني على الملاحظة الدقيقة لحالة تلك الأصوات في مخارجها »، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٨٣/ ١٨٦ .

الغريب أن شريحًا الذي قدم « الحاء » على « العين » عكس القضية وقدم « الغين » على « الخاء »، كذلك فعل مكي فقدم « الخاء » على « الغين »، ويبدو أن هؤلاء المتأخرين حين نطقوا بكل من الصوتين لاختبارهما أحسوا فرقًا بينهما، ولكنهم لم يفطنوا إلى أن هذا الفرق مقصور على أن أحد الصوتين مجهور والآخر مهموس، أي: إن الوترين الصوتيين يهتزان مع أحدهما وهو المجهور، أو يصمتان مع الآخر وهو المهموس، فلا فرق بين « العين » و « الحاء » في المخرج، وإنما الفرق في أن « العين » مجهورة[١]، و « الحاء » مهموسة، وكذلك الشأن في « الغين » و « الخاء »[٢]. أي أن الغين مجهورة والخاء مهموسة.

مخرج أدنى الحلق: وهو مخرج « **الغين** » و« **الخاء** ».

نقصد به: أقربه لجهة أقصى اللسان[٣]، ويخرج منه « الغين والخاء »[٤]،

---

(١) قَصَّ عليَّ بعض إخواني من طلبة العلم، إنه سمع بعض من يتصدرون للإقراء يقول: إن القارئ إذا أطال زمن « العين »، فقد نقل مخرجها من « وسط الحلق » إلى « مخرج أدنى الحلق »، عند مخرج الغين والخاء، **قلت** له: هذا الكلام ليس له سند علمي، بل هو كلام مغلوط، لأن العبرة هنا بموضع ولادة الحرف، ولكن إطالة زمن الصوت هذه هي متعلقة بالصفات وليس بالمخرج، فالحرف إذا زاد زمن صوته عن حده الطبيعي أصبح رخوًا، ولم يكن في هذه الحالة متصفًا بالبينية، وإنني لأتعجب غاية العجب ممن يثيرون هذا الكلام دون سند أو دليل علمي، وللأسف قد يتلقى الطالب الذي يتعلم هذا الكلام على أنه قاعدة مسلم بها بالرغم من خطأها البيِّن.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩ .

(٣) انظر نهاية القول المفيد.

(٤) انظر اللآلئ السنية في شرح الجزرية ص٣١ .

على مذهب الجمهور، أما علماء الأصوات المحدثين فقد عدوهما حنكيتين قصيتين[١]. ولذلك نجد أن عبارة المحدثين توافق رأي القدماء.

كيفية خروج حروف أدنى الحلق:

تخرج «الغين» نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان فيمر الهواء المندفع من بينهما محدثا ذبذبة، فيتحول الهواء المندفع إلى صوت، وعند مرور هذا الصوت بالحلق يصطدم باللهاة، فتتحرك اللهاة نتيجة اصطدام الصوت فيها، فينتج صوت «الغين»، فصوت «الغين» ينتج باصطدام الهواء باللهاة فيسمع صوت يشبه الغررة والتكرير[٢]، أو يصطدم بسقف الحنك دون اشتراك اللسان، ويغلق الطبق الأنفي ليسد الممر الأنفي فيتجه الصوت إلى الفم ويرتفع أقصى اللسان مقتربًا من سقف الحنك الأعلى لصفة الاستعلاء في «الغين».

أما «الخاء»: فتخرج نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان، فيمر الهواء المندفع من بينهما، فلا يحدث بهما أي ذبذبة، وعند مرور الهواء بالحلق يندفع الهواء متجهًا إلى سقف الحلق مصطدما

---

(١) انظر الأصوات اللغوية.

(٢) لابد من ملاحظة أننا عند التجربة نبالغ في نطق الحرف لمعرفة مخرجه وصفاته، ولكن عند نطق الحرف أثناء التلاوة لا ينبغى لأحد أن يطيل صوت الغين حتى لا يسمع تكرارًا من اللهاة يشبه تكرار «الراء»، خاصة إذا علمنا أن بعض من لا يستطيع نطق «الراء» قد يخرج «الراء» من مخرج «الغين»، فلا بد من الاحتراز من المبالغة عند نطق الحروف؛ لأنه لو بالغ لأحدث تكرارًا، ويسمى في هذه الحالة صوت لهوي مكرر، وهو صوت شائع في الهولندية، وربما سمع في الألمانية، والفرنسية كذلك، انظر دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص١٢١.

به، فيحدث صوت « الخاء » نتيجة هذا الاصطدام، أو يصطدم بسقف الحنك دون اشتراك اللسان، ويغلق الطبق الأنفي ليسد الممر الأنفي، فيتجه الصوت إلى الفم، ولا شأن لأقصى اللسان في انتاج صوت هذا الحرف، ولكن أقصى اللسان يرتفع؛ لأن « الخاء » من حروف الاستعلاء، فيكون ارتفاعه لصفة الاستعلاء.

اختلاف العلماء في مخرج أدنى الحلق:

اختلف المحدثون من علماء الأصوات مع القدامى في تحديد مخرج هذين الحرفين أيضًا، فنرى أن المحدثين قالوا: إن « الغين »، و « الخاء » مع « الكاف » و « الواو » حنكيتان قصيتان ولم يكونا حلقيتين[1].

قال الدكتور بشر: « و « الغين » و « الخاء » من أقصى الحنك، وهو يقع في منطقة تالية للحلق من جهة الأمام، ومعنى هذا أن الأصوات الحلقية صوتان اثنان فقط، هما: « العين » و « الحاء »، ويمكن تفسير ما ذهب إليه العرب بواحد من وجهين:

الأول: ربما لم تسعفهم دقة التقدير، فلم يستطيعوا التفريق بين مخارج هذه الأصوات.

الثاني: وهو الأقرب إلى التفسير، لعلهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة المعينة المعروفة «بيولوجيًا» بالحلق والمحصورة بين

---

(١) انظر علم الأصوات د. بشر ص٢٧٧، وقلت: ومما نستأنس به على صحة ما ذهب إليه القدامى قول الدكتور عبد الغفار هلال: « يتوجه النقض لبعض المحدثين في جعلهم « الغين » و « الخاء » من نفس مخرج « الكاف » لا من الحلق، فالدراسات الصوتية الحديثة تؤكد حلقيتهما وتبرهن عليها »، انظر أصوات اللغة العربية ص١٣١ .

الحنجرة، وأقصى الحنك، أو بعبارة أخرى ربما أطلقوا مصطلح «الحلق» على تلك المنطقة الكبيرة التي تشمل الحنجرة، والحلق، وأقصى الحنك، على ضرب من التوسع والمجاز»، ويؤيد هذا الاحتمال كذلك أنهم عادوا فقسموا الحلق إلى ثلاث مناطق جزئية، وإن كانت كلها لم تزل في حدود تلك المنطقة التي سموها الحلق»[١].

قلت: أما القدامى من علماء اللغة والأداء فقالوا: إن «الغين» و«الخاء» حلقيتان من أدنى الحلق، أي: أقربه من الفم.

وبالملاحظة والتجربة في نطق هذين الحرفين عمليًا في قراءة القرآن الكريم نجد أن هذين الحرفين يخرجان من أدنى الحلق[٢]، وأن منطقة الحلق ليس لها أي صلة بالحنك أو أقصاه، وإذا أردت التحقق من ذلك فقل: «أغ» على- سبيل المثال-، وانظر إلى المرآة، تجد أن الصوت يقرع اللهاة، فتتحرك اللهاة طوال النطق بصوت[٣] الغين بقرع الهواء لها، ولا شك أن اللهاة هي الفاصل بين الحلق والفم، ومن الطبيعي أن الصوت يضرب في اللهاة من جهة الحلق فتكون بذلك حلقية على رأي علماء الأداء وعلماء اللغة القدامى، وهذا هو الراجح من وجهة نظرنا.

فـ«الخاء» تخرج نتيجة تصادم الهواء بسقف الحلق عموديًا دون انحناء، ولا ينحصر الصوت بين أقصى اللسان وسقف الحنك الأعلى، ولكنه نتج

---

(١) انظر علم الأصوات ص٣٠٦/ ٣٠٧.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر- لابن الجزري.

(٣) لا يجب على القارئ إطالة زمن صوت الحرف عن مقداره الطبيعي الذي لا يخرج الحرف عن طبيعته.

بتصادم الهواء بسقف الحنك الأعلى عند تلاوتنا للقرآن الكريم دون اشتراك اللسان، أو من الممكن أن تخرج الخاء من منطقه متقدمة قليلًا من سقف الحنك في بعض اللهجات، وكذلك القول في « الغين »، وإذا نظرنا إلى طريقة خروج الحرفين في الفم؛ نجد أن اللسان لم يكن الحد الثانى من حدى مخرج الحرف عند نطق كل من « الغين » و « الخاء »، لذلك لم يعدهما القدامى حنكيتين قصيتين واعتبروهما حلقيتين؛ لأن أصوات الفم « الحنكية » عندهم هي التي تخرج من الفم ويكون اللسان طرفًا في إنتاج صوتها.

قلت: ربما أراد المحدثون من علماء الأصوات « غينا » و « خاءً » أخرى حدث لهما تطور صوتي غير التي قصدها قدامى اللغويين، أو أن الأجهزة الحديثة حينما أظهرت ارتفاع أقصى اللسان عند التفخيم ظنوا أن « الغين » تخرج باحتكاك الصوت بين أقصى اللسان وسقف الحنك الأعلى، وهذا الاحتكاك لم يحدث عند نطق « الغين »، ولك أن تقول: « أغ، أخ » فسوف تجد أن الهواء يصطدم باللهاة منتجًا صوت « الغين »، أو يصطدم بسقف الحنك دون حدوث أي احتكاك باللسان، لينتج صوت « الخاء »، وهذا يبين لك صحة ما ذهب إليه القدامى.

قال ابن الجزري:

ثم لأقصى الحلق همز هاء ... ثم لوسطه فعين حاء
أدناه غين خاؤها ....[1]

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

وقال الإمام الشاطبي:

ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه وحرفان منها أول الحلق جملا[١]

وقال صاحب السلسبيل الشافي:

والحلق من أقصاه همز هاء من وسطه يخرج عين حاء
والغين والخاء بأدنى الحلق ....[٢]

تسمى المخارج الثلاثة السابقة مخرج الحلق، وتسمى أحرفه أحرفًا حلقية نسبة لخروجها من الحلق.

المخرج الخامس: وهو مخرج « القاف ».

هو أعلى نقطة في اللسان من الخلف، ويسمى أقصى اللسان، وهي المنطقة القريبة من اللهاة، وهو مخرج « القاف » مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وإن شئت الدقة فقل: منطقة سقف الحنك الرخو، أي: الطبق الأنفي.

قال المرعشي: « هو ما بين أقصى اللسان وما يحاذيه من سقف الحنك الأعلى[٣]، وقال شريح: إن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء »[٤].

كيفية خروج القاف:

عند نطق « القاف » يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا نسمع لهما فيه ذبذبة، وإن كانت ضعيفة لوقوف الهواء في

(١) انظر متن الشاطبية ص٩١ .
(٢) انظر السلسبيل الشافى ص٣٤ .
(٣) انظر جهد المقل ص٣٧ .
(٤) انظر النشر في القراءات العشر ص١٩٩ .

منطقة مدخل الفم، وعدم استمراره، ويرتفع الطبق الأنفي ليسد التجويف الأنفي ليمر الهواء من الفم، ثم يرتفع أقصى اللسان ليتصل بسقف الحنك الأعلى عند الطبق الرخو قرب شحمة اللهاة[١]، فينحبس الهواء عن الاستمرار، ثم ينفرج المخرج بسرعة محدثًا صوت « القاف » التي نسمع لها صوتًا بعد الانفراج، يختلف عن الصوت الناتج في كل من « الكاف » و« التاء »، وهنا تكون « القاف » مجهورة[٢]، وإذا أردت التحقق من ذلك فقل: « أق » فسوف تسمع صوتًا يشبه النبرة [٣]، ولا تجد للنفس أي أثر.

قال ابن الجزري:

. . . . **والقاف أقصى اللسان فوق**[٤]

وقال الإمام الشاطبي:

وحرف له أقصى اللسان وفوقه من الحنك احفظه. . . . .[٥]

---

(١) غشاء الحنك هو جلدة في أقصى الفم تتدلى في طرفها الأسفل، زائدة لحمية صغيرة تسمى اللهاة، انظر دروس في علم أصوات العربية - لجان كانتنيو - ص١١ .

(٢) ذهب علماء الأصوات المحدثون إلى أن « القاف » و« الطاء » مهموستان، وعلتهم في ذلك عدم اهتزاز الأحبال الصوتية عند خروجهما، وبداية نرى أنهم متفقون على أن الصوت الناتج في « الكاف » بعد الفتح المفاجئ ينتهي بهواء ليس بصوت، وهو ما نطلق عليه همسًا، أما في « القاف »، فنجد أنه ينتهي بصوت كما نقرأه في تلاوتنا للقرآن الكريم، فهو مخالف لـ« الكاف » فيكون عكسها، وطالما أن الناتج عند الفتح المفاجئ للحرفين مختلف، فتكون الصفات مختلفة، ومتغايرة، فإذا كانت « التاء » مهموسة فتكون « القاف » مجهورة، وسوف نتعرض بتوسع في هذا الموضوع عند حديثنا عن الجهر والهمس، في مبحث الصفات، فراجعه إن شئت.

(٣) هذا الصوت الذي سمع أطلق عليه العلماء قلقلة.

(٤) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج. (٥) انظر متن الشاطبية ص٩١

وقال صاحب السلسبيل:

. . . . والقاف من أقصى اللسان فوق[١]

المخرج السادس: مخرج « الكاف »

مخرجه أقصى اللسان بعد « القاف » جهة أسفل، قبل وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، عند نهاية الطبق الرخو قرب منطقة وسط اللسان ويخرج منه « الكاف »، فإذا قلت: « **أك** » علمت أنه أسفل مخرج « القاف » قليلًا من جهة الفم.

قال المرعشي: « ما بين أقصى اللسان بعد مخرج « القاف » وما يحاذيه من الحنك الأعلى[٢]، وقال ابن الجزري: « وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوى، نسبة إلى اللهاة، وهي بين الفم والحلق »[٣].

كيفية خروج الكاف:

عند نطق « الكاف » يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا لا نسمع لهما فيه ذبذبة؛ لوقوف الهواء في منطقة مدخل الفم ويرتفع الطبق الأنفي ليسد التجويف الأنفي ليمر الهواء من الفم، ثم يرتفع أقصى اللسان ليتصل بسقف الحنك الأعلى عند الطبق الرخو، ولكن متقدم عن « القاف » قليلًا جهة وسط اللسان، فينحبس الهواء عن الاستمرار، ثم ينفرج المخرج بسرعة محدثًا صوت « الكاف » التي يجرى فيها النفس بعد

(١) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٢) انظر جهد المقل ص٣٧ .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ .

انفراج المخرج وتسمى كل من « القاف » و « الكاف » حرفان لهويان نسبة إلى منطقة اللهاة على رأي الجمهور[١]، وهو ما نميل إليه.

قال ابن الجزري:

.... ثم الكاف أسفل.........[٢]

وقال الإمام الشاطبي:

.... وحرف بأسفلا[٣]

وقال في السلسبيل الشافي:

والكاف من أقصاه أي من تحته ....[٤]

اختلاف العلماء في هذا المخرج:

لم يسلم هذان الحرفان أيضًا من الاختلاف، فعلماء اللغة القدامى[٥] ومن تابعهم من علماء الأداء ذهبوا إلى أن كلًا من « القاف » و « الكاف » لهويتان[٦].

---

(١) انظر الدقائق المحكمة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص١٢ .

(٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب مخارج الحروف.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩١ .

(٤) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٥) ذكر د. محمد قدور بأن الخليل جعل « القاف » و « الكاف » و « الجيم » - في رواية - من مخرج واحد، يكون بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم، لكنه عدل عن هذا الجمع مع دقة الوصف إلى جعل « القاف » و « الكاف » لهويتين، و « الكاف » أرفع، ويشير هذا إلى الفصل بين مخرجين وإن كانت التسمية واحدة، ويؤيد هذا الفصل ما جاء في رواية النضر بن شميل من انفراد كل واحد منهما، فقلّ وقوع البدل بينهما، لذلك قال: « وتؤكد رواية الأخفش الأوسط هذا الفصل »، انظر أصالة علم الأصوات ص٣٧ .

(٦) هذان الحرفان يقال لكل منهما: لهوى، نسبة إلى اللهاة، وهى لحمة مشتبكة بآخر اللسان- انظر نهاية القول المفيد ص٣٩ .

أما علماء الأصوات المحدثون فقد ذهبوا مذهبًا آخر في تحديد مخرج هذين الحرفين، فأطلقوا على « القاف »[١] فقط أنها لهوية.

أما « الكاف » فقد جعلوها حنكية قصية مع كل من « الغين » و « الخاء » و « الواو » ووصفوا « القاف » بأنه يتم نطقه برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور إلا بعد فتح المخرج فتحًا فجائيًا.

و « الكاف » عندهم صوت حنكي قصي انفجاري مهموس، قالوا: « والنظير المجهور لـ « الكاف » هو « الجيم » القاهرية »، ويتضح من هذا الوصف أنه بيننا وبين علماء العربية نقطتي خلاف في صوت القاف[٢].

الأولى: من حيث موضع النطق، فقد وضعها سيبويه - وتابعه في ذلك ابن جني وغيره - في موضع من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى.

وهم في ترتيبهم للأصوات من حيث المخرج وضعوا « القاف » تالية لـ « الغين » و « الخاء » لا قبلهما، وهذا الترتيب الذي عند سيبويه لهذه الحروف « ع ح، غ خ، ك، ق »، وقد جاء ترتيب الخليل[٣]، وابن جني موافقًا لما

---

(١) علم الأصوات- د. بشر ص١٨٤ .

(٢) نسب بعض الباحثين الخلط والغلط والتقصير لعلماء العربية القدامى، وعلماء التجويد قاطبة في دراسة مخارج الحروف، وهو لم يطلع على ما يبدو إلا على مصدر واحد، هو في الواقع ليس من المؤلفات الأساسية في الموضوع لدى الفريقين من علماء العربية وعلماء التجويد، ذلك المصدر هو « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري، وهو كتاب في القراءات مع أنه تضمن فصلًا عن مخارج الحروف وصفاتها، وهذه حالة لا تسمح بذلك التعميم الذي تورط فيه وتناقض مع منهج البحث الحديث »، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٩٦ .

(٣) قلت: سيبوية تلميذ الخليل بن أحمد وجاء بعده، وكان الأولى أن يقال: فقد وضعها الخليل وتابعه سيبويه؛ لأن الكلام إذا كان متفقًا بين الشيخ والتلميذ فنسبته للأستاذ من باب أولى - انتهى مؤلفه.

صنعه سيبويه من جعل « القاف » في موضع تال لـ « الغين » و « الخاء »، وهذا الكلام نفسه ينطبق على وصف الخليل لـ « القاف » بأنها لهوية، فبالرغم من تصريحه بالوصف « لهوية » لا يمكن أخذ كلامه على أنه يقصد اللهاة بالمعنى المعروف لنا، وإلا كان مخطئًا في تقدير موضع « الغين » و « الخاء » و « الكاف »، كذلك مثل سيبويه وضع « الغين » و « الخاء » قبل « القاف » لا بعدها، هكذا: « . . غ خ ق ك »، فلو كان يقصد اللهاة بمعناها العلمي المعروف لنا الآن لوجب عليه أن يعكس هذا الترتيب، إذ تخرج « الغين » و « الخاء » من منطقة تلي اللهاة لا تسبقها، أضف إلى هذا أن الخليل وصف « الكاف » كذلك بأنها لهوية، حيث يقول: « والقاف » و « الكاف » لهويتان، وليست « الكاف » لهوية بحال من الأحوال، فالأمر حينئذ بالنسبة للخليل لا يعدو واحدًا من اثنين:

١- إما أنه أخطأ في تقدير موضع « الغين »، و « الخاء »، و « الكاف » وأصاب في تقدير موضع « القاف » فوصفها بأنها « لهوية ».

٢- أو أنه لم يفطن إلى موضع « اللهاة » في الجهاز النطقي فأخطأ في تقدير موضع « القاف »[1].

وخلاصة القول في مخرج « القاف » - كما يفهم من التراث القديم في مجموعه، وما زال الكلام لعلماء الأصوات المحدثين - أنها تخرج من أقصى الحنك، أو هي حنكية، قصّية بالتعبير الحديث، على حين أنها لهوية في النطق

---

(١) علم الأصوات - د. كمال بشر ص٢٧٧

المعاصر كما يظهر ذلك في نطق قراءة القرآن الكريم في جمهورية مصر العربية[١]، وأما تفسير هذا الخلاف في موضع النطق فمرجعه إلى واحد من اثنين:

الأول: لعل علماء العربية أخطأوا في تقدير الموضع الدقيق لنطق « القاف »، وهذا احتمال يراه بعض الدارسين المحدثين.

الثاني: وهو ما تشير الدلائل إلى رجحانه، وهو أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن « قاف » تختلف عن « قافنا » الحاضرة.

هذا كلام علماء الأصوات عن مخرج حرفي « القاف » و « الكاف »، أما كلامهم عن « الواو » وقد عدوها - حنكية قصية - أيضًا، فقالوا: « أما من عد « الواو » شفوية فهذا قول يحتاج إلى تكملة، إذ البحوث الحديثة تثبت أن « الواو » في نحو: « **ولد** » تخرج من أقصى الحنك، أي: من منطقة « الكاف » أو ما يقرب، مع اتخاذ الشفتين وضعًا معينًا، ولكن ذلك لا يكفى مسوغًا لعدها شفوية »، وإن أردنا أن نجمع بين هاتين الجهتين يمكن القول: « بإن « الواو » حنكية قصية، أي: من أقصى الحنك « شفوية، وربما يكون وضعها مع « الكاف » وأخواتها أدق من وضعها من « الباء » و « الميم »، بالرغم من أن بعض المحدثين من علماء الأصوات قد اتفقوا مع ابن جني في عد « الواو » شفوية[٢].

---

(١) « القاف » التي نقرأ بها القرآن في مصر وهي التي يقرأ بها مجيدو التلاوة المتصلة السند، مجهورة مقلقلة، ولكني سمعت بعض القراء يجري فيها النفس وهذا خطأ واضح يجب تجنبه.

(٢) انظر الأصوات العربية د. كمال بشر وكذا الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس.

رأينا فيما سبق كلام علماء اللغة القدامى في مخرج كل من « القاف »، و « الكاف » في أنهما لهويتان « والغين » و « الخاء » حلقيتان كما سبق بيانه و « الواو » اللينة والمتحركة شفوية.

ورأينا كذلك رأي المحدثين من علماء الأصوات في أنهم خالفوا القدامى وذهبوا إلى أن « الكاف » ليست لهوية، وضموها مع كل من « الغين » و « الخاء » وأضافوا إليها « الواو » اللينة أيضًا على أنها حنكية قصية.

والرأي الراجح عندنا هو ما ذهب إليه علماء اللغة القدامى ومن وافقهم من علماء الأداء وهو أن « القاف » و « الكاف » لهويتان؛ لأنك إذا قلت: « أق » تجد أن أقصى اللسان ارتفع في مقابل سقف الحنك الرخو « الطبق الأنفى »(١) « المعلق فيه اللهاة »، وليس من اللهاة نفسها، أي: إن أقصى اللسان لم يضغط على جلدة اللهاة نفسها، وإذا قلت أيضًا: « أك » فسوف تشعر بأنها من أقصى اللسان، ولكن من منطقة أسفل من « القاف » قليلًا مع ما يقابله من سقف الحنك اللين - الطبق الأنفي المعلق فيه اللهاة -، ولكن في نهايته بينه وبين « سقف الحنك الصلب ».

---

(١) يمكن أن ندرك الفرق بين صلابة الجزء الصلب وليونة الجزء الرخو بالنظر في المرآة، أو باللمس باللسان، أو الإصبع، والحنك الصلب ثابت لا يتحرك، أما الحنك الرخو « اللين » فهو قابل للحركة، وينتهي بزائدة لحمية تسمى اللهاة، وقد يرتفع وقد ينخفض، فإذا ارتفع إلى أقصى ما يمكن فإنه يمس الجدار الخلفي للفراغ الحلقي، وهكذا يمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين عن طريق الأنف، وكثير من أصوات اللغة العربية يتكون عندما يتخذ الحنك اللين هذا الوضع، أما إذا انخفض الحنك اللين فإن الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين يكون مفتوحًا لكي ينفذ من الأنف، ولا يتم نطق « النون » و « الميم » العربيتين إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الوضع، انظر الأصوات العربية ص٦٥ .

قلت: إن علماء اللغة القدامى أطلقوا لفظ اللهاة على منطقة أوسع من شحمة اللهاة نفسها، بل على منطقة الطبق المنتهية باللهاة، فيكون تعريفهم لكل من « القاف » و« الكاف » بأنهما لهويتان أدق من غيرهم، لأن هذين الحرفين مبدأهما من اللسان[1].

وقد استأنست في ذلك بقول بعض الباحثين حيث قال: « إن ذوق الصوتين- صوت « القاف » و« الكاف »- يؤكد ما قاله القدامى؛ لأنك إذا وقفت على » « الكاف » و« القاف »، في نحو: أك، أق تجد « القاف » أقرب إلى الحلق و« الكاف » أبعد منه، ولا ضير في الجمع بينهما على أية حال؛ لأنهما متقاربان مخرجًا، فهما من حروف أقصى اللسان مع ما يحاذية من الحنك الأعلى، قال: « ويقوي ما قلناه أن صوت « القاف » العربي لم يصل إلينا تحديده بصفة قاطعة »[2].

أما القول في « الغين » و« الخاء »، قلت: لم يكن مبدؤهما من اللسان بأي

---

(١) ألقى الخليل بن أحمد الضوء على ألقاب هذه الحروف مبينًا نسبتها إلى أحيازها، فـ« الغين »، و« الحاء »، و« الهاء »، و« الخاء »، و« الغين » حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق، و« القاف »، و« الكاف » لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللسان، انظر المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي ص٧٧ .

(٢) يؤيد هذا الرأي باحث آخر فيقول: « من المتأخرين من ذكر أن « القاف » و« الكاف » في حيز واحد « وإن اعتبر « الكاف » أدنى إلى مقدم الفم »، ولذا وصفهما جميعًا بأنهما لهويتان، وعلل ذلك بقوله: لأن مبدأهما من اللهاة، « الزمخشري، وابن يعيش، وابن الجزري » وهذا الأمر هين؛ لأنهما يمكن اعتبارهما من مخرج واحد إذا وسعنا دائرة المخرج لتشمل منطقتي اللهاة والطبق اللين المتجاورتين، كما أنهما يمكن اعتبارهما من مخرجين إذا فصلنا منطقة الطبق اللين عن اللهاة، ولكننا نجد العاني يفرق بين مخرجيهما فيضع « القاف » في منطقة اللهاة و« الكاف » في منطقة الطبق اللين »، انظر أصوات اللغة العربية ص١٣١، وانظر دراسة الصوت اللغوي ص٣٤٢ .

حال - كما ذكرنا آنفًا -، ولم يكن للّسان عمل في مخرجهما، اللهم إلا أن ارتفاعه للإتيان بصفة الحرف.

أما إطلاق بعض علماء الأصوات المحدثين على « القاف » بأنها لهوية دون غيرها، فيستوجب أن يكون أقصى اللسان هو أحد حَدَّيْ المخرج، وجلدة اللهاة نفسها هي الحد الثاني.

قلت: إن قولهم: « القاف »[١] التي يقرأ بها قراء القرآن الكريم في جمهورية مصر العربية ربما سمعوا « قافا » من قارئ غير مجيد لتلاوة القرآن الكريم، أو ربما قصدوا « قافا » أخرى حدث لها تطور صوتي مع مرور الزمان، ولم يقصدوا « قافنا » المجهورة التي نقرأ بها القرآن الكريم، والتى تلقيناها رواية عن رسول الله ﷺ.

وقد ذهب الدكتور أنيس إلى ما ذهب إليه القدامى من علماء الأداء واللغة، في أن كلًا من « القاف » و « الكاف » لهويتان، وأن « القاف » من أقصى اللسان و « الكاف » أدنى من ذلك إلى مقدم الفم[٢].

أما جعلهم الواو حنكية قصية ففيه نظر؛ لأن العبرة بالمكان الذي حدث فيه الاحتكاك وأنتج فيه صوت الحرف.

قلت: إن الملاحظة والمشاهدة لخير دليل على أن « الشفاه » هي العضو المنتج لصوت « الواو » المتحركة في « ولد »، أو اللينة في « تعالوا »، فإذا

---

(١) الخلاف بين القدماء والمحدثين لا يؤثر على صوت القاف من حيث الأداء الصوتي وإنما هو خلاف دراسي.

(٢) انظر الأصوات اللغوية ٨٥/ ٨٨ .

قلت: « أو » تجد أن الاحتكاك حدث في الشفاه، ولم يكن هناك أدنى احتكاك في منطقة أقصى الحنك، وهذا هو الصحيح، وهو الذي ذهب إليه علماء اللغة القدامى، وعلماء الأداء، وهو ما نميل إليه.

ثم إن نسبة صوت « الواو » إلى الشفتين أقرب في المنطق من نسبته إلى أقصى الحنك؛ لأن تطور الأصوات وتبادل مواقعها في اللغات يشير إلى تبادل « الواو » مع « الباء »، ولم يشر إلى تبادله مع صوت « الكاف » مثلًا، مما يدل على أن نسبة « الواو » إلى مخرج الشفتين أصح من نسبته إلى أقصى الحنك، إذ لو كان الأمر كذلك فكيف نفسر تحول « الباء » إلى « الواو » في بعض اللغات؟!، وأن علة تطور الأصوات أو أبدالها هي اتحاد المخرج أو قربه »[١].

قد يسأل سائل فيقول: لماذا جعل أقصى اللسان مخرجان لحرفين، ولم يجعل مخرج واحد لحرفين كأقصى الحلق؟

الإجابة أن هناك فرقًا بين أقصى اللسان وأقصى الحلق؛ فإن أقصى اللسان فيه طول، وبين موضعي « القاف » و« الكاف » بعد، ونظرًا لبعد الموضعين اعتبر كل منهما مخرج خاص لحرف خاص، بخلاف أقصى الحلق ففيه قصر، وبين موضعى « الهمزة » و« الهاء » قرب شديد، فلذلك اعتبر أقصى الحلق مخرجًا واحدًا لحرفين[٢].

المخرج السابع: هو مخرج « الجيم » و« الشين » و« الياء » على رأي الجمهور، وهو مخرج وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، قال

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية ص٣٥/٣٦ .

(٢) انظر أحكام تلاوة القرآن ص٤٤ .

المرعشي: «هو ما بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى[١]، ويخرج منه ثلاثة أحرف وهي: «الجيم»، و«الشين»، و«الياء»، على الراجح»، وقدم في «الرعاية» الشين «على» الجيم»، وقال: «ترتيب المخارج بحسب حكم الطبع المستقيم خاليًا عن التكلف»[٢]، وقال ابن الجزري: «قال المهدوي: «إن «الشين» تلي «الكاف»، و«الجيم» و«الياء» يليان «الشين»، وهذه هي الحروف الشجرية[٣].

و«الياء» المقصوده هنا هي المتحركة، أو الساكنه، وقبلها حركة الفتح[٤]، أما «الياء» المدية فهي ضمن الحركات «الصوائت»، ومخرجها مخرج الجوف، وهذا هو الاتجاه الأساسي في وصف مخرج الأصوات الثلاثة لدى علماء التجويد[٥].

اختلاف العلماء في هذا المخرج:

مما يلتفت إليه أن الخليل بن أحمد ذهب إلى أن حروف وسط اللسان المسماة بالشجرية، هي: «الجيم»، و«الشين»، و«الضاد»[٦]؛ لأنه اعتبر

---

(١) انظر جهد المقل ص٣٨ .

(٢) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠، وارتشاف الضرب لأبي حيان.

(٤) جهد المقل ص٣٩، وقال: والمراد من «الياء» هنا غير المدية.

(٥) انظر التحديد للداني، والموضح لعبد الوهاب القرطبي، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٩٩ .

(٦) قال د. محمد قدور: «جعل الخليل «الجيم» و«الشين» و«الضاد» في حيز واحد هو شجر الفم، أي: مفرجه، وليس لدى الليث من روايته عن الخليل شيء آخر يشير إلى فضل بيان لهذه الحروف»، انظر أصوات اللغة العربية ص٣٧ .

« الياء » تخرج من الجوف، ولم يفرق بين « الياء » المدية وبين كل من « الياء » اللينة، أو المتحركة[١]، وقوله هذا لا تؤيده الملاحظة، إن صح نسبة هذا الكلام إليه[٢].

أما سيبويه ومن تبعه من أهل العلم فقد جعلوا مخرج « الياء » من وسط اللسان وأضافوا، إليها « الياء » المدية نظرًا لعدم اعتدادهم بمخرج الجوف فيما نسب إليه [٣]، ولم يجعلوا « الضاد » من الوسط بل جعلوها جانبية من حافة اللسان مع ما يقابلها من الأضراس العليا[٤]، فيكون مخرج وسط اللسان عند سيبويه خاص بكل من « الجيم »، و « الشين »، و « الياء » وهذا ما ذهبنا إليه، والذى تؤيده الملاحظة.

---

(١) قال د. كمال بشر: « تبين لنا أن لـ « الواو » و « الياء » - اسمًا ورمزًا - قيمتين صوتيتين مختلفتين: **الحالة الأولى**: كونهما حركات، **والحالة الثانية**: كونهما وحدتين ضمن نظام الأصوات الصامتة، والحكم عليهما بأنهما أفراد في هذا النظام يرجع إلى أسباب صوتية نطقية، وإلى أسباب وظيفية »، قال: « ووهم بعض الدارسين فظن أن « الواو » و « الياء » في « **حوض، وبيت** » جزءان من حركة مركبة »، وهو وهم خاطئ، ولا شك إن الحركة المركبة وحدة واحدة، والموجود في « **حوض، وبيت** » ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة و « الواو » في « حوض »، والفتحة و « الياء » في « بيت »، انظر علم الأصوات ص١٦٥/ ١٧٣ .

(٢) انظر أصالة علم الأصوات عند الخليل بن أحمد.

(٣) لا شك أن هذا الكلام لا تؤيده الملاحظة والتجربة؛ إذ إن لكل منهما وظيفة تختلف عن الأخرى، فـ « الياء » المدية هي حركة، ولها سمات تختص بها الحركات، ومخرجها مخرج مقدر- حر طليق، أما « الياء » المتحركة وكذا اللينة تأخذ حكم الصحاح، ولها سمات ووظيفة تختلف كلا وجزءًا عن الحركات، فلا يجوز وضعهما في مخرج واحد محقق، فإن صح هذا الكلام عن سيبويه فقد جانبه الصواب، إلا إذا كان يقصد بيان مخارج الحروف الصحاح، ونظنه أراد ذلك.

(٤) انظر جهد المقل ص٣٩ .

أما علماء الأصوات المحدثون في ترتيبهم للأصوات[١] فقد جعلوا « الياء » فقط من وسط اللسان قرب مخرج « الكاف »، على أن بعضهم يصرح بقوله: « ويجب أن نعلم أن بين « الياء » وبين « الجيم » و « الشين » قربًا شديدًا في المخرج[٢].

وقد أطلق هؤلاء العلماء علي كل من « الجيم » و « الشين » أصواتًا لثوية حنكية[٣]، ولا شك أن علماء الأصوات المحدثين يتكلمون بصفة عامة عن الحروف والأصوات في جميع اللهجات، وربما تكون الأصوات التي يقصدونها والتى نتكلم بها في العامية المصرية هي نتاج التطور الصوتي كما ذكرنا من قبل، وهذا هو الغالب من وجهة نظرنا؛ ولكن نحن نتكلم في هذا البحث عن مخارج الحروف القرآنية المنقولة إلينا رواية كابرا عن كابر عن رسول الله ﷺ فتكون هي الأدق من حيث الوصف لعدم دخول هذا التطور عليها ولاهتمام القراء في كل العصور بنقل لفظها والاهتمام به[٤]، ورفضهم مخالفة ما ورد عن النبي ﷺ والتي لم تتأثر أيضا باختلاط اللسان العربي بالأعجمي.

---

(١) ترتيب الأصوات عند المحدثين: الهمزة والهاء - العين والحاء - القاف - الخاء والغين والكاف والواو - الياء - الجيم والشين - الراء والزاى والسين والصاد -التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون - الثاء والظاء والثاء - الفاء - الباء والميم « والواو »، انظر علم الأصوات ص١٩٠ .

(٢) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٠ .

(٣) انظر علم الأصوات - د. كمال بشر ص١٨٤، وقال: ومن المهم أن نعلم أن بين « الياء » و « الجيم » و « الشين » قربًا شديدًا في المخرج، حتى إن بعض الدارسين سمى هذه الأصوات الثلاثة « أصوات وسط الحنك »، وهذه الأصوات يسميها العرب في القديم الأصوات الشجرية - نسبة إلى شجر الفم فهى إذن من حيز واحد.

(٤) دليلنا على ذلك ما ورد عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حينما كان يقرأ رجلًا القرآن، فقرأ الرجل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] فنطقها مرسلة، - يعني =

كيفية خروج حروف وسط اللسان:

عند نطق « **الجيم** » يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء محدثًا بهما ذبذبة، ويرتفع الطبق الأنفي ليتخذ الهواء مجراه في الحلق، والفم، حتى يصل إلى وسط اللسان، فيرتفع وسط اللسان جهة سقف الحنك الأعلى محكمًا الغلق الذي ينحبس معه مجرى الهواء، فيمنع استمرار الهواء، ثم ينفصل العضوان انفصالًا بطيئًا فيسمع صوت يكاد يكون انفجاريًا هو صوت الجيم المعطشة[١].

أما « **الشين** »: فتخرج بأن يندفع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان فيمر الهواء من بينهما دون حدوث أي ذبذبة، ويرتفع الطبق الأنفي ليتخذ الهواء مجراه في الفم، حتى يصل إلى المخرج، وهو عند اقتراب وسط اللسان بسقف الحنك الأعلى « سقف الحنك الصلب »، تاركين بينهما فراغًا ضيقًا يسبب نوعًا من الحفيف، أقل من حفيف حروف الصفير، ويلاحظ عند النطق بـ« الشين » أن اللسان كله يرتفع نحو الحنك الأعلى، كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى[٢].

أما « الياء » اللينة والمتحركة: فتخرج بأن يندفع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة، فيقترب الحبلان الصوتيان فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة،

= دون مد، فرفض ذلك سيدنا عبد الله بن مسعود، وأعلم الرجل أنه لم يقرأها هكذا على رسول الله ﷺ. . . . الحديث، والدليل هنا أن الصحابة كانوا يهتمون بلفظ القرآن، والعناية في نطقه كما تعلموه من رسول الله ﷺ.

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٧٧ وما بعدها.

(٢) الأصوات اللغوية ص٧٦ ، قلت: يوجد فروق بين الجيم والشين نتعرض له عند حديثنا عن الصفات، أما هنا فنحن نتكلم عن مخرج الحرف وليس عن صفاته.

ويرتفع الطبق الأنفي ليتخذ الصوت مجراه في الفم، حتى يصل إلى مخرج وسط اللسان، فيقترب وسط اللسان من سقف الحنك الأعلى، تاركًا بينهما فراغًا ضيقًا يسبب نوعًا من الحفيف، نتج عنه صوت «الياء» المتحركة أو اللينة.

رأيت معي أيها القارئ أن المحدثين من علماء الأصوات لم يختلفوا مع القدامى في تحديد مخرج «الجيم» الفصيحة[١]، ولكن اختلفوا في كيفية خروجها، فهي عند القدامى تبدأ بغلق محكم يمنع الصوت من المرور، ثم تنتهي بالتعطيش، وهذه هي «الجيم» الفصيحة التي يقرأ بها القرآن، وهي كذلك عند المحدثين، ولكن سميت عند القدامى بالصوت الشديد، وعند بعض المحدثين بالصوت المركب.

قال الدكتور عبد الصبور شاهين مؤيدًا مذهب القدامى: «إن «الجيم» الفصيحة تنتج باحتباس الهواء عند ملتقى وسط اللسان، مع ما يوازيه من الحنك الأعلى، ثم ينفجر محدثًا صوتًا شديدًا مجهورًا مشوبًا بقليل من الاحتكاك في آخره»، وهو ما يسمى بـ «التعطيش»، وهذا القدر من الاحتكاك قليل بحيث تحتفظ معه «الجيم» بشدتها»[٢].

إلا أن بعض المحدثين[٣] ذهب إلى أن «الجيم» ليس بالصوت المركب، ولكنه صوت قليل الشدة فقال: «فإذا انفصل العضوان انفصالًا بطيئًا سمع

---

(١) قال د. كمال بشر: «واضح في أن هذه الأصوات الثلاثة هي أصوات وسط الحنك، وهذا يوافق ما يراه المحدثون اليوم»، انظر علم الأصوات ص١٨٦ .

(٢) انظر قراءات في الأصوات والنحو ص٢٢٩- د. عبد الصبور شاهين.

(٣) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٨٢ .

صوت يكاد يكون انفجاريًا هو « الجيم » العربية الفصيحة، فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلًا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن أن تسمى « الجيم » العربية الفصيحة صوتًا قليل الشدة ». وفي هذا الرأي نظر.

وذهب البعض الآخر من علماء الأصوات المحدثين[١] إلى أن صوت « الجيم » هو صوت مركب فقال: « الجيم » التي نسمعها من مجيدي القراءة القرآنية تجمع بين الشدة والرخاوة، ولهذا يمكن أن توصف بأنها صوت مركب، وأغلب الظن أن هذا النطق « الجيم » هو أقرب صور نطقها إلى « الجيم » الأصلية، إن لم تكن هي نفسها، وقد عدها القدماء صوتًا انفجاريًا نظرًا لغلق الممر الصوتي عند خروجها، بينما عدَّها المحدثون صوتًا مركبًا حين نظروا إلى الصويت الذي يسبق النطق بها، وربما لم يوجد اختلاف بين الباحثين في وصف صوت من أصوات العربية مثلما وجد مع صوت « الجيم » في العربية الفصحى، كما أنه لم تتنوع الروايات في كيفية نطق صوت مثلما تنوعت في نطق صوت « الجيم ».

وهذا الدكتور أنيس يتحدث عنها فيقول: « يظهر أن « الجيم » التي نسمعها من مجيدي القراءة هي أقرب إلى « الجيم « الأصلية إن لم تكن هي نفسها، و« الجيم « التي نسمعها الآن من المجيدين للقراءة صوت مجهور يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى الذي يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، ثم ينفصل العضوان انفصالًا بطيئًا فيسمع صوت يكاد يكون

---

(١) انظر دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩، ٣٤٠ .

انفجاريًا هو صوت « الجيم » العربية الفصيحة، وتطور هذا الصوت إلى « الجيم » القاهرية أو إلى « الدال » في لهجة صعيد مصر تطورًا طبيعيًا « ربما تقرره القوانين الصوتية؛ لأنها في هذا التطور لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلًا واقتربت من أقصى الحنك، وبعض البدو ينطقون بـ« الجيم » المسماة بالفصيحة، والتى هي مرحلة وسطى فيها شيء من شدة « الدال » وشئ من التعطيش؛ ولذا فإنها ترن في الأذن كأنما هي تبدأ بـ « دال » وتنتهي بـ« جيم » معطشة، أما أهل الشام وبعض المغاربة فينطقون بها كثيرة التعطيش خالية من الشدة »[١].

قلت: ظاهر الكلام السابق يوحي بأنه يوجد خلاف بين المحدثين والقدامى في تحديد ماهية صوت « الجيم »[٢]؛ ولكن في حقيقة الأمر لا يوجد خلاف بين الفريقين، فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى أمام الصوت عدوا الصوت شديدًا « انفجاريًا » والمحدثون حين نظروا إلى الصويت الذي يسبق النطق عدوا الصوت مركبًا[٣]، ولكننا نميل إلى رأي القدامى في أن أصوات

---

(١) وخرج الدكتور أنيس من هذا الكلام بنتيجة مؤداها أن لـ « لجيم » من الناحية الصوتية ثلاثة أنواع أولها: « الجيم » المصرية، وهي شديدة خالصة الشدة، وثانيها: الممزوجة من الشدة والرخاوة فيها من الصنفين معًا وتلك المسماة بالفصيحة، وأخيرًا تلك « الجيم » الرخوة الخالصة الرخاوة وهي « الجيم » الشامية، ومخرج النوعين الأخيرين وسط الحنك، الأصوات اللغوية ص٧٦، وعلم الأصوات ص٣١٤ وما بعدها.

(٢) الخلاف منشؤه تصوير الواقع الصوتي في البلاد العربية لحرف الجيم. ولكن هناك اتفاق بين القدماء والمحدثين على الجيم الفصيحة التي ينطق بها مجيد والقرآن الكريم.

(٣) ذكر في الدراسات الصوتية: « قد يكون حكمهم بأن « الجيم » صوت شديد، أي: انفجارى راجعًا إلى تأثرهم بالجزء الأول من نطق هذا الصوت، وهذا الجزء يتمثل في انحباس الهواء عند بداية النطق به، وهو في ذلك يتفق مع الأصوات الانفجارية عندما تلتقى الأعضاء =

وسط اللسان هي « الجيم »، و « الشين »، و « الياء » اللينة أو المتحركة، وأن « الجيم » صوت يوصف بالشدة، وهو الأدق في الوصف؛ لأنك إذا قلت: « أج » فسوف تجد أن وسط اللسان التصق بما يقابله من الحنك الأعلى « سقف الحنك الصلب، محكمًا غلقه، وإذا قلت: « أى » تجد أيضًا أن وسط اللسان ارتفع واقترب من سقف الحنك الأعلى، مضيقًا المسافة بينهما فانتج صوت « الياء » الرخوة، وإذا قلت: « أش » تجد نفس الأمر، خاصة إذا علمنا أن أحد المحدثين من علماء الأصوات أطلق على هذه الأصوات الثلاثة: أصوات وسط الحنك[1].

هذا: وقد يتفاوت الناس في إخراج كل من « الجيم » و « الشين » فنسمع من البعض أصواتًا مختلفة عن « الجيم » العربية وكذا « الشين »، سوف نبينها عند حديثنا عن أخطاء الحروف بعد مبحث الصفات، إن شاء الله وقدر.

وإذا أردنا أن نعرف أي الحروف الثلاثة أسبق من الآخر في المخرج، فنقول كما قال المرعشي: « ترتيب المخارج بحسب حكم الطبع المستقيم خاليًا عن التكلف كما قاله أبو شامة نقلًا عن الداني »[2].

= الناطقة التقاء تامًا بحيث ينحبس الهواء، ومعناه حينئذ أنهم أهملوا الجزء الثاني وهو الانتقال من الانحباس إلى الانفجار البطيء الذي يحدث الاحتكاك، والمعروف طبعًا أن الانفجار في الأصوات الانفجارية الصرفة يكون فجأة وبسرعة، أو ربما كانت « الجيم » تنطق في القديم بما يشبه « الجيم » القاهرية في اللغة العامية دون تعطيش »، وقال: « هذا هو التفسير الراجح في نظرنا »، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٨٢ وما بعدها، وانظر علم الأصوات ص١٢٦ .

(١) انظر علم الأصوات - د.بشر ص١١٣ .

(٢) انظر جهد المقل للمرعشي.

وتسمى الأحرف الثلاثة أحرفًا شجرية بسكون «الجيم» نسبة إلى منطقة وسط الفم، قال ابن الجزري:

.... **والوسط فجيم الشين يا** ....[١]

وقال الشاطبي:

ووسطهما منه ثلاث................[٢]

وقال صاحب السلسبيل:

.... **والجيم والشين ويا من وسطه**[٣]

المخرج الثامن: مخرج «الضاد» على رأي الجمهور.

هو ما بين إحدى حافتي اللسان وما يحاذيهما من الأضراس[٤]، ويخرج منه «الضاد» المعجمة، قال ابن الجزري: وتخرج «الضاد» من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الجانب الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين[٥]، وخروجها من اليسرى أسهل وأكثر استعمالًا.

قال المرعشي: «وأول تلك الحافة مما يلي الحلق ما يحاذى وسط اللسان، بعيد مخرج «الياء»، وآخرها ما يحاذي آخر الطواحن من جهة خارج الفم، وخروجها من الحافة اليسرى أيسر[٦]».

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٢) انظر متن الشاطبية ص٩١ . (٣) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٤) انظر جهد المقل ص ٣٩، والدراسات الصوتية ص ٢٠٠، والكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٣ .

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ ....

(٦) انظر جهد المقل ص٣٩ .

ومخرج « الضاد » به طول، فهو من أول حافة اللسان من جهة الداخل إلى أقرب طرفه عند مخرج « الياء » وما يقابله من الأضراس، ويكون من الجانب الأيسر، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالًا، ومن الجانبين أعسر وأعز.

لذلك قال في السلسبيل موضحًا ذلك الأمر:

وكونها اليسرى هو الكثير وباليمين نطقها عسير[١]

وذكر أبو شامة في شرح الشاطبية: أن من العلماء من يجعل مخرج « الضاد » قبل « الجيم »، و « الشين »، و « الياء »[٢]، وذهب بعض علماء التجويد أن مخرج « الضاد » بعد مخرج « الياء »، فيكون ترتيب الحروف عندهم: « الجيم »، و « الشين »، و « الياء » ثم « الضاد »[٣].

والوصف السابق لمخرج صوت « الضاد » ينطبق على « الضاد » العربية القديمة التي استحالت في ألسنة الناطقين بالعربية اليوم إلى عدة أصوات لا ينطبق عليها جميعًا الوصف المتقدم لمخرج « الضاد »[٤].

كيفية خروج الضاد:

تخرج « **الضاد** » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيؤدي إلى اقتراب الأحبال الصوتية محدثًا بهما ذبذبة، ثم يتخذ الصوت مجراه في الحلق، فيغلق الطبق الأنفي فيتجه الصوت إلى الفم حتى

(١) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٢) انظر إبراز المعاني باب مخارج الحروف.

(٣) انظر سر صناعة الإعراب ج١ ص٥٠ .

(٤) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠١ .

ينحصر بين حافة اللسان والأضراس من الجهة اليسرى أو اليمنى، ويلتصق اللسان بسقف الحنك الأعلى لصفة الإطباق، ويرتفع أقصى اللسان كذلك مقتربًا من سقف الحنك الرخو لصفة الاستعلاء.

ويلاحظ أن مسافة مخرج «الضاد» طويلة بطول مسافة الأضراس؛ لذلك عدت عند الجمهور من الأصوات الرخوة، عكس ما ذهب علماء الأصوات المحدثين.

اختلاف العلماء في مخرج الضاد:

اختلف العلماء أيضًا في تحديد مخرج «الضاد»[1]، فالخليل جعل مخرجها

(١) قال ابن يعيش في شرح المفصل: «والضاد» من حيز «الجيم»، و«الشين»، و«الياء»، ولها حيز واحد؛ لأنها تقرب من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، إلا إنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»، وقال د. عبد الغفار هلال: «الضاد» هي النظير المجهور لـ«لطاء»، فلا فرق بينهما إلا أن «الطاء» صوت مهموس و«الضاد» صوت مجهور، كما أنه لا فرق بين «الدال» و«الضاد»، إلا أن «الضاد» مطبق «مفخم»، و«الدال» لا إطباق فيه، فـ«الضاد» إذن صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم «مطبق»، وهذا الوصف الذي أوردناه لـ«الضاد» يختلف عما ذكره علماء العربية لهذا الصوت في نقطتين أساسيتين:
أما فيما يتعلق بموضع النطق فقد نسبها سيبويه وتبعه ابن جني وغيره إلى منطقة تلي منطقة «الجيم» و«الشين» و«الياء»، أما الخليل فقد نسبها إلى مخرج «الجيم» و«الشين»، ويبدو أن سيبويه وغيره من علماء العربية والقراء كانوا يتكلمون عن «ضاد» غير تلك «الضاد» التي نعرفها ونمارسها نطقًا اليوم في جمهورية مصر العربية»، وهكذا نرى أنه نسب «الضاد» إلى موضع لا يشترك معها فيه غيرها، على حين أن «ضادنا» الحالية تخرج من النقطة التي تخرج منها «التاء» و«الدال» و«الطاء»، ويؤيد هذا الاستنتاج ما أشار إليه في النص نفسه من أن «الطاء» لا «الضاد» هي النظير المفخم لـ«لدال» على عكس الموجود =

من وسط اللسان مع « الجيم، والشين »، وعلماء الأصوات المحدثون جعلوه من طرف اللسان مع كل من « التاء »، و « الدال »، و « الطاء »، فلربما قصدوا « الضاد »[١] . التي تنطق كما ينطقها العوام في مصر، والتى يعاب على أهلها أنهم يخرجونها « دالًا » مفخمة، ولكننا نتكلم عن « الضاد » العربية الفصيحة التي نقرأ بها القرآن الكريم، والتى تخرج من حافة اللسان مع الأضراس رخوة مستطيلة.

قال أحد المحدثين: « لعل « الضاد » التي وصفت في كتب القراءات قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى النطق الحديث الشائع بين قرائنا الآن، فقد انتقل مخرج « الضاد » إلى « الدال »، وأصبحنا الآن لا نفرق بين « الدال »

= في نطقنا الحاضر، إذ فيه تقع « الضاد » موقع النظير المفخم لهذا الصوت، ثم ذهب الدكتور كمال بشر لاحتمال أنها تشبه ذلك الصوت الذي وسط بين « الضاد » و« الظاء » في بعض اللهجات في البلاد العربية كالعراق والكويت، ومهما يكن من أمر فالمفهوم من جملة التراث اللغوي للعرب أن الضاد القديمه صوت احتكاكي جانبي، وأنه ليس له ما يناظره من الأصوات في موضع النطق، حتى إذا زال عنه الإطباق والتفخيم لم يبق منه في العربية شيء »، انظر الأصوات العربية ص١٠٤ .

قلت: الكلام على نطق « الضاد » الشبيهة بـ« الظاء » كلام احتمالي كما ترى، ولم يجزم به هذا الباحث وإن كان ذلك الصوت موجودًا في بعض البلدان العربية إلا أنه لا يتصل بالضاد العربية الفصيحة، ولك الرجوع إلى كتب الأصوات في ذلك، ولا أدري ما الشبهة التي جعلت نطق « الضاد » قريبة من « الظاء »، هل من أجل الرخاوة، فنقول: إن هذه الشبهة مردود عليها في أن مخرج «الضاد» فيه مسافة تجعل الصوت يجرى في المخرج دون الحاجة إلى نشبيهها بالظاء أو غيره، وهو ما يطلق عليه الاستطالة.

(١) يلاحظ أن « الضاد » المقصودة عند علماء الأصوات المحدثين أصبحت شديدة، وأما « ضادنا » القرآنية فرخوة؛ لطول مخرجها الذي يسمح للصوت أن يجرى فيه، وهو حافة اللسان وما يقابله من الأضراس، ولا توصف بقلقلة.

و « الضاد » إلا في الإطباق، وهذا نوع من التطور التاريخي الذي قد يعرض للأصوات اللغوية، هذا إلى أن أصواتًا أخرى من أصوات اللغة العربية قد أصابها نوع من التطور التاريخي حتى صارت إلى النطق الحديث في لغة الكلام الآن[١].

لذلك نرجح ما ذهب إليه سيبويه ومن تابعه وجمهور أهل العلم، في أن مخرج « الضاد » من إحدى حافتين اللسان وما يقابله من الأضراس[٢]، وهو كما تعلمناه من شيوخنا عند تلاوتنا للقرآن الكريم، فلا يصح لأحد أن يخرجها عند تلاوة القرآن شديدة، كما ينطقها العوام؛ لأن صوت « الضاد » في الصحيح لا يتعدى المخرج[٣]، وهو إحدى حافتي اللسان مع ما يقابله من الأضراس العليا، ولا يجوز نطق « الضاد » التي حدث لها تطور تاريخي عند تلاوة القرآن.

قال ابن الجزري:

والضاد من حافته إذ وليا لاضراس من أيسر أو يمناها[٤]

وقال الشاطبي:

.............وحافة الـ لسان فأقصاها لحرف تطولا

---

(١) الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس ص٢٠٧ .

(٢) التلاوة العملية لنطق الضاد الفصيحة تكون بين حافة اللسان والأضراس العليا.

(٣) نظرا لكثرة الحديث حول هذا الحرف والفتن التي حدثت من البعض بخصوصه أفردنا له مبحثا خاصا في فصل «شبهات والرد عليها» في نهاية الكتاب.

(٤) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

إلى ما يلى الأضراس وهو لديهما   يعز وباليمنى يكون مقللا[١]

وقال في السلسبيل الشافي:

ومخرج الضاد لكل الناس   من حافة اللسان والأضراس[٢]

المخرج التاسع: مخرج « اللام »

هو ما بين حافتي اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وبين ما يليها من الحنك الأعلى[٣] « وهو: ما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية » بعد مخرج « الضاد »، ويخرج منه اللام[٤].

فمخرج « اللام » هو: جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الأعلى فويق الضواحك والأنياب والثنايا[٥].

قال بعض الشراح: « مخرجها من أول حافة اللسان إلى آخرها وهو رأس اللسان مع ما يليها من لثة الحنك الأعلى »[٦].

قال المرعشي: « ما بين حافة اللسان معا بعد مخرج « الضاد » وما يحاذيهما من اللثة العليا، وهى لثة الضاحكين، والنابين، والرباعيتين، والثنيتين، ويخرج منه « اللام »[٧]، وقال أيضًا: « فمخرج « اللام » ما بين حافتي اللسان مع رأسه، وبين ما يحاذى الجميع من اللثة العليا، ثم تحدث عن طول مخرج

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩١ .
(٢) انظر السلسبيل الشافى ص٣٤ .
(٣) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه ج٤ ص٤٣٣ .
(٥) علم الأصوات د. كمال بشر.
(٦) انظر نهاية القول المفيد.
(٧) انظر جهد المقل ص٤٠ .

« اللام » فقال: وليس في الحروف أوسع مخرجًا منه لطوله كما ترى لكنه مقوس[١].

وكان ابن الحاجب يرى أنه يكفي في تحديد مخرج « اللام » ذكر الثنايا فقال: « وكان ينبغي أن يقال فوق الثنايا »، لكنه اعتذر عن ذلك بقوله: « على الناطق بـ« اللام » تنبسط جوانب طرفي لسانه مما فوق الضاحك إلى الضاحك الآخر، وإن كان المخرج في الحقيقة ليس إلا فوق الثنايا، وإنما ذلك يأتي لما فيها من شبه الشدة، ودخول المخرج في ظهر اللسان، فينبسط الجانبان لذلك، فلذلك عدد الضاحك، والناب، والرباعية، والثنية[٢].

كيفية خروج اللام:

تخرج « اللام » باندفاع الهواء من الرئتين بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما محدثا ذبذبة، وعند مرور الصوت بالممر الصوتي يغلق الطبق الأنفي، فيتجه الهواء إلى الفم فيتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا غالقًا الطريق أمام الصوت، فيمنع مرور الهواء منه، فيتجه الهواء إلى جانبي الفم أو من أحدهما[٣]، لذلك سماه علماء الأصوات الأوربيون حرفًا جانبيًا[٤].

---

(١) انظر بيان جهد المقل للمرعشي.

(٢) انظر الدراسالت الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٢، وانظر الإيضاح في شرح المفصل.

(٣) وهذا معنى الجانبية، وقد أصاب العرب في تسميته بالصوت المنحرف، وقالوا في تفسير ذلك: « لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما »، انظر الأصوات العربية ص١٢٩ .

(٤) انظر علم الأصوات - تعريب د. عبد الصبور شاهين ص٧٨ .

قال أحد المحدثين: « اللام » العربية صوت جانبي، وهو نوع من القطوع الصامتة تؤدي بحبسة كاملة الانغلاق وسط القناة النطقية بحيث يجد ممرًا جانبيًا لتيار الهواء حول جانب أو جانبي العائق[١].

قال ابن الجزري:

.... **والـلام أدنـاهـا لـمـنـتـهـاهـا**[٢]

وقال الشاطبي:

وحرف بأدناها إلى منتهاه قد يلي الحنك الأعلى ودونه ذو ولا[٣]

وقال في السلسبيل الشافي:

والـلام أدنـاهـا إلـى انـتـهـائـهـا ....[٤]

هذا على مذهب الجمهور؛ أما مذهب الفراء وموافقوه فقد جعلوا « اللام » و « النون » مع « الراء » من مخرج واحد، وليس لكل واحد منهم مخرج مستقل[٥].

المخرج العاشر: مخرج « النون »

وهو ما بين طرف اللسان[٦] وما يحاذية من لثة الثنيتين العليين[٧]، ويخرج

---

(١) انظر مبادئ علم الأصوات العام ص٧٨ . (٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩٢ . (٤) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٥) انظر جهد المقل- ونهاية القول المفيد.

(٦) قال الداني: وطرف اللسان له خمسة مخارج، وأحد عشر حرفًا وهي: ر- ن - ط د ت - ص ز س - ظ ذ ث، وقال د. غانم قدوري: وقد سمى بعض المحدثين حروف طرف اللسان المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة للمخارج، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٠٣/ ٢٠٤ .

(٧) انظر جهد المقل ص٤٠ .

منه « النون » المظهرة[١]؛ لأن « النون » المخفاة لا تخرج « نونًا » خالصة، بل تخرج من مخرج الحرف التي أخفيت عنده، والغنة صفة مخرجها الخيشوم.

قال المرعشي: جعلوا مخرج « النون » من طرف اللسان، وهو رأسه مع ما يليه من اللثة مائلًا إلى ما تحت « اللام » قليلًا[٢]، وقيل فوقها - أي قليلًا - ومخرجه أضيق من مخرج « اللام »، ومن جعلها فوق « اللام » يقدمها في الترتيب على « اللام »، وقيدنا « النون » بالمظهرة؛ لأن « النون » المخفاة غنة مخرجها الخيشوم، وهي من الحروف المتفرعة[٣].

كيفية خروج النون:

عند خروج « النون » المظهرة يندفع الهواء من الرئتين بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، وعند مرور الصوت بالممر الصوتي في الفم يتصل طرف اللسان بـ: لثة الثنيتين العلويتين غالقًا الطريق أمام الصوت، فيمنع مرور الهواء منه،

---

(١) لا نعني هنا أننا قد أهملنا « النون » المشددة، فإنها عندنا تدخل ضمن « النون » المظهرة، ولكن فيها كمال الغنة، ونلاحظ أن الصوت في الفم أوضح عند نطقها من « النون » المظهرة، نظرًا لطول زمنها عن زمن المظهرة، وقد أطلق علماء الأصوات المحدثين على هذه « النون » الصوت الأنفي، وقالوا عنه: « هو نوع من القطوع الصامتة الذي تؤديه كما تؤدى الوقفة، حبسة ذات انغلاق كامل، ولكنه لا يحدث فيه انغلاق طبقي، ومن ثم فإن تيار الهواء لا ينحبس كما ينحبس في الوقفي الشديد رغم عدم مروره عبر الفم؛ لأنه يحوّل إلى الأنف »، انظر علم الأصوات العام - ديفيد ابركرومبي ص٧٦ .
وهذه « النون » من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابلية للتغيير في الأداء النطقي الفعلي، فتظهر لها صور فرعية، أو تنوعات مختلفة نسميها صور صوتية، انظر علم الأصوات.

(٢) قال ابن الجزري كلامًا قريبًا من هذا، انظر النشر في القراءات العشر ص. ٢٠٠

(٣) انظر جهد المقل ص٤٠/ ٤١ .

فينخفض الحنك اللين، فيمر الصوت من الفم إلى التجويف الأنفي خارجًا منه محدثًا صوت النون.

قلت: إن صوت «النون» يستمر جزء منه موجود في الفم مصطدمًا بالمكان المغلق[١]، والذى يخرج من الأنف هو الغنة فقط، والملاحظة خير دليل على ذلك[٢]؛ لذلك عدّه بعض المحدثين ضمن الحروف الأنفموية[٣]، أي: فموي أنفي، والدليل على ذلك أنك لو فرجت بين الشفتين فرجة قليلة جدًا لوجد الصوت له منفذًا يتسرب منه، وتشعر به مع استمرار الغنة[٤] كما هي من الخيشوم[٥].

---

(١) الدليل على ذلك أنه في حالة إخفاء «النون» يتجافى اللسان عن سقف الحنك الأعلى فنشعر بخروج صوت من الفم؛ لأن «النون» ليست كلها غنة، وإنما الغنة هي بعض صفات «النون»، وإذا التصق اللسان باللثة عند «النون» المخفاة تخرج «نونا» خالصة بغنة، وليست مخفاة.

(٢) قلت: الملاحظ عند نطقك لـ «النون» حالة الإخفاء أن الصوت يخرج من الخيشوم وبعضه يخرج من الفم، وليس كل الصوت يخرج من الأنف كما ذهب البعض، ولكن جعلوا الخيشوم مخرج النون المخفاة؛ لأن الصوت الغالب حال الإخفاء يخرج منه، ولكن لا يمنع خروج بعض الصوت من الفم.

(٣) لزيادة إيضاح لهذه الجزئية يمكنك الرجوع إلى صفة الغنة في هذا الكتاب ضمن الصفات غير الضدية، أما الصور الأخرى لـ «النون» فسوف نتحدث عنها في الكتاب التالى إن شاء الله.

(٤) قال الشيخ القاضى: «إن مخرج «التنوين»، و «النون»، و «الميم» في الأنف إن كنّ ساكنات، ولم يكنّ مظهرات بل كنّ مدغمات أو مخفيات، فإذا كانت هذه الأحرف متحركة أو كانت ساكنة مظهرة فإن مخرج «التنوين» من طرف اللسان، و «الميم» من الشفتين، انظر الوافي ص٢٧٧، قلت: سوف نوضح هذا الكلام في فصل الشبهات في الفصل الأخير من هذا الكتاب».

(٥) وسوف نوضح هذه المسألة في فصل شبهات والرد عليها بتوسع.

قال ابن الجزري:

والنون من طرفه تحت اجعلوا ....[1]

وقال صاحب السلسبيل:

.... **والنون من طرفه من تحتها**[2]

المخرج الحادى عشر: مخرج « الراء »

هو ما بين رأس اللسان من جهة ظهره وما يحاذيه من لثة الثنيتين العلويتين « فوق الثنايا العليا »[3] ويخرج منه « الراء »، هذا على مذهب الجمهور، وكذا مذهب الشاطبي ومن وافقه[4].

قال المرعشي[5]: « الراء » تخرج من مخرج « النون »، غير أنها أدخل إلى ظهر اللسان قليلًا، وأراد من قوله: ظهر اللسان ظهره مما يلي رأسه، وظهره صفحته التي تلي الحنك الأعلى[6].

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب مخارج الحروف.

(٢) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ .

(٤) لاحظ أن الفراء، والجرمي ومن تابعهما جعلوا « اللام » و « النون » و « الراء » من مخرج واحد، أشار الإمام ابن بري إلى مذهب الفراء بقوله:

واللام من طرفه والراء والنون هكذا حكى الفراء

(٥) انظر كتاب أحكام قراءة القرآن ص٤٨ .

(٦) قال أبو شامة: « أورد أبو عمرو - يعني الداني - أن كون « الراء » أدخل إلى ظهر اللسان يقتضي أن يكون مخرج « الراء » قبل « النون »، وأجيب عنه بأنك إذا نطقت بـ « « النون » و « الراء » ساكنتين وجدت طرف اللسان عند النطق بـ « الراء » بعد مخرج « النون »، هذا =

كيفية خروج الراء:

عند خروج « الراء » يندفع الهواء من الرئتين بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، وعند مرور الصوت بالممر الصوتي يغلق الطبق الأنفي، فيتجه الهواء إلى الفم، فيتصل رأس اللسان من جهة ظهره باللثة محدثًا ضربات متكررة سريعة يسمح للهواء للمرور من خلالها، فيسمع صوت التكرار نتيجة هذه الوقفات المتكررة، لذلك سماه القدامى الصوت المكرر، وفسروا ذلك بقولهم: « ذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير »[1].

وتسمى هذه الأحرف الثلاثة: بالأحرف الذلقية لخروجها من ذلق اللسان.

قال ابن الجزري:

والرا يدانيه لظهر أدخلوا ....[2]

وقال الشاطبي:

وحرف يدانيه الظهر مدخل وكم حاذق مع سيبويه به يجتلى[3]

= هو الذي يجده الطبع المستقيم، وقد يمكن إخراج « الراء » مما هو أدخل من مخرج « النون »، أو من مخرج « النون » لكن بتكلف والكلام في المخارج على حسب استقامة الطبع لا على التكلف، انظر جهد المقل ص٤١ .

(١) الأصوات العربية ص١٢٩، ويرجع كذلك إلى صفة التكرير في هذا الكتاب ضمن مبحث الصفات غير ضدية لزيادة الإيضاح؛ لأن صفة التكرير من الصفات المذمومة التي يجب على القارئ تجنبها خاصة مع الحرف المشدد.

(٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

وقال في السلسبيل الشافي:

والراء منه ولظهر تقرب ....[١]

وأشار الإمام ابن بري إلى مذهب والجمهور بقوله:

والحق أن اللام قد تناهى   له من الحافة من أدناها
والراء أدخل إلى ظهر اللسان   من مخرج النون فدونك البيان[٢]

وجه الشبه بين حروف هذا المخرج وحروف المد « الحركات »:

الأصوات السابقة: « اللام » و« النون » و« الراء » تشبه الحركات في أهم خاصية من خواصها، وهي قوة الوضوح السمعي، ويمكن تفسير هذا الشبه بما يجرى حال النطق بهذه الأصوات، ونلاحظ أن هواء « اللام » و« الميم » و« النون » يخرج حرّا طليقًا كالحركات تمامًا، ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع « اللام » من جانبي الفم، ومع « الميم » و« النون » من الأنف، فالشبه إذن ينحصر في حرية مرور الهواء، ولكن هذه الأصوات لم تعد حركات؛ لأن هواءها الحر لم يخرج من وسط الفم، ولم ينفتح فيها الفم انفتاحه في الحركات، ولهذا سميت أشباه صوائت[٣].

قال بعض المحدثين: « ولقد أطلق علماء العربية القدامى على هذه الأصوات « الأصوات المتوسطة »، وهي في رأيهم متوسطة بين الشدة والرخاوة، أي: بين الانفجار والاحتكاك، وهذا في نظري تقدير غير دقيق إلا

(١) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .
(٢) انظر نهاية القول المفيد.
(٣) انظر علم الأصوات.

إذا قصدوا بها أنها ليست انفجارية ولا احتكاكية، وإنما هو نوع مستقل، وكان الأَوْلَى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات، فهي كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة، ولكنها في الوقت نفسه تبدى شبهًا معينًا بالحركات، ومن ثم أطلقنا عليها نحن، أي: علماء الأصوات «أشباه الحركات»، ومن يدري؟ لعل علماء العربية القدامى قصدوا هذا الذي قصدناه، وربما يؤيد هذا الاحتمال أن بعضهم ضم إلى هذه الأصوات أصواتًا أخرى قريبة الشبه جدًا من الحركات، أو هي حركات بالفعل، لقد ضموا إليها «الياء» و«الواو» و«الألف» وجمعوها كلها في «لم يرو عنا» فإذا فسرت «الياء» و«الواو» من «**ولد**»، و«**يترك**»، فيكون كلامهم مقبولًا؛ ذلك لأن «الواو» و«الياء» هنا - كما أشرنا من قبل - لهما شبه بالحركات، ولكنهما تؤديان وظائف الأصوات الصامتة[1].

تنويه: الترتيب المتبع للمخارج في هذا الكتاب هو ترتيب الجمهور، وهو في الأصل لم يختلف عن ترتيب سيبويه لمخارج الحروف، إلا في النذر اليسير؛ ولأنه المذهب الأدق - من وجهة نظرنا - في ترتيب الحروف ترتيبًا صوتيًا، وهو الذي تؤيده الملاحظة والتجربة، وكذا من وجهة نظر بعض المحدثين من علماء الأصوات؛ لأن ترتيب الأصوات عند الخليل بن أحمد مخالف لهذا الترتيب، وترتيب الخليل للمخارج ترتيبًا صوتيًا لم يكن دقيقًا كدقة ترتيب سيبويه لها.

فبعد أن عد الخليل حروف «وسط اللسان «ج، ش، ض» تلاها بحروف

(١) انظر الأصوات العربية ص١٣١ .

الصفير « س ص ز »، ثم الـ « ط، د، ت »، ثم الـ « ظ، ذ، ث » ثم الـ « ر، ل، ن »، وهذا الترتيب المنسوب للخليل[١] لا تؤيده الملاحظة أو التجربة؛ لأنك حين تقول: « أن » تجد أنها أدخل من « الطاء » ومجانسها[٢] وإذا قلت: « أط »، تجد أيضا أنها أدخل من « السين ومجانسها »[٣].

قلت: من السهل أن تحكم لسيبويه بالدقة البالغة في ترتيب الأصوات تبعًا لمخارجها، وأن نسجل على الخليل - إن صح نسبة هذا الترتيب إليه - أنه لم يدرك ترتيب الأصوات من هذا الوجه، فخلط بين الأصوات من ناحية، حيث قرن مثلًا بين « الواو » و « الياء »، في المخرج، وجمع إليهما « الألف »، وشتان بين الثلاثة في المخرج، وخلط بين المجموعات من ناحية أخرى، فوضع مجموعة « الظاء »، و « الذال »، و « الثاء » وضعًا يوحي بأنها أعمق مخرجًا من مجموعة « الراء »، و « اللام »، و « النون » ومن أجل هذا وجدنا أن أجيال العلماء بعد سيبويه قد التزمت ترتيبه التزامًا مطلقًا، وقد لاحظ هذا الخلط ابن جني، فقال بعد أن ذكر ترتيب سيبويه: « فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصورها وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلط واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفًا، مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب »[٤].

---

(١) انظر أصالة علم الأصوات ص٢٧، ٣٧/ ٤٠ .

(٢) أقصد بمجانسها الحروف التي اشتركت معها في المجموعة، أي: المخرج، وهى بالنسبة لـ « الطاء »، « التاء »، و« الدال »، وبالنسبة لـ « السين »، « الصاد »، « الزاى »، وبالنسبة لـ « الظاء »، « الذال » و « الثاء ».

(٣) هذا الترتيب المنسوب للخليل يؤيد ما ذهبنا إليه في تحديد مذهب مستقل لمخارج الحروف مخالف لمذهب الجمهور.

(٤) انظر الأصوات العربية.

وعلماء الأصوات أيضًا اختلفوا مع سيبويه في ترتيبهم للمخارج - كما بينا آنفًا - وكان ترتيبهم لحروف هذه المجموعة كالآتي: « ل ر ن »، وأنت تلاحظ أن سيبويه رتب حروف هذه المجموعة كما سبق بيانه إلى « ل ن ر »، وهذا من وجهة نظرنا لا يعتبر خلافًا؛ لأن الخلاف في ترتيب حروف المجموعة الواحدة لا يعد خلافًا؛ لأن تحديد أي الحروف أسبق في المخرج تختلف باختلاف وجهة نظر الباحث، وخبرته الشخصية، وقوة ملاحظته، خاصة إذا علمنا أن طرف اللسان أصواته كثيرة ومتداخلة لكثرتها، فهو يشتمل على إثني عشر صوتًا من مجموع أصوات اللسان الثمانية عشر على مذهب الجمهور.

المخرج الثاني عشر: مخرج « الطاء والدال والتاء »

وهو ما بين ظهر اللسان، أي: طرفه وأصل الثنيتين العلويتين[1]، « مصعدًا إلى جهة الحنك »[2] ويخرج منه « الطاء » و « الدال » و « التاء ».

وقد أتى المرعشي ببعض التحقيقات الدقيقة في تحديد مخرج الحروف الثلاثة، منها: أنه قَسَّمَ مخرجها إلى ثلاثة مخارج جزئية، على حسب النظرية القائلة إن أصوات المخرج الواحد تتمايز في موضعها تبعًا للجهر، والهمس، والإطباق، والانفتاح، فقال: « فظهر أن أصليهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع: فما يلي اللثة منها يخرج منه « الطاء »، ومن بعيده « الدال »، ومن بعيده « التاء »، فالمراد من أصليهما ليس أقصى نهايتهما من جانب اللثة لاستحالة

(١) انظر جهد المقل ص٤٣ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ .

الانقسام حينئذ، بل المراد ما يلي اللثة من نصفيهما »[١]، وهي على الترتيب كما أوردها ابن الجزري:

والطاء والدال وتا منه ومن عليا الثنايا.....[٢]

وفي الشاطبية:

ومنه ومن عليا الثنايا ثلاثة ....[٣]

وقال في السلسبيل الشافي:

والطاء والدال وتاء فيها منه ومن أصل الثنيا العليا[٤]

ويقال لها: « الحروف النطعية »؛ لأنها تخرج من نطع، أي: جلد غار الحنك الأعلى وهو سقفه »[٥].

إلا أن بعض المحدثين قال: « يبدو أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق؛ لأن النطع - كما شرحته المعاجم، وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء - هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا، فيقول الفيروزبادي في معجمه: « إن

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٨، وجهد المقل ص٤٣ . قال المرعشي: إن قلت: ينحصر الصوت في حروف الإطباق بين وسط اللسان والحنك الأعلى، فلزم أن يكون مخرج « الطاء » أوسع من مخرجي أختيها، وشرط كون العضو مخرجًا انقطاع الصوت عنده، ولا يكفى الانحصار، ولا ينقطع صوت « الطاء » إلا في موضع ينقطع صوت أختيها فيه.

(٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٣) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

(٤) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤ .

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠٠ .

النطع كعنب ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز »، وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا، بل ومعظم الثنايا من الداخل، فهي أصوات أسنانية لثوية ولو قد وضعوا هذا المصطلح » لـ « اللام » و « الراء » و « النون » لكانوا أقرب إلى الصواب[١].

كيفية خروج حروف هذا المخرج:

تخرج « الدال » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، وعند مرور الصوت بالممر الصوتي يغلق الطبق الأنفي، فيتجه الهواء إلى الفم، فيرتفع طرف اللسان ليتصل بأصول الأسنان العليا، مغلقا الممر الفموي فيمنع الهواء من المرور، ثم ينفرج الممر فجأة فيجرى الصوت فنسمع صوت « الدال ».

أما « الطاء » فتخرج كما تخرج « الدال »؛ إلا أننا لا نسمع أي ذبذبة للأحبال الصوتية[٢]؛ لأن جزءًا كبيرًا من اللسان سد الممر الصوتي، فتوقف الهواء عن الاستمرار، فلم تهتز الأحبال الصوتية لذلك، ولكن الصوت الناتج عند فتح المخرج يشبه الصوت الخارج في « الدال » عند فتح مخرجها ولم يشبه صوت « التاء »، مما يؤيد أن « الطاء » صوت مجهور مثل « الدال »، ولكن الملاحظ في نطق « الطاء » أن أقصى اللسان ارتفع مقتربًا من سقف الحنك الرخو لصفة

---

(١) الأصوات اللغوية - د. أنيس ص١٠٧ .

(٢) هذا رأي بعض المحدثين - ولكنها عند القدماء صوت مجهور تهتز معه الوتران وهي كذلك عند بعض المحدثين.

الاستعلاء في « الطاء »، وطائفة من اللسان اتصلت كذلك بسقف الحنك لصفة الإطباق.

أما « التاء » فتخرج باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما فلا يحدث أي ذبذبة، وعند مرور الهواء بالممر الصوتي يغلق الطبق الأنفي، فيتجه الهواء إلى الفم، فيرتفع طرف اللسان ليتصل بأصول الأسنان العليا مغلقًا الممر الفموي، فيمنع الهواء من المرور، ولكن عند الفتح المفاجئ للمخرج يجرى النفس فيسمع صوت « التاء » المهموسة.

قلت: لاحظ أن علماء الأصوات المحدثين جعلوا مخرج « الضاد » ضمن مخرج هذه المجموعة، وقد جعلوا « الضاد » هي المقابل المفخم لـ « الدال » وهي بذلك عندهم حرف شديد عكس ما ذهب إليه علماء اللغة القدامى والأداء[١].

المخرج الثالث عشر: حروف الصفير وهى « **السين والصاد والزاي** »

هو ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العلويتين « الداخليتين »[٢]،

---

(١) انظر علم الأصوات د. كمال بشر.

(٢) لم يصف سيبويه الثنايا في هذا الموضع ولا في غيره، فلم يقل: العليا ولا السفلى، وحاول العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه أن يحددوا مراد سيبويه من قوله: « فوق الثنايا »، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٠٩، وقال مؤلفه: « ذهب بعض علماء التجويد إلى تخصيص الثنايا بقولهم: « العليا »، لكنهم لم يستخدموا حينئذ كلمة « فويق » قال الداني: « والصاد »، و « الزاى »، و « السين » من مخرج واحد، وهى الفرجة التي بين طرف اللسان والثنايا العليا »، لكن الداني قال في كتاب الإدغام الكبير: « والصاد » و « السين » و « الزاي » « من مخرج واحد، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا السفلى، قال د. غانم قدوري: =

ويخرج منه « السين »، و « الصاد »، و « الزاي »، ولا بد من مراعاة عدم اتصال رأس اللسان بهاتين الصفحتين، ولكن يسامتهما، و « الصاد » أدخل، و « الزاى » أخرج و « السين » متوسط، قال ابن القاصح: « تخرج هذه الثلاثة من بين طرف اللسان، والثنايا العليا وأراد صفحتيهما الداخليتين »[١]، وتسمى هذه الأحرف بالأحرف الأسلية؛ لخروجها من أسلة اللسان؛ وتسمى أيضًا: « بأحرف الصفير، ولكن البعض يدعي أن رأس اللسان يقابل الثنايا السفلى، وإني لأتعجب من ذلك، فهذا ابن الجزري يقول عن مخرجها: ومن فوق الثنايا السفلى[٢]، والبعض يقول: إن مخرجها من الثنايا السفلى والصيح أنها أقرب للعليا.

قلت: ربما أشكل عليهم ذلك بسبب قرب الثنايا العليا من الثنايا السفلى عند

= وقوله: « أصول الثنايا السفلى غريب جدًا؛ لأن الذين استخدموا كلمة « السفلى » يقولون: فويق الثنايا السفلى، ثم قال: « وذهب الطحان مذهبًا قريبًا من مذهب الداني الأول »، ولعل المرعشي كان أكثر العلماء المشتغلين بهذا العلم دقة في التعبير عن مخرج هذه الحروف الثلاثة، وتوضيح علاقة طرف اللسان بالثنايا العليا والسفلى أثناء النطق بها، فقال في تحديد مخرجها: ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العلويتين، أعني صفحتهما الداخليتين يخرج منه الصاد فـ« السين، فـ« الزاى »، ولا يتصل رأس اللسان بالصفحتين بل يسامتهما، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢١٠/ ٢١١ .

وهذا قول المرعشي عن دور الثنايا السفلى: وفي بعض الرسائل أن هذه الثلاثة تخرج من بين رأس اللسان وبين فويق الثنيتين السفليتين، وفيه إشكال؛ لأن المخرج ما ينقطع الصوت فيه؛ ولا يجري صوت هذه الثلاثة بين رأس اللسان وبين فويق الثنيتين السفليتين حتى يتصور انقطاعه فيه، بل يجري بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العلويتين وينقطع فيه كما يشهد به الامتحان الصادق، نعم رأس اللسان يسامت رأسي الثنيتين السفليتين لكن المسامتة لا يتحقق بها المخرج ما لم ينقطع الصوت بين المسامتين »، انظر جهد المقل ص٤٤ .

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠١ ج١ .

نطق هذه الحروف، ولكن نجد أن سيبويه يحدد لنا مخرج هذه الحروف، فيقول: « هو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا »[١].

قال د. رمضان عبد التواب عن مخرج « الزاي » مؤيدًا مذهب الجمهور: « هو صوت رخو مجهور مرقق يتم نطقه بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان، ومقدمته مقابل اللثة العليا »[٢].

قلت: والصحيح كما وصفنا، وقد استأنست في ذلك بما ذهب إليه جمهور العلماء وبعض المحدثين من علماء الأصوات »[٣]، ومن الملاحظ والمشاهد عند نطق حروف الصفير أن الصوت يندفع من فوق ظهر اللسان وليس من تحته، ويخرج صوت حروف الصفير بانضغاط المخرج بتضييق طرف اللسان من جهة رأسة بلثة الثنيتين العلويتين فينحصر الصوت بينهما وينضغط، فالذي يقترب من الثنيتين العلويتين هو جزء قليل من رأس اللسان أما بقية طرف اللسان فمحازية لأسنان الفك السفلى؛ لذلك أرى أن ابن الجزري كان دقيقًا حينما قال: « من فويق الثنايا السفلى »، وربما يكون هذا الوضع للّسان الذي أشكل على بعض إخواننا من طلبة العلم، ولو افترضنا أن رأس اللسان يقابل الثنايا السفلى فالعبرة بالصوت من أين يخرج، فالصوت يخرج من فوق ظهر اللسان مع الثنايا العليا.

قال بعض المحدثين: « إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية، رغم أن معظم كتب القراءات تسميها أيضا بتسمية أخرى أكثر شهرة وهي

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة، والكتاب لسيبويه ٢/ ٤٠٥ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ص٤٧ .

(٣) انظر علم الأصوات د. كمال بشر.

« أصوات الصفير »؛ وذلك لأن مجرى هذه الأصوات يضيق جدًا عند خروجها فتحدث عند النطق بها صفيرًا عاليًا لا يشاركها في نسبة علو هذا الصفير غيرها من الأصوات، ولكن المحدثين من علماء الأصوات اللغوية يجمعون كل الأصوات التي تحدث في نطقها ذلك الحفيف أو الصفير عاليًا كان أو منخفضًا في صعيد واحد، فالأصوات التي يسمع لها صفير واضح في رأي المحدثين هي: « ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف »، على أن هذه الأصوات تختلف في نسبة وضوح صفيرها، وأعلاها صفيرًا هي « السين »، و « الزاى »، و « الصاد » مما يمكن أن يبرر تسميتها في كتب القدماء بأصوات الصفير، وقصر هذه الصفة عليها، وإذا أدركنا أن هذا الصفير ليس إلا نتيجة ضيق المجرى عند مخرج الصوت »[١].

كيفية خروج حروف هذا المخرج:

تخرج « **السين** » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان فيمر الهواء من بينهما دون حدوث أي ذبذبة بهما، فيمر الهواء بالممر الصوتي، فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الهواء، فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، وهو: « عندما يسامت رأس اللسان الثنايا العليا دون أن يتصل بهما »، بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدًا يندفع من خلاله الهواء محدثًا ذلك الصفير العالي، هذا إلى جانب اقتراب الأسنان العليا من السفلى دون أن يلامس أحدهما الآخر.

أما « الصاد »، فتخرج كما تخرج « السين » إلا أن أقصى اللسان يقترب من

---

(١) قال د. إبراهيم أنيس: - الأصوات اللغوية ص٧٤ .

سقف الحنك الأعلى لاستعلاء « الصاد »، والتصاق طائفة من ظهر اللسان بسقف الحنك الأعلى لصفة الإطباق.

وتخرج « الزاي » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا شديدًا، فيمر من بينهما الهواء محدثًا ذبذبة، ثم يمر هذا الصوت بالممر الصوتي فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مروره، فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، وهو: « عندما يسامت رأس اللسان الثنايا العليا دون أن يتصل بها »، بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدًا يندفع خلاله الهواء محدثًا ذلك الصفير العالي، هذا إلى جانب اقتراب الأسنان العليا من السفلى دون أن يلامس أحدهما الآخر.

قال ابن الجزري:

. . . . . . والصفير مستكن   منه ومن فوق الثنايا السفلى[1]

وقال الشاطبي:

. . . .   ومنه ومن أطرافها مثلها انجلى[2]

وقال صاحب السلسبيل الشافي:

والصاد والسين وزاى تجلى   منه ومن فوق الثنايا السفلى[3]

المخرج الرابع عشر: مخرج « الظاء، والذال، والثاء »

وهو: ما بين ظهر اللسان ورأسي الثنيتين العلويتين، ويخرج منه ثلاثة

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٢) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

(٣) انظر السلسبيل الشافي ٣٤/ ٣٥ .

أحرف وهي: « الظاء »، « الذال »، « الثاء »، قال ابن الجزري: من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[١].

وقد ذهب أكثر علماء التجويد في تخصيص الثنايا بـ« العليا »[٢]، وهذا المخرج هو أقرب المخارج إلى خارج الفم من المخرج السابق باعتبار رأس اللسان[٣]، وتسمى هذه الأحرف الثلاثة لثوية نسبة إلى اللثة، ولم يختلف علماء الأصوات من المحدثين عن ما ذهب إليه القدامى في تحديد مخرج الحروف الثلاثة، فقالوا « يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا »[٤]، وهذا هو المخرج الصحيح المعتبر عند العلماء، ولك الرجوع إلى الشروح المعتبرة للجزرية في بيان مخرج هذه الحروف[٥].

ويذكر أن سيبويه حدد مخرجها، وهو: ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[٦]، إلا أن بعضهم قد شهد بوجود نطق أدخل في الفم بقليل، فقد قال ابن يعيش: ونص الزمخشري هو عين نص سيبويه- قال: « إن مخرجها ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.. وهي لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة »[٧].

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠١ .

(٢) انظر الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢١٢ .

(٣) انظر جهد المقل ص٤٥ .

(٤) انظر علم اللغة لمحمود السعران ص١٩٠ .

(٥) راجع شرح الجزرية لابن يالوشة، وكذا اللآلئ السنية في شرح الجزرية للقسطلاني، والمنح الفكرية لملا على القاري، وهامشة الدقائق المحكمة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وغيرها كثير، فسوف تجد الأمر كما قلنا.

(٦) انظر دروس في علم أصوات العربية - ص٦٤، وقال: يجب اجتناب النطق بها نطقا صفيريا كـ « السين »، أو « الزاى »، أو « الزاى » المفخمة، وهو نطق تركي الأصل.

(٧) انظر شرح المفصل للزمخشري ص١٢٥ .

وقد رد الدكتور أنيس عليهم هذه التسمية فقال: « فإذا عرضنا لمصطلحهم الخاص » بـ « الذال » و « الثاء » و « الظاء » وجدنا الأمر عجيب وغريب أنهم سموا هذه الأصوات بالأصوات اللثوية، نسبة إلى اللثة رغم أن اللثة لا تقوم معها بأي دور، بل هي كما وصفها سيبويه مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا »، فـ« الثاء » صوت رخو مهموس مرقق ينطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء[١].

وقد ناقش علماء التجويد مقدار تقدم[٢] طرف اللسان بين أطراف الثنايا، فأجمعوا على التحذير من المبالغة في خروج طرف اللسان، فقال المرعشي: « وفي بعض الرسائل أن رأس اللسان يجاوز رأسي الثنيتين قليلًا إلى جهة الخارج في هذه الحروف »[٣].

وقد تحول هذا الصوت في اللغة العامية إلى « دال »، كما في نحو: دهب، وقد ينطق زايًا على ألسنة الكثيرين من جميع الفئات، ومن بينهم المثقفون وبعض المعلمين، كما هو الحال في نطقهم لصوت « الثاء »، وليس من النادر وقوعهم في هذا الخطأ عند قراءتهم للقرآن الكريم، وهذا النطق بـ« الذال » « زايًا » يؤدي إلى الخطأ في معاني بعض الكلمات، بالإضافة إلى الخطأ في النطق، قارن مثلًا بين: « **ذل، زل** » فكلاهما مختلف عن الآخر نطقًا ومعنى[٤].

---

(١) الأصوات اللغوية د. أنيس ص١٠٨ .

(٢) قلت: أظن أن هذا رد مفحم لمن ادعى أن علماء التجويد والأصوات ادعو عدم خروج طرف اللسان عند نطق هذه الحروف الثلاثة.

(٣) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢١٣ .

(٤) انظر علم الأصوات. ص٢٩٩، وأقول: لعل هذا يكون ردًا أيضًا على من يدعى عدم إخراج اللسان عند نطق هذه الحروف، ولك الرجوع إلى فصل « شبهات والرد عليها » من هذا الكتاب لتقف على أقوال أهل العلم في هذه المسألة.

كيفية خروج حروف هذا المخرج:

تخرج « **الذال** » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا شديدًا فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، ثم يمر هذا الصوت بالممر الصوتي فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الصوت، فيتجه الصوت إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عندما يكون طرف اللسان متصلًا برأسي الثنيتين العلويتين اتصالًا خفيفًا، فيندفع الهواء من بين طرف اللسان ورأس الثنايا العليا، فيسمع صوت « الذال ».

أما « الظاء » فتخرج كما خرجت « الذال » إلا أن أقصى اللسان يرتفع ليقترب من سقف الحنك لصفة الاستعلاء، وترتفع أيضا طائفة من ظهر اللسان لتلتصق بالحنك الأعلى للإطباق.

و « الثاء » تخرج باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان فيمر الهواء من بينهما لا يحدث معه ذبذبة، ثم يمر هذا الهواء بالممر الصوتي فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الهواء فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عندما يكون طرف اللسان متصلًا برأسي الثنيتين العلويتين اتصالًا خفيفًا، فيندفع الهواء من بين طرف اللسان ورأس الثنايا العليا.

قال ابن الجزري:

.... **والظاء والذال وثا للعليا**[١]

---

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب مخارج الحروف.

وقال الإمام الشاطبي:

ومنه ومن بين الثنايا ثلاثة ....[١]

قال صاحب السلسبيل الشافي:

والظاء والذال وثاء ثلثت من طرفيهما أي التي علت[٢]

قال أبو حيان في «شرح التسهيل»: «الظاء» مما انفردت بها العرب واختصت بها دون العجم، و«الذال» ليست في اللغة الفارسية، و«الثاء» ليست في اللغة الرومية[٣].

المخرج الخامس عشر: مخرج «الفاء»

هو ما بين باطن الشفة السفلى ورأسي الثنيتين العلويتين، ويخرج منه «الفاء»[٤] ويكون ذلك بوضع أطراف الثنيتين العلويتين على بطن الشفة السفلى من جهة الداخل في المنطقة الرطبة دون ضغط على الشفة، لكي يترك مجالًا للنفس كي يخروج، وكثيرًا ما وجهنا المبتدئين إلى ذلك.

قال سيبويه عن مخرج «الفاء»: «من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج «الفاء»[٥].

ولم تتغير عبارة سيبويه في تحديد مخرج «الفاء» لا عند علماء العربية،

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .
(٢) انظر السلسبيل الشافى ص٣٤/ ٣٥ .
(٣) انظر الرعاية لمكى بن أبي طالب ص١١٣ .
(٤) انظر جهد المقل ص٤٦ . وانظر النشر ص٢٠١ .
(٥) انظر الكتاب لسيبويه ج٤ ص٤٣٣ .

ولا عند علماء التجويد، ولا عند المحدثين من دارسي الأصوات العربية، وضم « الفاء » إلى « الباء » و « الميم » و « الواو » والتعبير عنها باسم حروف الشفتين هو مذهب كثير من علماء التجويد، لكن « الفاء » في الواقع لا تشترك في مخرجها إلا الشفة السفلى، وقد اقترح « أبو الفضل عباد ابن أحمد ابن إسماعيل » أن تكون « الفاء » قسمًا بذاتها، فقال عن « الفاء »: « إنها تحتمل أن تكون من حروف الفم، وأن تكون من حروف الشفة؛ لأن مخرجها باشتراكهما والأولى أن تكون قسمًا برأسها، وعلى هذا الأساس وصف المحدثون « الفاء » بأنها صوت أسناني شفوي »[1].

كيفية خروج الفاء:

وتخرج « الفاء » باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء من بينهما لا يحدث أي ذبذبة، ثم يمر هذا الصوت بالممر الصوتي، فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الهواء، فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عندما تكون رأس الثنايا العليا على بطن الشفة السفلى من الجهة الرطبة، فيندفع الهواء من بينهما محدثًا صوت « الفاء ».

قال ابن الجزري:

من طرفيهما ومن بطن الشفة فالفا مع أطراف الثنايا المشرفة[2]

---

(١) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢١٥ .

(٢) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

وقال الشاطبي:

.... وحرف من أطراف الثنايا هي العلا[١]

ومن باطن السفلى.......... ....

قال صاحب السلسبيل الشافي:

والفاء من باطنِ سفلى الشفة ومع أطراف الثنايا العلية[٢]

المخرج السادس عشر: مخرج «الباء، والميم، والواو»

وهو ما بين الشفتين معًا، ويخرج منه «الباء» الموحدة، ثم «الميم»، ثم «الواو»؛ إلا أن «الواو» بانفتاحهما[٣]، و«الباء» و«الميم» بانطباقهما، والانطباق مع «الباء» أقوى من انطباقهما مع «الميم»[٤]، و«الواو» المقصودة هنا غير المدية[٥].

وتحديد سيبويه وغيره لمخرج «الواو» بأنه من الشفتين ليس خطأ؛ لأن

---

(١) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

(٢) انظر السلسبيل الشافي ص٣٤/ ٣٥ .

(٣) قال الداني: «الشفتان تنطبقان في «الباء» و«الميم»، ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان، وقال القاري: «الواو» تخرج بانفتاح و«الباء» و«الميم» بانطباق»، وعلق المرعشي على قول علي القاري فقال: «المراد بانفتاحهما في «الواو» انفتاحهما قليلًا، وإلا فهما ينضمان في «الواو»، ولكن لا يصل انضمامهما إلى حد الإطباق»، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢١٦، والتحديد للداني، والمنح الفكرية للقاري، وجهد المقل للمرعشي.

(٤) انظر جهد المقل ص٤٦ .

(٥) انظر النشر ص٢٠١ .

للشفتين دخلًا كبيرًا في نطق هذا الصوت، ولعل وضوح استدارة الشفتين مع « الواو » وكون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج « الواو » إلى الشفتين، وهو الذي جعل بعض المحدثين يتخذون هذا الموقف من « الواو » أيضًا(١).

وانطباق الشفتين في « الباء » أقوى من انطباقهما في « الميم »، وعلل المرعشي ذلك بقوله: « والظاهر أن سببه عدم احتباس النفس في « الميم »، بل جريانه في الخيشوم بخلاف « الباء »، وعدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد »(٢).

كيفية خروج حروف هذا المخرج:

و« الباء » تخرج باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز، فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا شديدًا فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، ثم يمر هذا الصوت بالممر الصوتي، فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الهواء، فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى المخرج، فينحبس عندهما الصوت لانطباقهما انطباقًا محكمًا، فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الشديد الذي يسمى بـ« الباء ».

---

(١) انظر دروس في علم أصوات العربية لجان كانتنيو ص٢٢، وقال محققه: « مخرج الحروف الشفوية ينقسم إلى قسمين: ١- حروف تقرع بانضمام الشفتين على بعضهما، نحو « الباء » و« الميم » و« الواو »، ٢- حروف تقرع بين الشفة السفلى ورأس الثنايا العليا نحو حرف « الفاء ».

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢١٦/ ٢١٧، وجهد المقل للمرعشي.

أما « الميم » فتخرج باندفاع الهواء من الرئتين بفعل ضغط الحجاب الحاجز فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا شديدًا، فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، وعند مرور الصوت بالممر الصوتي تتصل الشفتان غالقة الطريق أمام الصوت، فيمنع مرور الهواء منه، فينخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء من المرور منه إلى التجويف الأنفي.

قلت أيضًا - كما قلنا في « النون » -: « إن صوت « الميم » يستمر جزء منه موجود في الفم مصطدمًا بالمكان المغلق، والذى يخرج من الأنف هو الغنة فقط، لذلك عدّه بعض المحدثين ضمن الحروف الأنفموية أيضا، فالحروف الأنفموية هما: « الميم » و « النون »[١].

وتخرج « الواو »[٢] اللينة والمتحركة باندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة بفعل ضغط الحجاب الحاجز فيقترب الحبلان الصوتيان اقترابًا شديدًا، فيمر الهواء من بينهما محدثًا ذبذبة، ثم يمر هذا الصوت بالممر الصوتي، فيرتفع الطبق الأنفي أثناء مرور الهواء، فيتجه إلى الفم حتى يصل إلى الشفتين، فتنطبق الشفتين من الأجناب تاركة فرجة في منتصف الشفاه على شكل دائرة، فيحتك الصوت الخارج، فيتولد صوت « الواو »[٣].

---

(١) انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٧٢ .

(٢) لاحظ أن مذهب سيبويه، والشاطبي، وموافقيهم، وكذا مذهب الفراء جعلوا « الواو » المدية مع أختيها المتحركة واللينة من مخرج واحد؛ لأنهم لم يعتدوا بمخرج الجوف حين تكلموا عن الحروف الصحاح.

(٣) لا بد من مراعاة عدم الضغط على الشفتين ضغطًا كبيرًا يحدث فيها بروزا للأمام، وكشكشة كبيرة، ولكن يكون شكل الشفاه يوحى للناظر نطق « الواو » دون الكشكشة الكبيرة في الشفاه.

قال ابن الجزري:

لـلـشـفـتـيـن الـواو بـاء مـيـم ....[1]

قال الإمام الشاطبي:

.... **من الشفتين قل وللشفتين اجعل ثلاثا لتعدلا**[2]

قال في السلسبيل الشافي:

لـلـشـفـتـيـن الـواو بـاء مـيـم ....[3]

وقد أطلق علماء الأصوات المحدثين على « الياء » و« الواو » اللينتين حروف أشباه الصوائت؛ لأن « الياء » لها مخرج تنسب إليه، وهو وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى، وهذا لم يتوفر لـ « الياء » المدية، إذ إنها هوائية، لا مخرج لها، وأن انضمام الشفتين انضمامًا في « الواو » المتحركة والواو اللينة أكثر من انضمامهما في « الواو » المدية، يترتب عليه وضوح في السمع، يجعلهما أكثر شبها بالصوائت، أما « الواو » المدية فلا مخرج لها تنسب إليه غير الجوف وهو مقدر.

وهنا نستطيع القول: بإن ملمح « الواو » اللينة والياء اللينة « أشباه صوائت » وأنصاف الصوامت؛ لأنهما جمعتا بين الانتساب إلى مخرج ما بالإضافة إلى وضوح الصوت وقوته بدرجة أقل من الصوائت لوجود عائق، كما نشعر معهما بنوع من الحفيف يجعلهما أكثر قربًا من الصوامت؛ لذلك أطلق عليهما « أشباه

(١) انظر متن مقدمة الجزرية باب المخارج.

(٢) انظر متن الشاطبية ص٩٢ .

(٣) انظر السلسبيل الشافي ٣٤/ ٣٥ .

الصوائت » بسبب الوضوح السمعي، وإحداث نوع من الحفيف حال تكوينهما، كما هو شأن بعض الصوامت.

قلت: بهذا المخرج نكون انتهينا من بيان مخارج جميع حروف الهجاء الصحيحة وحروف المد «العلة» مع ملاحظة أننا لم نعد الخيشوم[1] الذي هو مخرج الغنة[2]، ضمن مخارج الحروف؛ لأنه مخرج مقدر لا يخرج منه

---

(١) قال د. غانم قدوري: « ومن الخياشيم مخرج « النون » الخفيفة: كانت عبارة سيبويه هذه مثار نقاش بين العلماء، يدور حول المقصود بـ « النون » الخفيفة، وحول تخصيص مخرج مستقل لهذه « النون »، أما المقصود بـ « النون » الخفيفة فقد قال أبو سعيد السيرافي: يجب أن تكون الخفية؛ لأن التفسير يدل عليه »، « وقد عد سيبويه هذه « النون » أحد الحروف الفرعية المستحسنة، وتتضح حقيقة هذه « النون » من خلال معرفة مخرج « النون » الأصلية، ومن هنا قال بعض علماء العربية وعلماء التجويد: « إن « النون » و « الميم » لهما مخرجان: أحدهما في الفم، وهو معتمد اللسان والشفتين، والآخر وهو مجرى الغنة، وقد قال مكي في توضيح هذه « النون »: إن « النون » الساكنة مخرجها من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا، ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فإذا أخفيتها عند ما بعدها صار مخرجها من الخياشيم لا غير فتذهب « النون » عند الإخفاء وتبقى الغنة من الخياشيم ظاهرة.. وتبين أن « النون » الخفية هي الغنة، و « النون » المدغمة والمظهرة هي غير غنة، والغنة تابعة لها -، وكان ابن الطحان قد أهمل الإشارة إلى هذا المخرج، وعد المخارج خمسة عشر مخرجًا بينما سمى بعض علماء التجويد صوت هذا المخرج « الغنة » بدل « النون » الخفية، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢١٨/ . ٢٢٠

(٢) قال المرعشي: « الخيشوم وهو أقصى الأنف يخرج منه النون « المخفاة »، وإن قلت: ما الفرق بين « النون » المخفاة وبين الغنة؟ قال: قلت: هما متحدتان ذاتًا إلا أن كلًا منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة « في الأصل « لـ » النون » و « الميم » الساكنتين المظهرتين كما في « عن، ولم »، ويسمى حينئذ غنة، وقد تخفى « النون » الساكنة، ومعناه أن يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي الغنة، كما في « عنك »، وسميت الغنة الباقية من « النون » « نونا » مخفاة، وبالجملة فإن الغنة تطلق لغة على الصوت الخارج من الخيشوم، سواء قام بالحرفين المذكورين أو قام بنفسه، وعلل كيفية قيام الغنة بنفسها مع أنها صفة =

أي حرف من حروف الهجاء لكنه مخرج صفة الغنة، وقد تكلمنا عن الغنة ضمن مبحث الصفات غير الضدية من هذا الكتاب، وقد قال عنه ابن الجزري: «الخيشوم وهو للغنة وهي تكون في «النون» و«الميم» الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجهما الأصلي على القول الصحيح كما يتحول مخرج حروف المد من مخرجهما إلى الجوف على الصواب»[١].

قلت: وعلى ذلك تكون المخارج ستة عشر مخرجًا من وجهة نظري وهي على الترتيب التالي:

المخرج الأول: مخرج الحروف الجوفية أو الهوائية: وهي حروف المد الثلاثة

الحروف الحلقية: وهي موزعة على ثلاثة مخارج:

المخرج الثاني- أقصى الحلق، ويخرج منه «الهمزة والهاء»

المخرج الثالث- وسط الحلق، ويخرج منه «العين والحاء»

المخرج الرابع- أدنى الحلق، ويخرج منه «الغين والخاء»

= بقوله: «إن الغنة لها مخرج مستقل غير مخرج موصوفها؛ لذا أمكن التلفظ بها وحدها بخلاف سائر الصفات، وأن «النون» المخفاة من الحروف الفرعية، لكنه في كتاب بيان جهد المقل رجع وقال: «إن الغنة لها مخرج مستقل فهي ليست بصفة، لكنها تشبه الصفة في تبعيتها لـ«النون» و«الميم»، فأطلقوا لفظ الصفة على الغنة على طريق التشبيه»، انظر جهد المقل ٤٩/ ٥١ و بيان جهد المقل.

(١) انظر النشر في القراءات العشر ص٢٠١ .

الحروف اللهوية: وتنقسم إلى قسمين:

المخرج الخامس- أقصى فوق، ويخرج منه « القاف »

المخرج السادس- أقصى من جهة أسفل، ويخرج منه « الكاف »

المخرج السابع مخرج الحروف الشجرية: وهي « الشين، الياء، والجيم »

المخرج الثامن مخرج لساني جانبي مستطل، « الضاد »

المخرج التاسع مخرج أدنى حافة اللسان لثوي، « اللام »

المخرج العاشر مخرج طرف اللسان مع أصول الثنايا، « النون »

المخرج الحادي عشر مخرج طرف اللسان من رأسه مع الثنايا « الراء »

المخرج الثاني عشر مخرج الحروف النطعية، « الطاء، والدال، والتاء »

المخرج الثالث عشر مخرج الحروف الأسلية، « الصاد، والسين، والزاى »

المخرج الرابع عشر مخرج الحروف اللسانية الأسنانية، « الظاء، والثاء، والدال »

مخرج الحروف الشفوية:

المخرج الخامس عشر مخرج حرف شفوي أسناني، « الفاء »

المخرج السادس عشر مخرج الحروف الشفوية، « الباء، والميم، والواو »

هذا الترتيب هو الترتيب الذي ذهبنا إليه من مجموع المذاهب التي ذكرناها في الصفحات السابقة، مع التنويه أننا لا نستطيع نسبة هذه المخارج بهذا الترتيب لمذهب بعينه من مذاهب العلماء التي ذكرناها في هذا الكتاب، إلا أن الغالب على ترتيب هذه المخارج بهذه الصورة هو ترتيب سيبويه، وأرى أن

يضاف إلى تلك المخارج التي ذكرها سيبويه «مخرج الجوف فيصير عدد المخارج الخاصة ستة عشر مخرجًا وهذا ما أميل إليه مع الأخذ في الاعتبار أننا لم نعتد بالخشيوم مخرجًا لأي حرف بل هو مخرجًا لصفة، فنكون بهذا قد توصلنا إلى مذهب جمع بين جميع مذاهب العلماء، وقد خلصت إلى هذا بناءً على الملاحظة، والتجربة، وكذا الأسانيد المروية عن رسول الله ﷺ في تلاوة القرآن الكريم التي تعلمناها من شيوخنا الكرام، رحم الله منهم الأولين وبارك لنا في الآخرين.

***

أسئلة الباب الثالث

س١ : وضح كيف ارتبط علم التجويد بعلم الصوتيات؟ وكيف ارتبطا بالقرآن الكريم؟

س٢ : ما هي المحاور الرئيسية التى قامت عليها الدراسة الصوتية للقرآن الكريم؟

س٣ : ما هي الجوانب العملية التى يجب على قارئ القرآن الاهتمام بها عند تلاوته للألفاظ القرآنية؟

س٤ : فرق بين الحرف والصوت مبينًا متى يصبح الصوت حرفا؟ موضحًا لماذا جمعت اللغة العربية بين نوعين من الأصوات؟ وما وظيفة كل منهما وسماته؟

س٥ : ما هي أهم خواص الحركات فى اللغة العربية؟ وما هي أهم خواص الصحاح؟ ولماذا جمعت الصيغة اللغوية بين الاثنين؟

س٦ : ما هي التصنيفات التى قسمت على أساسها الأصوات اللغوية عند كل من القدامى والمحدثين؟ مع توضيح الفارق بينهما؟ .

س٧ : ما هي الاعتبارت المتخذة فى تقسيم الأصوات اللغوية؟

س٨ : ما الفارق بين تقسيم القدامى والمحدثين للأصوات اللغوية؟ وهل ترى اتفاق ضابط التقسيم عند كل منهما؟ ولماذا؟

س٩ : ما هي وظيفة اللسان فى تحديد شكل غرفة الرنين الفموية؟ مع بيان عدد غرف الرنين فى الإنسان والوظيفة الصوتية لكل غرفة منها؟

س١٠ : ما هي عناصر دراسة الصوت عند القدامى؟ وما هي عند المحدثين؟ وإلى أي الرأيين تميل؟ ولماذا؟

س١١ : ما هي أقسام المخارج عند المحدثين من علماء الأصوات؟ وما عددها؟ موضحا الفرق بين المخرج المحقق والمخرج المقدر؟ وما هي حروف كل منهما؟

س ١٢ : وضح لماذا لم يعتد العلماء المحدثون بمخرج الخيشوم كمخرج للحرف الصحيح؟ وما هي التسمية الصحيحة للحروف التى يشترك الأنف فى إخراج أصواتها عند المحدثين؟

س١٣ : كم عدد المخارج العامة عند كل من المحدثين والقدامى؟ ثم وضح الفرق بين المخرج العام والمخرج الخاص؟ .

س١٤ : عرف كلًا من: الصوت، الحرف، المخرج، الصفة، الحرف الفرعي وأقسامه؟ وما سبب وجود الحرف الفرعي؟

س١٥ : ما هو عدد مخارج الحروف عند الخليل؟ وهل يوافق هذا العدد ما ذهب إليه جمهور أهل العلم؟ ولماذا؟

س١٦ : ما هو الأساس الذى بنى عليه اختلاف العلماء فى عدد مخارج الحروف؟

س١٧ : بين معنى اعتماد الصوت على مخرج محدد

س١٨ : ما الفرق بين الحروف الأصول والفروع فى اللغة العربية؟ وأي الحروف الفرعية تستحسن عند تلاوة القرآن؟

س١٩: عرف الوحدة الصوتية، و كذا الصور الصوتية، وكيف تفسر عدم اعتدادنا بحروف عدها بعض أهل العلم من الفروع وهي ليست كذلك؟

س٢٠: وضح أعضاء الجهاز الصوتي فى جسم الإنسان مبتدئًا من منشأ النفس، ثم بين وظيفة كل عضو من هذه الأعضاء؟ ثم وضح بالدليل هل الاختلاف بين أهل العلم فى تحديد عدد المخارج العامة راجع إلى اختلافهم فى منشأ الصوت ومنشأ النفس؟ أو ماذا؟

س٢١: ما هي أعضاء النطق المتحركة فى كل من الجهاز الصوتي والجهاز النطقي موضحًا وظيفة كل عضو فى إنتاج الصوت؟

س٢٢: عرف اللهاة؟ وأين توجد فى الجهاز النطقي؟ ووظيفتها فى انتاج الأصوات اللغوية؟ وما هي الحروف التى تشترك اللهاة فى إنتاجها؟

س٢٣: وضح أوضاع وأشكال الأوتار الصوتية التى تنتج لنا الأصوات اللغوية؟

س٢٤: اشرح مع التوضيح بالرسم آلية خروج الحرف المجهور من بداية خروج النفس؟ وكذا الحرف المهموس عند المحدثين من علماء الأصوات؟ ثم بين دور حجرات الرنين فى وضوح انتاج الكلام البشري مبينًا المقصود بكل من القرع والقلع؟

س٢٥: ما هو المقصود بالحلق؟ وما هي أجزاؤه عند كل من القدامى والمحدثين؟ وما هي حروفه؟

س٢٦: لماذا أطلق على الحنجرة صندوق الأصوات بالرغم من وجود حروف لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية؟

س٢٧: قسم سقف الحنك موضحًا من أي أعضاء النطق ينسب المتحركة أو الثابتة؟ وإلى كم قسم ينقسم؟ وما فائدة كل قسم فى إنتاج الأصوات اللغوية؟

س٢٨: ما هي الأهمية الصوتية للفك السفلي والشفاة؟ ثم بين بم تميزت حركة الفتح من الناحية الصوتية على كل من الضمة والكسرة؟

س٢٩: وضح بالدليل إلى أي أعضاء النطق تنسب الأسنان؟ وما فائدتها في إنتاج الأصوات اللغوية؟

س٣٠: اللسان عضو النطق الرئيسى تتحكم فى تحركه عضلات متعددة تزيد من مرونته، إلى كم قسم ينقسم اللسان عند كل من المحدثين والقدامى؟ ولماذا؟

س٣١: الشفاة لها دور هام ووظيفة صوتية فى إنتاج بعض الأصوات اللغوية، وتغيير شكلها يؤدى إلى معرفة أى الأصوات ينطقها القارئ، بين وظيفة الشفاة فى إنتاج الأصوات اللغوية موضحًا أى الأصوات التى تفرق بينها حركة الشفاة؟

س٣٢: اذكر آراء أهل العلم فى عدد مخارج الحروف موضحًا إلى كم قسم تنقسم؟ مبينا هل مذهب الخليل هو عين مذهب الجمهور؟ أم أن الراجح أن يكون له مذهبًا مستقلًا؟ ولماذا؟

س٣٣: بين صحة أو خطأ قول من ذهب إلى أن عدد مخارج الحروف بعدد حروف الهجاء، ولماذا؟

س٣٤: بين عدد مخارج الحروف عند الخليل بن أحمد، وكذا عدد حروف الهجاء موزعة على مدارجها الصوتية، موضحا رأيك فى إضافة مخرج الخيشوم إلى مخارج الحروف؟

س٣٥: هل يشترط أن يوافق التلميذ رأي الأستاذ أو المعلم لكي ننسب صحة المعلومة إلى الأستاذ؟ أم ماذا؟ وما سبب قولنا ذلك؟

س٣٦: ما هو سبب وضع الخليل لمعجمه الصوتي؟ ولماذا ترك الترتيب الهجائي والألفبائي؟

س٣٧: رتب الأصوات ترتيبًا صوتيًا على مذهب الخليل بن أحمد مع تجميع الأصوات المتحدة المخرج؟ ثم بين عدد المخارج العامة والخاصة عنده وما الفرق بينها وبين ترتيب سيبويه لها؟ وأيهما أدق فى الترتيب من وجهة نظرك ولماذا؟.

س٣٨: لماذا لم يذكر الخليل بن أحمد « الياء » ضمن حروف وسط اللسان؟ ولماذا لم يضم « الواو » إلى حروف الشفاه كذلك؟

س٣٩: كيف تبرهن على عدم صحة نسبة « الهمزة » للجوف عند الخليل بن أحمد؟ وجعلها ضمن حروف أقصى الحلق مرة أخرى؟

س٤٠: كيف تبرهن على صحة نسبة كتاب « العين » للخليل بن أحمد؟

س٤١: ما الفرق بين مذهب الخليل بن أحمد ومذهب الجمهور، وعلماء الأصوات المحدثين في ترتيبهم للأصوات اللغوية؟ وأي الآراء أدق من وجهة نظرك؟

س٤٢ : اذكر لماذا نحى الخليل كلاً من « الهمزة، والهاء، والألف » عن أن يبدأ بهن معجمه الصوتي؟ موضحا لماذا ضم الخليل بن أحمد « الهمزة » إلى حروف المد في حيز واحد؟

س٤٣ : بين عدد مخارج الحروف الخاصة عند سيبويه؟ وكذا عدد حروف الهجاء؟ موضحًا أيهما أدق في الترتيب الخليل أم سيبويه؟ موضحًا رأيك في وضع سيبويه « الألف » ضمن حروف أقصى الحلق؟

س٤٤ : هل عضو اللسان هو المتحكم في إخراج كل الحروف الهجائية؟ أم أن هناك حروفًا لا يكون للّسان دور في إنتاجها؟ مثل لما تقول مع الدليل؟

س٤٥ : اشرح كيفية إخراج الحرف الساكن في الجهاز النطقي، وما هي كيفية إخراج الحرف المتحرك؟ وهل زمن الحرف المتحرك يعادل زمن الحرف الساكن؟ يعني هل « الزاي » المتحركة تساوى زمن « الزاي » الساكنة؟ أم ماذا؟ ولماذا؟

س٤٦ : قلقل قارئ حرف « السين » بالرغم من أنه ليس من حروف القلقلة اشرح كيف حدث ذلك؟ وكيف تبين لهذا القارئ خطأه؟ وكيف توضح له النطق الصحيح لحرف السين الساكن؟

س٤٧ : أكمل: يجب العناية .... عند نطق .... بإخراجها من .... وإعطائها ....وخاصة الحروف التي .... أو .... لئلا يلتبس أحدهما بالأخر.......

س٤٨: أكمل: كل حرف شارك غيره في ....فإنه لا يتميز عنه إلا ....
وكل حرف شارك غيره في .... فلا يتميز عنه إلا
....

س٤٩: إن نطق الحرف مفردًا يختلف عن نطقه مركبًا- اشرح هذه العبارة.

س٥٠: ما معنى المخرج لغة واصطلاحًا؟ وما هي أقسام المخرج؟ موضحًا ما السبب الذي دعى سيبويه إلى ترتيب الحروف ترتيبًا صوتيًا؟

س٥١: ما معنى الحرف لغة واصطلاحًا؟ وإلى كم قسم تنقسم الحروف عند سيبويه؟ مع توضيح ضابط كل منها.

س٥٢: ما الفرق بين حروف المباني وحروف المعاني؟ وكيف نفرق بين الحروف الأصول والحروف الفروع؟ ومن أيها تتكون كلمات اللغة؟ ولماذا؟

س٥٣: إلى كم قسم تنقسم حروف المباني؟ وإلى كم قسم تنقسم الأصول والفروع؟ وأيها يستحسن في تلاوة القرآن؟.

س٥٤: عرف الحرف الأصلي، وما هو ضابطه؟ موضحًا عدد حروف الهجاء عند سيبويه، وإلى كم قسم تنقسم؟ وما هي الحروف الفرعية؟ وما سبب وجود مثل هذا النوع من الحروف؟ ولماذا لم تضف «اللام» المغلظة أو «النون» المخفاة إلى الحروف الفرعية؟

س٥٥: عرف الحروف الفرعية، ثم بين ضابطها، ثم وضح أقسامها، وما هي الأسباب التي أدت إلى وجود الحروف الفرعية؟

س٥٦: ما هي الحروف الفرعية في رواية حفص عن عاصم؟.

س٥٧ : بين كيفية معرفة مخرج الحرف عند المحدثين من علماء الأصوات وكذا القدامى مبينًا ذلك بطريقة عملية؟

س٥٨ : ما هي أقسام المخارج؟ وما ضابط كل منهم عند علماء اللغة المحدثين؟ وما عدد حروف الهجاء عندهم؟

س٥٩ : اذكر آراء أهل العلم في عدد المخارج، وما هو المذهب الراجح في رأيك؟ عاقدا مقارنة بين مذهب علماء الأصوات المحدثين وسيبويه، موضحًا أوجه الشبه والاختلاف بين ترتيب علماء الأصوات والخليل للمخارج العامة والخاصة، وكذا حروف الهجاء؟.

س٦٠ : ما هي عدد أحرف مخرج الحلق على مذهب الإمام الشاطبى؟ وما عددها عند الجمهور؟

س٦١ : قال ابن الجزري:

مخارج	**عشر على** ....
....	**وهي** ....
....	**ثم لوسطه** ....
أدناه	**والقاف** ....

أكمل الأبيات السابقة ثم اشرحها بالتفصيل؟

س٦٢ : عرف مخرج الجوف، وما هي حروفه؟ وإلى أي أقسام المخارج تنتمي هذه الحروف عند المحدثين والقدامى؟ وما هي خواصها؟

س٦٣ : ما هو الرأي الراجح لديك في مخرج الغنة؟ مع ذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة؟ وكيف يكون ردك على من ادعى أن مقصود

ابن الجزري بأن الغنة حرف، بالرغم من أن شراح الجزرية قالوا بعكس قول هذا القائل؟

س٦٤ : ما هي أقسام مخرج الحلق؟ وما هي حروفه على مذهب الإمام الشاطبي؟ وكيف توفق بين رأي القدامى وبين المحدثين في بعض التسميات المختلف فيها بينهم وفي تقديم مخرج صوت على آخر أو تأخيره؟

س٦٥ : ما هي الحروف الشجرية؟ ثم بين موضع خروجها في الفم، ثم حدد مخرج « القاف » مبيّنًا المقصود بالحروف اللهوية؟

س٦٦ : هل « القاف » المتحركة تخرج من مكان مخالف لـ« القاف » الساكنة؟ وما ردك على من ادعى ذلك من طلبة العلم؟ ثم وضح المخرج الصحيح لكل من « الغين، والخاء، والقاف » ذاكرًا الخلاف بين القدامى والمحدثين في مخرج هذه الحروف؟

س٦٧ : ما هو أقرب المذاهب في مخارج الحروف لمذهب سيبويه؟ ولماذا؟ ثم وضح أوجه الشبه والاختلاف بينهما موضحًا مخرج « الضاد »؟ وأين ينحصر صوتها في الفم؟ وما قولك في تحديد مخرجها عند المحدثين من علماء الأصوات؟

س٦٨ : حدد المقصود بالجوف عند أهل العلم، وما هي التسمية الصحيحة لهذا المخرج من وجهة نظرك موضحا الخلاف بين أهل العلم في حد هذا المخرج وحروفه؟ وما أوجه الشبه بين هذا المخرج وبين مخرج « النون » المظهرة و « النون » المخفاة؟

س٦٩: ما قولك في عدم تحمل حروف المد للحركات، وما ردك فيمن ابتدعت وقالت عند نطقنا للحرف المتحرك لا بد أن ننطق الحرف ساكنًا ثم نتبعه بعد ذلك بالحركة؟ موضحًا عدم استطاعة القارئ الفصل بين صوت الحرف والحركة لتتابع الأصوات في السلسلة الصوتية المعقدة؟

س٧٠: وضح بالدليل والتمثيل على ما تقول هل طول زمن الصوت يقتصر على الحركات فقط دون الصحاح؟ أم ماذا؟ موضحا لماذا سميت حروف المد بهذا الاسم؟ مبينًا هل يبدأ مخرج الجوف من عند الحجاب الحاجز أم من أين؟

س٧١: بين الصحيح من الأقوال في مخرج « الهمزة »؟ موضحًا من القائل إن « الهمزة » تخرج من الجوف؟ ومن القائل بأن « الهمزة » تخرج من الحنجرة؟ وما دليلك على أن حروف المد هي امتداد للحركات القصيرة؟

س٧٢: وضح بالتفصيل كيفية خروج حروف المد واصفًا دور الثنايا الصوتية في انتاج هذه الحروف شارحًا وضع غرف الرنين المتعددة في إنتاج هذا الصوت، وكذا وضع الشفاه؟.

س٧٣: عرف الحلق عند العلماء ووضح حروفه؟ وما الراجح من آراء أهل العلم؟ وما رأيك فيمن قسم الحلق إلى ثلاثة أقسام؟

س٧٤: بين الصواب من الخطأ في نسبة مذهب الخليل إلى مذهب الجمهور الذي اتبعه ابن الجزري؟ ثم بين هل أصابت مؤلفات التجويد في وضعها الخليل على رأس مذهب الجمهور؟ أم ماذا؟ ثم وضح مخرج

« الهاء » عند كل من الخليل بن أحمد وسيبويه والمحدثين من علماء الأصوات؟ ثم وضح سبب الخلاف بين المحدثين والقدامى في تحديد مخرج الحلق؟ وأى الآراء أرجح من وجهة نظرك؟ ولماذا؟

س٧٥: قسم مخرج الحلق؟ ثم بين حروف كل قسم؟ موضحًا لماذا لم يعتبر العلماء الحلق مخرجًا واحدًا؟ ولماذا قسموا مخرج أقصى اللسان إلى مخرجين؟ وما الفرق بينهما؟

س٧٦: بين مخرج وسط الحلق؟ وبين حروفه عند العلماء؟ ثم وضح بالتفصيل كيفية خروج « الحاء »، و« العين »؟ وما هو دور الثنايا الصوتية في إنتاجهما؟ وما دليلك على ما تقول؟ موضحًا أي الحرفين أسبق في المخرج من الآخر؟ وما قولك في اختلاف أهل العلم في أي الحرفين أسبق من الآخر؟ وهل يحتاج هذا الخلاف إلى تعصب البعض والتمسك بقول معين من هذه الأقوال؟.

س٧٧: بين صحة أو خطأ العبارة الذي صاحبها إن القارئ إذا أطال صوت « العين » أدى ذلك إلى تحول مخرجها إلى مخرج صوت « الغين »؟ وهل طول الصوت يحدد مخرج الحرف؟ أم هو هيئة خروج فقط؟ أي صفة من الصفات، وضح ما يدور حول هذا الموضوع بالتفصيل.

س٧٨: اذكر أقوال أهل العلم في مخرج كل من « الغين »، و« الخاء » ذاكرًا دليل كل فريق موضحًا الرأي الذي تميل إليه وما دليلك على ذلك؟

س٧٩: ما هي أقوال أهل العلم في مخرج « القاف »، وهل تعتبر من الحروف اللهوية التي تكون شحمة اللهاة هي الحد الثاني لمخرجها؟ ثم وضح كيفية خروج « القاف » بدءًا من خروج الهواء من الرئتين حتى ينتهي

صوت « القاف »؟ موفقًا بين « القاف » الساكنة و « القاف » المتحركة؟ وموضحًا دور الثنايا الصوتية في انتاجهما؟

س٨٠: بين مخرج كل من « القاف » و « الكاف » عند أهل العلم موضحًا الحروف التي تشترك معهما في المخرج عند أهل العلم، ثم وضح الصحيح من هذه الأقوال؟

س٨١: بين بالدليل والمناقشة المستفيضة لماذا جعل أقصى اللسان مخرجًا لحرفين؟ وجعل وسط اللسان مخرجًا لثلاثة أحرف؟ وما هي حروف كل مخرج عاقدًا مقارنة بينها؟

س٨٢: بين آلية خروج « الكاف » موضحا دور الثنايا الصوتية في إنتاجها عاقدًا مقارنة بينها وبين بعض الأصوات الفرعية لـ « الكاف » مبينًا المستحسن منها عند تلاوة القرآن والمستقبح، موضحًا الأخطاء التي يرتكبها البعض عند نطقه لـ « الكاف » الساكنة.

س٨٣: ما قولك فيمن جعل أقصى اللسان مخرجًا لكل من « القاف، والكاف، والغين، والواو، والخاء »؟ وكيف توضح بالدليل خطأ هذا الترتيب؟ موضحا القول في ضعف شدة « القاف » نظرًا لليونة الطبق الأنفي.

س٨٤: ما هو القول في حروف وسط اللسان عند أصحاب المذاهب الخمسة؟ وهل توجد أي مشكلة فيمن قدم حرفًا على آخر في المخرج؟ وما هو القول الصحيح في هذه المسألة؟ وهل هذا الخلاف خلاف لفظي؟ أم ماذا؟ وما سببه؟

س٨٥: بين آلية نطق حروف وسط اللسان ابتداء من خروج الهواء حتى مخرج الحرف، شارحًا دور الثنايا الصوتية في إنتاج كل منها، مبينًا الخلاف الناشئ بين العلماء في حرف « الجيم ».

س٨٦: بين مخرج « الضاد » عن كل من سيبويه، والجمهور الخليل بن أحمد، وعلماء الأصوات المحدثين، مبينًا الراجح من هذه الأقوال مع ذكر دليلك على صحة ما تقول؟ موضحا كيفية خروج « الضاد » على مذهب الجمهور بدءًا من الحجاب الحاجز حتى ينتهي صوت « الضاد » العربية؟ موضحًا الأخطاء التي تقع من البعض في نطق « الضاد » العربية؟ موضحًا كيفية تجنب هذه الأخطاء وسبب الوقوع فيها؟

س٨٧: تكلم عن مخرج كل من « اللام، والنون، والميم »، موضحًا الرأي الصحيح الذي تشهد له الملاحظة والتجربة في أي الحروف أسبق من الآخر ذاكرًا أدلة أهل العلم وآرائهم في تحديد مخرج هذه الحروف، وما هو القول الراجح منها؟ ثم بين أي ترتيب للأصوات أرجح عندك من وسط اللسان حتى الشفاه؟ وهل هو ترتيب الخليل؟ أو ترتيب سيبويه؟ أو ترتيب علماء الأصوات المحدثين؟ ولماذا؟ ثم بين كيفية خروج هذه الأحرف بدءًا من خروج الهواء من الرئتين حتى ينتهى صوتها مبينًا دور الأوتار الصوتية في إنتاجها، وكذا حالة الممر النطقي.

س٨٨: ما هو القول الصحيح في انحراف « اللام، والراء »؟ هل انحراف مخرج كما ادعى البعض؟ أو انحراف صفة كما ادعى البعض الآخر؟

أو انحراف صوت نتيجة غلق منطقة وسط اللسان؟ اذكر دليلك على صحة ما تقول.

س٨٩: هل صوت « النون » يخرج بكامله من الخيشوم؟ أو أن بعض الصوت يخرج من الفم؟ وما قولك في تسمية علماء الأصوات لهذا الصوت صوتًا انفمويًا؟ مبينا خطأ من قال إن ابن الجزري أراد بقوله غنة مخرجها الخيشوم أنها حرف ولم يقصد أنها صفة؟ وهل تستطيع أن تحاجج هذا القائل بأدلة تطبيقية وتبين فساد مذهبه؟ ثم وضح ما سبب تسمية علماء الأصوات هذه الحروف بالمتوسطة؟

س٩٠: هل مخرج كل من « الطاء، والدال، والتاء » يلي مخرج « اللام، والنون، والميم » أو العكس؟ لاحظ بالتجربة على نفسك وعلى غيرك ممن ينطقون الحروف سليمة صحيحة وسجل ملاحظاتك، وبعد تسجيلك للملاحظات بين صحة مذهب الخليل في ترتيبه لهذه الأصوات من عدمه مع ذكر دليلك على ما تقول؟ ثم بين أي المذاهب أقرب لملاحظاتك؟ ولماذا؟

س٩١: بين بالتفصيل مخرج الحروف التي يطلق عليها نطعية؟ موضحًا الفرق بينها ودور الثنايا الصوتية في إنتاج أصواتها؟ موضحا صحة أو خطأ من ذهب إلى همس « التاء »؟ ثم بين كيفية خروج هذه الأصوات عاقدًا مقارنة بينها وبين حروف أدنى الحلق من جهة المخرج وحالة الممر الصوتي عند خروجها؟ وما هو دور الثنايا الصوتية في إنتاجها؟

س٩٢: بين حروف الصفير؟ موضحا لماذا أطلق عليها ذلك الاسم؟ وما سبب الصفير فيها؟ ثم وضح مخرجها الصحيح مبينًا الرأي المخالف في

ذلك وردك عليه بالدليل العلمي المعتبر عند أهل العلم، شارحًا كيفية خروج هذه الأصوات بدءًا من الرئتين حتى ينتهي صوتها؟ مبينًا دور الثنايا الصوتَية في إنتاجها موضحًا هل الصوت يخرج من بين رأس اللسان والثنايا السفلى؟ أو من غير ذلك؟ ثم بين ترتيب الخليل بن أحمد لهذه الحروف والحروف النطعية، وهل هذا الترتيب صحيح؟ أو ماذا؟ وأى المذاهب السابقة أقرب للملاحظة والتجربة في مخارج هذه الحروف؟

س٩٣: هل يجوز اتصال رأس اللسان بالثنايا العليا عند نطق أحرف الصفير؟ وإذا اتصل رأس اللسان أي الحروف الهجائية تكون شبيهة بها؟ ولماذا؟

س٩٤: بين بالتفصيل مخرج «الظاء، والثاء، والذال» وأقوال أهل العلم في ترتيبها؟ وهل نطلق عليها الحروف اللثوية؟ أو ماذا؟ ولماذا؟ وما قولك فيمن ادعى عدم خروج رأس اللسان عند نطق هذه الحروف؟ وما دليلك على ذلك؟ وما هي أقوال أهل العلم في هذا المخرج؟ ثم بين كيفية خروج هذه الحروف شارحًا دور الثنايا الصوتية في إنتاجها.

س٩٥: حدد مخرج اللام بالضبط، وماذا تقول في قول ابن الجزري: واللام أدناها لمنتهاها موضحًا لماذا تحولت إلى قرب مخرج «النون»، و«الراء»؟ وما هي آراء أهل العلم في تحديد مخرجها؟.

س٩٦: هل الغنة حرف؟ أم صفة؟ ولماذا جعلها ابن الجزري ضمن المخارج بقوله: وغنة مخرجها الخيشوم؟ مع التعليل لما تقول؟

س ٩٧: حدد مخرج «الفاء» موضحًا كيف يكون وضع الأسنان مع الشفاة؟

وأي جزء من الشفاه السفلى يشترك مع رأس الثنايا العليا؟ ثم وضح أقوال أهل العلم في مخرج هذا الحرف موضحًا كيفية خروج « الفاء »؟ وما هو النطق المستهجن لها؟ وما هي الأخطاء التي تقع من البعض عند نطقه لهذا الحرف؟ وما سبب ذلك؟ وما طريقة العلاج من الوقوع في مثل هذه الأخطاء؟

س ٩٨: أخرج قارئ « الذال » قريبة من صوت « الدال » مع أنه أخرج طرف اللسان النطق بها؛ وضح الخطأ الذي فعله هذا القارئ، وكيف توجهه إلى النطق الصحيح لـ « الذال »؟.

س٩٩: عند تصحيحك لطالب أثناء تلاوته للقرآن سمعت منه بدلًا من « الميم » باء وضح كيف حدث ذلك؟ وكيف توجهه إلى النطق الصحيح؟

س١٠٠: ما هو القول في مخرج كل من « الميم، والباء، والواو »؟ وما هو وضع الشفاه عند نطق كل منها؟ وما الفرق في النطق بين « الميم » المظهرة و « الميم » المخفاة؟ ثم بين كيفية خروج الحروف الشفوية؟ وما دور الشفاه في إنتاجها؟ وكذا دور الثنايا الصوتية؟ مبينًا الخطأ الذي يقع من البعض في نطقه لهذه الحروف.

س١٠١: ما الفرق في وضع الشفاة في خروج « الواو » المدية و « الواو » اللينة؟ وهل يجب بروز الشفاة عند أي منهما بروزًا متعسفًا؟ أم ماذا؟ موضحًا الفرق في شكل الشفاة عند خروج حروف المد؟ مبينا لماذا أطلق على « الواو » اللينة أنصاف حركات؟ موضحًا أوجه الشبه بين مخرج حروف المد ومخرج الغنة.

س١٠٢ : ما قولك في الغنة هل هي صفة أو حرف؟ اذكر آراء أهل العلم في الغنة موضحًا الصحيح منها مع ذكر الدليل مبينًا خطأ من قال أن ابن الجزري قصد بأن الغنة حرف مثلها مثل حروف المد.

* * *

الفهارس الفنية



الفهارس الفنية

الموضوع | رقم الصفحة

* * *


طبعت بمطابع
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
ت : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨
القاهرة